

الجزالخامس

جعفر السبحانى التبريزى


بسم الله الرحمن الرحیم

بحوث فى الملل و النحل

كاتب:

جعفر سبحانى

نشرت فى الطباعة:

موسسة النشر الاسلامى

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبیوتریة

الفهرس

بحوث فی الملل و النحل - الجزء الخامس (یتناول تاریخ الخوارج)

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، - ۱۳۰۸

عنوان و نام پدیدآور : بحوث فی الملل و النحل : دراسه موضوعیه مقارنه للمذاهب الاسلامیه تالیف جعفر السبحانی مشخصات نشر : قم اداره الحوزه العلمیه بقم الجماعه المدرسین فی الحوزه العلمیه بقم موسسه النشر الاسلامی ۱۴۱۴ق = - ۱۳۷۲.

فروست : (موسسه النشر الاسلامی جامعه المدرسین بقم ۷۲۰، ۷۲۱، ۷۲۲، ۷۲۳، ۷۲۵: مرکز مدیریت حوزه علمیه قم ۱، ۲۶)

شابک : بها:۳۴۰۰ریال ج ۱)بهای‌هرجلدمتفاوت ؛ بها:۳۴۰۰ریال ج ۱)بهای‌هرجلدمتفاوت ؛ بها:۳۴۰۰ریال ج ۱)بهای‌هرجلدمتفاوت ؛ بها:۳۴۰۰ریال ج ۱)بهای‌هرجلدمتفاوت وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی یادداشت : ج ۱ (چاپ دوم ۱۳۷۱)؛ بها: ۱۸۰۰ ریال یادداشت : جلد اول و چاپ دوم ۱۴۱۵ق = ۱۳۷۳؛ بها: ۴۰۰۰ ریال‌جلد پنجم (چاپ دوم ۱۴۱۵ق = ۱۳۷۳)؛ بها: ۵۵۰۰ ریال (موسسه النشر الاسلامی جامعه مدرسین بقم)۷۲۴

یادداشت : جلد اول (چاپ چهارم ۱۴۱۶ق = ۱۳۷۴؛ بها: ۶۵۰۰ ریال یادداشت : ج ۴(چاپ پنجم ۱۴۱۷ق = ۱۳۷۵)؛ ۷۶۰۰ ریال یادداشت : ج ۷(چاپ اول ۱۴۱۶ق = ۱۳۷۴)؛ ۱۰۰۰۰ ریال یادداشت : ج ۸(چاپ اول موسسه الامام الصادق ۱۴۱۸ق = ۱۳۷۶)؛ ۱۰۰۰۰ ریال یادداشت : ج ۱۴۱۲ ق = ۲۵۰۰ :۱۳۷۱ ریال یادداشت : ج ۶ (چاپ چهارم ۱۴۲۴ق = ۱۳۸۲): ۳۴۰۰۰ ریال یادداشت :

کتابنامه مندرجات : ج ۱. تاریخ عقائد اهل الحدیث و الحنابله و السلفیه .-- ج ۲. تاریخ الامام الاشعری و انصاره و عقائدهم .-- ج ۳. و یتناول تاریخ و عقائد الماتریدیه و المرجئه .-- ج ۴. حیاه ابن‌تیمیه و ابن‌عبدالوهاب و عقائدهما .-- ج ۶. تاریخ الشیعه نشاتهم عقائدهم و شخصیاتهم .-- ج ۷. یتناول شخصیه و حیاه الامام الثائر زیدبن علی و تاریخ الزیدیه و عقائدهه -- ج ۸. الاسماعیلیه و فرق الفطیحه ...--

موضوع : اسلام -- فرقه‌ها

شناسه افزوده : جامعه مدرسین حوزه علمیه قم دفتر انتشارات اسلامی شناسه افزوده : حوزه علمیه قم مرکز مدیریت رده بندی کنگره : BP۲۳۶/س۲ب۳ ۱۳۷۲

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۵

شماره کتابشناسی ملی : م۷۳-۲۱۵۵

المقدمة

المقدمة بسم الله الرحمن الرحیم الحمدللّه رب العالمین، والصلاة والسلام علی سیّد المرسلین، وآله الطاهرین، وصحبه المنتجبین . أمّا بعد: فهذا هو الجزء الخامس من موسوعتنا فی الملل و النحل، والمقارنة بین المذاهب الاسلامیة، نقدّمه إلی القرّاء الکرام، راجین منهم التنبیه والارشاد إلی مواضع الزلّة والخطأ، فإنّ المؤمن مرآة المؤمن، وأحبّ الاخوان من أهدی إلی أخیه عیوبه(۱) . ویتناول هذا الجزء دراسة إحدی الفرق الإسلامیة القدیمة أعنی فرقة الخوارج من خلال المواضیع التالیة: الف ـ نشأتهم. ب ـ تاریخهم السیاسی الذی یتضمّن المواجهات التی خاضوها مع ________

۱. اقتباس عن الکلمة المرویة عن الامام الصادق ـ علیه السَّلام ـ حیث قال: أحبّ اخوانی إلیّ من أهدی إلیّ عیوبی (لاحظ: تحف العقول ۳۶۶) . (۶)

مخالفیهم أوّلا، ومحاولاتهم للاستیلاء علی البلاد الإسلامیة ثانیاً، وزوالهم والقضاء علیهم ثالثاً . ج ـ طوائفهم وفرقهم . د ـ عقائدهم و

أفكارهم . هـ ـ شخصيّاتهم البارزة والآثار الأدبيّة التى خلّفوها . والخوارج ـ كما قلنا ـ من أقدم الفرق الإسلامية بل أوّل فرقة ظهرت فى المجتمع الإسلامى، وهو أوّل اختلاف حدث بين المسلمين، بعد اختلاف الاُمّة فى مسألة الإمامة، وقد تكوَّنت فى العقد الرابع من القرن الأوّل بعدما نشبت الحرب بين الإمام علىّ ـ عليه السَّلام ـ ومعاوية بن أبى سفيان، وقد تحدّث عنهم و عن نشأتهم وتاريخهم طائفتان: ۱ – أصحاب التواريخ: فقد ذكروا عنهم شيئاً كثيراً حسب التسلسل الزمنى كالطبرى فى تاريخه، والمبرّد فى كامله، واليعقوبى فى تاريخه، والمسعودى فى مروجه، والجزرى فى كامله، وابن كثير فى كتابه، ولكن اكتفوا بنقل الحوادث من دون تحليل عللها ونتائجها وغاياتها ومن دون استنتاج شىء يُعدّ درساً أو عبرة، ومن دون قضاء بشىء فى حقّهم، كأنّهم قصّاصون ليس لهم شأن سوى سرد القصّة . وبما أنّهم ذكروا حوادث تلك الفرقة فى فصول مختلفة ـ كما هو مقتضى سرد الحوادث حسب السنين والقرون ـ لا يمكن للإنسان أن يقف على تاريخ تلك الفرقة دفعة واحدة فى موضع واحد، بل عليه السبر وتتّبع الحوادث وضمّ حلقة إلى حلقات اُخرى، حتى يكون على اطّلاع على تاريخهم عن كثب . ۲ ـ مؤرّخو العقائد: أعنى أصحاب علم الملل والنحل فقد اهتمّوا بذكر فرقهم، وبيان لفيف من عقائدهم، من دون تركيز على كيفيّة نشأتهم، والحروب (۷)

الّتى مارسوها طيلة سنين، قرناً بعد قرن . نعم هناك جماعة من المتأخّرين أفردوا تاريخهم بالتأليف، وهم بين كاتب مسلم، ومؤلّف مستشرق، ولكل غايته المتوخّاة، وإليك الاشارة إلى بعض ما اُلّف فى ذلك المضمار: ۱ ـ ملخّص تاريخ الخوارج: تأليف محمّد شريف سليم، المطبوع فى القاهرة عام ۱۳۴۹ هـ ـ ق . ۲ ـ الخوارج فى الاسلام: تأليف عمر أبى النصر، المطبوع فى بيروت عام ۱۳۶۹ هـ ـ ق الموافق لعام ۱۹۴۹ م . ۳ ـ أدب الخوارج: تأليف الكاتبة سهير القلماوى، والكتاب رسالتها الاُولى لنيل درجة الماجستير وقد نشرتها عام ۱۳۶۵ هـ ـ ق وتناولت الرسالة البحث عن شعراء الخوارج وقد ذكرت منهم عمران بن حطان و قطرى بن الفجاءة، والطرماح بن حكيم وهو غير طرماح بن عدى الذى كان موالياً لعلى ـ عليه السَّلام ـ . ۴ ـ وقعة النهروان: تأليف الخطيب الهاشمى الحائرى، المطبوع فى طهران عام ۱۳۷۲ هـ ـ ق . ۵ ـ الخوارج فى العصر الأموى: تأليف الدكتور نايف معروف، وقد طبع فى بيروت مرّتين أخيرتها فى عام ۱۴۰۱ هـ . ۶ ـ الخوارج و الشيعة: تأليف يوليوس فلهوزن، وقد نقله إلى العربية عبدالرحمن بدوى، طبع فى الكويت للمرّة الثالثة عام ۱۹۷۸ م. ومن جنايات المؤلّف على تاريخ الشيعة فى الكتاب قوله: «انّ الشيعة و الخوارج تكوّنا فى وقت واحد»(۱) والمسكين جاهل بتاريخ الشيعة ـ فانّها تكوّنت فى العصر الذى تكوّن فيه الاسلام، و الشيعة عبارة عن لفيف من المسلمين الاُول من المهاجرين ــــــــــــــــــ

۱. يوليوس فلهوزن: الخوارج و الشيعة ۱۱۲، ترجمة عبدالرحمن بدوى، من الألمانية الى العربية. (۸)

والأنصار، الذين بقوا على ما كانوا عليه فى عصر الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فاتّبعوا سنّته ولم يعدلوا عنها قيد شعرة، فأخذوا فى مسألة الخلافة بالنص، وتركوا الاجتهاد فى مقابله . وأمّا الخوارج فقد نشأت فى أعقاب حرب «صفّين» كما سيوافيك بيانه، فعدّهما عدلين وفى صفّ واحد جهل بتاريخ الشيعة وتاريخ الاسلام، أو تجاهل، وليس ذلك ببعيد عن المستشرقين المجتمعين على موائد الاستعمار . هذا بعض ما اُلّف حول تاريخ الخوارج والكل كماترى ألّف بيد خصمائهم ولا يمكن الاحتجاج بهذه الكتب عليهم إلاّ إذا تضافر النقل وحصل الاطمئنان بصدقها، ولأجل رفع تلك النقيصة والتزاماً منّا بالموضوعية التى يجب أن يتّصف بها البحث والباحث، بذلنا الجهد للحصول على آثار تلك الفرقة فى التاريخ والعقائد والفقه والتفسير وتقف على أسمائها فى «قائمة المصادر» للكتاب. فإنّ الخوارج انقرضت بعامّة فرقها ولم يبق منهم مايعبأ به إلاّ فرقة الاباضية وهى الفرقة المعتدلة منهم، وهى المذهب الرسمى فى عمّان، وقد قامت وزارة التراث القومى والثقافة لسلطنة عمان، بنشر آثار الاباضية فى مجالات مختلفة، فلابّد للباحث من الرجوع إليها. نسأل اللّه سبحانه أن يوفّقنا فى تبيين نشأة تلك الفرقة وتاريخها وعقائدها لما هو الحق والصدق، مجانبين عن كل فكرة ونظرية مسبقة فى حقّهم . قم ـ مؤسسة الامام الصادق ـ عليه السَّلام ـ جعفرالسبحانى ۲۰/۱۲/۱۴۱۱ هـ (۹)

الفصل الأوّل بداية الاختلاف بعد رحلة الرسول ـ

الفصل الأوّل بداية الاختلاف بعد رحلة الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ (۱۰) (۱۱) ارتحل النبى الأكرم ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ملبّياً دعوة ربّه فى العام الحادى عشر من هجرته، بعد ما بذل كل جهده لتوحيد الاُمّة ورصّ صفوفها، منادياً فيهم بقول سبحانه: (إنَّ هـذه اُمَّتُكُمْ اُمَّه واحِدَةً وَ أنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)(۱) وهو ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ كما دعا إلى كلمة التوحيد دعا إلى توحيد الكلمة بأمر منه سبحانه فى الذكر الحكيم حيث قال:(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعَاً وَلاـ تَفَرَّقُوا)(۲) وقال سبحانه:(إنَّمَا الْمُؤمِنُونَ إخْوَةٌ...)(۳) إلى غير ذلك من الآيات، وقد كان ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يُحذِّر المجتمع الاسلامى من التفرّق و التشرذم، وقد وصف التحزّب والتعصّب لقوم دون قوم «دعوى منتنة»(۴). وقد خاطب معشر الأنصار بقوله: «الله الله أبدعوى الجاهلية و أنا بين

۱. الأنبياء: ۹۲ .

۲. آل عمران: ۱۰۳ .

۳. الحجرات: ۱۰ .

۴. ابن هشام: السيرة النبوية ۳/۳۰۳ . (۱۲)

اظهركم بعد أن هداكم الله بالاسلام، وأكرمكم به، وقطع به أمر الجاهلية و استنقذكم من الكفر، وألّف به بين قلوبكم»(۱) . ومع كل هذه الأوامر العديدة و التحذيرات الشديدة نرى ـ ياللاسف أنّ المسلمين اختلفوا بعد وفاته ـ وجثمانه بَعدُ لم يُوار ـ إلى فرقتين يجمعهما الاتّفاق فى سائر الاُصول و يفرّقهما الخلاف فى مسألة الخلافة والولاية وهاتان الفرقتان هما: ۱ ـ فرقة تبنّت مبدأ التنصيص على الشخص المعيّن و قالت إنّ الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ نصّ على خلافة على و ولايته فى مواضع عديده و مناسبات كثيرة، أعظمها و أشهرها يوم الغدير فى منصرفه عن حجّة الوداع فى العام العاشر، فقال فى محتشّد عظيم: «من كنت مولاه فهذا علىّ مولاه، اللّهمّ وال من والاه و عاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله» وقد بلغ الحديث فى كل عصر حدّ التواتر بل تجاوز حدّه، ومن المتبنّين لهذه الفكرة، أكابر بنى هاشم وشخصيّاتهم البارزة كعباس بن عبدالمطلب وعقيل بن أبى طالب وغيرهما ولفيف من الأصحاب، كسلمان الفارسى، وأبى ذر الغفارى، والمقداد بن الأسود الكندى، وأبى التيهان، وأبى أيّوب الأنصارى وغيرهم من المهاجرين و الأنصار، الذين شايعوا علياً، و نفّذوا ما أوصى به النبى الأكرم فى حقّ وصيّه، وهؤلاء همّ نواة الشيعة وهم جزء من المسلمين الاُول، فقد بقوا على ما كانوا عليه فى عصر الرسول . ۲ ـ فرقة تبنّت فكرة الشورى، وانّ لها اختيار القائد، وانتهت تلك الفكرة بعد مشاجرات ومشاغبات بين متبنّيها إلى خلافة أبى بكر بن أبى قحافة، و تمّت البيعة له فى سقيفة بنى ساعدة، ببيعة عدّة من المهاجرين، كعمر بن الخطاب ـــــــــــــــــــــ

۱. ابن هشام: السيرة النبوية ۲/ ۲۵۰ . (۱۳)

وأبى عبيدة الجراح، وبيعة الأوسيين من الأنصار، وهؤلاء قد نسوا أوتناسوا النصّ النبوى يوم الغدير فقدَّموا الاجتهاد على النص، ورجّحوا المصلحة المزعومة على التعيين الإلهى، والعجب انّ أصحاب هذه الفكرة من بين المهاجرين و الأنصار كانوا يستدلّون على مبدئهم فى سقيفة بنى ساعدة بأدلّة و مقاييس كانت سائدة فى الجاهلية، والتى لاصلة لها بالكتاب و السنّة: مثلا: إنّ الأنصار رأوا أنّهم أولى من غيرهم بالخلافة، لأنّهم آووا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ونصروه فى حروبه فى زمان أخرجه قومه فيه من موطنه وخذلوه، وقال خطيبهم الحبّاب بن المنذر بقوله: يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم فأنتم أحقّ بهذا الأمر منهم، فانّه بأسيافكم دان الناس بهذا الدين. هذا منطق الأنصار، وهلم معى نستمع منطق المهاجرين فقال أبوبكر ناطقاً عنهم: إنّ المهاجرين أقرباء النبى و عترته، ودعمه عمر فقال ردّاً لمنطق الأنصار: والله لاترضى العرب أن تؤمّركم ونبيّها من غيركم ولاتمنع العرب أن تولّى أمرها من كانت النبوّة منهم، من ينازعنا سلطان محمد و نحن أولياؤه و عشيرته؟ ترى أنّه ليس فى منطق كل من المرشّحين أىّ استناد إلى الكتاب والسنّة

فهذه تستدل بايوائهم رسول الله ونصرتهم إيّاه، وتلك تستند إلى قرابته منه، مع أنّه كان من اللازم عليهم الفحص عن قائد لائق عارف بالكتاب والسنّة، مدير ومدبّر يملك كافّة المؤهّلات اللازمة فى القيادة سواء أكان من المهاجرين أم من الأنصار أو من طائفة اُخرى كل ذلك يعرب عن أنّ الفكرة كانت غير ناضجة أوّلا، وانّ الانتخاب والاختيار لم يكن صادراً عن مبدأ الاسلامى ثانياً . (۱۴) هذا و انّ طائفة من الأنصار أعنى الأوس بايعوا أبابكر بحجّة أنّهم إن لم يبايعوه ليكوننّ للخزرج عليهم فضيلة(۱). وهكذا ظهرت فرقتان بعد وفاة الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ والمبدأ الذى اختلفتا فيه هو: مسألة الخلافة و قيادة الاُمّة، وكان المترقّب بعد هذا الشقاق والاختلاف، طروء حروب دامية بين الطرفين، ولولا القيادة الحكيمة للامام على ـ عليه السَّلام ـ ومساهمته مع الخلفاء فى مهامّ الاُمور، والتنازل عن حقّه لَانْجّر الأمر فى حياة الخلفاء إلى الهلاك و الدمار، خصوصاً انّ المنافقين كانوا يترصّدون تلك الفرصة ويؤلّبون احدى الطائفتين على الاُخرى ليصطادوا فى الماء العكر، وفى التاريخ شواهد تؤيّيد ذلك وانّ القيادة الحكيمة لصاحب النص أعنى الامام علياً أفشلت تلك الخطط الشيطانية نكتفى منها بما يلى: روى الطبرى: لمّا اجتمع الناس على بيعة أبى بكر أقبل أبوسفيان وهو يقول: «والله إنّى لأرى عجاجة لايدفها إلّا دمّ، يا آل عبد مناف فيما أبوبكر من اُموركم؟ أين المستضعفان أين الاذلّان على والعبّاس؟ وقال: «أبا حسن أبسط يدك حتى اُبايعك» فأبى على ـ عليه السَّلام ـ فجعل أبوسفيان يتمثّل بشعر المتلمّس: ولن يقيم على خسف يراد به * إلّا الأذلّان غير العير و الوتد هذا على الخسف معكوس برمّته * وذا يشجّ فلايبكى له أحدى(۲) قال: فزجره على ـ عليه السَّلام ـ وقال: «إنّك والله ما أردت بهذا إلّا الفتنة وإنّك والله طالما بغيت للاسلام شرّاً، لا حاجة لنا فى نصيحتك». كان الامام معتقداً بشرعية امارته وخلافته، ويرى نفسه خليفة ــــــــــــــــــــ

۱. الطبرى: التاريخ ۲/ ۴۴۶. ابن قتيبة: الامامة و السياسة ۱/ ۹ .

۲. الطبرى: التاريخ ۲/ ۴۴۹. ابن الاثير: الكامل فى التاريخ ۲/ ۲۲۰ . (۱۵)

رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وقد سبقت البيعة له فى يوم الغدير وغيره، وكان يحتجّ به وبغيره من النصوص على استحقاقه لها و يعترف نفسه و أهل بيته بقوله: «ولهم خصائص حقّ الولاية وفيهم الوصّية والوراثة»(۱). ومع ذلك رأى أنّ فى مواجهة هذا الانحراف فى تلك الظروف العصيبة مفسدة أعظم من فوت الولاية فتنازل عن الأمر فسدل دونه ثوباً، وطوى عنه كشحاً، وهو يصف الحال فى بعض خطبه ويقول: «ولا ـ يخطر ببالى أنّ العرب تزعج هذا الأمر من بعده ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ عن أهل بيته، ولا انّهم منحّوه عنّى من بعده، فما راعنى إلّا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدى حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون إلى محق دين محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علىّ أعظم من فوت ولا ـ يتكم التى إنّما هى متاع أيّام قلائل، يزول منهما ما كان كما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب، فنهضت فى تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمئن الدين و تنهنه»(۲). قام أبوبكر بأعباء الخلافة، وحارب أصحاب الردّة، إلى أن مضى لسبيله، فأقام مكانه عمر بن الخطاب وهو أيضاً سار بسيرة من قبله، وكان المسلمون يجتازون البلاد، و يفتحون القلاع، ويسيطرون على العالم بفضل الدين والايمان، حتى إذا مضى لسبيله جعلها فى جماعة من قريش وزعم أنّ رسول الله مات وهو عنهم راض وهؤلاء هم: علىّ، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبى وقاص، وعبدالرحمن بن عوف، وقال: رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم، ثم نظر إلى كل واحد من هذه الستة إلى أن نظر إلى ــــــــــــــــــــ

۱. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۵ .

۲. الرضى: نهج البلاغة الكتاب ۶۲ . (۱۶)

عثمان وقال: كأنّى بك قد قلّدتك قريش هذا الأمر لحبّها إيّاك فحملت بنى اُميّة وبنى أبى معيط على رقاب الناس، آثرتهم بالفىء فثارت إليك عصابة من ذؤبان العرب فذبحوك على فراشك ذبحاً، والله لئن فعلوا لتفعلن، ولئن فعلت ليفعلن ثم أخذ بناصيته فقال: فاذا كان ذلك فاذكر قولى فإنّه كائن (۱) . فلمّا دفن عمر، اجتمع أصحاب الشورى فى بيت فتكلّموا فتنازعوا، غير أنّ تركيب الأعضاء

منذ عيّنها الخليفة كان يعرب عن حرمان على و نجاح غيره و لأجل ذلك تمّ الأمر لصالح عثمان، فقام بالأفعال التى تنبّأ بها عمر بن الخطاب، وأحدث اُمراً نقم بها عليه، وأوجدت ضجّة بين المسلمين ومن أبرز معالمها انحرافه عن الحق وإليك صورة من أعماله التى ثارت لأجلها ثورة الأنصار والمهاجرين: ١ ـ تعطيل الحدود الالهية: شرب الوليد بن عقبة الخمر فسكر فصلّى بالنّاس الغداة ركعتين أو أربع ركعات، فانْتُزِعَ خاتمه من يده وهو لايشعر من سكر، وقد قدم رجل المدينة وأخبر عثمان ما شهده من الوليد فضربه عثمان، فكثرت الشكوى على عامله بالكوفة ولم ير بُداً من عزله ولم يجرِ الحد على الوليد، فقال الناس: عطّلت الحدود وضربت الشهود(٢) . ٢ ـ عطياته الهائلة لبنى اُميّة من بيت المال: بين ليلة وضحاها صارت جماعة من بنى اُميّة بفضل خلافة عثمان، ـــــــــــــــــــــ

١. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ١/١٨۶ .

٢. السيوطى: تاريخ الخلفاء ١٠۴. أبوالفرج الاصبهانى: الاغانى ۴/ ١٨٨ . (١٧)

أصحاب الضياع العامرة والثروات الطائلة منهم: مروان بن الحكم، وعبدالله بن أبى سرح، ويعلى بن اُميّة، والحكم بن العاص، والوليد بن عقبة وأبى سفيان، وقد حفظ التاريخ صورة عطيات الخليفة لهم ولغيرهم، ومن أراد التفصيل فليرجع الى مظانه (١) . ويكفيك أنّه أعطى مروان بن الحكم ـ ابن عمّه و صهره ـ خمس غنائم أفريقيا، وكانت تقدّر بمليونين و نصف مليون دينار، وفى ذلك يقول الشاعر: واعطيت مروان خمس العبا * دِ ظلماً لهم و حميت الحمى(٢) ٣ ـ تأسيس حكومة أموية: كان الخليفة يبذل غاية جهده فى تأسيس حكومة أموية فى العواصم الاسلامية فنرى أنّه عزل سعد بن أبى وقاص عن ولاية الكوفة وولّاها الوليد بن عقبة بن أبى معيط وكان أخا عثمان لاُمّه. وفى سنة ٢٧ من الهجرة عزل عمروبن العاص عن خراج مصر و استعمل عليه عبدالله بن أبى سرح وكان أخاه من الرضاعة . وعزل أباموسى الأشعرى فولّى مكانه على البصرة عبدالله بن عامر وهو ابن خال عثمان(٣) . وأبقى معاوية على ولايته على الشام، ولمّا كثرت الشكوى على عامله ـــــــــــــــــــــ

١. الأمينى: الغدير ٩ / ٢٣۶ - ٢٩٠ .

٢. ابن قتيبة: المعارف ١١٣ ط دار الكتب العلمية. ابن كثير: التاريخ ۴/١۵٧ .

٣. الدينورى: الأخبار الطوال ١٣٩. ابن الاثير: الكامل ٣/٨٨ ـ ٩٩ . (١٨)

بالكوفة، الوليد بن عقبة، عزله وولّى مكانه سعيد بن العاص (١) حتى قيل إنّ خمساً و سبعين من ولاته كانوا من بنى اُميّة (٢). ۴ - مواقفه العدائية تجاه الصحابة: كان للخليفة مواقف غير مرضية مع أصحاب رسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فقد سيّر أباذر إلى الربذة وهى أرض قاحلة ليس فيها ماء ولا كلاء، فهناك لفظ آخر أنفاسه غريباً فريداً(٣) وأمر بضرب عبدالله بن مسعود فكسر ضلع من أضلاعه(۴) كماأنّه ضرب عمّار بن ياسر حتى غشى عليه بحجّة أنّه انتقد عمل الخليفة فى بيت المال (۵) . ۵ ـ ايواؤه طريد رسول الله: طرد رسول الله الحكم بن عاص مع ابنه مروان إلى الطائف، فردّهما إلى المدينة أيّام خلافته. يقول الشهرستانى: ردّ الحكم بن اُميّة إلى المدينة بعد أن طرده رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وكان يسمّى طريد رسول الله وبعد أن تشفّع إلى أبى بكر و عمر (رضى الله عنهما) أيّام خلافتهما فما أجابا إلى ذلك، نفاه عمر من ـــــــــــــــــــــ

١. الطبرى: التاريخ ٣ / ٣٢۵ .

٢. الندوى: المرتضى: ولا حظ للوقوف على أسماء عمال عثمان فى السنة التى قتل فيها، تاريخ الطبرى ٣ / ۴۴۵ .

٣. البلاذرى: الانساب ۵/۵۴. الطبرى: التاريخ ٣/٣٣۵ .

۴. البلاذرى: الانساب ۵/٣۶ .

۵. البلاذرى: الانساب ۵/۴٨ . (١٩)

مقامه باليمن أربعين فرسخاً(١) . إلى غير ذلك من الاُمور التى أغضبت جمهور المسلمين وأثارتهم، حتى اجتمع المسلمون من المصريين والكوفيين والبصريين، وجمهور المهاجرين والأنصار للاحتجاج عليه بتبيين سوء مواقفه وأعماله وجنايات عمّاله فى البلاد،

ولكن كان ردّ فعله تجاه هاتيك الاحتجاجات، سلبياً فلم يستجب لطلباتهم، بل غضب على كل من احتجّ عليه بسوء فعله أو فعل ولاته، ولكن كثرة السخط والنقد على الخليفة، شحنت النفوس نقمة وغضباً، فانفجرت ثورة عارمة لم تجمد إلّا بقتله فى عقرداره . قتل الخليفة عثمان: والمهاجرون والأنصار ومن تبعهم باحسان بين مجهز عليه، أو مؤلّب ضدّه، أو مستبشر بمقتله، أو صامت رهين بيته، محايد عن الطرفين(۲) . إنّ هذه الأحداث الكبيرة لو اتّفقت فى أىّ عصر من العصور التى يسود فيها الحكم الاسلامى لأثّرت نفسَ الأثر الذى خلَّفْته فى عهد عثمان ولقلبت الاُمور رأساً على عقب. ومع ذلک ترى أنّ بعض المؤرخين يريدون تبرير عمل الخليفة وانّ الثورة ضدّ الخليفة لم تكن ثورة شعبية دينية نابعة من أوساط المهاجرين والأنصار ومن تبعهم باحسان فى مصر والعراق، ويزعمون انّ عبدالله بن سبأ هو الذى جهّز المصريين وكدّر الصفو على الخليفة، وانّه وأتباعه كانوا وراء قتل الخليفة ـــــــــــــــــــــ

۱. الشهرستانى: الملل والنحل ۱/۲۶ .

۲. الطبرى: التاريخ ۳/۳۹۹. (۲۰)

ولكن هذا من مختلقات بعض المؤرّخين(۱) الذين جرّهم حبّهم واخلاصهم للخلافة والخليفة الى اسناد هذه الثورة الى رجل مزعوم (عبدالله بن سبأ) لم يثبت وجوده أوّلاً، وعلى فرض وجوده لم تثبت له تلک المقدرة الهائلة التى تثير الحواضر الاسلامية وعقلية المهاجرين والأنصار على الخليفة المفترض طاعته (۲) . فلو كان لعبدالله بن سبأ تلک المقدرة وانّه كان يجول فى البلاد لتحريض الناس على الخليفة فلماذا لم يتمكّن الخليفة ولا عمّاله من القبض عليه ليسجنوه أو يطردوه من الحواضر الاسلامية الى نقطة لا ماء فيها ولا كلاء كما طردوا أباذر إلى الربذة، وسيّروا صلحاء الكوفة إلى أمكنة اُخرى . قال الأمينى: لوكان ابن سبأ بلغ هذا المبلغ من إلقاح الفتن، وشقّ عصا المسلمين وقد علم به وبعيثه اُمراء الاُمّة وساستها فى البلاد، وانتهى أمره الى خليفة الوقت، فلماذا لم يقع عليه الطلب؟ ولم يُلْقَ القبض عليه، والأخذ بتلكم الجنايات الخطرة، والتأديب بالضرب والاهانة، والزجّ الى أعماق السجون؟ ولا ـ آل أمره الى الاعدام، المريح للاُمّة من شرّه و فساده، كما وقع ذلک كله على الصلحاء الأبرار الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وهتاف القرآن الكريم يرنّ فى مسامع الملأ الدينى:(إنَّما جَزاءُ الَّذينَ يُحارِبونَ الله وَرَسُولَهُ وَ يَسْعَوْنَ فى الأرْضِ فَساداً أنْ يُقَتَّلُوا أوْ يُصَلَّبُوا أوْ تُقَطَّعَ أيْدِيهِم و أرْجُلُهُمْ مِنْ خِلاف أوْ يُنْفَوْا مِنَ الأرْضِ ذَلِکَ لَهُمْ خِزْیٌ فى الدُّنْيا وَ لَهُمْ فى الآخِرَة عَذابٌ عَظيمٌ) (المائدة: ۳۳)(۳) .

ـــــــــــــــــــ

۱. الطبرى: التاريخ ۳/۳۷۸.

۲. لا حظ عبدالله بن سبأ لمرتضى العسكرى فقد اغرق نزعاً فى التحقيق فلم يبق فى القوس منزعا.

۳. الأمينى: الغدير ۹/۲۱۹ . (۲۱) اجتماع المهاجرين والأنصار على بيعة على: قتل الخليفة بمرأى و مشهد من الصحابة، وتركت جنازته فى بيته، واجتمع المهاجرون والأنصار فى بيت علىّ، وطلبوا منه بإصرار بالغ قبول الخلافة، إذ لم يكن يوم ذاک رجل يوازيه ويدانيه فى السبق الى الاسلام، والزهد فى الدنيا، والقرابة من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ، والعلم الوافر بالقرآن والسنّة، والامام يصف اجتماعهم فى بيته ويقول: «فتداكوا علىّ تداکّ الابل الهيم، يوم وردها، وقد أرسلها راعيها وخلعت مثانيها، حتى ظننت أنّهم قاتلى أو بعضهم قاتل بعض لدى»(۱) . وفى كلمة اُخرى له ـ عليه السَّلام ـ يقول واصفاً هجوم المهاجرين والأنصار على بيته لبيعته: «وبسطتم يدى فكففتها، ومدد تموها فقبضتها، ثم تداككتم علىّ تداک الهيم على حياضها يوم وِرْدها حتى انقطعت النعل، وسقط الرداء، ووطىء الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم ايّاى، أن ابتهج بها الصغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت اليها الكعاب» (۲) . فلمّا عرضوا عليه مسألة الخلافة و القيادة الاسلامية أجابهم بجدَ وحماس: «دعونى فالتمسوا غيرى فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لاتقوم له القلوب، ولا تثبت له العقول» (۳) . فلمّا أحسّ منهم الإلحاح و الإصرار المؤكّد وانّه لابدّ من البيعة ورفع علم الخلافة قال ـ عليه السَّلام ـ : إذا كان لابدّ من البيعة فلنخرج إلى المسجد حتى تكون بمرأى ومسمع من المهاجرين والأنصار، وجاء الى المسجد فبايعه ـــــــــــــــــــــ

۱. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۵۴.

۲. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۲۲۹ .

۳. الطبرى: التاريخ ۳/۱۵۶ . (۲۲)

المهاجرون والأنصار وفى مقّدمتهم الزبير بن العوام و طلحة بن عبيدالله ولم يتخلّف من البيعة إلّا قليل لايتجاوز عدد الأنامل كاُسامة بن زيد، و عبدالله بن عمر، وسعد بن أبيوقاص ونظائرهم (۱) . وقد عرفه التاريخ بأنّه كان رجلا زاهداً غير راغب فى الدنيا ولامقبلا على الرئاسة وانّما قبل البيعة لأنّه تمّت الحجّة عليه وكان المسلمون يومذاك بحاجة الى قيادته وخلافته وهو يصف أمره: «والله ما كانت لى فى الخلافة رغبة، ولا ـ فى الولاية إربة، ولكنّكم دعوتمونى اليها وحملتمونى عليها»(۲) . كلّ ذلك صار سبباً لقيام على بالزعامة والخلافة وتدبير الأمور ،ولم يكن هدف المبايعين إلّا ارجاع الاُمّة الى عصر الرسول، ليقضى على الترف والبذخ، ويرفع راية العدل والقسط، ويهدم التفاضل المفروض على الاُمّة بالقهر والغلبة، وينجى المضطهدين والمقهورين من الفقر المدقع، ولمّا تمّت البيعة خطبهم فى اليوم التالى وبين الخطوط العريضة للسياسة التى ينوى الالتزام بها طيلة ممارسته للخلافة فعلى الصعيد المالى قال فى قطايع عثمان التى قطعها الخليفة لأقربائه وحاشيته: «والله لو وجدته قد تزّوج به النساء و ملك به الاماء لرددته فانّ فى العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق» (۳) . قال الكلبى: ثم أمر على ـ عليه السَّلام ـ بكل سلاح وجد لعثمان فى داره ممّا تقّوى به على المسلمين، فقبض وأمر بقبض نجائب كانت فى داره من ابل الصدقة فقبضت، وأمر بقبض سيفه ودرعه، وأمر ألّا يعرض لسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمين، وبالكف عن جميع أمواله التى وجدت فى داره وفى غير ______________

۱. الطبرى: التاريخ ۳/۱۵۶ .

۲. نهج البلاغة، الخطبة ۲۰۵ .

۳. نهج البلاغة، الخطبة ۱۵ . (۲۳)

داره، وأمر أن ترتجع الأموال التى أجاز بها عثمان حيث اُصيبت أو اُصيب أصحابها. فبلغ ذلك عمروبن العاص، وكان بـ «ايلة» فى أرض الشام، أتاها حيث وثب الناس على عثمان، فنزلها فكتب الى معاوية: ما كنت صانعاً فاصنع اذ قشرك ابن أبى طالب من كل مال تملكه كما تُقشر عن العصا لحاها(۱). ما مارسه الامام لتحقيق المساواة من خلال ردّ قطائع عثمان كان جرس الانذار فى أسماع عبَدة الدنيا وأصحاب الأموال المكدّسة، أيّام خلافة الخليفة الثالث، فوقفوا على انّ علياً لايساومهم بالباطل، على الباطل ولايتنازل عن الحق لصالح خلافته. وعند ذلك بدأوا يتآمرون على خلافته الفتية فى نفس المدينة المنورة وفى مكة المكرمة والشامات، وقد كان هؤلاء متفرّقين فى تلك البلاد. وهذا هوالموضوع الذى نطرحه فى الفصل التالى، وستعرف أنّ ظهور الخوارج فى الساحة الاسلامية من مخلّفات هذا التآمر الذى رفع راياته الناكثون والقاسطون. ______________

۱. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۱/۲۷۰ . (۲۴) (۲۵)

الفصل الثانى حوادث وطوارئ مريرة فى عصر

الفصل الثانى حوادث وطوارئ مريرة فى عصر الخلافة العلوية (۲۶) (۲۷) نهض الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب بالأمر، بعد قتل الخليفة عثمان، وقد عمّت الفتن والتمزّق والاضطراب الاُمّة الإسلامية، وحاق بهم البلاء، وصاروا شيعاً، المعنّيون منهم ذوو أهواء وميول. فمن مسلم واع يرى بنور الإيمان خروج القياده الإسلامية عن الجادّة المستقيمة، وليس لها جمالها الموجود فى العهد النبوى، ولا بعده إلى وفاة الشيخين، وهم الذين ثاروا على السلطة، وقتلوا الخليفة، ولمّ يدفنوه، حتى راحوا إلى رجل ليقوم بالأمر ويقيم الاود، ويصلح ما فسد، ولم يكن هذا الرجل إلّا الإمام المعروف بالورع والّتقى، وقوّة القلب، ورباطة الجأش. إلى متوغّل فى لذائذ الدنيا وزخارفها، ادّخر من غنائمها وفراً، وجمع من بيضائها وصفرائها ثروة طائلة، واقتنى ضياعاً عامرة، ودوراً فخمة، وقصوراً شاهقة،

يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع، كأنّ الدنيا خلقت لأجلهم، فهؤلاء ـ بعد قتل الخليفة ـ لايرضون خروج الأمر من أيديهم ووقوعه في يد رجل لاتأخذه في الله لومة لائم والأُمّة الإسلاميّة عنده سواسية. (۲۸) إلى انتهازيّ لايهمّه شيء سوى طعمته في الملك والمال، كالبهيمة المربوطة همّها علفها، أو المرسلة شغلها تقمّمها. فقام الإمام بالأمر، وهذا وصف مجتمعه، وهم إلى الشدة والقسوة أقرب إلى الصلاح والفلاح. وأوّل من جهر بالخلاف وألّب المخالفين على عليّ، هو معاوية بن أبي سفيان فقد كان واقفاً على أنّ عليّاً لايساومه بأيّة قيمة ولايبقيه في مقامه الذى كان عليه من عصر الخليفة الثانى إلى يوم بويع عليّ بالخلافة، فقام بتأليب بعض الصحابة على الامام وإغرائهم على الخلاف، بحجّة أنّه أخذ البيعة لهم من أهل الشام، وهذا نص رسالته إلى الزبير بن العوام وقد وقف على أنّه بايع عليّاً بملأ من الناس، وفيها:«بسم الله الرحمن الرحيم، فانّى قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الجلب، فدونك الكوفة والبصرة لايسبقك إليها ابن أبي طالب، فإنّه لاشيء بعد هذين المصرين، وقد بايعتُ لطلحة بن عبيدالله من بعدك فاظهر الطلب بدم عثمان، وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجدّ والتشمير، أظفركما الله، وخذل مناوئكما». ولّما وصل هذا الكتاب إلى الزبير، أعلم به طلحة فلم يشكّا في انّ معاوية ناصح لهما واجمعا عند ذلك على خلاف عليّ ـ عليه السَّلام ـ (۱) . كانت الغاية الوحيدة من أخذ البيعة من رعاع الناس في الشام للزبير وطلحة وإعلامهما لذلك، هو تشجيعهما على مخالفة الإمام ـ عليه السَّلام ـ بحجّة أنّهما خليفتان مترتبان، وأنّه يجب على عليّ أن يترك الخلافة جانباً، وبذلك أراد أن يحدث صدعاً في صفّ الذين بايعوا الإمام، ويفتح باب الخلاف ونكث البيعة، أمام الآخرين . ________________

۱. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ۱/۲۳۱ . (۲۹) كانت تلك الرسالة تحمل شروراً إلى الأُمّة الإسلامية وقد اغتر الشيخان بكلام ابن أبي سفيان فتآمرا على الخلاف ونكث البيعة على وجه يأتي شرحه. ولم يكن نكث البيعة منهما نهاية الخلاف، بل كانت فاتحة لشرّ ثان وهو تجرّؤ معاوية على عليّ وبغيه على الإمام المفترض طاعته، بالحرب الطاحنة، وكان الإمام على أعتاب النصر و الظفر حتى نجم شرّ ثالث وهو خروج طائفة من أصحاب الامام عليه بحجة واهية تحكى عن سذاجة القوم وقلّة وعيهم: وهى مسألة التحكيم، وبذلك خاض الإمام في خلافته القصيرة التي لاتتجاوز عن خمسة أعوام، حروباً دامية، يحارب الناكثين تارة، والقاسطين اُخرى، والمارقين ثالثة، وفي ذلك يقول الإمام: «فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت اُخرى، وقسط آخرون، كأنَّهم لم يسمعوا كلام الله سبحانه يقول: (تِلْكَ الدارُ الآخِرةُ نَجْعَلُها لِلّذِينَ لايُريدونَ عِلُوّاً فِي الأَرْضِ ولافَساداً وَ العاقِبَةُ للمتّقين) بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنّهم حَلِيَت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها(۱) . قام الإمام بفقأ عين الفتنة بعد انتهاء حرب صفّين ـ ويااللأسف ـ ولم يمض زمن إلى أن اُغْتِيل بيد أشقى الأوّلين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود(۲) ـ حسب تعبير النبى الأكرم ـ وبذلك طويت صحيفة عمره ولقى الله تعالى بنفس مطمئنة، وقلب سليم، وقد تنبّأ النبى الأكرم بحروبه الثلاثة، وأنّه سيقاتل طوائف ثلاثة وهم بين ناكث وقاسط ومارق من الدين. روت اُمّ سلمة أنّ علياً ـ عليه السَّلام ـ دخل على النبى الأكرم في بيتها فقال النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ مشيراً إلى على: هذا والله قاتل الناكثين ________________

۱. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة۳ .

۲. الصدوق: عيون أخبار الرضا۲۹۷ . (۳۰)

والقاسطين والمارقين من بعدى(۱) . وروى على ـ عليه السَّلام ـ، عن النبى الأكرم: أمرنى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين(۲) . هذا مجمل تلك الحوادث المريرة في خلافته، وكانت فتنة الخوارج نتيجة الحربين الطاحنتين: الجمل وصفّين، فلأجل اجلاء الحقيقة ورفع السترعن وجهها نعرضهما على القارىء، على وجه خاطف، والتفصيل على عاتق التاريخ.

---

۱. ابن كثير الشامى: البداية والنهاية ۷/۳۰۵، وقد جمع أسانيد الحديث ومتونه .

۲. الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد ۴/۳۴۰ .

(۳۱) قتال الناکثین (۱) حرب الجمل النکث فی اللغة هو نقض البیعة والمراد من قتال الناکثین: قتال الشیخین: الزبیر وطلحة اللّذین نکثا بیعة الإمام وتبعهما طوائف من الناس، بترغیب وترهیب، وکان بدأ الخلاف انّ طلحة والزبیر جاءا إلی علیّ وقالا ـ له: یا أمیرَ المؤمنین قد رأیتَ ما کنّا فیه من الجفوة فی ولایة عثمان کلّها، وعلمت رأی عثمان فی بنی اُمیّة، وقد ولاّک الله الخلافة من بعده، فوّلنا بعضَ أعمالک، فقال لهما: إرضیا بقَسم الله لکم. حتی أری رأیی، واعْلما أنّی لا أشرک فی أمانتی إلاّ مَن أرضی بدینه، وأمانته من أصحابی، ومن قد عرفت دخیلته . فانصرفا عنه وقد دخلهما الیأس فاستأذناه فی العمرة(۱) . ـــــــــــــــــ

۱. ابن أبی الحدید: شرح نهج البلاغة، ۱/۲۳۱ ـ ۲۳۲ . (۳۲) خرجا من عنده وهما غاضبان ویحتالان للخروج عن بیعته ونکثها، وفی ذلک الظرف القاسی، وصل إلیهما کتاب معاویة یدعوهما إلی نکث البیعة وأن أهلَ الشام بایعوا لهما إمامین مترتبین، فاغترّا بالکتاب(۱) وعزما النکث بجد. ثم دخلا ـ علی علیّ فاستاذناه فی العمرة، فقال: ما العمرة تریدان، فحلفا له بالله انّهما ما یریدان غیر العمرة، فقال لهما: ماالعمرة تریدان، وانّما تریدان الغدرة، ونکث البیعة، فحلفا بالله ما الخلاف علیه ولانکثَ بیعته یریدان وما رأیهما غیر العمرة، فقال لهما: فأعیدا البیعة لی ثانیة، فأعاداها بأشدّ مایکون من الأیمان والمواثیق، فأذنَ لهما فلمّا خرجا من عنده قال لمن کان حاضراً: والله لاترونهما إلاّ فی فتنة یقتتلان فیها. قالوا: یا أمیرالمؤمنین فمُرْ بردِّهما علیک. قال: لیقضی الله أمراً کان مفعولا(۲) . خروج عائشة إلی مکة: غادرت عائشة المدینة المنوّرة عندما حاصر الثوار بیت عثمان، ونزلت فی مکة، ووصل خبر قتل الخلیفة إلیها وهی فیها، وکانت علی تطلُّع إلی أین انتهت الثورة وإلی من آلت إلیه الخلافة، فغادرت مکة إلی المدینة فلمّا نزلت «سرف» لقیها عبد ابن اُمّ کلاب فقالت له: «مهیم»؟ قال: قَتَلوا عثمان فمکثوا ثمانیاً، قال: ثم صنعوا ماذا؟ قال: إجتمعوا علی علیّ بن أبی طالب، فقالت: و الله إنّ هذه انطبقت علی هذه إن تمّ الأمر لصاحبک، رُدّونی رُدّونی، فانصرفت إلی مکّة وهی تقول: قتل والله عثمان مظلوماً، والله لأطلبنّ بدمه، فقال لها ابن اُمّ کلاب: ولم؟ فوالله إنّ أوّلَ من اَمالَ حرفه لأنت، ولقد کنت ـــــــــــــــــ

۱. تقدم نص الکتاب .

۲. ابن أبی الحدید: شرح نهج البلاغة، ۱/۲۳۱ ـ ۲۳۲ . (۳۳)

تقولین: اقتلوا نعثلا ـ فقد کفر. قالت: إنّهم استتابوه، ثم قتلوه، ولقد قلت وقالوا، وقولی الأخیر خیر من قولی الأوّل، فقال لها: ابن اُمّ کلاب: منک البداء و منک الغیر * و منکَ الریاح و منکِ المطر و انتِ أمرتِ بقتل الإمام * و قلتِ لنا أنّه قد کفر فهبنا اطعناکَ فی قتله * و قاتلُه عندنا مَنْ اَمَر و لم یسقط السیف من فوقنا * ولم تنکسف شمسنا و القمر فانصرفت إلی مکّة فنزلت علی باب المسجد فقصدت الحِجْرَ وسترت، واجتمع إلیها الناس فقالت: یا أیّها النّاس انّ عثمان قد قتل مظلوماً والله لأطلبّن بدمه(۱). ثم إنّ طلحة والزبیر بعدما استأذنا علیّاً غادرا المدینة ونزلا مکة، وکانت بینهما وبین عائشة صلة وثیقة یتآمرون ضد علیّ فلمّا بلغ علیّاً مؤامرة الزبیر وطلحة وانّهما نکثا ایمانهما وعلی أهبة المکافحة معه، أشار بعض أصحابه أن لایتبعهما فأجاب علی بقوله: «والله لاأکون کالضبع تَنام علی طول اللّدم، حتی یصلَ إلیها طالبها، ویختلها راصدها، ولکن أضرب بالمقبل إلی الحق، المدبَر عنه، وبالسامع المطیع، العاصی المریب أبداً، حتی یأتی علیّ یومی»(۲) . مغادرة الشیخین وعائشة مکة: اتّفق المؤامرون ومعهم جماعة من أعداء الامام، علی أن یرتحلو إلی البصرة، ویّتخذوها مقرّاً للمعارضة المسلّحة. ـــــــــــــــــ

۱. ابن قتیبة: الإمامة والسیاسة ۱/۴۹. الطبری: التاریخ ۳/۴۷۷ .

۲. الرضی: نهج البلاغة، خطبة ۶ . (۳۴) وقد کان عبدالله بن عامر، عامل عثمان علی البصرة، هربَ منها حین أخذ البیعة لعلی بها علی الناس، جاریةُ بن قدامة السعدی، ومسیر عثمان بن حنیف الأنصاری إلیها علی خراجها من قِبَلِ علیّ . وانصرف عن الیمن عاملُ عثمان وهو یعلی بن متیه فأتی مکّة وصادف بها عائشه وطلحة والزبیر ومروان بن الحکم فی آخرین من بنی اُمیّة، فکان ممّن حرّض علی الطلب بدم عثمان وأعطی عائشة وطلحة والزبیر أربع مائة ألف درهم وکراعاً وسلاحاً وبعث إلی عائشة بالجمل المسمّی «عسکرا». وکان شراؤه علیه بالیمن مائتی دینار فأرادوا الشام فصدَّهم ابن عامر، وقال لهم: إنّ معاویة لا ینقاد الیکم ولایعطیکم من نفسه النصفة،

لكن هـذه البصرة لى بها صنائع وعـدد. فجهّزهم بـألف ألف درهم، ومائـة من الابل وغير ذلك، فسار القوم نحو البصـرة فى سـتمائة راكب، فانتهوا فى الليل إلى ماء لبنى كلاب، يعرف بـ«الحوأب» عليه اُناس من بنى كلاب فعوت كلابهم على الركب، فقالت عائشة: ما اسم هـذا الموضع؟ فقـال لهـا السائق لجملها: «الحوأب»، فاسترجعتْ، وذكرت ما قيل لها فى ذلك(۱) وقـالت: رُدّونى إلى حرم رسول الله، لاحاجة لى فى المسـير، فقال الزبير: تالله ما هذا «الحوأب»، ولقد غلط فى ما أخبرك به، وكان طلحة فى ساقة الناس فلحقها فأقسـم بالله إنّ ذلك ليس بالحوأب وشـهد معهما خمسون رجلا ممّن كان معهم . فأتوا البصـرة فخرج إليهم عثمان بن حنيف فمانعهم وجرى بينهم قتال، ثم إنّهم اصطلحوا بعد ذلك على كفِّ الحرب إلى قدوم علىّ، فلمّا كان فى ــــــــــــــــــ

۱. ورد فى حـديث روته عائشـة، قالت: سـمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسـلم ـ يقول وعنده نساؤه: ليت شـعرى ايتكنّ تنبحُها كلابُ الحوأب سائرة إلى الشرق فى كتيبة! (۳۵)

بعض الليالى، بيّتوا عثمانَ بن حنيف فأسَروَه وضربوه ونتفوا لحيته، ثم إنّ القوم استرجعوا وخافوا على مخلَّفيهم بالمدينة من أخيه: سهل بن حنيـف وغيره من الأنصـار، فخلـوا عنه وأرادوا بيت المـال فمـانعهم الخُزّان والموكّلـون به فقتـل منهم سـبعون رجلاـ من غير جرح، وخمسون من السـبعين ضـربت أعناقهم صبراً من بعـد الأسـر، وقتلوا حكيم بن جبلة العبدى وكان من سادات عبد القيس، وزهّاد ربيعة ونُسّاكهـا و تشاح طلحـة والزبير فى الصـلاة بالنّاس، ثمّ اتّفقوا على أن يصـلّى بالناس عبـدالله بن الزبير يوماً ومحمّـد بن طلحـة يوماً فى خطب طويل كان بين طلحـة والزبير. مسـير على إلى جانب البصـرة: وقف الامام على أنّ المتآمرين خرجوا من مكّة قاصدين البصـرة، فاهتم الامام بايقافهم فى الطريق قبل الـدخول إليها فسار من المدينـة بعـد أربعة أشـهر من بيعته فى سـبعمائة راكب، منهم أربعمائة من المهاجرين والأنصار، منهم سـبعون بدريّاً وباقيهم من الصـحابة، وقد كان استخلف على المدينة سهل بن حنيف الأنصارى، فانتهى إلى الربذة بين مكّة والكوفة، وكان يترقّب إلقاء القبض على رؤوس الفتنة قبل الدخول الى البصـرة، لكن فاته ما يترقّب لأنّهم سـبقوا الامام فى الطريق ولحق بعلى من أهل المدينة، جماعة من الأنصار، فيهم خزيمة بن ثابت ذوالشهادتين وأتاه من طىّ ستمائة راكـب(۱) . خرج عثمان بن حنيف من البصـرة، وقـدم على على ـ عليه السَّلام ـ بالربـذة، وقد نتفوا رأسه ولحيته وحاجبيه، فقال: يا أميرالمؤمنين بعثتنى ذا لحية، ــــــــــــــــــ

۱. المسـعودى: مروج الذهب ۳/۱۰۳ ـ ۱۰۴ طبعـة بيروت. الطبرى: التاريـخ ۳/۴۸۵. واللفـظ للأوّل، وفى لفظ الطبرى زيادات تركناها روماً للاختصار. (۳۶)

وجئتك أمرد، فقال: أصبتَ خيراً وأجراً(۱) . واتصـلت بيعة على بالكوفة: وغيرها من الأنصار، وكانت الكوفة أسرعها إجابة إلى بيعته، وأخذ له البيعة على أهلها ـ على كره ـ أبوموسـى الأشـعرى حين تكاثر الناس عليه، وكان عاملا لعثمان عليها(۲) . لمّا وقف الامام على ماجرى على عثمان بن حنيف وحَرَسِه، بعثَ بعض أصـحابه بكتاب إلى أبى موسـى الأشعرى يطلب منه استنهاضه للناس، ولكنّه تهاون فى الأمر ولم يَقُم بواجبه بعـدما أخذ البيعة له، واعترف بإمامته، وقال للناس: إنّها فتنة صـمّاء، النائم فيها خير من اليقضان، واليقظان فيها خير من القاعد، والقاعد خير من القائم، والقائم خير من الراكـب، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب، فاغمدوا السيوف، وانصلوا الأسنَّة، واقطعوا الأوتار، وآووا المظلوم و المضـطهد حتى يلتئم هـذا الأمر، وتتجلّى هذه الفتنة. ولّما بلغ عليّاً خذلان أبى موسـى الأشـعرى، وانّه يصف محاربة الناكثين بالفتنة، بعث هاشم بن هاشم المرقال وكتب الى أبى موسى: «إنّى لم اُولِّك الذى أنت به إلاّ لتكونَ من أعوانى على الحق....» وكان أبوموسـى من أوّل الأمر عثمانّى الهوى وقد أخذ البيعة لعلى على الناس بعد اكثار الناس عليه ـ كما تقدم ـ فلأجل ذلـك بقى على مـا كـان عليه من الحياد، ولم يُنهِض الناس، واسـتشار السائب بن مالك الأشـعرى فأشار هو باتباع الإمام ومع ذلك لم يقدم عليه(۳) . فكتب هاشم إلى علىّ، امتناع أبى موسى من الاستنفار. ــــــــــــــــــ

۱. الطبرى: التاريخ ۳/۴۹۵ .

۲. المسعودى: مروج الذهب ۳/۹۷ .

۳. الطبری: التاریخ ۳/۵۰۳ . (۳۷) ولمّا تمّت الحجة عند الإمام انّ الرجل لیس علی وتیرة صحیحة، عزله عن منصبه فولّی علی الکوفة قرظة بن کعب الأنصاری و کتب إلی أبی موسی اعتزل عملنا یا بن الحائک مذموماً مدحوراً، فما هذا أوّلُ یومنا منک و انّ لک فینا لهنات وهنات. وسار علی فیمن معه حتی نزل بذی قار وبعث بابنه الحسن وعمار بن یاسر إلی الکوفة یستنفران الناس، فسارا عنها و معهما من أهل الکوفة نحو من سبعة آلاف، وقیل ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلا منهم الأشتر. فانتهی علی إلی البصرة وراسل القوم وناشدهم فأبوا إلاّ قتاله(۱) . قد وصلنا إلی أعتاب الحرب الطاحنةِ المعروفة بحرب «الجمل» وقبل الخوض فی تفصیلها نشیر إلی نکات تستفاد فیما سردناه من المقدمات، ثم نخوض فی صلب الموضوع حسب اقتضاء المقام. ۱ ـ إنّ الزبیر و طلحة بایعا عن طوع ورغبة ولکن بایعا لبغیة دنیویة وطمعاً فی المال و المقام، ولم یمض زمان من بیعتهما إلاّ وقد أتیا علیّاً یسألانه اشتراکهما فی بعض أعماله، وکان لهما هوی فی ولایة الکوفة والبصرة، وکانت دیانة علی ـ علیه السَّلام ـ تصدّه عن الاجابة، إذ لم یکونا صالحین لما یطلبانه، وقد أثبتا ذلک ـ قبل اشعال نار الحرب ـ بنکثهما وتحریضهما الناس علی النکث وقتلهم الأبریاء من الموکّلین وحرس بیت المال، وقد انتهی الأمر بسفک دماء آلاف من المسلمین. کل ذلک یعرب عن أنّ مقاومة علی، تجاه طلبهما کانت أمراً صحیحاً یرضی به الربّ ورسوله، ولم یکن لعلی هوی إلاّ رضی الله سبحانه ورضی رسوله. ________

۱. المسعودی: مروج الذهب ۳/۱۰۴ . (۳۸) ۲ - إنّ أباموسی الأشعری الذی قلّب الاُمور علی علیّ فی قضیة التحکیم، کان من أوّل الأمر غیر راض ببیعة الإمام ولم یأخذ البیعة له إلاّ بعد اکثار الناس، ولمّا أمره الإمام باستنهاض الناس و استنفارهم خذَّل الناس عن علی . والعجب انّه کان یتمسّک فی نفس الواقعة بروایة سمعها من النبی أنّه قال: ستکون فتنة: القاعد فیها خیر من النائم، والنائم خیر من الماشی، والماشی خیر من الراکب(۱) . نحن نفترض أنّه سمع من النبی ذلک الکلام، ولکّنه هل یمکن له تسمیة مبایعة المهاجرین و الأنصار فتنة، فلو صحّ ذلک ـ ولن یصحّ حتی لو صحّت الأحلام ـ لماذا لاتکون مبایعتهم السابقین من الخلفاء فتنة، یکون القاعد فیها خیراً من القائم، مع أنّ أبی موسی کان فیها من القائمین، وقد قبل الولایة فی عصر الخلیفتین، الثانی والثالث، حتی اعتنق بیعة الإمام بعد اکثار الناس. ومن بایع رجلا علی الإمامة والقیادة، کان علیه الذبّ عن إمامه و حیاض سلطته. ۳ ـ إنّ الإمام ـ علیه السَّلام ـ أشار بقوله: «فما هذا أوّل یومنا منک و أنّ لک فینا لهنات و هنات» إلی الجنایة التی سوف یرتکبها أبوموسی فی قضیة التحکیم حیث یخلع علیّاً عن الإمامة والخلافة کما سیوافیک تفصیله. ۴ ـ إنّ فی منازعة الشیخین: الزبیر وطلحة فی أمر جزئی کالإمامة فی الطلاة، یعرب عن طویتهما وما جبّلا علیه من التفانی فی الرئاسة، انظر إلی الرجلین یریدان أن یقودا أمر الجماعة ویکونا امامان للمسلمین وهذه نزعتهما.

____

۱. الطبری: التاریخ ۳/۴۹۸ . (۳۹) علی أعتاب حرب الجمل: سار علیّ حتی نزل الموضع المعروف بالزاویة، فصلّی أربع رکعات، وعفر خدّیه علی التراب وقد خالط ذلک بدموعه ثم رفع یدیه یقول: اللّهمّ ربَّ السماوات وما أظلّتْ، وربّ العرش العظیم، هذه البصرة، أسألک من خیرها، وأعوذبک من شرّها، اللّهمّ انزلنا فیها خیر منزل، وأنت خیر المنزلین، اللّهمّ إنّ هؤلاء القوم قد بغوا علیّ وخلعوا طاعتی ونکثوا بیعتی، اللّهمّ أحقن دماء المسلمین . ثمّ بعث إلیهم من یناشدهم الله فی الدماء، وقال: «علام تقاتلوننی؟» فأبوا إلاّ الحرب، فبعث إلیهم رجلا من أصحابه یقال له مسلم، معه مصحف یدعوهم إلی الله تعالی فرموه بسهم فقتلوه، فحمل إلی علی قتیلا . فأمر علیّ أصحابه أن یصافوهم ولایبدؤهم بقتال ولایرموهم بسهم، ولایضربوهم بسیف، ولایطعنوهم برمح. حتی جاء عبدالله بن بدیل بن ورقاء الخزاعی من المیمنة بأخ له مقتول، وجاء قوم من المیسرة برجل قد رمی بسهم فقتل، فقال علیّ: اللّهمّ اشهد. أعذروا إلی القوم، ثم قام عمّار بن یاسر بین الصفّین فقال: أیّها القوم ما أنصفتم نبیّکم حین کفقتم عقائلکم فی الخدور، وأبرزتم عقیلته للسیوف، وعائشة علی الجمل فی هودج من دفوف الخشب، قد ألبسوه المسوحَ وجلودَ البقر، وجعلوا دونه اللبود، وقدغشی علی ذلک بالدروع، فدنا عمّار من موضعها فناداها: إلی ماذا تدعین؟ قالت: إلی الطلب بدم عثمان، فقال: قاتل الله فی هذا الیوم الباغیَ و الطالبَ لغیر الحق، ثم قال: أیّها النّاس إنّکم لتعلمون أیّنا الممالی فی قتل عثمان، ثم أنشأ یقول وقد رشقوه بالنبال: فمنکِ البکاء و منکِ العویل * و منکِ

الرياح و منكِ المطر (۴۰) و أنت امرتَ بقتل الإمام * و قاتله عندنا من امر وتواتر عليه الرمى فاتصل فحّرك فرسه، وزال عن موضعه وأتى علياً ـ عليه السَّلام ـ فقال: ما تنظر يا أمير المؤمنين وليس عند القوم إلّا الحرب . خطبة على يوم الجمل: فقام على فى الناس خطيباً ورافعاً صوته يقول: أيّها النّاس إذا هَزَمتموهم فلا تُجْهِزوا على جريح ولاتَقْتلوا أسيراً، ولاتتبعوا مولّياً، ولاتطلبوا مُدْبراً، ولاتكشفوا عورة ولاتمثلوا بقتيل، ولاتهتكوا ستراً، ولاتقربوا شيئاً من أموالهم إلّا ما تجدونه فى عسكرهم من سلاح، أوكراع، أوعبد أو أمة، وما سوى ذلك فهو ميراث ورثتهم على كتاب الله . ثمّ إنّ علياً نادى كلّا من الزبير وطلحة وكلّمهما وأتمّ عليهما الحجة فقال للأوّل: أما تذكر قول رسول الله عندما قلت له: اِنّى أحبُّ علياً، فأجابك إنّك والله ستقاتله وأنت له ظالم، وقال للثانى: أما سمعت قول رسول الله يقول: الّلهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأنت أوّل من بايعتنى ثم نكثت، وقد قال الله عزوجل:(فَمَنْ نَكَثَ فَإنَّما يَنْكِثُ عَلى نَفْسِهِ) . ثمّ رجع على إلى موضعه، وبعث إلى والده محمّد بن الحنفية وكان صاحب رايته وقال: «احمل على القوم» فلم يرمنه النجاح والظفر فأخذ الراية من يده، فحمل و حمل الناس معه فما كان القوم إلّا كرماد اشتدَّت به الريح فى يوم عاصف وأطاف بنوضبّة بجمل عائشة وأقبلوا يرتجزون. نحن بنوضبَّة اصحابَ الجمل * رُدّوا علينا شيخنا ثم بجل ننعى ابن عفان باطراف الأسل * والموت أحلى عندنا من العسل (۴۱) وقطع على خطام الجمل سبعون يداً من بنى ظبّة، منهم: كعب بن سور القاضى، كلّما قطعت يد واحد منهم فصرع، قام آخر فأخذ الخطام، ورمى الهودج بالنبل، حتى صار كأنّه قنفذ، وعُرْقبَ الجمل ولمّا سقط ووقع الهودج، جاء محمّد بن أبى بكر فأدخل يده، فقالت: «من أنت؟» فقال: أخوك، يقول أمير المؤمنين هل أصابك شىء، قالت: «ما أصابنى إلّا سهم لم يضرَّنى» فجاء على حتى وقف عليها و ضرب الهودج بقضيب وقال: «يا حميراءُ أرسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ أمركِ بهذا، ألم يأمركِ أن تقرّى فى بيتكِ، والله ما أنصفكِ الذين أخرجوك إذ صانوا حلائلهم، وأبرزوك» وأمر أخاها محمداً، فأنزلها دار صفيّة بنت الحارث بن طلحة . ولمّا وضعت الحرب أوزارها جهّز على ـ عليه السَّلام ـ عائشة للخروج إلى المدينة فقالت له: «إنّى اُحبّ أن اُقيم معك فأسير إلى قتال عدوّك عند مسيرك» فقال: «ارجعى إلى البيت الذى ترككِ فيه رسول الله» فسألته أن يؤمّن ابن اختها عبدالله بن الزبير، فأمَّنه، وتكلّم الحسن و الحسين فى مروان، فأمَّنه، وأمّن الوليد بن عقبة، وولد عثمان و غيرهم من بنى اُميّة و أمّن الناس جميعاً، وقد كان نادى يوم الوقعة «مَنْ ألقى سلاحه فهو آمن، و من دخل داره فهو آمن» . وكانت الوقعة فى الموضع المعروف بالخريبة و ذلك يوم الخميس لعشر خلون من جُمادى الآخرة سنة ۳۶ وخطب على الناس بالبصرة بخطبة، وقد قتل فيها، من أصحاب على ـ عليه السَّلام ـ خمسة آلاف و من أصحاب الجمل ثلاثة عشر ألف رجل، وكان بين خلافة على ووقعة الجمل خمسة أشهر وواحد وعشرون يوماً . وولّى على البصرة، عبدالله بن عباس، وسار إلى الكوفة فدخل إليها فى (۴۲)

الثانى عشر من رجب شهور سنه ۳۶ (۱) . ولكن الإمام عبده، نقل انّه قتل سبعة عشر ألفاً من أصحاب الجمل و قتل من أصحاب على ألف و سبعون (۲) . وعلى كل تقدير فهذه الضحايا كانت خسارة عظيمة فى الإسلام، وقد عرقلت خطاه، وشلّت الزحوف الإسلامية فى أوّل عهدها فى الفتوح، ولولا ـ هذه الحروب الداخلية، لكان للعالم حديث غير هذا، ولو كان الإمام هو القابض لزمام القيادة فى جو هادىء، لكان الوضع السائد على الإسلام، غيرما هو المشاهد ـ وياللأسف ـ . «ما كلّ ما يتمنّى المرء يدركه» . وقد حفظ التاريخ من الامام يوم ذاك عواطف سامية وسماحة ورحب صدر على حدّ لم يسبق إليه أحد، غير النبى الأكرم ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ عندما فتح مكّة، فلم يأخذ من أهل البصرة شيئاً سوى ما حواه العسكر. و كان هناك جماعة يصرّون على أن يأخذ الامام منهم، عبيداً وإماءً فاسكتهم الإمام بقول: أيّكم يأخذ اُمّ المؤمنّين فى سهمه (۳). وقد علّم الامام بسيرته كيفيّة القتال مع البغاة من أهل القبلة.

---

۱. المسعودى: مروج الذهب ۳/۱۰۷ ـ ۱۱۷. بتلخيص: لاحظ الطبرى: التاريخ ۳/۵۴۳ .

۲. الإمام عبده: شرح نهج البلاغة ۴۰ .

۳. وسائل الشيعة ۱۱/۵۹ ـ ۶۰ . (۴۳) قتال القاسطين (۲) حرب صفّين قد تعرفت على أنّ النبى الأكرم أخبر علياً بأنّه سيقاتل القاسطين

بعد الناكثين، وقد وقفت على مأساة حرب الناكثين وعرفت نواياهم وجناياتهم عن كثب، التى ارتكبوها فى طريق ألتسنُّم على عرش القيادة، وأراقوا دماء بريئة حتى يُسمُّوا أمير المؤمنين وما أجرأهم على حرمات الله وماأشقاهم. هلم معى نقرأ مأساة قتال القاسطين الذين حادوا عن الحق، والطريق المهيع، وحاربوا الإمام المفترض طاعته، يقودهم معاوية بن أبى سفيان ابن آكلة الأكباد، ولاغرو فإنّ أباه هو العدوّ الأوّل للنبى الأكرم ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ الذى حزّب الأحزاب على الإسلام و المسلمين . (۴۴) الخلافة كانت الامنية القصوى لمعاوية: إنّ الخلافة كانت اُمنية فى نفس معاوية، ولكن تقلُّدَ الإمام للخلافة، أفسد عليه الأمر، ولم يكن باستطاعته منافسة الإمام على ـ عليه السّلام ـ ولأجل ذلك حاول إحداث الصدع فى صفِّ الاُمّة، فأطمع الشيخين فى طلب الخلافة، وقد قُتِلا خائبين فلم يَجد مناصاً إلاّ أن يقوم فى وجه الامام تحت ستار أخذ ثأر الخليفة المظلوم. كان معاوية ـ يطلب من الإمام ـ طول محاربته ـ اقراره على ولاية الشام كاقرار الخليفتين له حتى يُسلِّم له الأمر و يعترف بخلافته، ولكن الإمام عليّاً لم يرض ببقائه فى الحكم لعلمه بسوء عمله خلال ولايته . وقد أشار إلى ابقائه المغيرة بن شعبة، وقال: واترك معاوية، فإنّ لمعاوية جرأة فهو فى أهل الشام يُسمع منه ولك حجة فى اثباته لأنّ عمر بن الخطاب ولاّه الشام كلّها، ولكن الإمام لم يقبل اقتراحه، وقال: «لا و الله لا استعمل معاوية يومين أبداً»(۱) . بعث الإمام جريراً إلى ولاية الشام ليأخذ منه البيعة، فأتى معاويةُ جريراً فى بيته فقال: يا جرير إنّى قد رأيت رُؤياً، فقال: هات، قال: اكْتُب إلى صاحبك ليجعل لى الشام و مصر، جباية، فإذا أحضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده بيعة فى عنقى، واُسلِّم له هذا الأمر واكْتُبُ إليه بالخلافة، فقال جرير: اكتب بما أردت، فكتب معاوية بذلك إلى على، فلمّا وصل كتاب جرير مع كتاب معاوية، فكتب على إلى جرير: أمّا بعد فإنّما أراد معاوية أن لا يكون لى فى عنقه بيعة، وأن يختار من أمره ما أحبَّ(۲)، وأراد أنْ يريّثك حتى يذوق أهل الشام، ________________

۱. الطبرى: التاريخ ۳/۴۶۱ .

۲. سيأتى التصريح بذلك فى كتاب معاوية إلى الإمام قرب ليلة الهرير، والامام تفطّن بذلك بنور الله الذى ينظر به المؤمن . (۴۵)

وأنّ المغيرة بن شعبة قد كان أشار علىّ أن استعمل معاوية على الشام وأنا بالمدينة، فأبيت ذلك عليه ولم يكن الله يرانى أتّخذ المضلّين عضداً، فإن بايعك الرجل، وإلاّ فاقبل (۱). كتب معاوية إلى على مرة اُخرى قبل ليلة الهرير بيومين أو ثلاثة يسأله اقراره على الشام، وذلك انّ عليّاً قال: لاُناجزنَّهم مصبحاً، و تناقل الناس كلمته، ففزع أهلُ الشام لذلك، فقال معاوية: قد رأيت أن اعاوِدَ عليّاً وأسأله اقرارى على الشام، فقد كنت كتبت إليه ذلك، فلم يجب إليه ولاُكْتُبنّ ثانية، فألقى فى نفسه الشك و الرقّة، فكتب إليه: «أمّا بعد....وقد كنت سألتك الشام على الاّ تلزمنى لك بيعة و طاعة، فأبيت ذلك علىّ فأعطانى الله مامنعت وأنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس...» . فكتب فى جوابه: «...وأمّا طلبك إلىّ الشام فإنّى لم أكن لاُعطيك اليوم مامنعتك أمس»(۲) . هذه الكتب وغيرهما من القرائن والشواهد، تعرب عن أنّ الغاية الوحيدة لابن أبى سفيان، هو الولاية على الشام وبقاؤه فى الحكم، مادام علىّ على قيد الحياة، ثم السيطرة على جميع البلاد الاسلامية، وأمّا طلب ثأر عثمان، والقصاص من قتلته، فكلّها كانت واجهة لما كان يضمره ويخفيه، ولأجل ذلك نرى أنّه لمّا تمّ الأمر لصالحه، تناسى قتلة عثمان وتناسى الأخذ بثأره، وليس هذا ببعيد من الساسة الذين لا يتحلون بالمبدئية فى سلوكهم، ويرفعون عقيرتهم بشعارات خادعة من أجل تحقيق أطماعهم الشخصية. ________________

۱. نصربن مزاحم: وقعة صفين ۵۲ .

۲. ابن قتيبة: الإمامة و السياسة ۱/۱۰۹. ابن مزاحم: وقعة صفين ۴۷۰ . (۴۶) وبذلك تقف على مؤامراته وخططه الشيطانية، حيث كان شعاره منذ أن خالف: يالثارت عثمان. وقد ردّ الإمام عليه فى بعض كتبه إليه وفى بعضها مانصّه: «قد أكثرت فى قتلة عثمان، فادخل فيما دخل الناس، ثم حاكم القوم إلىّ، أحْمِلُك وإيّاهم على كتاب الله» (۱). إلى هنا خرجنا بهذه النتيجة أنّ الاُمنية الكبرى لمعاوية من تسعير نار الحرب، هو البقاء على السلطة، وتقلّد الخلافة العامة بعد على، ولم يكن له أىّ إربة فى مايدعيه، وينشره من أخذ الثأر وغيره، فلزم عندئذ أن نتعرّف على خططه فى تلك الحرب الطاحنة التى سعّرها بأنانيّة . مخططات معاوية: كانت صحابة النبى الأكرم من أوّل

يوم تُقلِّد الإمـام على الخلافـة، وراءه يؤّيـدونه بألسـنتهم وأيـديهم، إلاـنفر قليـل لم يبايعوه وهم لايتجاوزن عـدد الأصابع(۲) ولـم يكن لمعاويـة ما كان لعلى من السبق فى الإسـلام، والجهاد فى سبيل الله، والقرابـة الوثيقـة من النبى الأكرم، فلم يكن له بـدّ من التخطيطات الشـيطانية حتى يقف سدّاً فى وجه على، وإليك تخطيطاته: ۱ـ الاتصال بعمرو بن العاص: أنّ عمروبن العاص، كان داهيـة العرب، وقد اتّصل به معاوية وكان منحرفاً عن عثمان لأنّه عزله عن ولاية مصر، وولّاها غيره، فلمّا بلغ إليه خبر ـــــــــــــــــــــــــــ

۱. الرضى: نهج البلاغة، قسم الكتب برقم ۶۴. المبرّد: الكامل ۱/۱۹۴ .

۲. ابن الأثير: الكامل ۳/۹۸ وقد ذكر أسماءهم. (۴۷)

بيعـة الناس لعلى، كتب إلى معاويـة يهزّه ويشـير إليه بالمطالبـة بدم عثمان، وكان فيما يكتب به إليه: «ما كت صانعاً إذا قُشِـرْتَ من كل شيء تملكه؟ فاصنَع ما أنت صانع» فبعث إليه معاوية فسار إليه، فقال له معاوية: بايعنى، قال: «لا والله لا اُعطيك من دينى(۱) حتى أنال من دنيـاك». فقـال: «سل»، قال: «مصـر طعمـة»، فأجابه إلى ذلك وكتب له به كتاباً، فقال عمروبن العاص فى ذلك: معاوى لا اُعطيك دينى ولم أنل * به منك دنياً فانظرن كيف تصـنع فإن تعطنى مصـراً فأربح بصـفقة * أخذت بها شيخاً يضرّ وينفع(۲) ۲ـ قميص عثمان المخضَّب بالـدم: قـدم النعمان بن بشـير بكتاب زوجـة عثمان وقميصه المخضَّب بالدم، إلى معاوية فلمّا قرأ معاوية الكتاب صـعد المنبر وجمع الناس، ونشـر عليهم القميص، وذكر ماصنعوا بعثمان، فبكى الناس وشهقوا حتى كادت نفوسهم أن تزهق، ثم دعاهم إلى الطلب بـدمه، فقـام إليه أهل الشام، فقالوا: هو ابنُ عمِّك وأنت وليّه، ونحن الطالبون معك بـدمه... فبايعوه أميراً وبعث الرسل إلى كور الشام، حتى بايعه الشاميون قاطبةً إلاّ من عصـمه الله(۳). ۳ـ الاسـتنصار بالشخصيات المرموقة: وجّه علىّ عند مغادرته البصرة إلى الكوفة كتاباً إلى معاوية يدعوه إلى ـــــــــــــــــــــــــــ

۱. اظن انّ الرجـل بـاع مالاـ يملـك ولم يكن له أىّ دين فى ذاك اليوم، وقـد نهى رسول الله عن بيع مالاـ يملكه الرجـل. و قـال: لاتبع ماليس عندك.

۲. المسعودى: مروج الذهب ۳/۹۸. الطبرى: التاريخ ۳/۵۶۰.

۳. ابن الاثير: الكامل ۳/۱۴۱. ذكر ابتداء وقعة صفّين . (۴۸)

بيعته ويـذكر فيه اجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ونكث طلحة والزبير، وماكان من حربه إيّاهما ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المهـاجرون والأنصار من طاعته (۱). ولمّـا قرأ معاويـة كتـاب علىّ استشار عمروبن العـاص، فأشار إليه بقوله: «إنّ رأس أهل الشام شرحبيـل بن السـمط الكنـدىّ، وهو عـدو لجرير المرسَـل إليـك، فارسـل إليه و وطّن له ثقاتـك فليفشوا فى النـاس أنّ علياً قتل عثمان وليكونوا أهـل الرضا عنـد شـرحبيل فإنّها كلمـة جامعـة لك أهل الشام على ما تحب، وإن تعلّقت بقلب شـرحبيل لم تخرج منه بشـىء أبـداً». فكتب معاويـة إلى شـرحبيل انّ جرير بن عبـدالله قـدِم علينا من عند علىّ بن أبى طالب بأمر فظيع، فاقبل . فلمّا قدم كتابُ معاوية على شـرحبيل وهو بحمص، استشار أهـلَ اليمن (المتواجـدين فى حمص) فـاختلفوا فيه ولكن عبـدالرحمن بن غنم الأزدى أشـار إليه بقوله: «إنّ الله لم يزل يزيـدك خيراً مـذ هاجرت إلى اليوم، وانّه لا ينقطع المزيـد من الله حتى ينقطع الشـكر من النّاس، (و لايُغيِّر الله ما بِقَوْم حتّى يُغَيّروا مـا بِاَنْفُسِـهِم)، إنّه قـد اُلقِىَ إلينـا قتـل عثمـان وانّ عليّاً قتل عثمان، فإن يك قَتَله فقـد بايعه المهاجرون والأنصار وهم الحُكّام على الناس، وإن لم يكن قتله فعلام تصُـدِّق معاويـة عليه، لا تُهْلِك نفسك وقومك، فان كرهت أن يذهب بحظّها جرير، فسر إلى علىّ، فبايعه على شامك وقومك، فأبى شرحبيل إلاّ أن يسير إلى معاوية. لم يكن عبدالرّحمن بن غنم الأزدى الرجل الوحيد الذى نصحه بل اجتمع هو مع جرير، فقال له جرير أمّا قولك إنّ علياً قتل عثمان، فوالله ما فى ـــــــــــــــــــــــــــ

۱. الطبرى: التاريخ ۳/۵۶۰ ـ ۵۶۱. (۴۹)

يـديك من ذلك إلاّ القـذف بالغيب من مكان بعيد ولكنّك مِلْتَ إلى الدنيا(۱). كان مبعوث الإمام يحاول أن يرد شـرحبيل عن دَعْم فكرة معاوية، فكتب إليه أيضاً كتاباً ضـمَّنه قصـيدة، فلمّا قرأه شـرحبيل ذعر وفكَّر وقال: هذه نصيحة لى فى دينى ودنياى، والله لاأعجل

فی هذا الأمر بشیء. فلمّا بلغ معاویة تردّد زاهد الشام وناسکه لفّف له الرجال، یدخلون إلیه ویخرجون ویُعظِّمون عنده قتل عثمان، ویرمون به علیّاً ویقیمون الشهادة الباطلة، والکتب المختلقة، حتی أعادوا رأیه وشحَّذُوا عزمه، وصار معاویة یملک قلوب الشامیین بواسطة هذا الرجل المتخّبط، ولمّا استنهضهم للقتال قاموا جملة واحدة. ۴ـ رسائل معاویة إلی الشخصیات: قام معاویة بإرسال رسائل إلی شخصیات إسلامیة کانوا محایدین، فکتب إلی عبدالله بن عمر، وسعد بن أبی وقّاص، ومحمّد بن مسلمة، یدعوهم إلی الثورة علی علی، فکتب إلی ابن عمر بقوله: «لم یکن أحد من قریش أحبَّ إلیّ أن یجتمع علیه الأُمّة بعد قتل عثمان منک، ثم ذکرتُ خَذْلک إیاه، وطعَنَک علی أنصاره، فتغیّرتُ لک، وقد هوَّن ذلک علیَّ خلافُک علی علیّ، ومَحا عنک بعض ما کان مَنک، فأعِنَّا یرحمک الله ـ علی حق هذا الخلیفة المظلوم، فإنّی لست اُرید الإمارة علیک، ولکنّی اُریدها لک، فإن أبیت کانت شوری بین المسلمین.(٢) وکتب إلی سعد بن أبی وقّاص: أمّا بعد فإنّ أحق الناس بنصرة عثمان، أهل الشام والذین أثبتوا حقَّه واختاروه علی غیره (٣) وقد نصره طلحة والزبیر، ــــــــــــــ

١. نصر بن مزاحم: وقعة صفّین ۴۵ ـ ۴٨ .

٢. نفس المصدر: ٨٠ .

٣. یرید بذلک سعد بن أبی وقاص حیث نصر عثمان فی الشوری المعقوده لتعیین الخلیفة بعد قتل عمر، بأمره . (۵٠)

وهما شریکاک فی الأمر والشوری، وناظراک فی الاسلام... وکتب إلی محمّد بن مسلمة یتّهمه بخذلان عثمان ویقول «....فهّلا نهیتَ أهلَ الصلاة عن قتل بعضهم بعضاً أوتری أنّ عثمان وأهل الدار لیسوا بمسلمین....»(١) . فهذه الاُمور تعرب عن تخطیطاته الخادعة التی حفظ التاریخ بعضها فکان یُعْمِی الأبصار والقلوب بأکاذیبه ورسائله، فتارة یبایع الزبیر وطلحة، ولمّا فشل أمرهما، صار یُقدِّم عبدالله بن عمر فی أمر الخلافة لولا أنّه خذل عثمان ولم ینصره، کل ذلک لعکر الصفو وإحداث الصدع. إنّ ابن عمر ـ مع سذاجته ـ وقف علی نوایا معاویة، فکتب إلیه بکلمة صادقة، و قال: ما أنا کعلی فی الإسلام، والهجرة، ومکانه من رسول الله. ویجیب سعد بن أبی وقّاص رسالة معاویة بقوله: إن أهل الشوری لیس منهم أحقُّ بها من صاحبه غیر أنّ علیّاً کان من السابقة، ولم یکن فینا مافیه، فشارکنا فی محاسننا، ولم نشارکه فی محاسنه، وکان أحقَّنا کلّنا بالخلافة. ویجیب محمّد بن مسلمة، کتاب معاویة ویفشی سرّه ویقول بعد کلام: «ولئن نصرتَ (یا معاویة) عثمان میّتاً، لقد خذَلْته حیّاً» (٢) . جهود علی ومساعیه لإخماد الفتنة: بلغ علیّاً سعی معاویة لإثارة الفتنة بنشر الأکاذیب بین الشامیین وتعمیة القلوب، فعمد إلی إخمادها قبل اشتعالها وکان الإمام علی بیّنة من ربّه، وکیف لا وهو الإمام المنتخب ببیعة الأنصار والمهاجرین، والخارج علیه، خارج علی ــــــــــــــ

١. ابن قتیبة الدینوری: الإمامة والسیاسة ١/٩٢ ـ ٩٣ .

٢. ابن قتیبة الدینوری: الإمامة والسیاسة ١/٩٣ ـ ٩۴ . (۵١)

الإمام المفترض الطاعة(١) فلمّا أراد المسیر إلی الشام جمع من کان حوله من المهاجرین والأنصار فحمدالله وأثنی علیه، وقال: أمّا بعدُ: فإنّکم میامین الرأی، ومراجیح الحلم، مقاویل بالحق، مبارکو الفعل والأمر، وقد أردنا المسیر إلی عدوّنا وعدوّکم فأشیروا علینا برأیکم، فقام هاشم بن عتبة بن أبی وقّاص، وعمّار بن یاسر، وقیس بن سعد بن عبادة، وخزیمة بن ثابت، وأبو أیوب الأنصاری یحثّون علیّاً ـ علیه السَّلام ـ علی قطع جذور الفتنة. فقال عمّار: یا أمیر المؤمنین، إن استطعت أن لا تُقیم یوماً واحداً فافعل. اشخص قبل استعار نار الفجرة، واجتماع رأیهم علی الصدود والفرقة، وادْعهم إلی رشدهم، فإن قبلوا سعدوا، وإن أبوا إلاّ ضربَنا، فوالله إنّ سفک دمائهم والجد فی جهادهم لقربة عند الله وهو کرامة فیه. وقال سهل بن حنیف: یا أمیر المؤمنین، نحن سلم لمن سالمتَ وحرب لمن حاربتَ ورأینا رأیک ونحن کف یمینک. إلی کلمات محرّضة وجمل حاثّة إلی الکفاح واخماد النار قبل اشتعالها. فلمّا سمع الإمام هذه الکلم النابعة من صمیم الإیمان والنصح للإسلام، قام خطیباً علی منبره فحمدالله وأثنی علیه ثم قال: سیروا الی أعداء الله، سیروا إلی أعداء السنن والقرآن، سیروا إلی بقیة الأحزاب، قتلة المهاجرین والأنصار (٢). یقول المسعودی: کان مسیر علی ـ علیه السَّلام ـ من الکوفة

إلى صفّين ــــــــــــــــ

١. أين الذين يقولون «ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، وأن لايخرجوا عليهم بالسيف وأن لايقاتلوا فى الفتن» لا حظ مقالات الاسلاميين ٣٢٣، للامام الأشعرىّ .

٢. ابن مزاحم: وقعة صفّين ٩٢ ـ ٩٣ . (٥٢)

لخمس خلون من شوال سنة ست وثلاثين، واستخلف على الكوفة أبا مسعود، عُقْبة بن عمرو الأنصارى، فاجتاز فى مسيره بالمدائن، ثمّ أتى الأنبار حتى نزل الرقة فعقدله هنالك جسر فعبر إلى جانب الشام، وقد اختلف فى مقدار من كان معه من الجيش، والمتّفق عليه من قول الجميع تسعون ألفاً. وسار معاوية من الشام إلى جانب صفّين، وقد اختلف من كان معه، والمتّفق عليه من قول الجميع خمسة وثمانون ألفاً(١) . خروج معاوية إلى صفّين: خرج معاوية من الشام وقدم صفّين وغلب على الماء، ووكّل أبا الأعور السلمى بالشريعة فى أربعين ألفاً، وبات على وجيشه فى البرّ عطاشى، قد حيل بينهم وبين الورود، فقال عمروبن العاص لمعاوية: إنّ علياً لا يموت عطشاً ومعه تسعون ألفاً من أهل العراق دعهم يشربون ونشرب، فقال معاوية: لا والله أويموت عطشاً كما مات عثمان. استعادة الشريعة من جيش معاوية: دعا على بالأشتر فبعثه فى أربعة آلاف من الخيل والرجالة، ثمّ سار علىّ وراء الأشتر بباقى الجيش، فما ردّ وجهه أحد حتى هجم على عسكر معاوية، فأزال أبا الأعور عن الشريعة، وغرق منهم بشراً وخيلا. وتراجع جيش معاوية عن الموضع الذى كان فيه، فقال معاوية لعمروبن العاص: أترانا ليمنعنا الماء كمنعنا إيّاه، فقال له عمرو: لا، لأنّ الرجل جاء لغير هذا، فأرسل إليه معاوية يستأذنه فى ورود مشرعته واستقائه الماء فى طريقه، ودخول رُسُله فى عسكره، ــــــــــــــــ

١. المسعودى: مروج الذهب ٣/١٢١ . (٥٣)

فأجاب على إلى كل ما سأل وطلب منه (١) . نزل الإمام على منطقة صفّين فى أوّليات ذى الحجة عام ٣٦، والشهر من الأشهر الحرم، وبعث إلى معاوية يدعوه إلى إجتماع الكلمة والدخول فى جماعة المسلمين، فطالت المراسلة بينهما فاتّفقوا على الموادعة إلى آخر محرّم سنة سبع وثلاثين. ولمّا انقضى شهر محرّم، بعث على إلى أهل الشام إنّى قد احتججت عليكم بكتاب الله تعالى، ودعوتكم إليه، وإنّى قد نبذت إليكم على سواء، إنّ الله لا يهدى كيد الخائنين. فما كان جوابهم إلاّ قولهم: السيف بيننا وبينك حتى يهلك الأعْجزُ منّا. أصبح علىّ يوم الأربعاء وكان أوّلَ يوم من شهر صفر، فعبّأ الجيش وأخرج الأشتر أمام الجيش، فأخرج إليه معاوية حبيب بن مسلمة الفهرى، وكان بينهم قتال شديد وأسفر عن قتلى بين الفريقين جمعياً. امتدت الحرب كل يوم إلى عاشر ربيع الأوّل عام سبع وثلاثين وكان النصر حليفه فى كل يوم إلى أن لم يبق للعدو إلاّ النفس الأخير، فعنذاك قام على ينادى: ياالله، يا رحمن، يا رحيم، يا واحد، يا أحد، يا صمد، يا الله، يا الله، اللّهُمّ إليك نقلتِ الأقدام، وأفضتِ القلوب، ورفعت الأيدى، وامتدّت الأعناق، وشخصت الأبصار، وطلبت الحوائج، اللّهُمّ إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا، وكثرة عدوّنا وتشّتت أهوائنا، ربّنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين، ثم قال: سيروا على بركة الله، ثم لا إله إلاّ الله، و الله أكبر، كلمة التقوى. ــــــــــــــــ

١. ابن مزاحم: وقعة صفّين ١٥٧ - ١۶٢ . (٥۴)

قال الراوى: لا والله الذى بعث محمّداً ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ بالحق ماسمعنا برئيس قدم منذ خلق الله السموات والأرض، أصاب بيده فى يوم واحد ما أصاب. إنّه قتل فيما ذكره العادون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب(١) . ثمّ قام على خطيباً وقال: أيّها النّاس قد بلغ بكم الأمر وبعدوّكم ما قد رأيتم ولم يبق منهم إلا آخر نفس، وإنّ الاُمور إذا اقْبلت اعتُبر آخرُها بأوّلها، وقد صبر لكم القوم على غير دين، حتّى بلغنا منهم ما بلغنا، وأنا عاد عليهم بالغداة، أحاكمهم الى الله عزّوجل . فبلغ ذلك معاوية فدعا عمروبن العاص فقال: يا عمرو انّما هى الليلة حتى يغدو على علينا بالفيصل، فمّا ترى؟ قال: إنّ رجالك لا يقومون لرجاله ولست مثله، هو يقاتلك على أمر، وأنت تقاتله على غيره. أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء، وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم، وأهل الشام لا يخافون علياً إن ظفر بهم، ولكن ألق إليهم أمراً إن قبلوه اختلفوا، وإن ردّوه اختلفوا، ادْعهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينك وبينهم، فإنّك بالغ به

حاجتک فی القوم فإنّی لم أزل أُأخّر هـذا الأمر لوقت حاجتک إليه، فعرف ذلک معاوية، فقال صدقت (٢) . يقول تميم بن حذيم: لمّا أصبحنا من ليلة الهرير، نظرنا فإذا أشباه الرايات أمام صف أهل الشام فلمّا أسفرنا فإذا هی مصاحف قد ربطت أطراف الرماح، وهی عِظامُ مصاحِف العسکر، وقد شدّوا ثلاثة أرماح جميعاً، وقد ربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم، يُمسکه عشرة رهط، وقال أبوجعفر وأبوالطفيل: استقبلوا عليّاً بمائة مصحف، ووضعوا فی کل مُجَنَّبة مائتی مصحف، وکان ــــــــــــــــــ

١. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۴٧٧ .

٢. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۴۴ ـ ۵۴٨ . (۵۵)

جميعها خمسمائة مصحف. قال أبوجعفر: ثمّ قام الطفيل بن أدهم حِيالَ علی وقام أبو شريح الجذامی حيال الميمنة، وقام ورقاء بن المعمر حيال الميسرة، ثمّ نادوا:...يا معشر العرب، الله الله فی نسائکم وبناتکم، فمن للروم والأتراک وأهل فارس غداً إذا فنيتم؟ الله الله فی دينکم. هذا کتاب الله بيننا وبينکم. فقال علی: اللّهُمّ إنّک تعلم أنّهم ما الکتاب يريدون، فاحکم بيننا وبينهم، إنّک أنت الحکيم الحق المبين. فاختلف أصحاب علیّ فی الرأی. فطائفة قالت: القتال، وطائفة قالت: المحاکمة إلی الکتاب، ولا يحلّ لنا الحرب وقد دُعِينا إلی حکم الکتاب. فعند ذلک بطلت الحروب ووضعت أوزارها، فقال محمّد بن علی: فعند ذلک حکم الحکمان. وقد أثّرت تلک المکيدة فی همم کثير من جيش علی ـ عليه السَّلام ـ حيث زعموا أنّ اللجوء إلی القرآن لأجل طلب الحق ولم يقفوا علی أنّها مؤامرة ابن النابغة وقد تعلّم منه ابن أبی سفيان، وأنّها کلمة حق يراد بها باطل وانّ الغاية القصوی منها، هو إيجاد الشقاق والنفاق فی جيش علی وتثبيط هممهم حتی تخمد نار الحرب التی کادت أن تنتهی لصالح علی وجيشه، وهزيمة معاوية وناصريه. ولکن الخديعة کانت قد وجدت لها طريقاً فی جيش العراق حتی سمع من کل جانب: الموادعة إلی الصلح والنازل لحکم القرآن، فلمّا رأی علی ـ عليه السَّلام ـ تلک المکيدة وتأثيرها فی السذّج من جيشه قام خطيباً وقال:«أيّها الناس إنّی أحقُّ مَنْ اجاب إلی کتاب الله، ولکن معاوية وعمروبن العاص، وابن أبی معيط وحبيب ابن مسْلمة، وابن أبی سرح، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنّی أعرف بهم منکم، صحبتهم أطفالا وصحبتهم رجالا، فکانوا شرّ أطفال وشرّ رجال، إنّها کلمة حق يراد بها باطل: إنّهم والله ما رفعوها لأنّهم (۵۶)

يعرفونها ويعلمون بها، ولکنّها الخديعة والمکيدة. أعيرونی سواعِدَکم وجَماجمکم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه، ولم يبق إلاّ أن يقطع دابر الذين ظلموا»(١). وقد کان لخطاب علی أثر إيجابی فی قلوب المؤمنين الواعين حيث أدرکوا ماذا خلف الکواليس من مؤامرات وفتن، وحجبت البساطة فهم ذلک علی قلوب القشريين من أهل البادية، الذين ينخدعون بظواهر الاُمور، ولا يتعمّقون ببواطنها، ففوجیء علی ـ عليه السَّلام ـ بمجیء زهاء عشرين ألفاً مقّنعين فی الحديد شاکی سيوفهم وقد اسودَّت جباههم من السجود يتقدّمهم مِسْعَر بن فدکی، وزيد بن حصين، وعصابة من القرّاء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه بإسمه لا بإمرة المؤمنين وقالوا: يا علی أجب القوم إلی کتاب الله إذا دُعيتَ وإلاّ قتلناک کما قتلنا ابن عفان، فوالله لنفعلنها إن لم تجبهم. فقال الإمام لهم: «ويحکم أنا أوّل من دعا إلی کتاب الله، وأوّل من أجاب إليه، وليس يحلّ لی ولا يسعنی فی دينی أن اُدْعی إلی کتاب الله فلا أقبله، إنّی إنّما قاتلتهم ليدينوا بحکم القرآن، فانّهم قد عصوا الله فيما أمرهم ونقضوا عهده، ونبذوا کتابه، ولکنّی قد أعلمتکم أنّهم قد کادوکم، وأنّهم ليسوا العمل بالقرآن يريدون» قالوا: فابعث إلی الأشتر ليأتينّک، وقد کان الأشتر صبيحة ليلة الهرير قد أشرف علی عسکر معاوية ليدخله. فلم يجد علی ـ عليه السَّلام ـ بداً من بعث رسول إلی الأشتر ليأتيه، فأرسل إليه علی، يزيد بن هانی أن ائتنی، فأتاه، فأبلغه، فقال الأشتر: ائته فقل له ليس هذه بالساعة التی ينبغی لک أن تزيلنی عن موقفی، أنّی قد رجوت الفتح فلا تعجلنی، فرجع يزيد بن هانی إلی علی ـ عليه السَّلام ـ فاخبره، فما هو إلاّ أن ــــــــــــــــــ

١. ابن مزاحم: وقعة صفّين ۵۶٠ .الطبری: التاريخ ۴/٣۴ ـ ٣۵ . (۵٧)

علت الأصوات من قبل الأشتر وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق ودلائل الخذلان والادبار لأهل الشام فقال القوم لعلی ـ عليه السَّلام ـ : والله ما نراک أمرته إلاّ بالقتال، قال علی ـ عليه السَّلام ـ : أرأيتمونی ساررت رسولی إليه؟ أليس إنّما کلّمته علی رؤوسکم

علانية وأنتم تسمعون؟ قالوا: فابعث إليه فليأتك، وإلاّ فوالله اعتزلناك، فقال الإمام: ويحك يا يزيد قل له اقبل فإنّ الفتنة قد وقعت، فأتاه فأخبره. فقال الأشتر: أبرفع هذه المصاحف؟ قال: نعم، قال: أما والله لقد ظننت أنّها حين رفعت ستوقع خلافاً وفرقة أنّها من مشورة ابن النابغة، ثم قال ليزيد بن هانى: ويحك ألاترى إلى الفتح؟ ألاترى إلى مايلقون؟ ألاترى إلى الذى يصنع الله لنا؟ أينبغى أن ندع هذا وننصرف له؟. فقال له يزيد أتحبّ أنّك ظفرت ها هنا وأنّ أمير المؤمنين بمكانه الذى هو فيه يفرج عنه، ويسلّم إلى عدوّه؟ قال: سبحان الله، لاوالله الا أحبّ ذلك، قال: فانّهم قد قالوا له وحلفوا عليه لتُرسِلن إلى الاشتر فليأتينّك أو لنقتلنّك بأسيافنا كما قتلنا عثمان، أو لنسلّمنّك إلى عدوّك. فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم، فصاح: يا أهل الذل والوهن، أحين علوتم القوم وظنّوا أنّكم قاهرون، رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها؟ وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها، وتركوا سنّة من أنزلت عليه، امهلونى فواقاً، فإنّى قد أحسست بالفتح؟ قالوا: لا نُمْهلك، فقال: أمهلونى عدوة الفرس، فإنّى قد طمعت فى النصر؟ قالوا: إذاً ندخل معك فى خطيئتك. فسّبوه وسبّهم، وضربوا بسياطهم وجه دابّته، وضرب بسوطه وجوه دوابهم وصاح علىّ ـ عليه السَّلام ـ بهم فكفّوا، وقال الأشتر يا أميرالمؤمنين احمل الصف على الصف، يصرَع القوم، فتصايحوا: إنّ أمير المؤمنين قد قبل الحكومة (۵۸)

ورضى بحكم القرآن، فقال الأشتر: إن كان أميرالمؤمنين قد قبل ورضى، فقد رضيت بما رضى به أميرالمؤمنين. فأقبل الناس يقولون: قد رضى أمير المؤمنين، قد قبل أميرالمؤمنين، وهو ساكت لا يبضُّ بكلمة، مطرق إلى الأرض (۱) . ثم قام فسكت الناس كلّهم فقال: «أيّها الناس إنّ أمرى لم يزل معكم على ما أحبُّ إلى أن أخذت منكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وأخذت من عدوّكم فلم تترك، إلاّ انّى قد كنت أمس أمير المؤمنين فصرت مأموراً، وكنت ناهياً فأصبحت منهيّاً، وقد أحببتم البقاء وليس لى أن أحملكم على ما تكرهون»(۲) . قال نصر بن مزاحم: ثمّ تكلّم رؤساء القبائل فكل قال مايراه ويهواه، فقام كردوس بن هانى البكرى يدعوا الناس إلى تسليم الأمر إلى علىّ، كما قام شقيق بن ثور البكرى يدعوا الناس إلى الصلح والموادعة ويقول: وقد أكلتنا هذه الحرب ولا نرى البقاء إلاّ فى الموادعة (۳). هذه الحوادث المؤلمة التى أسفرت عن مؤامرة خبيثة يراد منها ايقاع الفتنة والخلاف فى جيش على ـ عليه السَّلام ـ إلى النزول إلى حكم القوم كرهاً بلا اختيار، واضطراراً لا عن طيب نفس. فبعث على قرّاء أهل العراق، وبعث معاوية قرّاء أهل الشام، فاجتمعوا بين الصفّين فنظروا فيه وتدراسوه واجمعوا على أن يحيوا ما أحيا القرآن، وأن يميتوا ما أمات القرآن، ثم رجع كل فريق إلى أصحابه، وقال الناس: «قد رضينا

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۶۰ ـ ۵۶۴ .

۲. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۲/۲۱۹ ـ ۲۲۰. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۵۳ .

۳. نصربن مزاحم: وقعة صفيّن ۵۵۴ . (۵۹)

بحكم القرآن» . فرض التحكيم أوّلاً وفرض المحكّم ثانياً: ولقد بلغ القوم فى قلّة الحياء وشكاسة الخلق إلى حدّ أنّهم فرضوا نفس التحكيم على الإمام المفترض طاعته ببيعة المهاجرين والأنصار، ولم يبق بينه وبين الفتح والظفر على العدو إلاّ قاب قوسين أوأدنى أوبمقدار عدوة الفرس كمّا قاله الأشتر. إنّهم ـ قبّح الله وجوههم ـ لم يكتفوا بهذا الحد فى قلّة الأدب، بل فرضوا عليه المحكّم، فإن الإمام لمّا لَم يَر بدّاً من قبول التحكيم فاقترح عليهم أن يكون المحكّم من جانبه أحد الرجلين: ابن عمّه ـ عبدالله بن عباس ـ أو الأشتر. ولكنّهم رفضوا كل ذلك وأبوا إلاّ نيابة أبى موسى الأشعرى الذى خذل عليّاً ـ عليه السَّلام ـ فى بداية خلافته، ولم يبايعه إلاّ باكثار الناس ولم يشجّع أهل الكوفة على نصره بل سكت. يقول ابن مزاحم: قال اهل الشام: فإنّا قد رضينا واخترنا عمروبن العاص، فقال الأشعث والقرّاء الذين صاروا خوارج فيما بعد: فانّا قد رضينا واخترنا أبا موسى الأشعرى، فقال لهم على ـ عليه السَّلام ـ : «إنّى لا أرضى بأبى موسى ولا أرى أن أولّيه» فقال الأشعث وزيد بن حصين ومسعر بن فدكى فى عصابة من القرّاء: انّا لا نرضى إلاّ به، فإنّه قد حذّرنا ما وقعنا فيه، قال على ـ عليه السَّلام ـ : «فإنّه ليس لى برضى ولكن هذا ابن عباس اُوّليه ذلك، قالوا: والله ما نبالى أكنت أنت أو ابن عباس ولا نريد إلاّ رجلا هو منك ومن معاوية سواء، قال على: فإنّى أجعل الأشتر، فقال الأشعث: وهل سعّر الأرض علينا غير الأشتر. (

۶۰) حتی انّ علیّاً اقترح علیهم الأحنف بن قیس فأبوا أن یقبلوه، وقالوا: لایکون ألاّ أبا موسی، وقد کان معروفاً بأنّه قریب القعر، کلیل الشفرة، فلم یر علی ـ علیه السَّلام ـ بداً من قبول أبی موسی، وقد کان الإمام عارفاً ببساطته وسذاجته، وکانت فی ذلک خسارة عظمی لحزب علی ـ علیه السَّلام ـ وأشیاعه إلی حدّ وصفها الشاعر بقوله: لو کان للقوم رأی یُعْصمونَ به * من الظلال رَمَوکم بابن عباس لله درُّ أبیه أیُّما رجل * ما مثله لفصال الخطب فی الناس لکن رموکم بشیخ من ذوی یمن * لم یدر ما ضرب أخماس لأسداس أن یخلُ عمروبه، یقذفه فی لجج * یَهوی به النجمُ تَیساً بین أتیاس ابلغ لدیک علیّاً غیر عاتِبه * قول امریء لا یری بالحقِّ من بأس (۱) لقد کان علیّ ـ علیه السَّلام ـ واقفاً علی انحراف أبی موسی عنه، وانّ هواه مع غیره، ومع ذلک لم یجد بدّاً عن الرضا بما فرض علیه البسطاء من جیشه، وهذا هو الأحنف بن قیس من أصدقاء علی ـ علیه السَّلام ـ وخُلّصِ شیعته، فقد امتحن أبا موسی بعد ما نُصِبَ حکماً من قبل علی ـ علیه السَّلام ـ فقال له ممتحناً: «فإن لم یستقم لک عمرو علی الرضا بعلی، فخّیره أن یختار أهل العراق من قریش الشام من شاؤوا فإنّهم یولّونا الخیار فنختار من نرید، وإن أبوا فلیختر أهل الشام من قریش العراق من شاؤوا، فإن فعلوا کان الأمر فینا، فقال أبو موسی: قد سمعت ما قلت، ولم ینکر ما قاله من زوال الأمر عن علی ـ علیه السَّلام ـ فرجع الأحنف إلی علی ـ علیه السَّلام ـ فقال له: أخرج أبو موسی والله زبدة سقائه فی أوّل مخضة. لا أرانا إلاّ بعثنا رجلا لا ینکر خلعک، فقال علی ـ علیه السَّلام ـ : الله ________________

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّین ۵۷۵ ـ ۵۷۶ . (۶۱)

غالب علی أمره(۱) . إنّ الإمام خاطب أبا موسی ـ عندما بعثه إلی دُومَةِ الجندل حکماً ـ بقوله: احکم بکتاب الله ولا تجاوزه، ولمّا ودّع أبا موسی وغادر المجلس، قال الإمام: کأنّی به وقد خدع، فقال عبیدالله بن أبی رافع: لماذا تبعثه وهو علی هذه الفکرة؟ فقال الإمام ـ علیه السَّلام ـ لو عمل الله فی خلقه بعلمه، ما احتجّ علیهم بالرسل (۲) . صیاغة اتفاقیة الصلح: إنّ القوم فرضوا علی الإمام التحکیم والمحکّم، ولم یکتفوا بذلک بل فرضوا علیه ما کان الخصم یطلبه فی تحریر وصیاغة اتفاقیة الصلح، ولمّا اتفق الطرفان علی کتابة الصلح وایقاف الحرب إلی أن یحکم الحکمان دعا علی ـ علیه السَّلام ـ کاتبه لیکتب صحیفة الصلح علی النحو الذی یملیه الإمام، فقال الإمام: اکتب: «هذا ما تقاضی علیه علی أمیر المؤمنین» فقال معاویة: بئس الرجل أنا إن أقررت أنّه أمیر المؤمنین ثمّ قاتلته، وقال عمرو: اکتب اسمه واسم أبیه، إنّما هو أمیرکم، وأمّا أمیرنا فلا ـ فلمّا اُعید إلیه الکتاب أمر بمحوه، فقال الأحنف: لا تمح اسم امرة المؤمنین عنک، فإنّی أتخوّف إن محوتها ألاّ ترجع إلیک أبداً لا تمحها، وإن قتل الناس بعضهم بعضاً. فأبی ملیّاً من النهار أن یمحوها، ثمّ إنّ الأشعث بن قیس جاء، فقال: امح هذا الاسم. فقال علی: لا إله إلاّ الله والله أکبر، سنّة بسنّة، أما والله لعلی یدی، دار هذه الأمر یوم الحدیبیة حین کتبت الکتاب عن رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ : «هذا ما تصالح علیه ________________

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّین ۶۱۷. ابن أبی الحدید: شرح نهج البلاغة ۲/۲۴۹ .

۲. ابن شهر آشوب: مناقب آل أبی طالب ۲/۲۶۱ . (۶۲)

محمّد رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ وسهیل بن عمرو» فقال سهیل: لا أجیبک إلی کتاب تسمّی (فیه) رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ ولو أعلم أنّک رسول الله لم اُقاتلک إنّی إذاً ظلمتک إن منعتک أن تطوف ببیت الله وأنت رسول الله ولکن اکتب «محمّد بن عبدالله» أجبک، فقال محمّد ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ : «یا علی إنّی لرسول الله، إنّی لمحمّد بن عبدالله، ولن یمحو عنّی الرسالة کتابی إلیهم«محمّد بن عبدالله»، فاکتب: محمّد بن عبدالله، فراجعنی المشرکون فی هذا إلی مدّة، فالیوم اکتبها إلی أبنائهم کما کتبها رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ إلی آبائهم سنّة ومثلا. فقال عمروبن العاص: «سبحان الله، ومثل هذا شبّهتنا بالکفّار ونحن مؤمنون؟» فقال له علی ـ علیه السَّلام ـ : یا ابن النابغة، ومتی لم تکن للکافرین ولیّاً وللمسلمین عدوّاً وهل تشبه إلاّ اُمّک التی وضعت بک. فقام عمرو فقال: والله لایجمع بینی وبینک مجلس أبداً بعد هذا الیوم، فقال علی: والله إنّی لأرجو أن یظهر الله علیک وعلی أصحابک(۱) . اتفاقیة الصلح أو وثیقة التحکیم: تنازل علیّ ـ علیه السَّلام ـ عن حقّه المشروع ورضی، کما رضی رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ أن یکتب اسمه مجرّداً عن توصیفه بامرة المؤمنین فأملی علیّ صحیفة الصلح بالنحو التالی وفیها عبر ونکات وتشتمل

على بنود ربّما نرجع إليها فى المستقبل: ۱ ـ هذا ما تقاضـى عليه على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وشيعتهما فيما تراضيا به من الحكم بكتاب الله وسنّة نبيّه ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ قضية على على أهل العراق ومن كان من شيعته من شاهد أو غائب وقضية

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۸۲ ـ ۵۸۳ . (۶۳)

معاوية على أهل الشام ومن كان من شيعته من شاهد أو غائب. إنّا رضينا أن ننزل عند حكم القرآن فيما حكم، وأن نقف عند أمره فيما أمر، وانّه لا يجمع بيننا إلّا ذلك، وانّا جعلنا كتاب الله فيما بيننا حكماً فيما اختلفنا فيه من فاتحته إلى خاتمته، نحيى ما أحيا ونميت ما أمات، على ذلك تقاظيا، وبه تراضيا. ۲ ـ إنّ علياً وشيعته رضوا أن يبعثوا عبدالله بن قيس(۱) ناضراً ومحاكماً، ورضى معاوية وشيعته أن يبعثوا عمروبن العاص ناضراً ومحاكماً. ۳ ـ على أنّهما أخذوا عليهما عهد الله وميثاقه وأعظم ما أخذ الله على أحد فى خلقه، ليتّخذان الكتاب إماما فيما بعثا له، لا يعدوانه إلى غيره فى الحكم بما وجداه فيه مسطوراً. ومالم يجداه مسمّى فى الكتاب ردّاه إلى سنّة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ الجامعة، لايتعمّدان لهما خلافاً، ولا يتّبعان فى ذلك لهما هوى، ولا يدخلان فى شبهة. ۴ ـ وأخذ عبدالله بن قيس وعمروبن العاص على علىّ ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به من كتاب الله وسنّة نبيه ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وليس لهما أن ينقضا ذلك ولا ـ يخالفاه إلى غيره، وانّهما آمنان فى حكومتهما على دمائهما وأموالهما وأهلهما ما لم يعدوا الحق، رضى بذلك راض أو أنكره منكر وانّ الاُمّة أنصار لهما على ما قضيا به من العدل. ۵ - فإن توفّى أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة فأمير شيعته وأصحابه يختارون مكانه رجلا، لايألون عن أهل المعدلة والاقساط، على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق، والحكم بكتاب الله وسنّة رسوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وله مثل شرط صاحبه، وإن مات أحد الأميرين قبل القضاء فلشيعته أن يولّوا مكانه يرضون عدله. وقد وقعت القضية

۱. هو أبو موسى الأشعرى . (۶۴)

ومعها الأمن والتفاوض ووضع السلاح والسلام والموادعة. ۶ - وعلى الحكمين عهد الله وميثاقه ألّا يألوا اجتهاداً، ولا يتعمّدا جوراً، ولا يدخلا فى شبهة، ولا يعدوا حكم الكتاب وسنّة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ . فإن لم يفعلا برئت الاُمّة من حكمهما، ولا عهد لهما ولاذمّة. وقد وجبت القضية على ما قد سُمّى فى هذا الكتاب من مواقع الشروط على الأميرين والحكمين والفريقين، والله أقرب شهيداً، وأدنى حفيظاً، والناس آمنون على أنفسهم وأهليهم وأموالهم إلى انقضاء مدّة الأجل والسلاح موضوع والسبل مخلاة والغائب والشاهد من الفريقين سواء فى الأمن. ۷ ـ وللحكمين أن ينزلا ـ منزلا عدلا بين أهل الطرق وأهل الشام ولا يحضر هما فيه إلّا من أحبّا، عن ملأ منهما وتراض. وانّ المسلمين قد اَجّلوا القاضيّين إلى انسلاخ رمضان(۱)، فإن رأى الحكمان تعجيل الحكومة فيما وجها له عجّلاها، وإن أراداتا خيرها بعد رمضان إلى انقضاء الموسم فإنّ ذلك إليهما. ۸ ـ فإن هما لم يحكمابكتاب الله وسنّة نبّيه ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ إلى انقضاء الموسم فالمسلمون على أمرهم الأوّل فى الحرب. ولا شرط بين واحد من الفريقين. وعلى الاُمّة عهد الله وميثاقه على التمام والوفاء بما فى هذا الكتاب. وهم يد على من أراد فيه إلحاداً وظلماً أوحاول له نقضاً. ثمّ إنّه شهد بما فى الكتاب من أصحاب الطرفين أكابرهما فمن أصحاب على، عبدالله بن عباس، والأشعث بن قيس، والأشتر مالك بن الحارث، والحسن والحسين ابنا علىّ وطائفة اُخرى يبلغ عدد الشهود سبعاً وعشرين شخصاً وفيهم من الصحابة الكبار، نظير خبّاب بن الارث وسهل بن حنيف وعمروبن الحمق الخزاعى، وحجر بن عدى، كما شهد من أصحاب معاويه أبوالأعور

۱. أى رمضان سنة تحرير الاتفاقية وهى سنة ۳۷، وقد كتب الكتاب فى صفر هذه السنة كما سيوافيك. (۶۵)

وبسر بن أرطاة وعبدالله بن عمروبن العاص، وكتبت لثلاث عشر ليلة بقيت من صفر سنة ۳۷(۱) . ونلاحظ أنّ فى الميثاق تصريحاً بأنّه من اللازم على الحكمين الإدلأ برأيهما إلى انقضاء موسم الحج من عام ۳۷ وهما أدليا برأيهما فى شعبان تلك السنة كما سيوافيك. وما نقله الطبرى عن الواقدى انّ اجتماع الحكمين كان فى شعبان سنة ۳۸ من الهجرة غير صحيح(۲) . صورة اُخرى لوثيقة التحكيم: ثمّ

إنّ ابن مزاحم نقل صورة أُخرى لوثيقة التحكيم يتّحد مع ماسبق لبّاً ويختلف فى بعض الموارد عبارة فمن أراد فليرجع إلى مصدره وفى ذيلها: «وكتب عميرة يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين واتّعد الحكمان (اذرح)» (٣) وأن يجيء على بأربعمائة من أصحابه، ويجيء معاوية بأربعمائة من أصحابه فيشهدون الحكومة. ـــــــــــــــــــ

١. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ٥٨٢ .

٢. الطبرى: التاريخ ٤/٥٢ .

٣. اذرح ـ بضم الراء ـ بلد فى أطراف الشام مجاور لأرض الروم.

االفصل الثالث نشوء الخوارج عند مخالفتهم لمبدأ

االفصل الثالث نشوء الخوارج عند مخالفتهم لمبدأ التحكيم (٦٨) (٦٩) إنّ الذين حملوا عليّاً ـ عليه السَّلام ـ على الموادعة والرضوخ للتحكيم، رجعوا عن فكرتهم وزعموا أنّ أمر التحكيم على خلاف الذكر الحكيم حيث يقول (ان الحُكْم إلاّ ـ لِلّه)(١) فحاولوا أن يفرضوا على عليّ ـ عليه السَّلام ـ أمراً رابعاً وهو القيام بنقض الميثاق ورفض كتاب الصلح بينه وبين معاوية، فجاء هؤلاء قائلين: «لا حكم إلاّلله، الحكملله يا على لالك، لا نرضى بأن يحكم الرجال فى دين الله. إنّ الله قد أمضى حكمه فى معاوية وأصحابه أن يقتلوا وأن يدخلوا فى حكمنا عليهم وقد كانت منّا زلّة حين رضينا بالحكمين، فرجعنا وتبنا، فارجع أنت يا على كما رجعنا وتب إلى الله كما تبنا، وإلاّ ـ برئنا منك. فقال على: وَيْحكم، أبعد الرضا(والميثاق) والعهد نرجع؟ أو ليس الله تعالى قال:(اُوفوا بالعقود) وقال: (واُوفوا بَعَهْدِ الله اذا عاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الاَيمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَ قَدْ جَعَلْتُمُ الله عَلَيْكُمْ كَفيلا انّ الله يَعْلَمُ ما تَفْعَلُون) : فأبى على أن يرجع، وأبت الخوارج إلاّ تضليل التحكيم والطعن فيه، وبرئت من على ـ عليه السَّلام ـ، وبرى ـــــــــــــــــــ

١. الأنعام: ٥٧. وقد ورد فى سورة يوسف أيضاً مرّتين، لا حظ الآية ٤٠ و٦٧ من هذه السورة . (٧٠)

منهم(١) . وقال الطبرى: لمّا أراد عليّ أن يبعث أبا موسى إلى الحكومة أتاه رجلان من الخوارج: زرعة بن برج الطائى وحرقوص بن زهير السعدى(٢)، فدخلا عليه فقالا ـ له: لا حكم إلاّ لله، فقال على ـ عليه السَّلام ـ: لا حكم إلاّ لله، فقال له حرقوص: تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم حتى نلقى ربّنا، فقال لهم على: قد أردتكم على ذلك فعصيتمونى وقد كتبنا بيننا وبينهم كتاباً وشرطنا شروطاً وأعطينا عليها عهودنا ومواثيقنا، وقد قال الله عزّوجل: (واُوفوا بَعَهْدِ الله اذا عاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الاَيمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَ قَدْ جَعَلْتُمُ الله عَلَيْكُمْ كَفيلا انّ اللهَ يَعْلَمُ ما تَفْعَلُون). فقال له حرقوص: ذلك ذنب ينبغى أن تتوب منه، فقال على: ما هو ذنب ولكنّه عجز من الرأى وضعف من الفعل وقد تقدّمت إليكم فيما كان منه ونهيتكم عنه، فقال له زرعة بن البرج: أما والله يا على لئن لم تدع تحكيم الرجال فى كتاب الله عزوجل قاتلتك أطلب بذلك وجه الله ورضوانه، فقال له على: بؤسا لك ما أشقاك كأنّى بك قتيلا تسفى عليك الريح. قال: وددت أن قد كان ذلك، فقال له على: لو كنت محقّاً كان فى الموت على الحق تعزية عن الدنيا. إنّ الشيطان قد استهواكم فاتّقوا الله عزّوجلّ إنّه لا خير لكم فى دنيا تقاتلون عليها فخرجا من عنده يُحكِّمان (٣). روى ابن مزاحم عن شقيق بن سلمة قال: جاءت عصابة من القرّاء قد ـــــــــــــــــــ

١. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ٥٨٩ ـ ٥٩٠ .

٢. إنّ الاباضية ـ الفرقة الباقية من الخوارج ـ يقولون المحكمة الاُولى نظراء: زرعة، وحرقوص، والراسبى مُحِقوُن بحجة أنّهم أرادوا أن لا ـ يحكم الرجال فيما حكم فيه سبحانه وهو قتال أهل البغى حتى يفيئوا، ولكنّهم لا يذكرون شيئاً من أنّهم كانوا هم الأساس لمسألة التحكيم، وهم الذين فرضوا على الإمام، هذا الأمر. فلتكن على ذكر من هذا النقل حتى يحين وقت دراسة الموضوع.

٣. الطبرى: التاريخ ٤/٥٢ ـ ٥٣ . (٧١)

سلّوا سيوفهم واضعيها على عواتقهم فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تنظر بهؤلاء القوم إن نمشى إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم

بالحق؟ فقال لهم عليّ: قد جعلنا حكم القرآن بيننا وبينهم ولا يحلّ قتالهم حتى ننظر بِمَ يحكم القرآن .(۱) وهذا يعرب عن أنّ الأكثرية الساحقة كانت مصّرة على التصالح وانّ عصابة منهم، كانوا متوقّفين فى بدء الأمر، ثمّ بدا لهم أن ينصروا الإمام فى وقت، تمّت الإتفاقية بين الطرفين وأعطى الإمام العهد بالعمل بها. هذه الكلمة الجارحة التى صدرت من زرعة الطائى وحرقوص بن زهير السعدى ونظائرها كانت تصدر من الخوارج آونة بعد اُخرى، وذلك لأنّهم يتّهمون عليّاً بارتكاب الإثم ولزوم التوبة بنقض الصحيفة، وفى مقابل ذلك سطّر التاريخ مواقفاً جريئة وحرّةً صدرت عن ثلّة من أصحاب على ـ عليه السّلام ـ . هذا هو سليمان بن صرد من أصحاب على أتاه بعد كتابة الصحيفة ووجهه مضروب بالسيف فلمّا نظر إليه على ـ عليه السّلام ـ قال: (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِر وما بَدَّلُوا تَبْدِيلا)فأنت ممّن ينتظر وممّن لم يبدل، فقال يا أمير المؤمنين: أما لو وجدتُ أعواناً ما كتبت هذه الصحيفة أبداً. أما والله لقد مشيتُ فى الناس ليعودوا إلى أمرهم الأوّل فما وجدت أحداً عنده خير إلاّ قليلا. وقام إلى على ـ عليه السّلام ـ محرز بن جريش بن ضليع، فقال: يا أمير المؤمنين: ما إلى الرجوع عن هذا الكتاب سبيل؟ فإنّى لأخاف أن يُورث ذلاّ، فقال على ـ عليه السّلام ـ أبعد أن كتبناه ننقضه؟ إنّ هذا لا يحلّ. وقام فضيل بن خديج مخاطباً عليّاً لمّا كتبت الصحيفة: إنّ الأشتر لم يرض بما فى هذه الصحيفة ولا يرى إلاّ قتال القوم، فقال على ـ عليه السّلام ـ : ________

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۶۹ . (۷۲)

بلى إنّ الأشتر ليرضى إذا رضيت، وقد رضيت ورضيتم، ولا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الإقرار إلاّ أن يعصى الله ويتعدّى ما فيه كتابه. فلمّا رآى على ـ عليه السّلام ـ تكرّر تلك المواقف قام خطيباً ليزيل الشكوك والأوهام عن قلوب شيعته فخطب وقال: «إنّ هؤلاء القوم لم يكونوا ليفيئوا إلى الحق، ولاليجيبوا إلى كلمة السواء، حتى يُرْمَوا بالمناسر، تتبعها العساكر، وحتى يُرجَموا بالكتائب تقفوها الجلائب، وحتى يجر ببلادهم الخميس، يتلوه الخميس، وحتى يدعوا الخيل فى نواحى أرضهم، وبأحناء مساربهم ومسارحهم وحتى تشن عليهم الغارات من كل فج، وحتى يلقاهم قوم صُدُق صُبُر، لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم فى سبيل الله إلاّ جداً فى طاعة الله، وحرصاً على لقاء الله، ولقد كنّا مع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ نقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا وأعمامنا. ما يزيدنا ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً، ومُضيّاً على اللقم وصبراً على مَضَضَ الألم، وجداً فى جهاد العدو، ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان متصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيّهما يسقى صاحبه كأس المنون مرّة لنا من عدوّنا ومرة لعدّونا منّا، فلمّا رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر، حتى استقّر الإسلام ملقياً جِرَآنه، ومتبوَّئاً أو طانه، ولعمرى لوكنّا نأتى ما أتيتم، ما قام للدين عمود، ولا اخضرّ للإيمان عود، وايم الله لتحتلبنّها دماً ولَتُتبِعنَّها ندماً(۱) . وقد أعرب الإمام فى خطبته هذه عن السبب الحقيقى للفصل والوهن الذى واجه جيشه مع كثرة عددهم وعدّتهم، وما هذا إلاّ لأنّهم عصوا إمامهم، واغترّوا بظواهر الاُمور، وحسبوا أنّ اللجوء إلى كتاب الله شيء يدين به الخصم، ________

۱. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۵۶. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۹۷ ـ ۵۹۸ وبين المنقول فى المصدرين اختلاف فى اللفظ، ورجحّنا نقل الرضى. (۷۳)

ففرضوا على على ـ عليه السّلام ـ التحكيم والحّكم، إلى غير ذلك من الاُمور التى ذكرناها آنفاً، فصار القائد مقوداً والإمام مأموماً والمطاع مطيعاً. تنبّؤ النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ بفتنة الخوارج: روى ابن هشام عن عبدالله بن عمروبن العاص أنّه قال: جاء رجل من بنى تميم ـ فى غزوة هوازن ـ يقال له ذوالخويصرة فوقف عليه وهو يعطى النّاس فقال: يا محمّد، قد رأيتُ ما صنعت فى هذا اليوم، فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ أجل، فكيف رأيت؟ فقال: لم أرك عدلت، قال: فغضب النبى، ثم قال: ويحك، إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون؟ فقال عمربن الخطاب: يا رسول الله ألا أقتله؟ فقال: لا دعه فإنّه سيكون له شيعة يتعمّقون(۱) فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية(۲) ________

۱. المراد من التعمق كثرة السؤال والاعتراض على الأوامر الصادرة من القيادة ويؤيّد ذلك الحديث المشهور: سأل رجل الإمام موسى

بن جعفر ـ عليه السَّلام ـ وقال: رجل يأتى السوق فيشترى جبة فراء، ولا يدرى أذكية هى أم غير ذكية؟ أيصلّى فيها؟ فقال: نعم ليس عليكم المسألة. انّ أباجعفر ـ عليه السَّلام ـ كان يقول: إنّ الخوارج ضيقوا على أنفسهم بجهالتهم، انّ الدين أوسع من ذلك. (الصدوق: من لا يحضر الفقيه ١/١۶٧، الباب ٣٩، الحديث ٣٨).

ويظهر ذلك ممّا روى عن على من قصار الكلمات قال: الكفر على أربع دعائم: على التعمّق، والتنازع، والزيغ، والشقاق، فمن تعمّق لم ينب إلى الحق، ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق، نهج البلاغة قسم الحكم ٣١. فمعنى التعمّق هنا لا يتنافى مع ما سنذكره من أنّ البساطة والسذاجة و الظاهرية كانت سمة من سماتهم.

٢. ابن هشام: السيرة النبوية ۴/۴٩۶. ابن الاثير: الكامل ٢/١٨۴. ورواه البخارى فى باب «المؤلفة قلوبهم على وجه التفصيل، فمن أراد فليرجع إلى صحيحه». (٧۴) تحليل لكارثة التحكيم: إنّ هناك أسئلة تطرح نفسها ونحن نجيب عنها مستندين إلى متون الروايات الواردة حولها: الأوّل: لماذا اغتر المحكّمة بظواهر الأمر وزعموا أنّ رفع المصاحف على رؤوس الأسنّة لأجل اللجوء إلى القرآن، واجراء حكمه بين الطرفين، مع أنّ عليّاً وكثيراً من أصحابه نبّههم على أنّ ذلك خدعة ومكيدة. والجواب: انّ الذى حملهم على قبول التحكيم فى بادىء ذى بدء أمران: ١ ـ إنّ الخسارة البشرية الفادحة التى ألحقتها الحرب بالعراقيين (مع أنّ خسائر الشاميين كانت أكثر) كانت عاملاـ نفسيّاً مهمّاً لقبول التحكيم ودافعاً لهم إليه وفى كلام الإمام على ـ عليه السَّلام ـ اشارة إلى ذلك: قال ابن مزاحم: ذكروا أنّ الناس ماجوا وقالوا: أكلتنا الحرب وقتلت الرجال، وقال قوم: نقاتل القوم على ما قاتلنا هم عليه أمس، ولم يقل هذا إلّا قليل من الناس، ثم رجعوا عن قولهم مع الجماعة وثارت الجماعة بالموادعة فقام على أميرالمؤمنين فقال: «إنّه لم يزل أمرى معكم على ما أحبّ إلى أن أخذت منكم الحرب، لقد والله أخذت منكم وتركت، وأخذت من عدوّكم فلم تترك، وانّها فيكم أنكى وأنهك....وقد أحببتم البقاء وليس لى أن أحملكم على ما تكرهون»(١) . ولعل النجاشى يشير إلى ذلك العامل فى قصيدته إذ يقول: غشيناهم يومَ الهرير بِعُصبة * يمانيّة كالسيل سيل عِرانِ فأصبح أهل الشام قد رفعوا القنا * عليها كتاب الله خير قرآن ــــــــــــــــــ

١. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۵٣ ـ ۵۵۴ . (٧۵) ونادوا(١): عليّاً، يا ابن عمّ محمّد * أما تتقى أن يهلك الثقلان فمن للذرارى بعدها ونسائنا * ومن للحريم أيّها الفَتَيان (٢) ٢ – إنّ البساطة والسذاجة من الاُمور التى تسود أهل البادية حيث لا يملكون الوعى الفكرى والتجربة الإجتماعية، وجلّ القبائل التى كانت تحارب تحت لواء علىّ من القاطنين فى البادية غير متمدّنين، فطبيعة عيشهم هو الصدق والصفاء والإيمان بظواهر الاُمور دون أن يتعمّقوا فيها لمعرفة ما يدور خلف الستار من خفايا، ولأجل ذلك اغترّوا بظاهر الأمر وزعموا أنّ رفع المصاحف على الأسنّة لأجل الاستظلال فى ظلّه والعيش تحت رايته. غير أنّ الإمام والواعين من قادة جيشه علموا أنّ خلف هذا العمل مؤامرات وتفرّسوا بأنّ وراء هذا ليس إلّا الفتنة، ولأجل ذلك لمّا بعث على ـ عليه السَّلام ـ أحد النخعيين إلى الأشتر لإيقاف الحرب ورجوعه إلى معسكر الإمام، فسأله الأشتر عن سبب الفتنة، وقال: «ألِرَفع هذه المصاحف؟» قال نعم، قال: أما والله لقد ظننت أنّها حين رفعت ستوقد اختلافاً وفرقة(٣). ٣ ـ إنّ عيشة القوم كانت عيشة قبيلة والنظام القبلى يفرض على كافة أفراد القبيلة، الطاعة العمياء لرئيسها فإذا أصحر الرئيس بالرأى، فالباقون بحكم الأغنام يتبعونه من دون تفكّر ووعى، ولمّا كان فى جيش على ـ عليه السَّلام ـ رؤوس البطون، وخضعوا للتحكيم، لم يبق مجال لغيرهم فى القبول والرفض، ولأجل ذلك صار التحكيم فرضاً من جانب عشرين ألفاً مقنّعين بالحديد، ومن البعيد جداً أن يكون حكم كلّ واحد من هؤلاء صادراً عن وعى و إمعان. ــــــــــــــــــ

١. يعنى أهل العراق .

٢. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۶٠٢ .

٣. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۶٢ . (٧۶) الثانى: لماذا رجعوا عن التحكيم بعد فرضه على على ـ عليه السَّلام ـ ؟: إنّ القوم لم يكونوا أهل فكر واجتهاد، وماكانوا يصدرون عن مبدأ عقلى فى المواقف الصعبة والحَرِجة، فكما أنّهم اغترّوا برفع المصاحف على الأسنّة، اغترّ الكثير برأى بعض القرّاء حيث ردّ التحكيم بقوله سبحانه: (اَن الحُكْم إلاّ لِلّه). قال ابن مزاحم: إنّ الأشعث خرج فى الناس

بـذلك الكتـاب يقرأه على النـاس ويعرضه عليهم ويمرّ به على صـفوف أهـل الشـام، ورايـاتهم، حتى مرّ برايات عنزة فقرأه عليهم. قال فتيان منهم: لا حكم إلاّ لله، ثمّ حملا على أهل الشام بسيوفهما (فقاتلا) حتى قتلا على باب رواق معاوية، وهما أوّل من حكم (أى أنكر مبـدأ التحكيم) ثم مرّ بها على مراد فقال صالـح بن شـقيق وكان من رؤسائهم: ما لعلى فى الـدماء قـد حكم * لو قاتل الأحزاب يوماً ما ظلم لا حكم إلاّ لله ولو كره المشركون. ثمّ مرّ على رايات بنى راسب فقرأها عليهم، فقالوا: لا حكم إلاّ لله ولا نرضى ولا نحكّم الرجال فى دين الله، ثم مرّ على رايـات بنى تميم فقرأهـا عليهم، فقـال رجـل منهم: «لاـ حكم إلاّ لله، يقضـى بالحق وهو خير الفاصـلين» وخرج عروة بن اُديَّة فقال: أتحكّمون الرجال فى أمر الله؟ لا حكم إلاّ لله: فأين قتلانا يا أشعث؟(۱). فزعموا أوّلا: أنّ حكم الله مضى فى معاوية وأصحابه أن يقتلوا أويدخلوا فى حكمهم وانّ إيقاف الحرب والتنازل إلى الموادعة خلاف حكم الله ________________

۱. نصـر بن مزاحم: وقعة صـفّين ۵۵۸. وجـاء فى ذيـل كلامه انّ هؤلاء المخالفين أوبعضـهم كانوا من المصـرّين على التحكيم فى بـدء الأمر وانّما رجعوا عن فكرتهم عند عرض الكتاب. (۷۷)

سبحـانه. ثانيـاً: انّ هـذا تحكيم للرجـال فى دين الله، وهو يضادّ النصّ الصـريح فى الـذكر الحكيم أعنى قوله تعالى: (اَن الحُكْم إلاّ لِلّه) وكلا الوجهين موجود ان فى كلامهم يوم حاولوا فرض نقض الميثاق وطلبوه من على ـ عليه السَّلام ـ يقول ابن مزاحم: فنادت الخوارج فى كلّ ناحية: لا حكم إلاّ لله، لا نرضـى بأن يحكّم الرجال فى دين الله. قد أمضـى الله حكمه فى معاوية و أصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا فى حكمنا عليهم(۱). ثالثاً: زعموا أنّ قبول التحكيم يستلزم أنّهم كانوا ضالّين فى نضالهم وجهادهم ضـد معاويـة طيلة شـهور، ونتيجة ذلك أنّ ما اُريقت منهم من الـدماء، وما قدموا فى ذلك الطريق من الشـهداء كانت على غير وجه الحق ولأجل ذلك لمّا قرأ الأشـعث صحيفـة الصـلح على تميم، قـالوا: أتحكّمون الرجال فى أمر الله لا حكم إلاّ لله، فأين قتلانا يا أشـعث(۲) . رابعـاً: قالوا: إنّك نهيت عن الحكومـة أوّلاـ ثم أمرت بهـا ثانيـاً، فـإن كانت قبيحـة كنت بنهيك عنها مصـيباً، وبأمرك مخطئاً، وإن كانت حسـنة كنت بنهيك عنها مخطئـاً وبـأمرك بهـا مصـيباً، فلابـد من خطئـك على كـلّ حال. هـذه الوجوه الأربعـة ممّا اغترّ به القوم، وأرادوا فرض نقض التحكيم والميثاق على على ـ عليه السَّلام ـ وهى تكشف عن بساطة القوم فى المقام، وإليك تحليل كل واحد من هذه الوجوه: أمّا الوجه الأوّل: فإنّه وإن كان قد مضى حكم الله فى معاوية وأصحابه أن ________________

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۹۴ .

۲. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۸۸ . (۷۸)

يقتلوا أو يـدخلوا فى حكم الإمـام المفترض طـاعته، وكـان الواجب على الإمـام محاربتهم حتى تتحقّق احـدى الغايتين ولكن التكليف بالمحاربـة، مرهون بالقـدرة وعـدم المانع من تحقيق التكليف، والقوم سـلبوا القدرة عن الإمام القائد، حيث جاءوا إليه فى عشـرين ألفاً مقنّعين فى الحديـد، شـاكى سيوفهم على عواتقهم يـدعونه باسـمه ويقولون: أجب إلى كتاب الله إذ دعيت إليه، وإلاّ قتلناك كما قتلنا ابن عفـان، فوالله لنفعلنّها إن لم تجبهم. أفى هـذا الموقف الحرج يتصوّر أن تكون المحاربـة تكليفاً شـرعيّاً على الإمام أو يكون الحكم مرفوعاً بارتفاع قدرته على مواصـلة الحرب، إذ كانت نتيجة مواصـلة الحرب هو قتل الإمام أوتسليمه إلى العدّو مكفوف اليدين، ولكان الذل والوهن عندئذ أكبر وأفدح. نعم، رجعت القدرة إلى الإمام بعد ندامتهم على التحكيم واسـتعدادهم لمواصـلة الحرب بعد الصـلح وأخـذ المواثيق، ولكن كـانت النـدامـة فى غير محلّهـا ونـدموا ولم ينفعهم النـدم حيث ضـاعت الفرصـة الذهبيـة، إذ كما أنّ من حكمه سبحانه مواصـلة حرب الطغاة وقـد نطق بها الذكر الحكيم، كذلك الايفاء بالمواثيق، واحترام العقود والعهود من أحكام القرآن والسـنّة المطهرّة. ولأجل ذلك أجاب على عن اصـرارهم على مواصـلة الحرب بقوله: «ويحكم، أبعـد الرضا والميثاق والعهد نرجع؟ أوليس الله تعـالى قال: (اُوفُوا بالعقودِ) وقال: (وَ أوفُوا بِعَهْـدِ اللهِ اذا عاهَـدْتُمْ وَ لا تَنْقُضُوا الأيمانَ بَعْـدَ تَوْكيـدَها وَ قَدْجَعَلْتُمْ الله عَلَيْكُمْ كفيلا انّ الله يَعْلَمُ ما تَفْعَلُونْ)(۱) . ولكن القوم كانوا بعيدين عن المنطق، قريبى القعر، سـمعوا أدلّة الإمام ولم يجيبوا عنها بشـىء إلاّ بتضليله والبراءة منه.وسوف نرجع إلى تحليل هذا ________________

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۸۹. (۷۹)

الوجه عند البحث عن الاباضيّة. وأمّا الوجه الثانى: أعنى كون هذا تحكيماً للرجال فى دين الله: وهو خطأ. إنّ الإمام وأصحابه لم يحكّموا الرجال فى دين الله بل حكّموا القرآن والذكر الحكيم فيما اختلفوا فيه ولكن القرآن شجرة يانعة وحجة صامتة لا تجتنى ثمرته ولا ـ يعلم مقاصده إلّا بمن ينطقه وإلى ذلك يشير الإمام فى بعض خطبه: «إنّا لم نحكّم الرجال وإنّما حكّمنا القرآن، هذا القرآن انّما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولابدّ له من ترجمان، وانّما ينطق عنه الرجال، ولمّا دعانا القوم إلى أن نحكّم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولّى عن كتاب الله سبحانه وتعالى، وقد قال الله سبحانه: (فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فى شىء فَرُدُّهُ إلى اللهِ وَ الرسول) فردّه إلى الله أن نحكم بكتابه، وردّه إلى الرسول أن نأخذ بسنّته، فإذا حكم بالصدق فى كتاب الله فنحن أحق النّاس وأولاهم بها»(۱). وفى كلام آخر له: «فانّه حكم الحكمان ليُحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن، وإحياؤه الاجتماع عليه، وإماتته الافتراق عنه، فإن جرّنا القرآن إليهم، اتبعناهم، وإن جرّهم إلينا اتبعونا، فلم آت ـ لا أباً لكم ـ بُجراً ولا خَتلْتكم عن أمركم، ولا لبّستُه عليكم، انّما اجتمع رأى مَلَئكم على اختيار رجلين أخذنا عليهما ألّا يتعدَّيا القرآن (۲). وقد جاء فى نفس الميثاق الذى أملاه على التصريح بأنّ الحكم هوالقرآن، وانّ دور الحكمين هو انطاق القرآن فى محلّ النزاع وقد جاء فى ________________

۱. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۵.

۲. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۷. (۸۰)

الميثاق قوله: «وان كتاب الله سبحانه وتعالى بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيى ما أحيا القرآن ونميت ما أمات القرآن فان وجد الحكمان ذلك فى كتاب الله اتّبعناه، وإن لم يجداه أخذا بالسنّة العادلة غير المفرقة»(۱). وبعد هذه الكلم الواضحة، المعربة عن حقيقة الحال، كان اصرارهم على نقض الميثاق صادراً عن جهل وعجز فى الرأى. وأمّا الوجه الثالث: أى أنّه يستلزم من قبول التحكيم كونهم ضالّين فى نضالهم وجهادهم طيلة شهور، وانّ الدماء التى اُريقت، انّما اُريقت فى غير وجه الحق، فهو أوهن من الوجهين السابقين، وذلك لأنّه سبحانه كما أمر بالقتال والنضال فى كتابه وقال: (قاتِلُوا الَّذِيْنَ لا يُؤْمِنُونَ بِالله وَ لا بِالْيَوْمِ الآخِرِ....)(۲). وقال سبحانه: (وَقاتِلُوهُمْ حَتّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِينُ كَلُّهُ لله...)(۳) كذلك أمر بالصلح والسلم فى غير واحد من آياته، وقال: (وَان جَنَحُوْا لِلسَّلْمِ فَاْجْنَحْ لَها وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ....)(۴) وقال سبحانه: (وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ المُؤمِنِينَ اقْتَتَلُوْا فَاَصْلِحُوْا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْدِيهُما عَلَى الأُخْرى فَقاتِلُوا التِى تَبْغِى حَتّى تَفِىء إلَى أمْرِ الله فَإِنْ فَآتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بالْعَدْلِ ________________

۱. الطبرى: التاريخ ۴/۳۸.

۲. التوبة: ۲۹.

۳. الأنفال: ۳۹.

۴. الأنفال: ۶۱. (۸۱) وَأَقْسِطُواْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)(۱) الصلح والايقاف ليسا دليلا على أنّ الدماء الّتى اُرقيت إنّما اُرقيت فى غير وجه الحق، وعلى ذلك فكل من الحرب والصلح، والنضال والموادعة حكم من أحكام القرآن، يطبّق كل فى مورده وذلك حسب مايراه الحاكم الإسلامى وعلى ذلك جرت سيرة الرسول الأكرم، فقد ناضل قريشاً فى بدر واُحد وقاتلهم فى الأحزاب، وقد اُريقت من دماء المسلمين مالايستهان بها، ومع ذلك فقد صالح قريشاً فى الحديبية، وكتب بينه وبينهم ميثاق الصلح على ما مرّ الإيعاز إليه فى كلام على ـ عليه السَّلام ـ حتّى انّ قريشاً أبوا أن يكتب «رسول الله» إلى جانب اسمه، وألزموه بتجريد اسمه عن الرسالة كما أبى معاوية وعمروبن العاص إلاّ ـ أن يكتب اسم علىّ مجرّداً عن الإمارة، فكان فى ذلك اقتداء بالنبى، فالدماء التى اُرقيت فى ساحات القتال إذا كانت لوجه الله فلا تنقلب عمّا عليه، وأصحابها شهداء، أحياء عند ربهم يُرزقون، ولا يأبى ذلك أن يصالح القائد الإسلامى إذا اقتضت المصلحة لظروف مختلفة، مع العدو وكلا الحكمين حكم الله. وأمّا الوجه الرابع: فقد أجاب عنه الإمام بعد ما قام إليه رجل من أصحابه فقال: نهيتنا عن الحكومة ثمّ أمرتنا بها فلم ندر أىّ الأمرين أرشد؟ فصفق ـ عليه السَّلام ـ إحدى يديه على الاُخرى ثم قال: «هذا جزاء

من ترك العُقْدة(۲) أما والله لو انّى حين أمرتكم به، حملْتُكم على المكروه الذى يجعل الله فيه خيراً، فان استقمتم هديتكم، وإن اعوججتم قوّمتكم، وإن ابيتم تداركتم، لكانت الوثقى، ولكن بِمَنْ وإلى مَنْ؟ اُريد أن ـــــــــــــــــ

۱. الحجرات: ۹ .

۲. العقدة: الرأى الوثيق. (۸۲)

اُدواى بكم وأنتم دائى»(۱) . أقول: إنّ القوم كانوا بُعَداء عن التفكير الصحيح فزعموا أنّ هنا تناقضاً فى الرأى، مع أنّه لا منافاة بينهما بعد فرض اختلاف ظرف الحكمين، ففيما كان الإمام قائداً مُطاعاً، كان الحق هو مواصلة الحرب، ولذاك كان يصرّ على المواصلة، وعند ما عُصِىَ، وخُولِفَ، لم يكن بدّ من التنازل إلى الحكم ألآخر، فلا الإيقاف يبطل حكم القتال وأجر الشهداء ولا الحكم بالقتال يلازم بطلان الهدنة وعدم صحّته إذا اقتضت المصلحة ذلك وفقاً لا ختلاف الظروف. * * * ـــــــــــــــــ

۱. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۱ . (۸۳)

الفصل الرابع تحرّكاتهم السياسيّة بعد مبدأ

الفصل الرابع تحرّكاتهم السياسيّة بعد مبدأ التحكيم (۸۴) (۸۵) لمّا تمّت الإتفاقية، وشهد عليها شهود، وقُرأت على الناس، انسحب معاوية إلى جانب الشام، وتوجّه الإمام نحو الكوفة مع جيشه وأصحابه ورافقه المعترضون على التحكيم الذين عرفوا بالمحكِّمة، فدخل الإمام الكوفة دار هجرته وامتنعت المحكِّمة عن الدخول، وذهبوا إلى قرية «حروراء» كما ذهب قسم منهم إلى معسكر نخيلة اعتراضاً على علىّ وحكْمِهِ. وقد أعربوا بعملهم هذا أنّهم متخلِّفون عنه، وعن أوامره، وخارجون عن طاعته، ولقد كان لهم ألوان متفاوتة فى مخالفتهم ولكن الجميع يشتركون فى كونها ردود فعل لما آل له التحكيم ونذكر أبرزها: ۱ ـ التظاهر ضد على ـ عليه السَّلام ـ بقولهم «لا ـ حكم إلاّ ـ لله» فى المسجد وخارجه خصوصاً عند قيام الإمام بالقاء الخطب. ۲ ـ تكفير علىّ ـ عليه السَّلام ـ وأصحابه الذين وفوا بالميثاق. ۳ – تأمين أهل الكتاب وارهاب المسلمين وقتل الأبرياء. وأمّا ما قام به الإمام فى مقابل هذه المواقف فكلّها ينبع عن عطفه وحنانِه على الأعداء وصبره الجميل تجاه المآسى، وإليك بيانه: (۸۶) ۱ – قام علىّ ـ عليه السَّلام ـ بتبيين موقفه من كتاب الصلح وانّه ما أمضاه إلاّ باصرار منهم وإرهاب ضدّه. ۲ – التعامل معهم كسائر المسلمين فى الجوائز والعطايا. ۳ ـ بعث شخصيات كبيرة لهدايتم، وارجاعهم عن غيّهم. ۴ – محاولة أخذ الثأر من قتلة عبدالله بن خباب بن الارت وزوجته عندما قتلا بايدى سفلة الخوارج وإليك بيان الجميع: الف ـ التظاهر ضدّ علىّ ـ عليه السَّلام ـ: روى الطبرى: «لمّا وقع التحكيم ورجع علىّ من صفيّن، رجعوا متباينين له، فلمّا انتهوا إلى النهر أقاموا به، فدخل علىّ فى الناس الكوفة ونزلوا بحروراء وبعث إليهم عبدالله بن عباس فرجع ولم يصنع شيئاً، فخرج إليهم علىّ فكلّمهم(۱) حتى وقع الرضى بينه و بينهم، فدخلوا الكوفة، فأتاه رجل فقال، إنّ النّاس قد تحدّثوا أنّك رجعت لهم عن كفرك، فخطب الناس فى صلاة الظهر فذكر أمرهم فعابه، فوثبوا من نواحى المسجد يقولون: لا ـ حكم إلاّ ـ لله، و استقبله رجل منهم واضعاً إصبعه فى اذنيه، فقال: «وَلَقَدْ أوحى إلَيْكَ وإلى الَذينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ اَشْرَكْتَ لَيُحْبِطَنَّ عَمَلكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرين». فقال علىّ: «فاصْبِرِ إنَّ وَعَدالله حقُّ ولا يَستَخفنّك الذين لا يوُقِنون»(۲). وبالى ورد فى بعض المصادر: انّ الرجل صاح بالآية و الإمام فى اثناء الصلاة، فأجابه الإمام بتلاوة الآية التى عرفتها. ـــــــــــــــــ

۱. سيوافيك ما تكلم به معهم فى خاتمة المطاف .

۲. الطبرى: التاريخ ۴/۵۴ . (۸۷) ب ـ تكفير علىّ و أصحابه: أكبر كلمة كانت تصدر من أفواه الخوارج هو تكفير علىّ لأجل قبول التحكيم وكأنّه خطيئة وارتكاب الخطيئة عندهم كفر، كما هو أحد اُصولهم التى نبحث عنها عند عرض عقائدهم، ويكفى فى ذلك ما نقله الطبرى فى مذاكرة على مع حرقوص بن زهير السعدى، وزرعة بن برج الطائى ومرّ النصّ فى أوّل الفصل السابق. وإلى هذا يشير الإمام فى بعض كلامه حيث قال لهم: «أصابكم حاصِب(۱) ولابقى منكم آبِر(۲)، أبعد إيمانى بالله، وجهادى مع رسول الله ـ صلّى الله

عليه وآله وسلم ـ أشْهَدُ على نفسى بالكفر؟ لقد ضللت اذاً وما أنا من المهتدين، فاوبوا شرّمآب، وارجعوا على أثر الأعقاب، أما انّكم ستلقون بعدى ذلّاً شاملا و سيفاً قاطعاً وإثرة(۳) يتخذها الظالمون فيكم سنّة»(۴). ج ـ قتل الأبرياء: و المدهش من أخبارهم انّهم كانوا يقتلون المسلمين ويجيرون المشركين و أهل الكتاب. روى المبّرد فى كامله: إنّ القوم مضوا إلى النهروان، وقد كانوا أرادوا المضى إلى المدائن فأصابوا فى طريقهم مسلماً و نصرانياً، فقتلوا المسلم، لأنّه عندهم كافر، إذكان على خلاف معتقدهم، واستوصوا بالنصرانى وقالوا: ——————

۱. الحاصب: الريح الشديدة التى تثير الحصباء .

۲. الآبر: الذى يأبّر النخل أى يصلحه .

۳. الاثرة: الاستبداد عليهم بالفئ و الغنائم، قال: النبى للأنصار:«ستلقون بعدى إثرة فاصبروا حتى تلقونى» .

۴. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۵۸. (۸۸)

احفظوا ذمّة نبيّكم. قال المبّرد: وحدثت أنّ واصلَ بن عطاء أقبل فى رفقة فاحسُّوا بالخوارج، فقال واصل لأهل الرفقة: إنّ هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعونى وإيّاهم، وكانوا قد أشرفوا على العطب. فقالوا: شأنّك، فخرج إليهم، فقالوا: ما أنت و أصحابك فقال: قوم مشركون مستجيرون بكم ليسمعوا كلام الله، ويفهموا حدوده. قالوا: قد أجرناكم، قال: فعلِّمُونا، فجعلوا يعلِّمُونَهم أحكامَهم، ويقول واصل: قد قبلت أنا ومن معى. قالوا: فامضوا مصاحبين فقد صرتم اخواننا. فقال: بل تبلغوننا مأمننا. لأنّ الله تعالى يقول:«و إنْ إحدٌ مِنَ المُشْرِكِينَ استَجارَكَ فَأَجِرْهُ حتى يَسمَعَ كلامَ الله ثُمَّ اَبْلِغْه مأْمَنَهُ»(۱) فنظر بعضهم إلى بعض، ثم قالوا: ذاك لكم، فصاروا معهم بجمعهم حتّى ابلغوهم المأمن(۲). ومع ذلك قتلوا عبدالله بن خباب بن الارت ـ كما سوافيك بيانه فى الفصل القادم ـ وبقروا بطن زوجته المتم. وأمّا السياسة الحكيمة التى مارسها الإمام ازاء أعمالهم قبل تحركاتهم العسكرية فقد وقفت على رؤوسها، وإليك الإيعاز إليها ثانياً ليقع مقدمة للشرح والتبيين. ۱ – تبيين موقفه فى مسألة التحكيم، وانّه لم يكن راضياً به وفرض عليه بارهاب. ۲ – التعامل معهم كسائر المسلمين. ——————

۱. التوبة: ۶ .

۲. المبرّد: الكامل ۲/۱۲۲ مكتبة المعارف بيروت، و ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۲/۲۸۱، و المبرد متهم ـ عند ابن أبى الحديد ـ بالميل إليهم، و لكنا سبرناكامله، فلم نر شيئاً يدلّ عليه، غير انّه سرد تاريخهم و فى بعض الموارد طعن بهم. (۸۹) ۳ – بعث الشخصيات لارجاعهم عن غيّهم. و إليك بيان كل ذلك. ۱ – الإمام يبيّن موقفه من التحكيم: قام الإمام بتبيين موقفه فى مسألة التحكيم وانّه لم يكن ضلالا فى نفسه ولاـ كان الإمام مخادعاً، فقال فى بعض كلماته: «فلم آت لاـ أباً لكم بُجْراً، ولاـ خَتَلْتُكم عن أمركم، ولاـ لبّستُه عليكم، و إنّما اجتمع رأى مَلَئِكُم على اختيار رجلين...»(۱). هذا نموذج من كلماته حول التحكيم حيث بيّن فيها موقفه فى هذه المسألة و انّه كان طبق الكتاب و السنّة فلنكتف بذلك و لنرجع الى ما بقى من السياسة الحكيمة التى مارسها معهم. ۲ – التعامل معهم كسائر المسلمين: تعامل الإمام مع الخوارج كسائر المسلمين ولم ينقص من حقوقهم شيئاً مادام لم يشنّوا الحرب عليه، روى الطبرى عن كثير الحضرمى قال: قام علىّ فى الناس يخطبهم ذات يوم، فقال رجل من جانب المسجد: لا حكم إلّا لله، و قام آخر فقال مثل ذلك، ثم توالى عدّة رجال يحكمون، فقال علىّ: الله أكبر كلمة حقّ يراد بها باطل أما انّ لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، و لانمنعكم الفىء مادامت أيديكم مع أيدينا، ولانقاتلكم حتّى تبدؤنا، ثمّ رجع إلى مكانه الذى كان من خطبته(۲) ——————

۱. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۷.

۲. الطبرى: التاريخ ۴/۵۳ . (۹۰) ۳ – بعث الشخصيات لإرجاعهم عن غيّهم: قام الإمام بإرسال أكابر أصحابه رجاء هداية بعضهم، فبعث عبدالله بن عبّاس الى معسكرهم فجرى بينه و بينهم مفاوضات ذكرها المؤرّخون، قال المبرّد: إنّ أميرالمؤمنين لمّا وجّه إليهم

عبـدالله بن عبّاس ليناظرهم قال لهم: ما الذى نقمتم على أميرالمؤمنين، قالوا له: قد كان للمؤمنين أمير، فلمّا حكم فى دين الله خرج من الإيمـان، فليتب بعـد اقراره بـالكفر نَعُـدْ إليه، قـال ابن عباس: ما ينبغى لمؤمن لم يشب إيمانه بشك ان يقر على نفسه بالكفر، قالوا: إنّه حكّم، قال: إنّ الله أمر بالتحكيم فى قتل صـيد فقال: (يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدَل مِنْكُمْ)(۱) فكيف فى إمامة قد أشكلت على المسلمين؟ فقالوا إنّه حكم عليه فلم يرض، فقال: إنّ الحكومة كالإمامة، متى فسق الإمام وجبت معصـيته، و كذلك الحكمان لمّا خالفا نبذت أقاويلهما، فقال بعضـهم لبعض: اجعلوا احتجاج قريش حجّـة عليهم، فإنّ هـذا من الـذين قال الله فيهم (بَلْ هُمْ قَومٌ خَصِـمُونَ)(۲) وقال جلّ ثناءه: (وَلُتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً)(۳). إنّ حوار ابن عباس معهم كان حجّـة دامغـة فقـد احتجّ عليهم بالقرآن فما أجابوه بشـىء . والعجب انّهم كانوا يرون التحكيم على خلاف الكتاب و السنّة وانّ الرضا به بمنزلة الكفر، و مع ذلك كانوا يصـرّون على انّه يجب على الإمام أن يخضع لنتيجـة التحكيم، فإنّ الحكمين لمّا عزلاه عن مقام الحكومـة يجب عليه التنازل. فما هذا التناقض بين المبدأ والنتيجة، والتحكيم عندهم كفر وزندقة ولكن ______________

۱. المائدة: ۹۵ .

۲. الزخرف: ۵۸ .

۳. مريم: ۹۷ . (۹۱)

الأخـذ بنتيجته عين التوحيـد و التـديّن، كـل ذلـك يعرب عن وجود العمى فى القلوب و الصـمم فى الأسـماع . ثمّ انّ الإمام لم يكتف ببعث ابن عمه بل قام بنفسه بهـذا الأمر الخطير، فركب على ـ عليه السَّلام ـ إلى حروراء، فخاطبهم بقوله: ألا تعلمون أنّ هؤلاء القوم لمّا رفعوا المصـاحف، قلت لكم إنّ هـذه مكيـدة ووهن، و انّهم لو قصـدوا إلى حكم المصـاحف لآتونى وسألونى التحكيم؟ أفتعلمون أنّ أحـداً كـان أكره للتحكيم منّى؟ قـالوا: صـدقت، قـال: فهـل تعلمون أنّكم اسـتكرهتمونى على ذلـك حتى أجبتكم إليه، فـاشترطت أنّ حكمهما نافذ ما حكما بحكم الله، فمتى خالفاه، فأنا و أنتم من ذلك براء، و أنتم تعلمون أنّ حكم الله لايعدونى، قالوا: اللّهم نعم، قال: و كان معهم فى ذلك الوقت ابن الكواء (قال: و هـذا من قبل أن يـذبحوا عبدالله بن خباب، وانّما ذبحوه فى الفرقة الثانية بـ «كسـكره») فقـالوا له: حكمت فى دين الله برأينـا ونحن مقرّون بأنّا كنّا كفرنـا، و لكنّا الآن تـائبون فَأَقِرّ بمثل ما أقررنا به، وتب ننهض معك إلى الشام، فقال: «أما تعلمون أنّ الله تعالى قد أمر بالتحكيم فى شـقاق بين رجل وامرأته»، فقال سبحانه: (فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أهْلِهِ وحَكَماً مِنْ أهلِهآ) وفى صيد اصيب كأرنب يساوى نصف درهم فقال (يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْل مِنْكُمْ) . فقالوا له: فإنّ عمراً لمّا أبى عليك أن تقول فى كتابك: «هـذا ما كتبه عبـدالله على أميرالمؤمنين» محوت اسـمك من الخلافـة و كتبت «على بن أبى طالب» فقد خلعت نفسك، فقال: لى فى رسول الله ـ صـلّى الله عليه وآله وسلم ـ أسوة حين أبى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب: «هذا كتاب كتبه محمّد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسـلم ـ و سـهيل بن عمرو» وقال له: لو أقررت بأنّك رسول الله ما خالفتك، ولكنّى اُقدمّك لفضلك، فاكتب «محمّد بن عبدالله» (۹۲)

فقال لى: يا على، امح «رسول الله» فقلت: يا رسول الله لا تسخو نفسى على محو اسمك فى النبوّة فقال: ققنى عليه، فمحاه بيده، ثم قال: «اكتب محمّـد بن عبـدالله» ثم تبسّم إلىّ وقـال: يـا علىّ، أمـا أنّـك سـتسامُ مثلهـا فتعطى، فرجع معه منهم ألفـان من حروراء وقـد كانوا تجمّعوا بهـا فقال لهم على ـ عليه السَّلام ـ مانسـمّيكم؟ ثم قال: أنتم الحروريـة، لاجتماعكم بحروراء(۱). وللامام خطبـة اُخرى بيّن فيها شبهـة الخوارج و أجاب عنها بشـكل واضـح، فمن أراد فليرجع إلى «نهـج البلاغـة» (۲) هـذا بعض مـا مـارَسَه الإمام تجاه غيّهم و كلّها تكشف عن سـعة صـدره، وقوّة صبره، واخلاصه فى الدين، و لكّن القوم تمادوا فى طغيانهم و أعادوا فى خواتيم أمرهم، ما تظاهروا به فى بـدء غوايتهم، غير انّهم لم يكتفوا به فـأراقوا دمـاء طاهرة، فلم يكن بـدّ للامام من قطع مادة الفساد، فما قام بالمواجهـة المسلَّحة إلاّ بعدما بذل كل ما فى وسعه من النصح و الإرشاد، و بعد أن بلغ السيل الزبى، فردّ الحجر من حيث جاء. *** ______________

۱. المبرّد: الكامل ۲/۱۳۵-۱۳۶ ط مكتبة المعارف و له كلام معهم ذكره المبرّد أيضاً فى ۲/۱۵۶. نأتى به عند محاكمة الأشعث فانتظر،

ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۲/۲۷۴-۲۷۵.

۲. نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۷ .

الفصل الخامس موقف الإمام من رأى الحكمين

الفصل الخامس موقف الإمام من رأى الحكمين (۹۴) (۹۵) لقد صالح الامام معاوية و أوكل الأمر الى الحكمين فى ثلاثة عشر خلت من شهر صفر عام ۳۷ من الهجرة، و اتّفقا على أنّ الحكمين يجتمعان بدومة الجندل ليرفعا ما رفع القرآن، و يُخَفِضّا ما خفّض القرآن، وقد اجتمعا هناك فى شعبان ذلك العام، و كانت النتيجة أن خلع أبو موسى الإمام عن الخلافة، و نصب عمروبن العاص معاوية بن أبى سفيان إماماً للمسلمين، كل ذلك بخداع معروف فى التاريخ، حيث اتّفقا سرّاً على أن يخلعا علياً و معاوية عن الحكم حتى يولىّ المسلمون لأنفسهم والياً، ولمّا أرادا الإدلاء برأيهما خدع عمروبن العاص أباموسى الأشعرى فقال له: تقدَّم وأدل برأيك، فقال: يا أيّها الناس إنّا قد نظرنا فى أمر هذه الاُمّة فلم نرأصلح لأمرها، و لا ألمّ لشعثها من أمر قد جمع رأيى ورأى عمروعليه، و هو أن نخلع علياً ومعاوية و تستقبل هذه الاُمة الأمر فيولّوا منهم من أحبّوا عليهم، وانّى قد خلعت علياً و معاوية فاستقبلوا أمركم وولّوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلا، ثم تنحّى و أقبل عمروبن العاص فقام مقامه فحمدالله و أثنى عليه و قال: إنّ هذا قد قال ما سمعتم و خلع صاحبه و أنا أخلع صاحبه كما خلعه و اُثبِتُ صاحبى معاوية فإنّه ولى عثمان بن عفان(رضى الله عنه) (۹۶)

والطالب بدمه و أحقّ الناس بمقامه، فقال أبو موسى: مالك لا وفّقك الله غدرتَ و فجرت(۱)إنّما مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، قال عمرو: إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً، و حمل شريح بن هانى على عمرو فقنعه بالسوط و حمل على شريح ابن لعمرو فضربه بالسوط، و قام الناس فحجزوا بينهم، وكان شريح بعد ذلك يقول: ما ندمت على شيء ندامتى على ضرب عمرو بالسوط ألا أكون ضربته بالسيف آتياً به الدهر مأأتى، و التمس أهل الشام أباموسى فركب راحلته و لحق بمكّة، قال ابن عباس: قبّح الله رأى أبى موسى حذّرته و أمرته بالرأى فما عقل، فكان أبوموسى يقول: حذّرنى ابن عباس غدرة الفاسق ولكنّى إطمأننت اليه و ظننت أنّه لن يؤثِرَ شيئاً على نصيحة الاُمّة، ثم انصرف عمرو وأهل الشام الى معاوية وسلّموا عليه بالخلافة، ورجع ابن عباس و شريح بن هانى الى على ـ عليه السَّلام ـ و كان إذا صلّى الغداة يَقْنُتُ فيقول: اللّهمّ إلعن معاوية و عمراً و أباالأعور السلمى و حبيباً و عبدالرحمن بن خالد و الضحاكَ بن قيس و الوليد، فبلغ ذلك معاوية فكان اذا قنتَ لعن علياً و ابن عباس و الأشتر و حسناً و حسيناً. وزعم الواقدى انّ اجتماع الحكمين كان فى شعبان سنة ۳۸ من الهجرة(۲). لمّا بلغ علياً ماجرى بين الحكمين من الحكم على خلاف كتاب الله و سنّة رسوله و غدر عمروبن العاص و انخداع أبى موسى قام خطيباً، رافضاً ما حكم به الحكمان الجائران، وقال:

---

۱. هذا من الصحابة العدول عند القوم، فاقض ما أنت قاض فهذا الصحابى يصف زميله بالفجور و الغدر، و الجمهور يصفون الجميع بالتقى و العدل .

۲. الطبرى: ۴/۵۱-۵۲. و ما نقله عن الواقدى غير صحيح لما عرفت سابقاً: انّه كان اللازم على الحكمين الإدلاء برأيهما قبل انقضاء موسم الحج و قد اتفق الطرفان فى صفر عام ۳۷. فكيف يكون الاجتماع عام ۳۸؟. (۹۷) «الحمدلله و إن أتى الدهر بالخطب الفادح، و الحدث الجليل، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له، ليس معه إله غيره، و أنّ محمّداً عبده و رسوله، صلّى الله عليه». أمّا بعد: فإنّ معصية الناصح، الشفيق العالم، المجرَّب، تورث الحسرةَ، وتَعْقِبُ الندامة، وقد كنت أمرتكم فى هذه الحكومة أمرى، و نخلت لكم مخزون رأيى، لوكان يطاعُ لقصير أمر، فأبيتم علىّ اباء المخالفين الجفاة، و المنابذين العصاة، حتّى ارتاب الناصُح بِنُصحه، و ضنَّ الزنْدُ بقَدْحِه، فكنت أنا و إياكم كما قال أخو هوازن: أمرتكم أمرى بمنعَرَجِ اللّوى * فلم تستبينوا النصح إلاّ ضحى الغد(۱) صدق الإمام، انّ من الخطب الفادح، و الحدث الجليل، خلع صدّيق الاُمّة و أوّل من آمن برسالة النبى الأكرم و صدّق به و بات فى فراشه، دفعاً لريب

المنون، وجاهـد فی سبیـل الله بنفسه و نفیسه و شـهد المعـارک کلها إلّا تبوک، (و کان ذلک بأمر النبی)، الی غیر ذلک من فضائل و منـاقب و مـآثر جمّـهٔ اعترف بها الصـدیق و العـدّو و القریب و النائی . إنّه من المصائب العظام نصب معاویـهٔ بن أبی سـفیان الطلیق بن الطلیق، ابن آکلهٔ الأکباد، للخلافهٔ و الزعامهٔ الإسـلامیهٔ، و أنّی هو من الإسـلام، و هو ثمرهٔ الشـجرهٔ الخبیثهٔ الملعونهٔ فی القرآن، أو لیس هـذا من أدهی الـدواهی؟ ولإجل ذلک نری انّ الإمام یصف تلک الحادثـهٔ المریرهٔ، بالخطب الفادح و الحـدیث الجلیل. هـذا ما یرجع الی نفس الخلع و النصب وأمّـا ما کان یرجع الی الحکمین فکان علیهما قبل ادلاء الرأی فی حقّ علیّ و معاویـهٔ، دراسـهٔ الأسـباب التی أدّت ـــــــــــــ

۱. الرضی: نهج البلاغهٔ، الخطبهٔ ۳۵. (۹۸)

الی إشـعال نار الفتنهٔ و اراقهٔ الدماء الطاهرهٔ حیث أسـفرت حرب صـفین عن مقتل خمسهٔ وأربعین ألف نفر من جیش معاویهٔ، و شهادهٔ خمسهٔ و عشرین ألف نفر من جیش الإمام علی بن أبی طالب(۱) کلّ ذلک لأجل الأخذ بثأر شخص واحد، أفیصح فی میزان العدل و النصـفهٔ أن تزهق هـذه النفوس کلّها مقابل ذلک؟ فهل کان الأساس لشنّ الحروب علی علیّ ـ علیه السَّلام ـ هو حکم القرآن الکریم و السنّهٔ النبویّـهٔ؟ وهل هما یسوّغان لأخـذ ثأر انسان واحـد، ارتکاب تلک الجنایات الهائلـهٔ؟ أو أنه کان أخـذ الثأر واجههٔ لما یطمح إلیه معاویـهٔ من دفع الإمام عن مقامه و رکوبه منصّـهٔ الخلافـهٔ، أو إلجاء علیّ إلی ابقاء ابن الطلقاء فی المقام الـذی کان یُشْـغِلُه طیلـهٔ خلافهٔ الخلیفتین کمـا طلبه من الإمـام قبل الحرب و خلالها؟ کان علی الحکمین دراسـهٔ المواضـیع التالیـهٔ حتی یتبین من له الحق عمّن علیه و هی: ۱ ـ دراسـهٔ الأسـباب التی أدّت الی قتل الخلیفـهٔ عثمان، وهل کان هناک مبّرر لقتله أو لا؟ ۲ ـ إنّ قیادهٔ الإمام بعـد قتل عثمان هل کانت قیادهٔ قانونیـهٔ و شـرعیهٔ، حیث بایعه المهاجرون و الأنصار و تمت البیعـهٔ له فی مسـجد النبی الأکرم ـ صـلّی الله علیه وآله وسـلم ـ بمرأی و مسـمع من الناس من دون أیّ جبر و إکراه؟! و لم تکن هناک بیعهٔ أصلا، أو کانت البیعهٔ عن إکراه لاعن اختیار؟ ۳ـ اذا خرج البـاحث من دراسـهٔ الأمـر الثانی بأنّ قیادهٔ الإمام کانت قیادهٔ شـرعیهٔ هل کان هناک مبّرر لمعاویـهٔ لرفض بیعـهٔ المهاجرین و الأنصار، و تأخیر بیعته الی أن یقوم بأخذ الثأر، ویدفع الإمام إلیه قتلهٔ الخلیفهٔ و کأنّه هو الخلیفهٔ ـــــــــــــ

۱. نصربن مزاحم: وقعهٔ صفّین ۶۴۳. (۹۹)

ـ معاویهٔ ـ؟ و هل یکون معاویهٔ بعمله و رفضه و خروجه باغیاً علی الإمام المفترض طاعته و قد جاء حکم الباغی فی الذکر الحکیم(۱). أو کان علی معاویهٔ أن یدخل فی جماعهٔ المسلمین و لایشُق عصاهم بالتقاعس عنه، ثم یرفع الخصومهٔ الی صاحب البیعهٔ فیری رأیه. ۴ ـ اذا ثبت أنّ عثمان قتل مظلوماً فی عقر داره و انّه یجب أخـذ ثاره من قتلته، فعندئذ یقع الکلام فی أنّ أخذ الثار هل هو وظیفهٔ الخلیفهٔ أو وظیفـهٔ معاویـهٔ أو لا هذا ولا ذاک، و إنّما هو راجع الی ولد عثمان؟ ۵ ـ نفترض أنّ أخذ الثار وظیفهٔ الإمام، فهل کان ـ صـلوات الله علیه – قادراً علی تنفیـذ حکم القصاص أو کانت الظروف السائدهٔ لا تسـمح بذلک؟ ۶ ـ اذا کان طلحـهٔ و الزبیر فی نکث البیعهٔ، و فی اخراج زوجهٔ الرسول من بیتها ـ وقد امرت بالمکث فیه ـ وفی اخراج عامل الإمام من البصرهٔ و قتل حرسه الی غیر ذلک من الاُمور التی أدّت الی حرب الجمل، اذا کانا فی هـذه الاُمور معـذورین، مجتهدین، و ان کانا مخطئین، فهل یصحّ تبریر عمل قتلهٔ عثمان بالخطأ فی الاجتهاد أولا؟ ۷ ـ و علی فرض لزوم الاقتصـاص و رفض اجتهادهم فهل لخلیفـهٔ العصـر، العفو عن القصاص و ابـداله بالدیّـهٔ کما فعله عثمـان فی حقّ عبیـدالله بن عمر حین قتل هرمزان، و جفینـهٔ بنت أبی لؤلؤ بلا ذنب؟(۲). هذه هی المواضع الهامّهٔ التی کانت دراسـتها أمراً مفروضـاً علی الحکمین حتّی یخرجـا مرفوعی الرأس محیین ما أحیاه القرآن و ممیتین ما أمات، غیر أنّ الحکمین ـ یاللأسف – لم یَنْبسا فیها ببنت شفهٔ ومرّا علیها مرور اللئام و لکن ـــــــــــــ

۱. الحجرات: ۹ .

۲. الطبری: التاریخ ۳/۳۰۵. (۱۰۰)

لا ـ محیص للبـاحث المحقق عن قیمـهٔ رأی الحکمین من دراسـتها، ولأجـل ذلک نبحث عنها بإیجاز، حتّی یقف القاریء علی أنّ رأی

الحكمين كما وصف أمير المؤمنين كان خطباً فادحاً و اليك دراستها: إنّ دراستها على وجه التحقيق تحوجنا الى تأليف مفرد لايناسب وضع الكتاب، غير انّا نشير إليها إشارة عابرة، و نلمع إليها إلماعاً بسيطاً. أوّلا: قد تعرّفت على بعض الأسباب التى أدّت الى قتل الخليفة و الفتك به، و انّ الاستبداد بالرأى، و تسليط بنى أميّة على رقاب الناس، و تخصيص كميّة هائلة من بيت المال لأصحاب الترف و البذخ من أبناء بيته، و تسيير صلحاء الاُمّة من الصحابة و التابعين عن المدينة المنوّرة إلى منافيهم، و أخيراً تعدّى عمّاله و ولاته فى العراق و مصر على الطبقات الوسطى، و الفقيرة من المجتمع و.... كل هذه أدّت إلى انتشار السخط و الغضب على الخليفة و عُمّاله إلى أن جنى ثمرة عمله فقتل فى عقر داره وبين أبنائه و نسائه بمرأى و مسمع من المهاجرين و الأنصار، و هم بين مجهز عليه، و مؤلّب وراض و محايد. و القضاء فى مثل هذه المسألة من صلاحية لجنة عارفة بالكتاب و السنّة، واقفة على حياة الخليفة و ما قام به من الأعمال، و ما نقم عليه من الأفعال حتى تصدر ـ بعد سماع حجج الثائرين ـ عن مصدر قويم و مثل هذه المشكلة لا تحل عقدتها فى ساحة الحرب، بل فى جوّ هادئ، يكون القاضى فيه مستقّلا فى الرأى، و حرّاً فى التفكير و التعبير، و نحن لاندخل فى هذه المعركة الخطيرة، نترك القضاء فيها إلى تلك اللجنة الخبيرة و نعطف عنان البحث إلى الموضوع الثانى. ثانياً: إنّ من سبر التاريخ يقف على أنّ بيعة الإمام كانت بيعة شعبية جماهيرية، ولم يكن لها مثيل فى تاريخ الخلافة الإسلامية، فاذا قلت: لم يكن لها مثيل فى تاريخ الخلافة فإنّما اقولها عن بيّنة و دليل فإنّ الخليفة (۱۰۱)

الأوّل قد خرج عن السقيفة ببيعة لفيف من المهاجرين من الأنصار و تخلّف عن بيعته بنو هاشم و الخزرجيون عامة. كما انّ عمر بن الخطاب تسنّم منصة الخلافة بإيصاء من الخليفة و لم يكن هناك للناس أىّ رأى ولااختيار. و قد كانت خلافة عثمان بانتخاب الشورى التى عَيَّنَ أعضاءها الخليفة الثانى ولم يكن للمهاجرين و الأنصار أىّ نظر فى تعيين تلك الشورى . فإذا كان كلّ ذلك معطياً للخلافة، الصبغة القانونية، فبيعة المهاجرين و الأنصار عليّاً هاتفين بأنّهم لايختارون غيره و فيهم الرعيل الأول من صحابة الرسول و التابعين لهم بإحسان، أولى بأن تكون شرعية و قانونية. و اتّفق الباحثون عن كيفية انعقاد الامامة لرجل، على انّ بيعة أهل الحل و العقد من أهل المدينة حجّة على عامّة المسلمين. يروى الطبرى عن محمّد بن الحنيفة قال: كنت مع أبى حين قتل عثمان (رضى الله عنه) فدخل منزله فأتاه أصحاب رسول الله فقالوا: إنّ هذا الرجل قد قتل، ولابدّ للناس من إمام، ولانجد اليوم أحداً أحق بهذا الأمر منك، ولاأقدمَ سابقة ولاـأقرب من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فقال: لا تفعلوا، فإنّى أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتّى نبايعك، قال: ففى المسجد، فإنّ بيعتى لا تكون خفيّة، ولا تكون إلّا عن رضى المسلمين، قال: سالم بن أبى الجعد: فقال عبدالله بن عبّاس: فلقد كرهت أن يأتى المسجد مخافة أن يشغب عليه، فأبى هو الّا المسجد، فلمّا دخل، دخل عليه المهاجرون و الأنصار فبايعوه ثم بايعه الناس(۱). وقد حفظ التاريخ أسماء المتخلّفين عن بيعة على وهم نفر يسير لا يتجاوز ـــــــــــــــــــــــ

۱. الطبرى: التاريخ ۳/۴۵۰. (۱۰۲)

العشرة و هذا يدل على أنّ جوّ البيعة كان هادئاً حراً، ولم يكن هناك أىّ ضغط و إجبار، فبايعت الجماهير، و تخلّفت عدة قليلة كانت عثمانية الهوى كحسان بن ثابت، و كعب بن مالك، و مسلمة بن مخلد، وزيد بن ثابت، و النعمان بن البشير، و محمّد بن مسلمة، و رافع بن خديج، وفضالة بن عبيد، و كعب بن عجرة. يقول الطبرى: أمّا حسّان فقد كان شاعراً لا يبالى ما يصنع، وأمّا زيد بن ثابت فولاه عثمان الديوان و بيت المال فلمّا حصر عثمان قال: يا معشر الأنصار، كونوا أنصار الله مرتين، فقال أبو أيّوب: ما تنصره إلا انّه أكثر لك من العضدات، فأمّا كعب بن مالك فاستعمله على صدقة المدينة و ترك ماأخذ منهم له(۱) ولاأظن انّه يوجد على أديم الأرض انتخاب جماهيرى لقائد، لايوجد فيه مخالف شاذ يأبى عن البيعة لدوافع شخصيّة. وقد تعرفت فيما سبق على كلمات الإمام و نزيد فى المقام قوله مخاطباً طلحة و الزبير: والله ما كانت لى فى الخلافة رغبة، ولا فى الولاية إربة، ولكنّكم دعوتمونى إليها و حمّلتمونى عليها(۲). ثالثاً: إذا خرجنا بهذه النتيجة: إنَّ بيعة الإمام كانت بيعة شرعية قانونية أطبق عليها المهاجرون و الأنصار، فلأىّ مبّرر يرفض معاوية علىّ و يؤخّر البيعة و يرفع قميص عثمان مطالباً بالثار؟ ولأجل ذلك نرى الإمام يُنَدِّده و يبيّن موقفه من بيعته ويكتب اليه قائلا:

إنّه بايعنى القوم الـذين بايعوا أبابكر و عمر و عثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهـد أن يختار، ولاللغائب أن يرد، انّما الشورى للمهاجرين و الأنصار، فإن اجتمعوا على رجل و سـمّوه إماماً كان ذلک لله رضى، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعهٔ رَدّوه إلى ما خرج منه، ــــــــــــــــــ

١. الطبرى: التاريخ ٣/۴۵٢ .

٢. الرضى: نهج البلاغهٔ، الخطبهٔ ٢٠٠. (١٠٣)

فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولّى(١). رابعاً: لو خرج الباحث بهذه النتيجهٔ و هو أنّ عثمان قتل مظلوماً فى عقر داره، وأنّه يجب أخـذ ثأره من قَتَلِته، فلاشک انّ ذلک حقّ ولىّ الـدم، قال سـبحانه: (وَ منْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّه سُـلطَاناً فَلا يُسْـرِف فِى القَتْلِ إنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً)(٢) فهـل كـان معاويـهٔ ولىّ الـدم، أو أنّ ولىّ الـدم أولاـد المقتـول و إن نزلـوا. إنَّ معاويـهٔ حسـب المقـاييس الشـرعيهٔ لم يكن ولىّ الـدم و إنّمـا أوليـاؤه ولـده فلهم حق القصـاص، ولكن لاـ ينـالون حقّهم إلاّـ برفع الأمر الى المحكمهٔ الصالحـهٔ لتنظر فى أمرهم. ولو عجزت المحكمـهٔ، فلهم الاسـتنجاد بغيرهم، لاـ فى بـدء الأـمر، ولأجل ذلک نرى أنّ الإمام يُنـدّد بقيامه بأخذ الثأر ولايراه صالحاً لهذا الأمر ويكتب الى معاويهٔ: «زعمت أنّک انّما أفسد عليک بيعتى خطيئتى فى عثمان»: ولعمرى ما كنت إلاّ رجلا من المهاجرين أوْرَدْتُ كما أوردوا، وأصدرتُ كما أصدروا، و ما كان الله ليجمعهم على ضـلال، ولا ليضربهم بالعمى و بَعْد فما أنت و عثمـان، إنّمـا أنت رجـل من بنى أميّـهٔ، وبنو عثمـان أولى بمطالبـهٔ دمه، فإن زعمت أنّک أقوى على ذلک فادخل فيما دخل فيه المسـلمون، ثم حاكم القوم إلىّ(٣) . وفى لفـظ ابن قتيبـهٔ: أمّـا قولـک ادفع إلىَّ قتلـهٔ عثمان، فما أنت وذاک؟ وهاهنا بنو عثمان، و هم أولى بـذلک منـک، فـإن زعمت أنّک أقوى على طلب دم عثمان منهم فارجع الى البيعـهٔ التى لزمتک و حـاكم القوم إلىَّ(۴) . خامساً: إذا خرجنا بهذه النتيجهٔ، أنّ أخذ الثأر و إن كان حقّاً ثابتاً لأولياء ــــــــــــــــــ

١. الرضى: نهج البلاغهٔ قسم الكتب برقم ۶ وفى ذيل الكتاب إشارهٔ الى قوله سبحانه(و من يشاقق الرسول...)النساء: ١١۵ .

٢. الاسراء: ٣٣.

٣. المبرّد: الكامل ١/١٩۴ مكتبهٔ المعارف بيروت .

۴. ابن قتيبهٔ: الامامهٔ و السياسهٔ ١/٨٨ . (١٠۴)

الـدم، لكنّهم لاـيقومون بأخـذ حقّهم مباشـرهٔ، بـل اللازم عليهم رفع الشـكوى الى المحاكم الصالحـهٔ التى أقامها ولىّ المسـلمين أعنى الخليفـهٔ المفترض طاعته، وإلا فلو قام ولىّ الـدم بالقصاص و أخذ الحق مباشـرهٔ، لزم الفوضـى فى المجتمع، كما هو واضح لكلّ من له إلمام بالمسائل الاجتماعيـهٔ، فإذا كان هذا حقّاً ثابتاً للإمام، فهل كان الإمام قادراً على تنفيذ حكم القصاص فى حق اولئک الثائرين، أو كـانت الظروف لاتساعـد إجراء الحكم، ولاـ تعلم حقيقـهٔ الحـال إلاّ بدراسـهٔ الموضوع تاريخياً، فإنّه يشـهد على أنّ الثائرين لم يكونوا أشـخاصاً معيّنين، بل كانت هناک انتفاضهٔ شـعبيهٔ مختلطهٔ من الكوفيين والبصـريين والمصـريين، والمدنيين، وقد حاصـروا بيت الخليفهٔ قرابـهٔ أربعين يومـاً، ولـم يكن فى وسـع أصـحاب النبى رفـع هـذا الحصـار أو تقويضه إلى أن حـدثت حوادث مريرهٔ أدّت إلى الهجوم العنيف على داره، وقد بلغ المهاجمون من الكثرهٔ مالايحصيه أحد، ويعلم صـحّهٔ ذلک من الأمر التالى: إنّ أبا مسـلم الخولانى قام إلى معاويـهٔ فى اُنـاس من قرّاء أهـل الشام قبل مسـير أمير المؤمنين إلى صـفين فقالوا له: يا معاويـهٔ علامَ تقاتل عليّاً وليس لک مثل صـحبته ولاـهجرته ولاـقرابته ولاسابقته؟ قال معاويـهٔ لهم: مااُقاتل علياً وأنا أدعّى أنّ لى فى الإسـلام مثل صـحبته ولاهجرته ولاقرابته ولاسابقته ولكن خبّرونى عنكم: ألسـتم تعلمون أنّ عثمـان قتـل مظلومـاً؟ قـالوا: بلى. قـال: فلْيَـدَعْ إلينا قتلته، فنقتلهم به، ولا قتال بيننا و بينه. قالوا: فاكتب إليه كتاباً يأتيه به بعضـنا، فكتب إلى علىّ هذا الكتاب مع أبى مسلم الخولانى فقدم به على علىّ ثم قام أبومسلم خطيباً فحمدالله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد فإنّک قد قمت بأمر وتولّيته، والله ما أحبُ أنّه لغيرک، أن أعطيت الحق من نفسک، إنّ عثمان قتل مسـلماً، محرماً، مظلوماً، فادفع إلينا قتلته، و أنت أميرنا، فإن خالفک أحد من (١٠۵)

الناس كانت أيدينا لك ناصراً، وألسنتنا لك شاهداً، و كنت ذا عذر وحجة. فقال له على: اغدُ عَلىّ غداً، فخذ جواب كتابك، فانصرف ثم رجع من الغد ليأخذ جواب كتابه فوجد الناس قد بلغهم الذى جاء فيه، فلبست الشيعةُ أسلحتها ثم غدوا فملأوا المسجد و أخذوا ينادون: كلنّا قتل ابن عفان، وأكثروا من النداء بذلك، وأُذن لأبى مسلم فدخل على علىّ أميرالمؤمنين فدفع إليه جواب كتاب معاوية، فقال له أبومسلم: قد رأيت قوماً مالك معهم أمر. قال: وما ذاك؟ قال: بلغ القوم انّك تريد أن تدفع إلينا قتلة عثمان، فضجّوا و اجتمعوا و لبسوا السلاح و زعموا أنّهم كلّهم قتلة عثمان، فقال على: والله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفة عين، لقد ضربت هذا الأمر أنفه و عينيه، مارأيته ينبغى لى أن أدفعهم إليك ولاإلى غيرك.(۱) نحن نفترض انّ بعض من لبس السلاح فى هذه الواقعة لم يكونوا من المهاجمين، أوالمؤلّبين، أوالمجهزين، لكن تواجد هذه الكميّة الهائلة من المتبنّين لهذه الفكرة فى الكوفة، فضلا عن أبناء جلدتهم فى البصرة و المدينة، المؤيّدين المتفرقين فى بلادهم، يدلّ على أنّ المسألة صارت أزمة اجتماعيةً معقّدةً، ولم يكن الإمام متمكّناً من دفع من قام بالقتل إلى ولىّ الدم. ويعرب عن ذلك كلام الإمام للناكثين، فقد دخل طلحة و الزبير فى عدة من الصحابة، فقالا: يا علىّ إنّا قد اشترطنا إقامة الحدود، و إنّ هؤلاء القوم قد اشتركوا فى دم هذا الرجل وأحلّوا بأنفسهم، فقال لهم: يا اخوتاه، إنّى لست أجهل ما تعلمون، ولكّنى كيف أصنع بقوم يملكونا، ولا نملكهم، هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم، يسومونكم ما شاءوا، فهل ترون موضعاً لقدرة على شىء ممّا تريدون؟ قالوا: لا. قال: فلا، ـــــــــــــــــــــــ

۱. نصربن مزاحم: وقعة صفّين ۹۵-۹۷. (۱۰۶)

والله لا أرى إلاّ رأياً ترونه إن شاء الله(۱) . فعلى هذا فلم تكن للامام يوم بويع ولابعده ولا بعد شهور، أيّة مقدرة على القاء القبض على القاتلين، وإلاّ ـ لثارت تلك الجماهير على علىّ وخلافته الفتّية، وكانت المصيبة أعظم. سادساً: لاشكّ انّ طلحة و الزبير نكثا البيعة و أخرجا زوجة رسول الله من بيتها، وقد دخلوا البصرة بعنف وقتلوا حرس القصر، إلى غير ذلك من الاُمور التى لايشكّ فيها أىّ ملمّ بالتاريخ، ولكن القوم يذكرون الرجلين بخير و صلاح و يسترحمون عليهما و يرونهما من العشرة المبشّرة بالجنّة ولا يرون أعمالهم الإجرامية مخالفة لطهارتهما، ويبّررون أعمالهم بالاجتهاد كما يبرّرون به عمل معاوية و غيرهم من المجرمين الطغاة حتى عمل مسلم بن عقبة ذلك الطاغى الذى أباح أعراض نساء المدينة لجيشه ثلاثة أيّام. فلو صحّ ذلك التبرير فلماذا لايصحّ فى حقّ هؤلاء الذين هاجموا بيت الخليفة و أجهزوا عليه؟ فكانوا مجتهدين فى الرأى، مخطئين فى النتيجة، فلهم اُجر واحد، كما أنّ للمصيب أجرين؟. ولكن لانرى أيّة كلمة حول هؤلاء يبرّر بها عملهم، فما هذا التفريق بين المتماثلين؟ ولماذا تُقيَّمُ الاُمور بمكيالين. سابعاً: نقل المؤرّخون انّه لمّا قتل عمر، وثب عبيدالله بن عمر فقتل الهرمزان و ابنة أبى لؤلؤ، فلمّا بلغ الخبر عمر، قال: إذا أنا متّ فاسألوا عبيدالله البيّنة على الهرمزان، هل هو قتلنى؟ فإن أقام البيّنة فدمه بدمى، و إن لم يقم البيّنة فأقيدوا عبيدالله من الهرمزان، فلمّا ولى عثمان(رضى الله عنه) قيل له: ألا تمضى وصيّة عمر(رضى الله عنه) فى عبيدالله؟ قال: و من ولىّ الهرمزان؟ قالوا: ـــــــــــــــــــــــ

۱. الطبرى: التاريخ ۳/۴۵۸ (۱۰۷)

أنت يا أميرالمؤمنين قال: قد عفوت عن عبيدالله بن عمر(۱) . إنّى لا اُريد أن أحوم حول هذه القصّة، كيف وقد نقم به على الخليفة حيث عطّل القصاص إذ قتل عبيدالله رجلا يصلّى وصبية صغيرة، ومع ذلك عفى عنه الخليفة لسبب عاطفى أو غيره، فَلِمَ لا يجوز ذلك للامام على ـ عليه السّلام ـ وقد رأى انّ فى القَوَد مفسدةً عظمى على الاسلام و المسلمين؟ وانّ جبر دم الخليفة بالدية أصلح من القصاص و القود. هذه هى المواضيع الهامّة التى كانت من المفترض دراستها و القضاء فيها، ثم الخروج بنتيجة صحيحة عن الحكومة، غير انّ الحَكَمين جعلاها وراء ظهورهما، ولم ينبسا فيها ببنت شفة، بل كان هوى أبى موسى الأشعرى مع عبدالله بن عمر، و كان هوى عمرو بن العاص مع معاوية، فلنتعرف على عبدالله بن عمر، ثم عمروبن العاص: أمّا عبدالله بن عمر فكفى فى ضعف نفسه انّه لمّا ولّى الحجاج الحجاز من قبل عبدالملك بن مروان جاءه ليلا ليبايعه، فقال له الحجّاج ما أعجلك؟ فقال: سمعت رسول الله يقول: من مات بغير امام مات ميتة جاهلية (۲) فقال له: إنّ يدى مشغولة عنك، و كان يكتب، فدونك رجلى، فمسح على رجله و خرج، فقال

الحجاج: يا أحمق. تترك بيعة على بن أبى طالب و تأتينى مبايعاً فى ليلة؟ و ما هذا إلّا انّ الخوف من السيف جاءك إلى هنا(۳) . وأمّا عمرو، و ما أدراك ما عمرو؟ ذلك الانسان الذى عرّفه الامام بقوله: ـــــــــــــــــــ

۱. البيهقى: السنن الكبرى ۸/۶۱. ولاحظ الطبرى: التاريخ ۳/۳۰۳ .

۲. الهيثمى: مجمع الزوائد ۵/۲۱۸. الطيالسى: المسند ۲۵۹ وللحديث صور اُخرى .

۳. أبو جعفر الاسكافى: المعيار و الموازنة ۲۴. و ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۱۳/۲۴۲. عبدالله المامقانى: تنقيح المقال برقم ۶۹۸۹ . (۱۰۸)

متى لم تكن للكافرين وليّاً وللمسلمين عدوّاً(۱)، فكان هواه مع معاوية لموعدة وعدها إيّاه وهى ولاية مصر و قد تحدّث عنها المؤرّخون فى قصّة طويلة حيث قال معاوية له: وهلّم فبايعنى، فقال عمرو: لا ـ والله لا أعطيك من دينى حتى آخذ من دنياك. قال معاوية: سل، تعط، قال: مصر طعمة(۲). وروى ابن مزاحم قال: قال معاوية لعمرو: إنّى أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذى عصى ربّه، وقتل الخليفة وأظهر الفتنة وفرّق الجماعة وقطع الرحم. قال عمرو: إلى من؟ قال: إلى جهاد علىّ، قال: فقال عمرو: والله يا معاوية ما أنت وعلى بعكمى بعير، مالك هجرته ولاسابقته، ولاطول جهاده، ولا فقهه، ولا علمه، والله إنّ له ذلك حدّاً وجدّاً و حظّاً و حُظوةً، وبلاءاً من الله حسناً، فما تجعل لى إن شايعتك على حربه، وأنت تعلم ما فيه من الغرر و الخطر؟ قال: حكمك. قال: مصر طعمة، قال: فتلكّأ عليه معاوية. قال نصر: وفى حديث آخر، قال: قال له معاوية: يا أباعبدالله، إنّى أكره أن يتحدّث العرب عنك انّك إنّما دخلت فى هذا الأمر لغرض الدنيا. قال: دعنى عنك. قال معاوية: إنّى لو شئت أن اُمنّيك وأخدعك لفعلت. قال عمرو: لا لعَمرالله، ما مثلى يخْدَع، لأنا أكيس من ذلك. قال له معاوية: اُدن منِّى برأسك اُسارّك. قال: فدنامنه عمرو يسارُّه. فعضَّ معاوية اُذنه و قال: هذه خدعة، هل ترى فى بيتك أحداً غيرى وغيرك؟(۳) . قال ابن أبى الحديد بعد هذا: «قلت: قال شيخنا أبو القاسم البلخى(رحمهم الله): قال عمرو: «دعنا عنك» كناية عن الإلحاد بل تصريح ـــــــــــــــــــ

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۸۳ .

۲. ابن قتيبة: الامامة و السياسة ۱/۹۱. مضى النص فلاحظ تعليقتنا عليه.

۳. نصربن مزاحم: وقعة صفّين ۴۳. (۱۰۹)

به، أى دع هذا الكلام الذى لا أصل له فإنّ الاعتقاد بالآخرة وأنّها لاتباع بعرض من الدنيا، من الخرافات. قال (رحمهم الله): و ما زال عمرو بن العاص ملحداً ما تردّد قط فى الإلحاد و الزندقة، و كان معاوية مثله و يكفى فى تلاعبهما بالإسلام حديث السرار المروى(۱) وانّ معاوية عضَّ اُذن عمرو، أين هذا من أخلاق على ـ عليه السَّلام ـ و شدّته فى ذات الله، و هما مع ذلك يعيبانه بالدعابة(۲). خلاصة البحث: ما كانت دراسة جميع هذه المواضيع أمراً صعباً على الحكمين، بل فى دراسة الموضوع الأوّل من المواضيع السبعة كفاية للإدلاء بالحق، وذلك إنّه إذا كانت خلافة الإمام خلافة قانونية شرعية، فالخارج عليها باغ على الإمام يجرى عليه حكم البغاة أوّلا و تابع لغير سبيل المؤمنين، وخارق للإجماع ثانياً، وقد قال سبحانه فى حقّ هؤلاء: (وَ مَنْ يُشاقِقِ الرَّسولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الهُدى وَ يَتَّبِعَ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤمِنينَ نوله ما تولى ونصله جهنم و ساءت مصيرا)(۳) (و ان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى امر الله)(۴) ولا ـ عجب بعد ذلك أنا نرى أنّ الإمام يصف حكم الحكمين بقوله: «فقد خالفا كتاب الله و اتّبعا أهواءهما بغير هدى من الله فلم يعملا بالسنّة ولم ينفّذا للقرآن حكماً».(۵) *** ـــــــــــــــــــ

۱. المراد ما سبق فى كلام ابن مزاحم.

۲. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۲/۶۴–۶۵ .

۳. النساء: ۱۱۵

۴. الحجرات: ۹ .

۵. الطبرى: التاريخ ۴/۵۷ . (۱۱۰) (۱۱۱)

الفصل السادس تحرّكاتهم العسكرية بعد صدور

الفصل السادس تحرّكاتهم العسكرية بعد صدور رأى الحكمين (۱۱۲) (۱۱۳) ولمّا بلغ الإمام ما حكم به الحكمان من الحكم الجائر، قام خطيباً وقال ألا أنّ هذين الرجلين الذين اخترتموهما حكمين، قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما وأحييا ما أمات القرآن، واتّبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله، فحكما بغير حجّة بيّنة، ولا سنّة ماضية، و اختلفا فى حكمهما، و كلاهما لم يرشدا، فبرئ الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين. استعدّوا وتأهّبوا للمسير إلى الشام، واصبحوا فى معسكركم إن شاء الله، ثم نزل وكتب إلى الخوارج بالنهر: «بسم الله الرحمن الرحيم. من عبدالله على أميرالمؤمنين إلى زيد بن حصين(۱) وعبدالله بن وهب و من معهما من الناس. أمّا بعد فإنّ هذين الرجلين الذين ارتضينا حكمهما، قد خالفا كتاب الله، واتّبعا أهواءهما بغير هدى من الله، فلم يعملا بالسنّة، ولم ينّفذا للقرآن حكماً، فبرىء الله ورسوله ________________

۱. وهذا الرجل من الذين فرضوا التحكيم على الإمام و جاء هو مع مسعر بن فدكى بزهاء عشرين ألفاً مقّنعين فى الحديد، شاكّى السلاح، سيوفهم على عواتقهم وقد اسودّت جباههم من السجود... نادوا الامام باسمه لابإمرة المؤمنين: يا على أجب القوم إلى كتاب الله إذا دُعيت إليه... لاحظ: وقعة صفّين ۵۶۰ وقد مرّ النصُّ أيضاً. (۱۱۴)

منهما والمؤمنون. فإذا بلغكم كتابى هذا فاقبلوا، فإنّا صائرون إلى عدوّنا وعدوّكم، ونحن على الأمر الذى كنّا عليه، والسلام»(۱). كان المترقّب من الخوارج إجابة على ـ عليه السَّلام ـ والخروج معه إلى قتال معاوية لأنهم هم الذين كانوا يقولون لعلى ـ عليه السَّلام ـ :«تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك، واخرِج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم حتى نلقى ربّنا»(۲) . ولكنّهم ـ يا للأسف ـ لم يستجيبوا إلى دعوة على ـ عليه السَّلام ـ و كتبوا إليه: «أمّا بعد فإنّك لم تغضب لربّك، إنّما غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة، نظرنا بيننا و بينك وإلاّ فقد نابذناك على سواء. إنّ الله لايحبّ الخائنين». فلمّا قرأكتابهم آيس منهم فرأى أن يدعهم و يمضى بالناس إلى أهل الشام حتّى يلقاهم فيناجزهم، فنزل بالنخيلة، وقام فحمدالله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد فإنّه من ترك الجهاد فى الله، وادهن فى أمره كان على شفا هلكة، إلاّـ أن يتداركه الله بنعمة، فاتّقوا الله وقاتلوا من حادّ الله وحاول أن يطفىء نور الله. قاتلوا الخاطئين، الضالّين، القاسطين، المجرمين، الذين ليسوا بقرّاء للقرآن، ولاـ فقهاء فى الدين، ولا علماء فى التأويل، ولا لهذا الأمر بأهل فى سابقة الإسلام، والله لو ولّوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل. تيسّروا وتهّيؤا للمسير إلى عدوّكم من أهل المغرب، وقد بعثنا إلى اخوانكم من أهل البصرة ليقدموا عليكم، فإذا قدموا فاجتمعتم شخصنا إن شاء الله، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله (۳) . ثمّ إنّه لّبى دعوته من البصرة وحوالى الكوفة جمع كبير وقد اجتمع تحت ________________

۱. الطبرى: التاريخ ۴/۵۷ .

۲. المصدر نفسه ۵۲ .

۳. المصدر نفسه ۵۸ . (۱۱۵)

رايته ثمانى وستّين ألفاً ومائتى رجل، واستعدّ للمسير إلى الشام. إستعدّ الإمام لمواجهة العدّو بالشام، لكنّه فوجىء بما بلغ إليه من الناس أنّهم يقولون: لو سار الإمام بنا إلى هذه الحرورية فبدأنا بهم. فقام فى الناس وحمدالله وأثنى عليه، فأجاب دعوتهم خصوصاً بعد ما بلغ إليه أنّهم ذبحوا عبدالله بن خباب على ضفة النهر، وبقروا بطن اُمّ ولده، وهم على اُهْبَة الخروج، وإليك تفصيله: إنّ الخوارج اجتمعوا فى منزل عبدالله بن وهب الراسبى، فقال فى خطبة له: أمّا بعد فوالله ماينبغى لقوم يؤمنون بالرحمن، و ينيبون إلى حكم القرآن، أن تكون هذه الدنيا التى الرضا بها و الركون إليها والايثار إيّاها عناءً وتباراً(۱) آثر عندهم من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والقول بالحق و... فاخرجوا بنا اخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال، أو إلى بعض هذه المدائن، منكرين لهذه البدع

المضرّة. ثمّ خطب بعده، حرقوص بن زهير و قال بمثل ماقال: وقال حمزة بن سنان الأسدى: يا قوم: إنّ الرأى ما رأيتم، فولّوا أمركم رجلا منكم، فإنّه لابدّ لكم من عماد و سناد، وراية تحفّون بها، وترجعون إليها، فعرضوها على زيد بن حصين الطائى فأبى، وعرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، وعلى حمزة بن سنان و شريح بن أوفى العبسى فأبيا، وعرضوها على عبدالله بن وهب فقال: هاتوها، أما والله لاآخذها رغبة فى الدنيا، ولاادعها فرقاً من الموت، فبايعوه لعشر خلون من شوّال و كان يقال له ذوالثفنات. ثم اجتمعوا فى منزل شريح بن أوفى العبسى فقال ابن وهب: اشخصوا بنا إلى بلدة نجتمع فيها لإنفاذ حكم الله فإنّكم أهل الحق. قال شريح: نخرج

۱. التبار: الهلاک. (۱۱۶)

إلى المدائن فننزلها ونأخذ بأبوابها ونخرج منها سكّانها ونبعث إلى إخواننا من أهل البصرة، فيقدمون علينا. فقال زيد بن حصين: إنّكم إن خرجتم مجتمعين اُتْبِعْتُم ولكن اخرجوا وحداناً مستخفّين، فأمّا المدائن فإن بها من يمنعكم، ولكن سيروا حتى تنزلوا جسر النهروان وتكاتبوا اخوانكم من أهل البصرة، قالوا: هذا هو الرأى. وكتب عبدالله بن وهب إلى من بالبصرة منهم يعلمهم مااجتمعوا عليه، ويحثّهم على اللحاق بهم وأرسل الكتاب إليهم، فأجابوه أنّهم على اللحاق به. فلمّا عزموا على المسير(۱)، تعبّدوا ليلتهم وكان ليلة الجمعة، ويوم الجمعة، وساروا يوم السبت فخرج شريح بن أوفى العبسى، وهو يتلو قول الله: (فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً يَتَرَقَّبُ قالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* وَ لَمّا تَوَجَّهَ تِلْقآءَ مَدْيَنَ قالَ عَسى رَبِّى أن يَهْدِيَنِى سَوآءَ السَبِيلِ)(۲) . ثمّ إنّ الخوارج تقاطرت من البصرة والكوفة حتى نزلوا جسر نهروان، فصاروا جيشاً عظيم العدد والعُدَّة، وكانت الأخبار عن أفعالهم الشنيعة تصل إلى الناس ففشى الرعب فيهم، ولأجل ذلك ألحّ الواعون من ضباط على على مناجزة هؤلاء ثم المسير إلى الشام، فأجابهم الإمام، وإليك بيان ما ارتكبوا من الجرائم. روى الطبرى عن أبى مخنف عن حميد بن هلال: انّ الخارجة التى أقبلت من البصرة جاءت حتى دنت من اخوانها بالنهر فخرجت عصابة منهم، فإذا هم برجل يسوق بامرأة على حمار، فعبروا إليه فدعوه فتهدّدوه وافزعوه وقالوا له من أنت؟ قال: أنا عبدالله بن خباب صاحب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ

۱. المقصود الخوارج المتواجدون فى الكوفة وأطرافها أعنى الحرورية.

۲. القصص: ۲۱ـ۲۲. الطبرى: التاريخ ۴/۵۴ـ۵۵ . (۱۱۷)

ثمّ أهوى إلى ثوبه يتناوله من الأرض وكان سقط عنه لمّا افزعوه، فقالوا له: افزعناك؟ قال: نعم. قالوا له: لاروع عليك، فحدثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ لعلّ الله ينفعنا به. قال: حدثنى أبى عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : إنّ فتنة تكون، يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه، يمسى فيها مؤمناً ويصبح فيها كافراً، ويُصْبح كافراً، ويمسى فيها مؤمناً. فقالوا: لهذا الحديث سألناك. فما تقول فى أبى بكر و عمر؟ فأثنى عليهما خيراً. قالوا: ما تقول فى عثمان فى أوّل خلافته وفى آخرها؟ قال: إنّه كان محقّاً فى أوّلها وفى آخرها. قالوا: فما تقول فى على قبل التحكيم وبعده؟ قال: إنّه أعلم بالله منكم، وأشدّ توقّياً على دينه، وأنفذ بصيرة. فقالوا: إنّك تتبع الهوى وتوالى الرجال على أسمائها لاعلى أفعالها. والله لنقتلنّك قتلة ما قتلناها أحداً، فأخذوه فكتّفوه ثمّ أقبلوا به وبامرأته وهى حُبلى متمٌّ، حتى نزلوا تحت نخلة مواقر، فسقطت منه رطبة فأخذها أحدهم فقذف بها فى فمه، فقال أحدهم: بغير حلّها وبغير ثمن؟ فلفظها وألقاها من فمه، ثمّ أخذ سيفه فأخذ يمينه، فمرّ به خنزير لأهل الذمّة فضربه بسيفه، فقالوا: هذا فساد فى الأرض، فأتى صاحب الخزير فأرضاه من خنزيره. فلمّا رأى ذلك منهم ابن خباب قال: لئن كنتم صادقين فيما أرى، فما عَلَىَّ منكم بأس إنّى لمسلم ما أحدثت فى الاسلام حدثاً ولقد آمنتمونى. قلتم: لاروع عليك. فجاءوا به فأضجعوه فذبحوه، وسال دمه فى الماء وأقبلوا إلى المرأة، فقالت: إنّما أنا أمراة ألاتتّقون الله؟ فبقروا بطنها. وقتلوا ثلاث نسوة من طىّ وقتلوا اُمّ سنان الصيداوية، فبلغ ذلك عليّاً و من معه من المسلمين من قتلهم عبدالله بن خباب واعتراضهم الناس، فبعث (۱۱۸)

إليهم الحارث بن مرّة العبدى ليأتيهم فينظر فيما بلغ عنهم ويكتب به إليه على وجهه ولايكتمه، فخرج حتى انتهى إلى النهر ليسألهم،

فخرج القوم إليه فقتلوه، وأتى الخبر أمير المؤمنين والناس، فقام إليه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين عَلامَ تـدع هؤلاء يخلفوننا فى أموالنا وعيالنا؟ سر بنا إلى القوم، فإذا فرغنا ممّا بيننا و بينهم صرنا إلى عدوّنا من أهل الشام، فقبل على فنادى بالرحيل، ولمّا أراد على المسير إلى أهل النهر من الأنبار، قـدم قيس بن سـعد بن عبادة وأمره أن يأتى المدائن فينزلها حتى يأمره بأمره، ثمّ جاء مقبلا إليهم ووافاه قيس وسـعد بن مسعود الثقفى بالنهر وبعث إلى أهل النهر: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم نقتلهم بهم، ثمّ أنا تارككم وكاف عنكم حتى نلقى أهـل الشـام، فلعـلّ الله يقلب قلوبكم، ويردّكم إلى خير ممّـا أنتم عليه من أمركم، فبعثوا إليه وقـالوا: كلّنا قتلناهم وكلّنا نسـتحلّ دماءهم ودمـاءكم. ولمّـا وصـل على جـانب النهر وقف عليهم فقـال: أيّتهـا العصابـة الـتى أخرجهـا عـداوة المراء واللجاجـة، وصـدّها عن الحقّ الهوى...إنّى نـذيركم ان تصـبحوا تلفيكم الاُمّة غداً صـرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضام هذا الغائط بغير بيّنة من ربّكم ولابرهان بيّن، ألم تعلموا أنّى نهيتكم عن الحكومـة، وأخبرتكم أنّ طلب القوم إيّاها منكم دهن ومكيدة لكم، ونبّأتكم أنّ القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وانّى أعرف بهم منكم، عرفتهم أطفالا ورجالا، فهم أهل المكر والغدر، وانّكم إن فارقتم رأيى، جانبتم الحزم، فعصيتمونى حتى إذا أقررت بـأن حكمت، فلمّـا فعلت شـرطت واسـتوثقت، فأخـذت على الحكمين أن يحييـا ما أحيا القرآن و أن يميتا ما أمات القرآن، فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنّة، فنبذنا أمرهما ونحن على أمرنا الأوّل فما الذى بكم؟ ومن أين أتيتم؟ قالوا: إنّا حكمنا فلمّا حكمنا أثمنا وكنّا بذلک (۱۱۹)

كـافرين، وقـد تبنـا فـإن تبت كمـا تبنـا فنحن منك ومعك وإن أبيت فاعتزلنا، فانّا منابـذوك على سواء، إنّ الله لايحب الخائنين، فقال علىّ: أصـابكم حـاصب، ولاـبقى منكم وابر. أبَعْـد إيمانى برسول الله ـ صـلّى الله عليه وآله وسـلم ـ وهجرتى معه وجهادى فى سبيل الله أشـهد على نفسـى بالكفر؟ لقد ضـللت إذاً وما أنا من المهتدين، ثمّ انصـرف عنهم(۱) . ولم يكتف الإمـام بهـذا الأـمر، بل كلّمهم فى معسـكرهم بما يلى:«أكلّكم شـهد معنا صفّين؟ فقالوا: منّا من شهد ومنّا من لم يشهد. قال: فامتازوا فرقتين، فليكن من شهد صفّين فرقة، ومن لم يشهدها فرقة، حتى اُكَلِّم كّلا منكم بكلامه، ونادى الناس، فقال: امسكوا عن الكلام، انصتوا لقولى، واقبلوا بأفئدتكم إلىّ، فمن نشدناه شهادة فليقل بعلمه فيها. ثمّ كلّمهم ـ عليه السَّلام ـ بكلام طويل، من جملته: ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلةً وغيلةً ومكراً وخديعـةً: اخواننـا وأهل دعوتنا، اسـتقالونا واستراموا إلى كتاب الله سـبحانه، فالرأى القبول منهم، والتنفيس عنهم؟ فقلت لكم: هـذا أمر ظـاهره إيمـان، وبـاطنه عـدوان، وأوّله رحمـة، وآخره ندامـة. فـأقيموا على شـأنكم، وألزموا طريقتكم وعضّوا على الجهاد، بنواجـذكم، ولاـتلتفتوا إلى نـاعق نعق، إن اُجيب أضـلّ وإن ترك ذلّ(۲). ولمّـا أتمّ الإمـام الحجـة عليهم، ورأى أنّ آخر الـدواء الكى، فعبّأ الناس فجعل على ميمنته حجر بن عدى، وعلى ميسرته شبث بن ربعى، أو ________________

۱. الطبرى: التاريخ ۴/۶۰ ـ ۶۳. المسعودى: مروج الذهب: ۳/۱۵۶. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۳۶ .

۲. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۱ . (۱۲۰)

معقـل بن قيـاس الريـاحى، وعلى الخيـل أبـا أيّوب الأنصـارى، وعلى الرجالـة أبا قتادة الأنصارى، وعلى أهل المدينـة وهم سـبعمائة أو ثمانمائـة رجل، قيس بن سـعد بن عبادة. وعبّأت الخوراج فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصـين الطائى، وعلى الميسـرة شـريح بن أوفى العبسـى، و على خيلهم حمزة بن سـنان الأسدى وعلى الرجّالة حرقوص بن زهير السـعدى. الحرص على صيانة نفوسـهم: ثمّ إنّ الإمام توخّياً لحفظ الدماء وصـيانة الأنفس، بعث الأسود بن يزيد فى ألفى فارس حتى أتى حمزة بن سـنان وهو فى ثلاثمائة فارس من خيلهم ورفع علىّ رايـة أمان، مع ابى أيوب فناداهم أبو أيوب: من جاء هـذه الرايـة منكم ممّن لم يقتل ولم يسـتعرض فهو آمن، ومن انصـرف منكم إلى الكوفـة أو إلى المـدائن و خرج من هـذه الجماعـة فهو آمن ـ انّه لا حاجـة لنا بعـد أن نصـيب قتلـة اخواننا منكم فى سـفك دمائكم. لقـد كان هـذا التخطيط و السـياسة الحكيمـة مؤثّراً فى تفرّق القوم وصـيانة دمائهم فانصـرف فروة بن نوفل الأشـجعى (۱) فى خمسائـة فارس، وخرجت طائفـة اُخرى متفرّقين، فنزلت الكوفة، وخرج إلى على ـ عليه السَّلام ـ منهم نحو من مائة، وكانوا أربعة آلاف وكان الـذين بقوا مع عبـدالله بن وهب منهم ألفين وثمانمائـة، وزحفوا إلى على ـ عليه السَّلام ـ . وقدم على الخيل دون الرجال وصـفّ

الناس وراء الخيل صفّين، وصفّ ____________

۱. سيأتى خروجه على معاوية فى الفصل الثامن فانتظر. (۱۲۱)

المرامية أمام الصفّ الأوّل، وقال لأصحابه: كفّوا عنهم حتى يبدأوكم(۱) . قال المبرّد: لمّا وافقهم علىّ ـ عليه السَّلام ـ بالنهروان، قال: لاتبدوهم بقتال حتى يبدأوكم. فحمل منهم رجل على صف علىّ ـ عليه السَّلام ـ فقتل منهم ثلاثة، فخرج إليه علىّ ـ عليه السَّلام ـ فضربه فقتله...ومال ألف منهم إلى جهة أبى أيوب الأنصارى، وكان على ميمنة علىّ، فقال علىّ ـ عليه السَّلام ـ لأصحابه: احملوا عليهم، فوالله لايقتل منكم عشرة، ولايسلم منهم عشرة. فحمل عليهم فطحنهم طحناً قتل من أصحابه ـ عليه السَّلام ـ تسعة، وأفلت من الخوارج ثمانية(۲). قال ابن الأثير: لمّا قال علىّ لأصحابه «كفّوا عنهم حتى يبدأوكم» نادت الخوارج: الرواح إلى الجنة، وحملوا على الناس، وافترقت خيل(۳) على فرقتين، فرقة نحو الميمنة وفرقة نحو الميسرة واستقبلت الرماة وجوههم بالنبل، وعطفت عليهم الخيل. من الميمنة و الميسرة، ونهض إليهم الرجال بالرماح والسيوف، فمالبثوا أن أناموهم.(۴) ثمّ إنّ علياً يحدّث أصحابه قبل ظهور الخوارج انّ قوماً يخرجون يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، علامتهم رجل مُخدج اليد، سمعوا ذلك منه مراراً، فلمّا فرغ من قتالهم، أمر أصحابه أن يلتمسوا المخدج، فوجدوه فى حفرة على شاطئ النهر فى خمسين قتيلاً فلمّا استخرجوه نظروا إلى عضده

۱. الطبرى: التاريخ ۴/۶۴ .

۲. المبرّد: الكامل ۲/۱۳۹ ـ ۱۴۰. الطبرى: التاريخ ۴/۶۳ ـ ۶۴ والمسعودى: مروج الذهب ۳/۱۵۷ وقال: وكان من جملة من قتل من أصحاب علىّ، سبعة، ولم يفلت من الخوارج إلا عشرة وأتى على القوم وهم أربعة آلاف، ولعل لفظة «إلاّ» زائدة.

۳. هكذا فى الأصل وقد سقط لفظ «علىّ» .

۴. كلّ مشوه الخلق فى أحد أعضائه فهو مخدج . (۱۲۲)

فإذا لحم مجتمع كثدى المرأة، وحلمة عليها شعرات سود... فلمّا رآه قال: الله أكبر لاكَذِبْتُ ولاكذّبت. وقال حينما مرّ بهم وهم صرعى: بؤساً لكم لقد ضرّكم من غرّكم، قالوا: يا أميرالمؤمنين: من غرّهم، قال: الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء، غرّتهم بالأمانى، وزينت لهم المعاصى، نبّأتهم أنّهم ظاهرون (۱) قال على: خذوا ما فى عسكرهم من شىء، قال: فأمّا السلاح والدواب و ما شهدوا به عليه الحرب فقسمة بين المسلمين، وأمّا المتاع والعبيد والاماء فإنّه حين قدم، ردّه على أهله، ونقل الطبرى أيضاً: انّ علياً أمر بطلب من به رمق منهم، فكانوا أربعمائة، فأمر بهم علىّ، ودفعوا إلى عشائرهم، وقال: احملوهم معكم فداووهم، فاذا برأوا، فوافوا بهم الكوفة(۲). فَقْأُ عينِ الفتنة: كانت الخوارج من أهل القبلة وأهل الصلاة والعبادة، و كان الناس يستصغرون عبادتهم عند صلواتهم، فلم يكن قتالهم واستئصالهم أمراً هيّناً، ولم يكن يجترئ عليه غير علىّ ـ عليه السَّلام ـ ولأجل ذلك قام بعد قتالهم، فقال: أمّا بعد حمدا لله والثناء عليه، أيّها الناس فإنّى فَقَأْتُ عين الفتنة، ولم يكن ليجترىءَ عليها أحد غيرى، بعد أن ماج غيهبها واشتدّ كَلَبُهُا(۳).(۴) قال ابن أبى الحديد: إنّ الناس كلّهم كانوا يهابون قتال أهل القبلة، ____________

۱. المسعودى: مروج الذهب ۳/۱۵۸. ابن الأثير: الكامل ۳/۱۷۵ ـ ۱۷۶ .

۲. الطبرى: التاريخ ۴/۶۶ .

۳. الغيهب: الظليمة والمراد بعد ما عمّ ظلالها فشمل فكّنى عن الشمول بالتموّج، لأن الظلمة إذا تموّجت شملت أماكن كثيرة، كما أنّ المراد من قوله واشتّد كلبها، أى شرّها وأذاها.

۴. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۹۳. (۱۲۳)

ولايعلمون كيف يقاتلونهم، هل يتبعون موليّهم أم لا؟ وهل يجهّزون على جريحهم أم لا؟ وهل يقسمون فيئهم أم لا؟ وكانوا يستعظمون قتال من يؤذّن كأذاننا، ويصلّى كصلاتنا، واستعظموا أيضاً حرب عائشة وحرب طلحة و الزبير لمكانتهم فى الاسلام، وتوقّف

جماعة منهم عن الدخول فى تلك الحرب، كالأحنف بن قيس وغيره، فلو لا أنّ عليّاً اجترأ على سلّ السيف فيها ما أقدم أحد عليها(۱). تنبّؤ للإمام بعد استئصال الخوارج: لمّا قتل الخوارج وأفلت منهم من أفلت، قال بعض أصحاب الإمام: يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم، فقال: «كلّا والله انّهم نطف فى أصلاب الرجال وقرارات النساء، كلّما نجم منهم قرن قطع، حتّى يكون آخرهم لصوصاً سلّابين» (۲) . ذكر المؤرّخون قضايا وحوادث تعرب عن أنّ القوم صاروا بعد ذلك لصوصاً سلّابين، فإن دعوة الخوارج اضمحلّت، ورجالها فنيت حتى أفضى الأمر إلى أن صار خلفهم قطّاع طرق متظاهرين بالفسوق والفساد فى الأرض، وإليك نماذج: خرج فى أيام المتوكّل، ابن عمرو الخثعمى بالجزيرة، فقطع الطريق وأخاف السبيل، فحاربه أبو سعيد الصامتى فقتل كثيراً من أصحابه، وأسر كثيراًمنهم، فمدحه أبو عبادة البحترى وقال: كنّا نكفر عن اُمية عصبةً * طلبوا الخلافة فجرةً وفسوقاً ______________

۱. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۷/۴۶ .

۲. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۵۹ . (۱۲۴) ونلوم طلحة والزبير كليهما * ونعنّف الصديق والفاروقا ونقول تيم أقربت وعديّها * أمراً بعيداً حيث كان صعيقا وهم قريش الأبطحون إذا انتموا * طابوا اُصولا فى العلا وعروقا حتّى غدت جشم بن بكر تبتغى * ارث النبى وتدعيه حقوقا جاءوا براعيهم ليتّخذوا به * عمداً إلى قطع الطريق طريقا(۱) ثمّ ذكر أنّه خرج بأعمال كرمان وجماعة اُخرى من أهل عمان لانباهة لهم، وقد ذكرهم أبوإسحاق الصابى فى الكتاب «التاجى» وكلّهم بمعزل عن طرائق سلفهم وانّما وكدهم، وقصدهم، إخافة السبيل والفساد فى الأرض، واكتساب الأموال من غير حلّها. ثمّ أتى يذكر المشهورين بنظر الخوارج الذين تمّ بهم صدق قول أميرالمؤمنين ـ عليه السَّلام ـ : «إنّهم نطف فى أصلاب الرجال وقرارات النساء» وأشهرهم: ۱ ـ عكرمة مولى ابن عباس. ۲ ـ مالك بن أنس الأصبحى. ۳ ـ المنذر بن الجارود العبدى. ۴ ـ يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج . ۵ ـ صالح بن عبدالرحمن صاحب ديوان العراق. ۶ ـ جابر بن زيد(۲). ۷ ـ عمرو بن دينار. ______________

۱. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۵/۷۴ – لاحظ بقيّة الأبيات.

۲. كونه منهم موضع تأمّل وإن كانت الاباضية ترى أنّه الأصل لهم فى الحديث والفقه، تولّد بين عامى ۱۸ ـ ۲۲ وتوفّى فى العقد الأخير من القرن الأوّل أو أوائل الثانى، تقرأ ترجمته فى فصل خاص. (۱۲۵) ۸ ـ مجاهد. ۹ ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى . ۱۰ ـ اليمان بن رباب. ۱۱ ـ عبدالله بن يزيد. ۱۲ ـ محمّد بن حرب . ۱۳ ـ يحيى بن كامل. وهؤلاء الثلاثة الأخيرة كانوا من الأباضية، كما أنّ اليمان كان من البيهسيّة، وأبو عبيدة من الصفريّة، وسيوافيك أسماء مشاهيرهم (۱) فى فصل خاص. كلمة أخيرة للإمام فى حقّ الخوارج: وللإمام علىّ كلمة فى حق الخوارج ألقاها بعد القضاء عليهم وقال : «لاتقاتلوا الخوارج بعدى، فليس من طلب الحق فأخطأه، كمن طلب الباطل فأدركه» (۲). هذه الكلمة تعرب عن أنّ انحراف الخوارج عن الحق لم يكن شيئاً مدبّراً من ذى قبل، وإنّما سذاجة القوم وقرب قعرهم، جرّهم إلى تلك الساحة، وكانوا جاحدين للحق عن جهل ممزوج بالعناد، فكانوا يطلبون الحق من أوّل الأمر، لكن أخطأوا فى طلبه ودخلوا فى حبائل الشيطان والنفس الأمّارة، وهذا بخلاف معاوية وجيشه، فإنّهم كانوا يطلبون الباطل ويركبون الغىّ عن تقصير وعلم، وقد عرفت أنّه لم يكن لمعاوية مرمى من أوّل الأمر سوى إزاحة علىّ عن منصبه وغصب الخلافة، و انّ دم عثمان وقميصه وكونه قتل مظلوماًفى ______________

۱. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۵/۷۴ ـ ۷۶ .

۲. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۶۰ . (۱۲۶)

عقرداره كانت واجهة استخدمها لجلب العواطف، يطلب بها إغواء رعاع الناس، ولأجل ذلك لمّا قتل علىّ وصالحه الحسن وأخذ بزمام الأمر، لم يبحث عن قتلة عثمان. قال ابن أبى الحديد فى شرحه: «مراده أنّ الخوارج ضلّوا بشبهة دخلت عليهم، و كانوا يطلبون الحق، ولهم فى الجملة تمسّك بالدين، ومحاماة عن عقيدة اعتقدوها، وإن اخطأوا فيها، وأمّا معاوية فلم يكن يطلب الحق، وإنّما كان ذا باطل لايحامى عن اعتقاد قد بناه على شبهة، وأحواله كانت تدلّ على ذلك، فإنّه لم يكن من أرباب الدين، ولاظهر عنه نسك،

ولاصـلاح حال، وكان مترفاً يذهب مال الفئ فی مآربه، وتمهيد ملكه، ويصانع به عن سلطانه، وكانت أحواله كلّها موذنة بانسلاخه عن العدالة، وإصـراره على الباطل، و إذا كان كذلك لم يجز أن ينصـر المسـلمون سلطانه، وتحارب الخوارج عليه، وإن كانوا أهل ضلال، لأنّهم أحسن حالا منه، فإنّهم كانوا ينهون عن المنكر ويرون الخروج على أئمّة الجور واجباً(۱).

***

۱. ابن أبی الحديد: شرح نهج البلاغة ۵/۷۸ .

الفصل السّابع انتفاضات الخوارج بعد حرب

الفصل السّابع انتفاضات الخوارج بعـد حرب النهروان فی العهد العلوی (۱۲۸) (۱۲۹) كانت حرب الإمام فی النهروان، حرباً طاحنةً، قتل رجال العيث والفساد، واسـتأصل شافتهم، وقضـى على رؤوسـهم، ولكن لم يكن الخوارج كلّهم متواجـدين فيها، بل كانوا متفرّقين فی البصـرة، والنقاط المختلفـة من العراق، فقاموا بانتفاضات ضدّ علیّ وعمّاله، وكانت الحسـرة والخيبة نصـيبهم، وإليك ما وقعت منها فی العهد العلوی صلوات الله عليه. ۱ ـ خروج الخريت بن راشد الناجی(۱): جاء الخريت بن راشد الناجی إلی علیّ فقال له ـ وقد جرّده من إمارة المؤمنين ـ: «يا علیّ، والله لاُطيع أمرك ولاُصلّی خلفك، وإنّی غداً مفارق لك، وذلك بعد تحكيم الحكمين». فناظره على وحاول اقناعه، فلم

۱. ذكر خروج الخريت النـاجی، الطبری فی تـاريخه ۴/۸۶ ـ ۱۰۰، وابن هلال الثقفی فی غـاراته ۲۱، والمسـعودی فی مروجه ۳/۱۵۹، والجزری فی تـاريخه ۳/۱۸۳ ـ ۱۸۷، وابن أبی الحديـد فی شـرح نهج البلاغة ۳/۱۲۸ ـ ۱۴۸، ولمّا كانت القصـة طويلة لاتناسب بحث الملل والنحل نقلناها ملخّصاً وقد لخّصـها الدكتور نايف معروف فی كتابه: الخوارج فی العصـر الأموی ۱۰۰ ـ ۱۰۱، وأتبعنا تلخيصه. (۱۳۰)

يرتـدع. وسـار بجمع من أصـحابه فالتقى فی طريقه رجلا مسـلماً فسأله عمّا يقوله فی علی، فأثنى عليه وقـدّمه. فحملت عليه عصابـة من أصـحاب الخريت فقطّعوه بأسـيافهم، بينمـا التقوا يهوديـاً فخلّوا سبيله. أرسـل علیّ فی أثرهم زياد بن خصـعة البكری فی عـدد قليل من العسـاكر فأدركهم فی أرض المـذار، فـدعا زياد صاحبهم الخريت، فسأله عمّا نقمه من أمير المؤمنين، فأخبره بأنّه لايرضـى بعلیّ إماماً، فطلب إليه تسـليمه قتلـة الرجل المسـلم، فأبى عليه ذلك. فاقتتلوا قتالا شديـداً دون أن يتمكّن أحدهما من الآخر، حتى جاء الليل فحجز بينهما، و تحت جنـح الظلام تنكّر الخريت وأصـحابه واتّجهوا صوب الأهواز، وكتب زياد إلی علیّ بما جرى بينهما. فانتدب علیّ معقل بن قيس الريـاحی فی جيش قـوامه أربعـة آلاـف رجـل، وبعث به فی طلب الخريت الـذی كـان قـد اجتمع إليه كـثير من قطّاع الطرق والخـارجين على النظـام ممّن كسـروا الخراج كمـا انضـمّت إليه طائفـة من الأـعراب كانت ترى رأيه، وتمكّنوا من بعض مناطق فارس وأخرجوا عاملهـا لعلی سـهل بن حنيف، ثم كـان اللقـاء بين الفريقين قرب جبل من جبال رامهرمز، فخرج الخريت من المعركـة منهزماً حتى لحق بساحـل بحر فـارس. ولكنّ الخريت لم يلق سـلاحه، بـل استمرّ بجمع النـاس حوله، فكان يأتی من يرى رأی الخوارج فيسـر إليهم: «إنّی أرى رأيكم، وانّ عليّاً ماكان ينبغی له أن يحكّم الرجال فی دين الله» ثم يأتی لمن يرى رأی عثمان وأصـحابه، فيقول لهم: «أنا على رأيكم، وانّ عثمان قتل مظلوماً معقولا» كما كان يجیء مانعی الصدقـة فيقول: «شـدّوا على صدقاتكم ثم صـلوا بها أرحامكم، وعودوا إن شـئتم على فقرائكم، وهكـذا كان يعمل على إرضاء كلّ طائفة من الناس بضـرب من القول يتّفق وهواهم. وبذلك اسـتطاع أن يستهوی كثيراً من الأقوام من مختلف الميول والاتجاهات. ولمّا علم معقل بموقعه بساحل البحر بفارس، عبّأ جنده وزحف (۱۳۱) نحو الخريت وأصـحابه، وهزمهم هزيمـة منكرة قتـل فيهـا الخريت، وتفرّق من بقی من أتباعه هنا وهناك. هكـذا، انتهت حياة الخريت الناجی الـذی لم تعرف هويّته الفكريـة على حقيقتها، إذ وجـدناه تارة يحارب إلی جانب علی ـ عليه السَّلام ـ وطوراً يخرج على إمامته ويشدّد النكير عليه، ومرّة يزعم أنّه من الخوارج واُخرى يتآمر على حياة زعمائهم فيسـتعدی عليّاً على عبدالله بن وهب الراسبی وزيد بن

حصين ليقتلهما، ويقول المسعودى: إنّ الخريت ارتدّ مع أصحابه إلى النصرانية(۱) . ۲ ـ لمّا خرج أهل النهروان خرج أشرس بن عوف الشيبانى على علىّ «بالدسكرة» فى مائتين ثمّ سار إلى الأنبار، فوجّه إليه على ـ عليه السَّلام ـ الأبرش بن حسان فى ثلاثمائة وواقعه فقتل أشرس فى ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين . ۳ ـ ثم خرج هلال بن علفة ومعه أخوه مجالد فأتى «ماسبذان» ووجّه إليه على معقل بن قيس الرياحى فقتله وقتل أصحابه وهم أكثر من مائتين، وكان قتلهم فى جمادى الاُولى سنة ثمان وثلاثين . ۴ ـ ثم خرج الأشهب بن بشر و قيل الأشعث وهو من «بجيلة» فى مائة وثمانين رجلا، فأتى المعركة التى اُصيب فيها هلال وأصحابه فصلّى عليهم و دفن من قدر عليه منهم، فوجّه إليهم على جارية بن قدامة السعدى وقيل حجربن عدى، فأقبل إليهم الأشهب فاقتتلاب «جرجرايا» من أرض «جوخا»

---

۱. المسعودى: مروج الذهب ;المطبوع فى سبعة أجزاء ۳/۵۹. ويظهر منه أنّه كان من أصحاب علىّ ولم يكن من الخوارج وإنّما انفصل عنه، عندما عسكر الإمام بالنخيلة ليذهب بالناس إلى حرب معاوية ثانيا فعند ذلك جعل أصحابه يتسلّلون و يلحقون بأوطانهم فلم يبق منهم إلاّ نفريسير، ومضى الخريت بن راشد الناجى فى ثلاثمائة من الناس فارتدّوا إلى دين النصرانية.... (۱۳۲)

فقتل الأشهب و أصحابه فى جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين. ۵ ـ ثم خرج سعيد بن قفل التيمى فى رجب ب«البندجين» و معه مائتا رجل فأتى «درزنجان» وهى من المدائن على فرسخين، فخرج إليهم سعد بن مسعود فقتلهم فى رجب سنة ثمان و ثلاثين. ۶ ـ ثم خرج أبو مريم السعدى التميمى فأتى «شهرزور» وأكثر من معه من الموالى، وقيل لم يكن معه من العرب غير ستة نفر هو أحدهم، واجتمع معه مائتا رجل وقيل أربعمائة، وعاد حتى نزل على خمسة فراسخ من الكوفة، فأرسل اليه علىّ يدعوه إلى بيعته ودخول الكوفة، فلم يفعل، قال: ليس بيننا غير الحرب، فبعث إليه علىّ شريح بن هانى فى سبعمائة، فحمل الخوارج على شريح وأصحابه فانكشفوا، وبقى شريح فى مائتين فانحاز إلى قرية، فتراجع بعض أصحابه، ودخل الباقون الكوفة، فخرج علىّ بنفسه و قدم بين يديه جارية بن قدامة السعدى، فدعاهم جارية إلى طاعة علىّ، وحذّرهم القتل فلم يجيبوا، ولحقهم علىّ أيضاً فدعاهم فأبوا عليه و على أصحابه، فقتلهم أصحاب على ولم يسلم منهم غير خمسين رجلا استأمنوا فأمنهم، وكان فى الخوارج أربعون رجلا جرحى فأمر علىّ بادخالهم الكوفة ومداواتهم حتى برئوا، وكان قتلهم فى شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين، وكانوا من أشجع من قاتل من الخوارج ولجرأتهم قاربوا الكوفة(۱) . جريمتهم الكبرى أو آخر سهم فى كنانة الخوارج: قتل الإمام رؤوس الخوارج واستأصلهم، وقد نجت فئة منهم وتواروا فى البلاد كما انّ من كان به رمق منهم، دفعهم الإمام إلى عشائرهم ليداووهم، ولكن ـــــــــــــــــــــــ

۱. ابن الأثير: الكامل ۳/۱۸۷ ـ ۱۸۸ . (۱۳۳)

كان للقوم فى البصرة ونواحيها أنصار وموالون فى الطريقة وكان للهالكين فى ساحة القتال من ينتمى إليهم بشىء من النسب والسبب، فكانوا ينتهزون الفرصة لأخذ ثأرهم من الإمام علىّ ـ عليه السَّلام ـ قال: المبرّد: فلمّاقتل علىّ أهل النهروان وكان بالكوفة زهاء ألفين ممّن لم يخرج مع عبدالله بن وهب وقوم ممّن استأمن إلى أبى أيّوب الأنصارى، فتجمّعوا وأمروا عليهم رجلا من طى، فوجّه إليهم على ـ عليه السَّلام ـ رجلا وهم بالنخيلة فدعاهم ورفق بهم، فأبوا فعاودهم، فأبوا فقتلوا جميعاً، فخرجت طائفة منهم نحو مكة فوجّه معاوية من يقيم للناس حجّهم فناوشه هؤلاء الخوارج فبلغ ذلك معاوية، فوجّه بسر بن أرطاة أحد بنى عامر بن لؤى، فتوافقوا وتراضوا بعد الحرب بان يصلّى بالناس رجل من بنى شيبة لئلاّ يفوت الناس الحج، فلمّا انقضى نظرت الخوارج فى أمرها، فقالوا: إنّ عليّاً ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الاُمّة، فلو قتلناهما لعاد الأمر إلى حقّه، وقال رجل من أشجع: والله ما عمرو دونهما، وانّه لأصل هذا الفساد، فقال عبدالرحمن بن ملجم: أنا أقتل عليّاً، فقالوا: وكيف لك به؟ قال: أغتاله. فقال الحجاج بن عبدالله الصريمى وهو البرك: وأنا أقتل معاوية، وقال زادويه مولى عمروبن تميم: وأنا اقتل عمرو، فأجمع رأيهم على أن يكون قتلهم فى ليلة واحدة فجعلوا تلك الليلة ليلة احدى وعشرين(۱)من شهر رمضان، وخرج كل واحد إلى ناحية، فأتى ابن ملجم الكوفة، فأخفى نفسه وتزوّج إمراةً يقال لها قطام بنت علقمة من تيم الرباب وكانت ترى رأى الخوارج، ويروى أنّها قالت: لاأقنع منك إلاّ بصداق اُسمّيه لك، وهو ثلاث آلاف درهم وعبدٌ

وأمه، وأن تقتل علیاً، فقال لها: لک ما سألت. فکیف لی به؟. قالت: تروم ذلک غیلة، فإن سلمت أرحت الناس من شرّ وأقمتَ مع أهلک، وإن أصبتَ صرتَ إلی ـــــــــــــــــــــــــ

۱. تفرّد المبرد بنقله، والصحیح لیلة التاسعة عشر . (۱۳۴)

الجنة ونعیم لایزول فانعم لها وفی ذلک یقول: ثلاثة آلاف وعبد وقَیْنَةٌ * وضرب علیّ بالحسام المصمِّم فلا مهر أغلی من علیّ وإن غلی * ولافتک إلاّ ـ فتک ابن ملجم ویروی أنّ الأشعث نظر إلی عبدالرحمن متقلّداً سیفاً فی بنی کندة فقال: یا عبدالرحمن أرنی سیفک. فأراه فرأی سیفاً حدیداً، فقال: ما تقلّدک السیف ولیس بأوان حرب؟ قال: فقال: إنّی أردت أن أنحر به جزور القریة. فرکب الأشعث بغلته و أتی علیّاً فخبّره، فقال له: قد عرفت بسالة ابن ملجم وفتکه، فقال علی: ما قتلنی بعد. ویروی انّ علیّاً ـ رضوان الله علیه ـ کان یخطب مرّة ویذکر أصحابه، وابن ملجم تلقاء المنبر، فسمع وهو یقول: والله لأریحنّهم منک، فلمّا انصرف علی ـ صلوات الله علیه ـ إلی بیته أتی به ملبباً(۱)فأشرف علیه، فقال علی: ماتریدون؟ فخبّروه بما سمعوا، فقال: ما قتلنی بعد فخلّوا عنه. ویروی أنّ علیاً کان یتمثّل إذا رآه ببیت عمرو بن معدی کرب فی قیس بن مکشوح المرادی: اُرید حیاته ویرید قتلی * عَذِیرَک من خلیلکَ من مراد فقیل لعلیّ: کأنّک قد عرفته و عرفت ما یرید بک. أفلا تقتله؟ فقال: کیف اقتل قاتلی؟ . فلمّا کان لیلة احدی و عشرین من شهر رمضان خرج ابن ملجم وشبیب الأشجعی فاعتورا الباب الذی یدخل منه علیّ ـ رضی الله عنه ـ وکان مُغَلِّساً ویُوقظ الناس للصلاة، فخرج کما کان یفعل فضربه شبیب فأخطاه ـــــــــــــــــــــــــ

۱. أی مأخوذا بتلابیه. (۱۳۵)

وأصاب سیفه الباب، وضربه ابن ملجم علی صَلْعَتِهِ (۱) فقال علی: فزت ورب الکعبة، شأنکم بالرجل. فیروی عن بعض من کان بالمسجد من الأنصار، قال: سمعت کلمة علیّ ورأیت بریق السیف، فأمّا ابن ملجم فحمل علی الناس بسیفه فأفرجوا له وتلقّاه المغیرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بقطیفة فرمی بها علیه، واحتمله فضرب به الأرض، فقعد علی صدره ، وأما شبیب فانتزع السیف منه رجل من حضرموت وصرعه وقعد علی صدره وکثر الناس فجعلوا یصیحون: علیکم صاحب السیف، فخاف الحضرمیّ أن یکُبّوا علیه ولایسمعوا عذره فرمی بالسیف، وانسلّ شبیب بین الناس فَدُخِلَ علی علیّ فاومر فیه، فاختلف الناس فی جوابه فقال علی: «إن أعش فالأمر إلیّ، وان اُصب فالأمر لکم، فإن آثرتم أن تقتصّوا فضربة بضربة وإن تعفوا أقرب للتقوی»....ومات علیّ ـ صلوات الله ورضوانه علیه و رحمته ـ فی آخر الیوم الثالث [واتّفقوا علی القصاص] فدعا به الحسن ـ رضی الله عنه ـ [فقال ابن ملجم له]: إنّ لک عندی سرّاً فقال الحسن ـ رضوان الله علیه ـ أتدرون ما یرید؟ یرید أن یقرب من وجهی فیعضّ اُذنی فیقطعها. فقال: أما والله لو أمکننی منها لاقتلعتها من أصلها. فقال الحسن: کلاّ والله لأضربنّک ضربة تؤدّیک إلی النار(۲) . هذا ما ذکره المبرّد فی کامله ووافقه عدّة من المؤرّخین غیر أنّ أهل البیت أدری بما فی البیت، والصحیح أنّه قتل فی المحراب وهو یصلّی الفجر وانّه ضرب فی لیلة التاسعة عشر من شهر رمضان واستشهد فی لیلة الحادیة و العشرین منه: وإلیک کلمة عن الإمام الرضا ـ علیه السَّلام ـ فی ذلک المجال

۱. العبارة تعرب عن کونه مقتولا فی باب المسجد ولکنّه مردود بقول أئمة أهل البیت علی أنّه قتل فی محراب عبادته.

۲. المبرّد: الکامل ۲/۱۴۸. الطبری: التاریخ ۴/۱۱۰ ـ ۱۱۲. ابن الأثیر: الکامل ۳/۱۹۴ ـ ۱۹۵. الدینوری: الأخبار الطوال ۲۱۴. المسعودی: مروج الذهب ۴/۱۶۶. (۱۳۶)

لمّا ضرب ابن ملجم ـ لعنه الله ـ أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب کان معه آخر فوقعت ضربته علی الحائط، وأمّا ابن ملجم فضربه فوقعت الضربة وهو ساجد علی رأسه (۱). *** ـــــــــــــــــــــــــ

۱. الطوسی: الأمالی ۲۳۳. المجلسی: البحار ۴۲/۲۰۵ ـ ۲۰۶ . (۱۳۷) خاتمة المطاف: ماهی أسباب النکسة فی أعقاب حرب صفّین لم یختلف اثنان فی أنّ النصر کان حلیف الإمام طوال مدّة الحرب، ولکن لمّا طرأت فتنة التحکیم واغترّبها بعض قادة جیشه وخاصة

قرّاؤهم، بدأ الضعف يدبّ فى معسكر الإمام، واختلفوا إلى فرقتين، فرقة تنادى بالصلح والموادعة، وفرقة أخرى ـ وكانت فى الظاهر قليلة ـ تصرّ على مواصلة الحرب، ولاجرم أنّ الغلبة كانت للطائفة الأُولى، ثمّ إنّ نفس تلك الطائفة تراجعت عن فكرتها وحاولت أن تفرض على على ـ عليه السّلام ـ نقض ميثاق التحكيم، ولكنّها لم تنجح وانتهى إلى ما عرفت من خروج المحكّمة بصورة قوّة معارضة للإمام إلاّ ـ أنّ الإمام استأصل شأفتهم، وقطع جذورهم، فلم يبق فى القوم إلاّ حشاشات شكّلت نواة للانتفاضات والأعمال الاجرامية حيث استطاعت اغتيال الإمام واعطاء الفرصة لمعاوية، لتحقيق طموحاته التى طالما راودته فى (۱۳۸)

حياته السياسية. وكان من نتائج تلك الفتنة، أنّ الإمام لم يتمكّن من عزل معاوية عن سلطته فى الشام، وضمّ الشامات إلى حكومته، بل خرجت بعض المناطق التى كانت تحت يده عن سلطته، فاستولى عمرو بن العاص على مصر، وقتل عامل الإمام محمّد بن أبى بكر فيها حتى أصبح العراق مطمعاً لمعاوية من خلال الغارات التى قامت بها كتائبه. كلّ ذلك، مانصفه بالنكسة تارة، والهزيمة اُخرى، ويطيب لنا بيان أسبابه فى خاتمتنا هذه، وربّما يتخيّل القارئ أنّ هذا البحث خارج عن موضوع هذا الجزء (الخوارج)، ولكنّه إذا اطّلع عليه يقف على أنّ له الصلة التامّة بالموضوع وإليك البيان. إنّ السبب الحقيقى لوقوع النكسة كان أمرين: الأوّل: سيادة نزعة الاعتراض على قرّاء الكوفة: كان جيش الإمام خليطاً من طائفتين طائفة صالحة مطيعة لأمر القيادة إلى حدّ التضحية بكلّ ما تملكه لتنفيذ أوامرها من دون أىّ اعتراض، و من نماذج تلك الطائفة مالك الأشتر، وعدى بن حاتم وعبدالله بن عباس، وعماربن ياسر، وعمروبن الحمق الخزاعى، وحجر بن عدى الكندى، وسهل بن حنيف، وسليمان بن صرد، إلى غير هؤلاء من صلحاء الأُمّة وأتقيائها التابعين للإمام تبعية الضل لذى الضل. وطائفه تطغى عليها نزعةُ الاعتداد بالرأى والاستبداد فى الأمر، والتدخّل فى شؤون القيادة، وكانوا يتصوّرون أنّه ليس بينهم و بين القائد، فرق حتى بقدر الأنملة ، وهذا الشعور كان ظاهراً منهم فى جميع مواقفهم من (۱۳۹)

حين انضمامهم لراية الإمام إلى خروجهم عليه، ومن نماذج هؤلاء، حرقوص بن زهير المعروف بذى الثدية، ومِسْعر بن فدكى، وزيد بن حصين، وشريح بن أوفى بن يزيد بن ظاهر العبسى، ونافع بن الأزرق، وعبدالله بن وهب الراسبى إلى غير ذلك من رؤوس تلك الطائفة الذين صاروا خوارج من بعد. وبما أنّ أصحاب هذه الطائفة كانوا يكثرون قراءة القرآن والصلاة والتهجّد فى الليل حتى اسودّت جباههم من السجود، وأصبحت لهم ثفنات كثفنات البعير، فكان لكلامهم نفوذ وتأثير كبير فى جيش الإمام، خاصّة أُولئك الذين كانوا من قبائلهم و كتائبهم و هم كثيرون. والذى يدلّنا على سيادة تلك النزعة فيهم (نزعة الاعتراض على القيادة والمتولّين لشؤون الحكومة) مانقرأه فى تاريخ حياتهم وإليك بيانه: ۱ ـ ما سمعت من حديث النبى فى حقّ رأس الخوارج (ذى الخويصرة) حيث وقف على رسول الله وهو يقسّم غنائم خيبر فقال له: ما عدلت منذ اليوم، فقال رسول الله: ويحك من يعدل إذا لم أعدل؟! فقال عمر: ألا أقتله يا رسول الله؟ فقال رسول الله: إنّه سيكون لهذا ولأصحابه نبأ، وقال: تحقر صلاة أحدكم فى جنب صلاتهم، وصوم أحدكم فى جنب صيامهم، ولكن لايجاوز إيمانهم تراقيهم، وقال سيخرج من ضئضىء هذا الرجل، قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة (۱) . ۲ ـ ما رواه الطبرى عن محمّد بن راشد عن أبيه فى حرب الجمل قال: كان من سيرة علىّ: أن لايقتل مدبراً ولايذفف على جريح ولايكشف ستراً ولايأخذ مالا، فقال قوم يومئذ: ما يحلّ لنا دماءهم ويحرّم علينا أموالهم؟ فقال ـــــــــــــــ

۱. نقله أهل السير ونقله أصحاب الصحاح و المسانيد، ورواه البخارى أيضاً فى صحيحه لاحظ الجزء ۶ تفسير سورة البراءة تفسير قوله سبحانه: والمؤلّفة قلوبهم ص ۶۷ . (۱۴۰)

علىّ: القوم أمثالكم من صفح عنّا فهو منّا و نحن منه، ومن لجَّ حتى يصاب، فقتاله منّى على الصدر والنحر، وإنّ لكم فى خمسه لغنى، فيومئذ تكلّمت الخوارج (۱). وقد ذكر الطبرى قصّة الاعتراض على وجه الإجمال ولكن غيره ذكره على وجه التفصيل، قالوا: نقمت الخوارج على علىّ عندما قرب منهم فى النهروان وأرسل إليهم أن سلّموا قاتل عبدالله بن خباب، فأجابوه بأنّا كلّنا قتله، ولئن ظفرنا بك قتلناك، فأتاهم علىّ فى جيشه، وبرزوا إليه بجمعهم، فقال لهم قبل القتال: ماذا نقمتم منىّ؟ فقالوا له: أوّل ما نقمنا منك انّا قاتلنا بين يديك يوم الجمل، فلمّا انهزم أصحاب الجمل، أبَحْتَ لنا ما وجدنا فى عسكرهم من المال، ومنعتنا من سبى نسائهم و ذراريهم، فكيف

استحللت مالهم دون النساء والذريّة؟ فقال: إنّما أبحتُ لكم أموالهم بدلا عمّا كانوا أغاروا عليه من بيت مال البصرة قبل قدومى عليهم، والنساء والذرية لم يقاتلونا، وكان لهم حكم الإسلام، بحكم دار الإسلام، ولم يكن منهم ردّة عن الإسلام ولا يجوز استرقاق من لم يكفر، وبعد لو أبحت لكم النساء، أيّكم يأخذ عائشة فى سهمه؟ فخجل القوم من هذا(۲) . وما ذكره الطبرى، وإن وقع فى سنده سيف بن عمر، وهو ضعيف فى الروايهْ، ولكن مانقله البغدادى نقىّ السند مضافاً إلى أنّه تضافرت الروايات على نقله من الفريقين . روى الشيخ الطوسى فى تهذيبه عن مروان بن الحكم قال: لمّا هزّمنا علىّ بالبصرهْ ردّ على الناس أموالهم، من أقام بيّنهْ أعطاه، ومن لم يقم بيّنهْ أحلفه، ________________

۱. الطبرى: التاريخ ۳/۵۴۵ .

۲. البغدادى: الفَرق بين الفِرق: ۷۸ . (۱۴۱)

قال: فقال له قائل: يا أمير المؤمنين اقسم الفى بيننا والسبى، قال: فلمّا أكثروا عليه، قال: أيّكم يأخذ اُمّ المؤمنين فى سهمه؟ فكفّوا (۱). ۳ ـ روى الطبرى أيضاً: لمّا فرغ علىّ من بيعهْ أهل البصرهْ، نظر فى بيت المال فإذا فيه ستمائهْ ألف وزيادهْ، فقسّمها على من شهد معه، فأصاب كلّ رجل منهم خمسمائهْ وقال: لكم إن أظفركم الله عزّوجلّ بالشام مثلها إلى اعطياتكم، وخاض فى ذلك السبائيهْ وطعنوا على علىّ من وراء وراء(۲). كل ذلك يعرب عن طغيان نزعهْ الاعتراض على القوم، وأنّهم كانوا يرون لأنفسهم حق التدخل فى شؤون القيادهْ. ۴ ـ إنّا نرى أنّ الأشعث لمّا قرأ وثيقهْ التحكيم على الشاميين، استقبلوه برضى ولمّا عرضها على رايات عنزهْ وغيرهم من العراقيين، قابلوه بالاعتراض والسيف. قال ابن مزاحم: إنّ الأشعث خرج فى الناس بذلك الكتاب يقرأه على الناس ويعرضه عليهم، ويمرّ به على صفوف أهل الشام وراياتهم، فرضوا بذلك، ثم مرّ به على صفوف أهل العراق وراياتهم يعرضه عليهم حتى مرّ برايات عنزهْ ـ وكان مع علىّ من عنزهْ بصفين أربعهْ آلاف مجفف ـ فلمّا مرّ بهم الأشعث فقرأه عليهم، قال فتيان منهم: لا حكم إلاّ لله. ثمّ حملا على أهل الشام بسيوفهما (فقاتلا) حتى قتلا على باب رواق معاويهْ. وهما أوّل من حكم، واسماهما معدان وجعد، اخوان، ثم مرّ بها على مراد، فقال صالح بن شقيق وكان من رؤسائهم: ما لعلىّ فى الدماء قد حكم * لو قاتل الأحزاب يوماً ما ظلم ________________

۱. الحرّ العاملى: وسائل الشيعهْ ۱۱ الباب ۲۵ الحديث ۵ و ۷ ص ۵۸ .

۲. الطبرى: التاريخ ۳/۵۴۴. والمراد من السبائيّهْ: الخوارج، فإنّه كثيراً مايطلقها عليهم. (۱۴۲) لاحكم إلاّ لله ولو كره المشركون. ثم مرّ على رايات بنى راسب فقرأه عليهم فقالوا: لاحكم إلاّ لله، لانرضى ولا نحكّم الرجال فى دين الله، ثم مرّ على رايات بنى تميم فقرأها عليهم فقال رجل منهم: لاحكم إلاّ لله يقضى بالحق وهو خير الفاصلين، فقال رجل منهم لآخر: أمّا هذا فقد طعن طعنهْ نافذهْ. وخرج عروهْ بن اديّهْ أخو مرداس بن اديّهْ التميمى، فقال: أتحكّمون الرجال فى أمرالله، لاحكم إلاّ لله، فأين قتلانا يا أشعث. ثم شدّ بسيفه ليضرب به الأشعث، فأخطأه وضرب به عجز دابّته ضربهْ خفيفهْ فاندفعت به الدابهْ وصاح به الناس : أن امسك يدك. فكفّ ورجع الأشعث إلى قومه (۱) . ۵ ـ إنّ بعض من صار من الخوارج كانوا متواجدين فى الكوفهْ أيّام خلافهْ عثمان، وكانوا يعترضون على عمّاله مثل سعيد بن العاص، فكتب سعيد بن العاص بذلك إلى عثمان فأمر بتسييرهم من الكوفهْ، ونرى بين المعترضين، حرقوص بن زهير السعدى، وشريح بن أوفى بن يزيد بن ظاهر العبسى، وزيد بن حصين الطائى وهم رؤوس الخوارج وكانوا ملتفّين حول الأشتر النخعى، وكانوا يعدّون من أصحابه، حتى كتب سعيد بن العاص بذلك إلى عثمان وقال: إنّى لا أملك من الكوفهْ مع الأشتر وأصحابه الذين يدعون القرّاء ـ وهم السفهاء ـ شيئاً فكتب إليه: أن سيّرهم إلى الشام(۲). نعم اجتمع مع الأشتر غيرهم، من الرجال الصالحين والعبّاد الناسكين كزيد وصعصعهْ بن صوحان وكعب بن عبده وعدى بن حاتم الطائى، ويزيد بن قيس الأرحبى (الذى كان له مواقف مشكورهْ فى حرب صفّين)، وعمرو بن الحمق، وكميل بن زياد النخعى، وحارث بن عبدالله الأعور الهمدانى، ________________

۱. نصر بن مزاحم: وقعهْ صفّين ۵۸۷ ـ ۵۸۸ .

۲. الغدير: ۵ / ۳۱ نقلاً عن الأنساب للبلاذرى: ۵/۳۹ . (۱۴۳)

وغيرهم من الصلحاء، وذلك يكشف عن وجود نزعة الاعتراض فى قرّاء الكوفة ورؤسائهم، نعم كون هؤلاء محّقين فى اعتراضهم على عامل الخليفة الثالث وحتى الخليفة نفسه لايكون دليلا على أنّهم محقّون كـذلك فى مسألـة التحكيم وما خلّف من الآثار السيّئة، ولا دليـل على تلـك الملازمـة، فرّب انسـان يكون محقّاً فى دعوى ومبطلا فى دعوى اُخرى، والامعان فى حقيقـة الاعتراضـين ـ الاعتراض على عامـل الخليفـة الثـالث والاـعتراض على أميرالمؤمنين عليـ يكفى فى تصـديق ماذكرنـا. نعم إنّ الإسـلام لا يخالف سـياسة الانتقاد وحريـة التعبير عن الرأى، ولايريـد للاُمّـة أن تكون كقطيع من الماشـية بل انّه يـدعو إلى النقـد إذا كان لأجل طلب الحق، مثلا إذا بـدا للانسـان أنّ قول القائـد لا يماثل عمله فله السؤال والنقاش ولكن باسلوب بنّاء، لغايـة الوصول إلى الحق، وهـذا ما يـدعو إليه الإسـلام خصوصاً فيما إذا كان القائـد انساناً غير معصوم، بل نجـد ذلك فى عصـر المعصوم أيضاً، روى أصـحاب السـيرة لمّا توفّى عبـدالله ولد النبى بكى عليه وجرت دموعه على خدّيه، فاستظهر بعض الصـحابة أنّ عمل النبى هذا ينافى ما أوصـى به من عدم البكاء على الميّت، فاجابه النبى وأرشده إلى الحق وقال ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : لا، ولكنّى نهيت عن صوتين احمقين وآخرين: صوت عند مصيبة، وخمش وجوه، وشق جيوب، ورنـة شـيطان، وصوت عند نعمة لهو، وهذه رحمة ومن لايُرْحَم لايُرْحَم (١) . نعم إذا كانت الغايـة مجرّد إبـداء الرأى، وحبّ الاـعتراض، فهـذا مـا يعـدّه الكتـاب والسـنّة من المجادلـة بالباطـل (مـا يُجـادِلُ فِى آيـاتِ اللهِ إلاّـ الَّذِيْنَ كَفَروا فَلا

---

١. برهان الدين الحلبى: السيرة الحلبية ٣/٣٩٥ . (١۴۴) يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى البِلادِ) (١) وقال سبحانه: (وَ يُجادِلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا بَالباطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ) .(٢) نحن نرى تلكما النزعتين متجسّـدتين فى الأشتر والملتفّين حوله من الصـلحاء من جهة، وحرقوص وزملائه من جهه اُخرى، وإن اشتركوا فى حقبـة من الزمن فى صبغة الاـعتراض. فالنزعـة الاُولى: كانت نابعـة عن روح صادقـة لاعن هوى نفسـى، ولأجل ذلك بقوا على اعتراضـهم ومخالفتهم لعامل الخليفـة إلى أن قُتِلَ عثمان، لأنّهم أدركوا أنّ عمل الخليفـة وعمّاله يفارق مبادىء الإسـلام، وتحمّلوا التسـيير والتبعيـد عن الوطن، ولكن لمّا واجهوا عليّاً ووجـدوا فيه ضالّتهم المنشودة من أنّه القائـد الإلهى الـذى يعمل لأجل الله، سـلّموا إليه مقاليد امورهم. والنزعة الثانية: كانت نابعة عن روح مكابرة تريد فرض ما تحبّ وترى، سواء أكان حقّاً أم باطلا، ونذكر هنا نموذجاً للقسـمين: قال ابن مزاحم: قيل لعلى لمّا كتبت الصـحيفة: إنّ الأشتر لم يرض بما فى هذه الصحيفة ولا يرى إلاّ قتال القوم، فقال على: بلى إنّ الأشتر ليرضـى اذا رَضِيْتُ، وقد رضيتُ ورضيتُم، ولا يصلح الرجوع بعد الرضا، ولا التبديل بعد الإقرار، إلاّ ان يُعْصى الله ويتعدّى ما فى كتابه (٣) . وإى تسـليم أعلى وأنبل من تسـليم الأشتر لأمر القيادة، فقد كان النصر حليفاً له ولم يبق بينه وبين تحقّقـه الاّــ عـدوة الفرس، أو قــاب قوســين او أدنى، فلمّـا وقــف على أنّ مواصــلة الحرب ولـو فـترة قليلــة ســيؤدّى إلى القضــاء

---

١. غافر: ۴ .

٢. الكهف: ۵۶ .

٣. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۹۸ . (١۴۵)

على حياة الإمام، تراجع عن ساحة القتال، ورجع طائعاً مذعناً لما أمره به الإمام ـ عليه السَّلام ـ وخاطب اُولئك الذين وقفوا بوجه الإمام، وقال خُدِعَتم والله فانخدعتم، ودُعِيْتُم إلى وضع الحرب فأجبتم، يا أصـحاب الجباة السود كنّا نظنّ أنّ صـلاتكم زهادة فى الدنيا، وشوقاً إلى لقاء الله، فلا أرى فراركم إلاّ إلى الدنيا من الموت، ألا فقبحاً يا أشباه النِّيب الجلاّلة، ما أنتم برائين بعدها عزّاً أبداً، فابعدوا كما بعد القوم الظـالمون (١). هـذا هو الأـشتر وهـذه طاعته للامـام الحق، وأمّـا الخوارج فسَـلْ عن عنادهم ولجاجهم فى وجه الحق، فقـد احتجّ عبـدالله بن عبـاس على صـحّة مبـدأ التحكيم بقوله: «إنّ الله أمر بـالتحكيم فى قتـل صـيد» فقال: (يَحْكُمُ بِهِ ذوا عَـدْل مِنْكُمْ) فكيف فى الامامـة...، فلمّا سـمعت الخوارج تلك المعارضـة قال بعضـهم لبعض: اجعلوا احتجاج قريش حجّـة عليهم، فإنّ هـذا من الـذين قال الله فيهم: (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُون) وقال عزّوجلّ: (و تُنْذِرَ به قَوْماً لـدّا)(٢). إلى هنا وقفت على العامل الأوّل لظهور هـذه النكسـة، وإليك

بيـان العامل الثانى: الثانى: وجود العملاء فى جيش الإمام: كان فى جيش الإمام عملاء لمعاويـة يعملون لصالحه، حيث كانوا يضـمرون العداء لعليّ، ويتحّينون الفُرصَ للقضاء على حكومته وحياته، كأمثال الأشعث بن قيس، وقد عرفت أنّه خطب فى أوان طلوع فكرة إنهاء الحرب وقال: من لذرارينا ونسائنا إن قُتِلْنا؟ يقول هذا والخوارج بمرأى ________

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۶۳.

۲. المبرّد: الكامل ۲/۱۲۲ طبع مطبعة المعارف بمصر. (۱۴۶)

ومسـمع منه، وفى ذلك يقول ابن أبى الحديـد: «كلّ فساد كان فى خلافة علىّ ـ عليه السَّلام ـ وكلّ اضـطراب حدث فأصله الأشـعث» (۱) . وإليك الشواهـد على صـحّة تلك النظرية: ۱ ـ كـان الأشـعث عاملا لعثمان على آذربايجان، وقـد كان عمروبن عثمان تزوّج ابنة الأشـعث بن قيس، ولمّا بويع عليّ ـ عليه السَّلام ـ كتب إليه مع زياد ابن مرحب الهمـدانى رسالـة ذكر فيها بيعة طلحة والزبير ونقضـهما البيعـة وقال: «وإنّ عملك ليس لك بطعمـة ولكنّه أمانـة، وفى يديك مال من مال الله، وأنت من خزّان الله عليه حتى تسـلّمه إليّ». فلمّا قرأ كتاب على قال لبعض أصـحابه: «إنّه قد أوحشـنى وهو آخذ بمال آذربايجان» وأراد اللحوق بمعاوية فمنعه بعض أصحابه حتى قدم على عليّ، وهو معزول عن الولاية(۲) . قال المسـعوديّ: وبعث إلى الأشعث بن قيس يعزله عن آذربايجان وأرمينية وكان عاملا لعثمان عليها، وكان فى نفس الأشـعث على عليّ ما ذكرنا من العزل وما خاطبه به حين قدم عليه فيما اقتطع هنالك من الأموال (۳) . ۲ ـ كانت رئاسـة قبيلتى كنـدة وربيعـة للأشـعث فانتزعها عليّ ـ عليه السَّلام ـ منه وولّى حسان بن مخـدوع عليهما، ثمّ بعد هن وهنات أشـركه فى الرئاسة(۴) وقد أثار ذلك حفيظة الأشعث على عليّ وإن لم يظهر ذلك. ۳ ـ كان الأشعث متّهماً بالتنسيق مع معاوية خلال فترة الحرب، يقول ابن مزاحم: إنّ ابن ذى الكلاع أرسل إلى الأشعث رسولا فقال له: «إنّ ابن عمّك ________

۱. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۲/۲۷۹ .

۲. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۲۹ .

۳. المسعودى: مروج الذهب ۳/۱۱۷ .

۴. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۱۵۳ . (۱۴۷)

ذى الكلاع يقرئك السّـلام ورحمة الله، وإن كان ذوالكلاع قد اُصيب وهو فى الميسرة، فتأذن لنا فيه» فقال له الأشـعث: اقرأ صاحبك السّلام ورحمة الله، وقل له: إنّى أخاف أن يتهمنى على، فاطلبه إلى سعيد بن قيس فإنّه فى الميمنة، فذهب إلى معاوية فأخبره وكان منع ذلك منهم، وكانوا فى اليوم والأيام يتراسلون(۱). ۴ ـ أرسل معاوية بن ابى سفيان أخاه عتبة بن أبى سفيان، فقال: الق الأشعث، فإنّه إن رضى رضيت العامّة، فخرج عتبة فنادى الأشعث بن قيس، فقال الناس: هذا الرجل يدعوك، فقال الأشعث: سلوه من هو؟ فقال: أنا عتبة بن أبى سـفيان، فقال الأشـعث: غلام مترف ولابـدّ من لقائه، فخرج إليه، فأبلغه دعوة معاويـة (۲) . وهـذا يعرب أنّ معاويـة كان يحاول ايجاد موطأ قـدم له فى ساحـة على ـ عليه السَّلام ـ من خلال كسب رضا الأشـعث، وقـد نجح الرجل فى ذلك بعض النجاح وقد كانت نتيجـة هـذه الـدعوة أنّه قال فى جواب معاويـة: أمّا البقيـة فلسـتم بأحوج إليها منّا، وسـنرى رأينا فيها إن شاء الله . فلمّا بلغ معاويـة كلام الأشـعث، أيقن بأنّ الأشـعث قد جنح للسـلم، وشاعت نتيجة المفاوضة فى صـفوف الجيشين، إلى أن اجترأ الأشعث على ابداء رأيه فى الحرب والطلب من عليّ أنهائها رحمـة بالـذرارى والنساء وهذا ماتقرأه فيما يلى: ۵ ـ إنّ الأشـعث قام ليلة الهرير فى أصحابه من كندة، فألقى خطاباً يتوخّى منه تثبيط العزائم وايقاف الحرب لصالح معاوية، وكانت امارات النصر لعلى ________

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۳۴۱ .

۲. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۴۶۵ . (۱۴۸)

ظاهرة، وقـد رفعوا المصاحف على رؤوس الأسـنّة فى نهار تلك الليلـة، فقال فى خطابه: «قـد رأيتم يا معشـر المسـلمين ما قـد كان فى يومكم هـذا الماضـى، وما قـد فنى فيه من العرب، فوالله لقـد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ، فما رأيت مثل هـذا اليوم قط، إلاّ فليبلّغ

الشاهد الغائب، انّا إن نحن توافقنا غداً انّه لفناء العرب وضيعة الحرمات، أما والله ما أقول هذه المقالة جزعاً من الحتف ولكنّى رجل مسنّ اخاف على النساء والذرارى غداً إذا فنينا. قال صعصعة: فانطلقت عيون معاوية إليه بخطبة الأشعث، فقال: أصاب وربّ الكعبة، لئن نحن التقينا غداً لتميلنّ الروم على ذرارينا ونسائنا، ولتميلنّ أهل فارس على نساء أهل العراق وذراريهم، وأنّما يبصر هذا ذووا الأحلام والنهى، اربطوا المصاحف على أطراف القنا. فصار أهل الشام فنادوا فى سواد الليل: يا أهل العراق من لذرارينا إن قتلتمونا ومن لذراريكم إن قتلناكم، الله الله فى البقية. فأصبح أهل الشام وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح وقلَّدوها الخيل...(۱) . ۶ ـ إنّ رفع المصاحف أوجد الفوضى فى جيش على ـ عليه السّلام ـ وفرّقهم إلى فرقتين، فمنهم من يطلب مواصلة الحرب كعمروبن الحمق وغيره، ومنهم من يصرّ على إنهائها، ومنهم الأشعث فقام خطيباً مغضباً فقال: يا أمير المؤمنين أجب القوم إلى كتاب الله فإنّك أحقّ به منهم، وقد أحبّ الناس البقاء وكرهوا القتال (۲) . ۷ ـ وبعدما رضى الإمام بالتصالح لأُمور تقدّمت، وتوافق الطرفان على أن يبعث كلّ واحد حكماً، اختار الإمام أن يكون الحكم من قِبَلِه، ابن عباس، ـــــــــــــــــــــــ

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۴۹ ـ ۵۵۰ .

۲. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۵۱ . (۱۴۹)

فلم يقبله الأشعث، وقال: والله ما نبالى أكنتَ أنت أو ابن عباس ولانريد إلّا رجلا هو منك ومن معاوية سواء ليس إلى واحد منكما بأدنى من الآخر، قال على: إنّى اجعل الأشتر، قال الأشعث: وهل سعّر الأرض علينا غير الأشتر(۱) . ۸ ـ كان الأشعث يتبجّح بكتاب الصلح ولمّا تمّت كتابته وشهد عليه شهود من الطرفين أخذ به ومرّ به على صفوف أهل الشام والعراق يعرضه عليهم، واستقبله أهل الشام بالرضا، وأمّا أهل العراق فقد أوجد فيهم فوضى فمنهم من رضى ومنهم من حمل عليه هاتفاً بقوله: لا حكم إلّا لله (۲) . وممّا ذكرنا يظهر أنّ الرجل وإن لم يكن من الخوارج لكنّه إمّا كان عميلا لمعاوية، كما هو الظاهر ممّا سردناه عليك ، أوكان فى نفسه شىء يجرّه إلى أن يتّخذ موقفاً خاصّياً مناوئاً لعلىّ ـ عليه السّلام ـ ولأجل ذلك كان ما ألقاه من كلام حول ايقاف الحرب فرصة لما يرومه معاوية من انهاء الحرب وايجاد الفوضى، وبذلك تقف على صحّة ماذكره ابن أبى الحديد: من أنّ كل فساد كان فى خلافة علىّ فأصله الأشعث . يقول اليعقوبى: لمّا رفعوا المصاحف وقالوا: ندعوكم إلى كتاب الله، فقال على: إنّها مكيدة وليسوا بأصحاب قرآن، فاعترض الأشعث بن قيس الكندى، ـ وقد كان معاوية استماله وكتب إليه ودعاه إلى نفسه ـ فقال: قد دعوا القوم إلى الحقّ، فقال علىّ ـ عليه السّلام ـ إنّهم إنّما كادوكم وأرادوا صرفكم عنهم، فقال الأشعث: والله لئن لم تجبهم انصرفتُ عنك، ومالت اليمانية مع الأشعث، فقال الأشعث: والله لتجيبنّهم إلى ما دعوا إليه أو لندفعنّك إليهم ـــــــــــــــــــــــ

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۷۲ .

۲. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۸۸ . (۱۵۰)

برمّتك.(۱) . ويؤيّد ذلك ما ذكره المبرّد فى كامله: لمّا استقرّت الخوارج فى حروراء بعث على ـ عليه السّلام ـ إليهم صعصعة بن صوحان العبدى وزياد بن النضير الحارثى مع عبدالله بن عباس فقال لصعصعة: بأى القوم رأيتهم أشدَّ إطاقة؟ فقال: يزيد بن قيس الأرحبى، فركب على إليهم إلى حروراء، فجعل يتخلّلهم حتى صار إلى مَضْرب يزيد بن قيس، فصلّى فيه ركعتين، ثم خرج فاتّكأ على قوسه، وأقبل على الناس، فقال: هذا مقام من فلج (۲) فيه فلج يوم القيامة، ثمّ كلّمهم وناشدهم، فقالوا: أنّا أذنبنا ذنباً عظيماً بالتحكيم، وقد تبنا، فتب إلى الله كما تبنا نعدلك، فقال على ـ عليه السّلام ـ : أنا استغفر الله من كلّ ذنب، فرجعوا معه وهم ستّة آلاف، فلمّا استقرّوا بالكوفة أشاعوا أنّ عليّاً ـ عليه السّلام ـ رجع عن التحكيم، ورآه ظلالا ـ وقالوا: إنّما ينتظر أميرالمؤمنين أن يسمن الكراع (۳) وتجنى الأموال، ثمّ ينهض بنا إلى الشام، فأتى الأشعث عليّاً ـ عليه السّلام ـ فقال: يا أميرالمؤمنين، إنّ الناس قد تحدّثوا أنّك رأيت الحكومة ضلالا والاقامة عليها كفراً، فقام علىّ ـ عليه السّلام ـ يخطب، فقال: من زعم أنّى رجعت عن الحكومة فقد كذب، ومن رآها ضلالا فقد ضلّ، فخرجت حينئذ الخوارج من المسجد فحكّمت (۴) . قال ابن أبى الحديد: إنّ الخوارج لمّا قالوا لعلىّ: تب إلى الله ممّا

فعلت كما تبنا، ننهض معك إلى حرب الشام، فقال لهم عليّ: كلمة مجملة مرسلة ـــــــــــــــــــــــ

۱. اليعقوبى: التاريخ ۲/۱۷۸ طبعة النجف .

۲. فلج فيه، من الفلج: وهو الظفر .

۳. الكراع: اسم للخيل .

۴. المبرّد: الكامل ۲/۱۵۵، وفى المصدر: فقال الصعصعة والصحيح ما أثبتناه . (۱۵۱)

يقولها الأنبياء و المعصومين وهى قوله: «استغفرالله من كلّ ذنب» فرضوا بها وعدّوها اجابة لهم إلى سؤالهم، وصفت له ـ عليه السَّلام ـ نيّاتهم، واستخلص بها ضمائرهم، من غير أن تتضمّن تلك الكلمة اعترافاً بكفر أو ذنب فلم يتركه الأشعث، وجاء إليه مستفسراً وكاشفاً عن الحال وهاتكاً ستر التورية والكناية، فانتقض ما دبّره، وعاد الخوارج إلى شبهتهم الاُولى، وراجعوا التحكيم والمروق (۱) . هل العصبية القبلية دفعت الأشعث إلى المخالفة؟: من هذا البحث انصافاً تقف على قيمة مايذكره البعض وهو أنّ العصبية القبلية أثّرت فى انحراف الأشعث عن على، بل مهّدت لنشوء الخوارج وظهورهم فى الساحة، وذلك بحجة أنّ الأشعث اعترض على ترشيح عبدالله بن عباس ممثّلا ـ لعليّ، وقال: لا والله لا يحكم فيها مُضريّان حتى تقوم الساعة، ولكن اجعله من أهل اليمن، إذا جعلوا (أهل الشام) رجلا من مضر. فقال على: إنّى أخاف أن يُخْدَع يَمَنَيّكم، فإنّ عمراً ليس من الله فى شىء إذا كان له فى امر هوى، فقال الأشعث: والله لأن يحكمابيعض ما نكرهه وأحدهما من أهل اليمن أحبّ إلينا من أن يكون بعض ما نحبّ فى حكمهما وهما مضريان (۲) . إنّ تحليل انحراف الأشعث عن عليّ ـ عليه السَّلام ـ وايجاده الفوضى فى قسم كبير من جيشه بهذا العامل النفسى ضعيف جداً، ولاننكر أن يكون لهذا العامل أيضاً رصيداً فى ما كان يضمره ويعمله . ـــــــــــــــــــــــ

۱. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۲/۲۸۰ .

۲. الدكتور نايف معروف: الخوارج فى العصر الاُموى ۲۵ وما نقله عن الأشعث، ذكره ابن مزاحم فى وقعة صفّين ۵۰۰ . (۱۵۲) وأبعد من ذلك تحليل نشوء الخوارج فى ساحة القتال بالعصبية القبلية، انّها أنجبت حركة الخوارج فصارت عصبيتهم الموجّهة ضدّ قريش وسلطانها المتجسّد فى الحكومة العلوية يومذاك، سبباً لتلك الحركة الهدّامة بشهادة أنّا لانجد فى صفوف الخوارج قرشياً واحداً بل على العكس من ذلك فإنّهم كانوا يحملون لواء التمرّد على قيادتها(۱) . إنّ تحليل هذه الحركة الكبيرة من بدئها إلى نهايتها بهذا العامل النفسى أشبه بتعليل الهزّة الكبيرة الموجبة لانهدام المدن والقرى، بسقوط صخرة من أعلى الجبل إلى هّوة سحيقة، نعم لايمكن انكار العصبية القبلية بين جميع القبائل العربية، خصوصاً بين قبيلتى تميم وقريش، ولكنّه ليس بمعنى أنّه الباعث والعامل المحدِث لهذه الضجّة الكبيرة التى شغلت بال المسلمين والخلفاء طوال قرون، بل العامل لحدوث هذه الحركة هو ما عرفته فى المقام وفى الفصل الثالث عند البحث عن نشوء الخوارج . *** ـــــــــــــــــــــــ

۱. الدكتور نايف معروف: الخوارج فى العصر الاُموى ۲۸ .

الفصل الثامن الخوارج فى عصر معاوية بن أبى

الفصل الثامن الخوارج فى عصر معاوية بن أبى سفيان (۱۵۴) (۱۵۵) قد تعرّفت على مأساة التحكيم وما خلّف من آثار ونتائج سيّئة فى جيش الإمام وأصحابه حيث فرّقهم وشقَّ شملهم، فانقلب الاخوان أعداءً، وأصبح الأنصار معارضين، إلى أن أدّى ذلك إلى حروب دامية ضدّ إمامهم أمير المؤمنين ولم يبرحوا حتى قضوا على حياته حيلة وغيلة. لقد بذر معاوية تلك البذرة فى جيش الإمام، ولم يدر بخلده أنّ هذه البذرة سوف تنمو وتكون أشواكاً تعكّر عليه صفو خلافته، وتشغل باله عشرين سنة إلى العام الذى هلك فيه، فحصد مازرع ووقع بالحفرة التى حفرها، وسوف نذكر الحروب والانتفاضات التى جرت فى عهد معاوية بعد أن تسنّم عرش الخلافة من عام ۴۱ إلى ۶۰ من الهجرة. نعم لم تقف انتفاضاتهم بهلاك معاوية، بل استمرّت بعد هلاكه، وعلى طول عهد بنى اُميّة، غير انّا نكتفى بما

جرى فى عهـد معاوية وبعده بقليل، ليكون نموذجاً لسائر الثورات التى قاموا بها إلى أواخر العصر الأموى. فكانوا مثلا لقوله سبحانه: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَ بالَ أَمْرِهِمْ (۱۵۶) وَ لَهُمْ عَذابٌ اَلِيمٌ) (۱) . وقبل ذلك نلفت نظر القارىء إلى هـذه الانتفاضات من زاويـة اُخرى، فالخوارج وإن قاموا فى وجه الطغاة اللئام من بنى اُميّـة فثاروا عليهم هنا وهناك بصورة عشوائية ومتفرّقة، فأسهروا عيونهم وزعزعوا كيانهم، ولكنّهم أيضاً ذاقوا وبال أمرهم لأنّهم عصوا إمامهم، وقلّبوا الاُمور عليه، وأوجدوا الفوضى فى عصره، فصدق فيهم قول الامام وهو يخاطبهم: «أما انّكم ستلقون بعدى ذلّا شاملا، وسيفاً قاطعاً، يتّخذها الظالمون فيكم سنّة»(۲) . وهذا الكلام تنبّؤ من الإمام عن مستقبلهم المظلم، ويحقّ له هـذا التنبّؤ، كيف وهو باب علم النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ، نعم احتمل ابن أبى الحديد أن يكون دعاءً أيضاً وقال: وهذه المخاطبة لهم وهذا الدعاء عليهم، وهذه الأخبار عن مستقبل حالهم، وقد وقع ذلك، فإنّ الله تعالى سلّط على الخوارج بعده الذلّ الشامل، والسيف القاطع، والاثرة من السلطان، ومازال حالهم يضمحل حتى افناهم الله تعالى وافنى جمهورهم. ثمّ إنّ ابن أبى الحديد ذكر فى أخبارهم شيئاً كثيراً وأطنب الكلام فى سيف المهلّب بن أبى صفرة وبنيه على الخوارج وانّ نتيجته كانت الحتف القاضى، والموت الزؤوم للخوارج. إنّ موسوعتنا هـذه موسوعة تاريخ العقائد، لا تاريخ الأقوام، ولأجل ذلك ضربنا صفحاً عن نقل جميع الانتفاضات التى أقامها الخوارج فى الشهود المختلفة، وفى أماكن متفرّقة، واكتفينا بماقاموا به فى العصر الإموى، وخصّصنا بالذكر خصوص ما يرجع إلى عهد معاوية بن أبى سفيان زارع هذه ـــــــــــــــــــ

۱. التغابن ۵ .

۲. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۵۸ . (۱۵۷)

البذرة، وحاصد نتائجها الدنيوية، وحافر تلك الحفرة والواقع فيها، وطلباً للاكمال نشير إلى الانتفاضات الواقعة بعد عهد معاوية بوجه موجز. اغتيل الإمام على ـ عليه السَّلام ـ بيد أشقى الأوّلين والآخرين على ما وصفه الرسول الأعظم ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فى حديثه (۱) وقضى نحبه فبويع الحسن خليفة بعد أبيه وتمّت له البيعة فى رمضان سنة أربعين، وكان معاوية يتحيّن الفرص ليسيطر على العراق كما سيطر على مصر ويأخذ بمقاليد الحكم، وقد أعطاه قتل الإمام فرصة لبسط نفوذه على العراق وخلع الحسن عن الحكم، فقدّم أمامه عبدالله بن عامر ليفتح الطريق إلى معاوية، ثمّ غادر هو الشام متوجّهاً إلى العراق. ولمّا وقف الحسن على خطّة معاوية وانّه بصدد مواجهته بالقوّة العسكرية قدّم كتائب من جيشه وعلى رأسهم كتيبة قيس بن سعد بن عباده، وخرج هو من الكوفة حتى نزل المدائن مستعدّاً لمواجهة معاوية، غير أنّ الحوادث المريرة ـ التى ليس المقام مناسباً لذكرها ـ خيَّبتْ أمله، فلم يَر بدّا من التنازل عن الحكم و تسليم الأمر إلى معاوية من خلال وثيقة الصلح، وكيف لايكون مضطرّاً إلى التصالح وقد أعرب عن اضطهاده وتخاذل أصحابه ونهب ماله قبل مواجهة العدوّ، فقام خطيباً وقال: «يا أهل العراق انّه سخّى بنفسى عنكم ثلاث: قتلكم أبى، وطعنكم إيّاى وانتهابكم متاعى»(۲). أخذ معاوية بمقاليد الحكم وكان يتبجّح بأنّه أزال جميع الموانع التى ـــــــــــــــــــ

۱. سبط ابن الجوزى: تذكرة الخواص ۱۵۸.

۲. الطبرى: التاريخ ۴/۱۲۲ وقد ذكر الطبرى صورة وثيقة الصلح فى ذلك المقام ولكن ما ذكره لايشتمل على جميع بنود الصلح ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتاب صلح الحسن للشيخ راضى آل ياسين. (۱۵۸)

كانت تقف فى طريقه لتولّى سدّة الحكم، لكنّه كان غافلا عن أنّ البذرة التى بذرها فى صفّين لأجل إيجاد الفرقة فى صفوف جيش علىّ ـ عليه السَّلام ـ سوف تنمو ويأكل من ثمرها وتكون عليه ضدّاً، فإن تسليم الحسن الحكم لمعاوية، ومبايعة أهل العراق له قد أغضب رؤوس الخوارج المختفين فى جيش الحسن والمتفرّقين فى البلاد، إذ شعروا أنّ هـذا التصالح خطر على كيانهم ووجودهم، ولأجل ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم لمحاربة النظام الجديد كما حاربوا النظام السابق، فالخوارج كانوا ينظرون إلى علىّ ـ عليه السَّلام ـ ومعاوية بمنظار واحد بعد قضية التحكيم وإن كان علىّ ـ عليه السَّلام ـ فى نظرهم إماماً عادلا محقّاً قبل التحكيم . وإليك بعض حروبهم فى عصر معاوية على وجه الإجمال: ۱ ـ خروج فروة بن نوفل: يقول الطبرى: وفى هذه السنة سنة ۴۱ خرجت الخوارج

التی اعتزلت أیام علیّ ـ علیه السّلام ـ بـ «شهرزور» علی معاویة، فلمّا قدم معاویة العراق قبل أن یبرح الحسن من الکوفة حتی نزل النخیلة فقالت الحروریة الخمسمائة التی کانت اعتزلت بـ«شهرزور» مع فروة بن نوفل الأشجعی: قد جاء الآن ما لا شکّ فیه، فسیروا إلی معاویة نجاهده، فأقبلوا وعلیهم فروة بن نوفل حتی دخلوا الکوفه فأرسل الیهم معاویة خیلا من خیل أهل الشام فکشفوا أهل الشام، فقال معاویة لأهل الکوفة: لاأمان لکم والله عندی حتی تکّفوا بوائقکم، فخرج أهل الکوفة إلی الخوارج فقاتلوهم، فقالت لهم الخوارج: ویلکم ما تبغون منّا، ألیس معاویة عدوّنا وعدوّکم، دعونا حتی نقاتله وإن أصبناه کنّا قد کفینا کم عدوّکم، وإن أصابنا کنتم قد کفیتمونا، قالوا: لا والله حتی نقاتلکم، فقالوا: رحم الله اخواننا (۱۵۹)

من أهل النهر هم کانوا أعلم بکم یا أهل الکوفة، وأخذت أشجع (۱) صاحبهم فروة وکان سید القوم واستعمل الخوارج علیهم عبدالله بن أبی الحر(۲)، رجلاـ من طیّ، فقاتلوهم، فقتلوا(۳) . وممّا یذکره المؤرّخون من حدیث معرکة النخیلة: انّ قبیلة اشجع تمکّنت من أخذ فروة بن نوفل من بین أصحابه الخوارج، فولّی الخوارجُ علیهم عبدالله بن ابی الحرباء، فقتل فی أثناء المعرکة، فولّی الخوارج علیهم حوثرةَ بن وداع بن مسعود الأسدی، فعاد إلی النخیلة، فأرسل الیه معاویة أباه، لعلَّه یردُّه وقال له: اُخرج إلی ابنک فلعلّه یرقُّ إذا رآک. فخرج إلیه وکلّمه وناشده وقال: ألاأجیئک بأبنک؟ فلعلّک إذا رأیته کرهتَ فراقهَ. فقال حوثرة: إنّی إلی طعنة من ید کافر یرمح القلب فیها ساعة، أشوق منّی إلی ابنی . فرجع أبوه وأخبر معاویة بقوله. فأرسل معاویة إلیهم جنداً فقتلوهم جمیعا(۴) . ۲ ـ خروج شبیب بن بجرة: کان شبیب مع ابن ملجم حین قتل علیّاً، فلمّا دخل معاویة الکوفة أتاه شبیب المتقرّب وقال: أنا و ابن ملجم قتلنا علیّاً، فوثب معاویة من مجلسه مذعوراً حتی دخل منزله وبعث إلی أشجع، ـــــــــــــــــــ

۱. اسم قبیلة من قبائل الکوفة، والمراد أنّ القبیلة التی کانت تحمی معاویة أخذت فروة بن نوفل رئیس الخوارج.

۲. وفی الکامل لابن الاثیر (عبدالله بن أبی الهوساء) ۳/۳۰۵ـ ۳۰۶.

۳. الطبری: التاریخ ۴/۱۲۶.

۴. عمر ابو النضر: الخوارج فی الإسلام ۳۱. (۱۶۰)

فقال: لئن رأیت شبیباً أو بلغنی أنّه ببابی لأهلکنّکم، أخرِجوه من بلدکم، وکان شبیب إذا جنّ علیه اللیل خرج فلم یلق أحداً إلاّ قتله، فلمّا ولی المغیرة بن شعبة الکوفة، خرج علیه بالطفّ قریب الکوفة، فبعث إلیه المغیرة خیلا علیها خالد بن أرفطة، وقیل معقل بن قیس، فاقتتلوا فقتل شبیب وأصحابه (۱) . هذه عبرة خاطفة عن ثورات الخوارج فی الکوفة، قبل أن یولّی المغیرة بن شعبة من قبل معاویة، وبعدما تولّی هو الکوفة کانت لهم ثورات أخمدها المغیرة بدهائه وسیفه وإلیکها مجملة: الخوارج والمغیرة بن شعبة والی معاویة فی الکوفة: غادر معاویة الکوفة إلی الشام واستعمل عبدالله بن عمرو بن العاص علی الکوفة، فأتاه المغیرة بن شعبة فقال له: استعملت عبدالله علی الکوفة، وأباه علی مصر، فتکون أمیراً بین نابی الأسد، فعزله عنها واستعمل المغیرة علی الکوفة، ولمّا بلغ عمرو ما قاله المغیرة، دخل علی معاویة فقال: استعملت المغیرة علی الخراج فیغتال المال ولا تستطیع أن تأخذه منه، استعمل علی الخراج رجلا یخافک ویتّقیک، فعزله عن الخراج واستعمله علی الصلاة. فلقی المغیرة عمرو، فقال عمرو: أنت المشیر علی أمیرالمؤمنین بما أشرت به فی عبدالله؟ قال: نعم. قال: هذه بتلک(۲) وکان المغیرة یمثّل ـــــــــــــــــــ

۱. ابن الاثیر: الکامل ۳/۲۰۶.

۲. الطبری: التاریخ ۴/۱۲۷. ابن الاثیر: الکامل ۳/۲۰۶. هؤلاء هم الصحابة العدول الذین یؤخذ عنهم الدین والفتوی!!. (۱۶۱)

سیاسة معاویة مع الخوارج فیقاتلهم تارة ویعفو عنهم اُخری، یقول الطبری: بعث معاویة المغیرة بن شعبة والیاً علی الکوفة، فأحبّ العافیة وأحسن فی الناس السیرة ولم یفتّش أهل الأهواء عن أهوائهم، وکان یؤتی فیقال له: إنّ فلاناً یری رأی الشیعة، وإنّ فلاناً یری رأی الخوارج، فکان یقول: قضی الله أن لا تزالون مختلفین، وسیحکم الله بین عباده فی ماکانوا فیه یختلفون، فأمنه الناس(۱).وإلیک بعض مواجهاته مع الخوارج. ۳ ـ خروج معین الخارجی: بلغ المغیرة أنّ معین بن عبدالله یرید الخروج فأرسل إلیه وعنده جماعة فاُخذ

وحبس، وبعث المغيرة إلى معاوية يخبره أمره، فكتب إليه: إنْ شهد أنّى خليفة فخلّ سبيله، فأحضره المغيرة وقال له: أتشهد أنّ معاوية خليفة و أنّه أمير المؤمنين؟ فقال: أشهد أنّ الله عزّوجلّ حقّ وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها و أنّ الله يبعث من فى القبور، فأمر به فقتل(۲) . ۴ ـ خروج أبى مريم مولى بنى الحرث بن كعب: ثم خرج أبو مريم مولى بنى الحرث بن كعب ومعه امرأتان قطام وكحيلة، وكان أوّل من أخرج معه النساء، فعاب ذلك عليه أبو بلال بن أديه، فردّه أبو مريم بأنّه قد قاتل النساء مع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ومع المسلمين بالشام، وسأردّهما، فردّهما، فوجّه إليه المغيرة جابر البجلى، فقاتله فقتل أبو مريم وأصحابه بـ «بادوريا»(۳) . ۵ ـ خروج أبى ليلى: وكان أبو ليلى رجلا أسود طويلا، فأخذ بعضادتى ــــــــــــــــــــ

۱. الطبرى: التاريخ ۴/۱۳۲ .

۲. ابن الاثير: الكامل ۳/۲۰۶ .

۳. ابن الاثير: الكامل ۳/۲۰۶ ـ ۲۰۷ . (۱۶۲)

باب المسجد بالكوفة وفيه عدّة من الأشراف، وحكم بصوت عال، فلم يعرض له أحد، فخرج وتبعه ثلاثون رجلا من الموالى، فبعث إليه المغيرة معقل بن قيس الرياحى فقتله بسواد الكوفة سنة اثنتين وأربعين(۱). ۶ ـ خروج المستورد: إنّ الخوارج فى أيّام المغيرة بن شعبة فزعوا إلى ثلاثة نفر، ۱ـ المستورد بن علفة التيمى ۲ـ حيان بن ظبيان السلمى ۳ـ معاذ بن جوين الطائى، فاجتمعوا فى منزل حيان بن ظبيان فتشاوروا فيمن يولّون عليهم، فبايعوا المستورد لأنّه أسنّ الثلاثة واستعدّوا للخروج فى غرّة هلال شعبان سنة ۴۳ (۲) . ثمّ إنّ قبيصة بن الدمون أتى المغيرة وكان على شرطته، فأخبر أنّ الخوارج قد اجتمعوا فى منزل حيّان بن ظبيان، وقد اتّعدوا أن يخرجوا إليك فى غرة شعبان، فقال المغيرة: سِرْ بالشرطة حتّى تحيط بدار حيّان بن ظبيان فأتنى به، وهم لايرون إلاّ أنّه أمير تلك الخوارج، فسار قبيصة بالشرطة وفى كثير من الناس، فلم يشعر حيّان بن ظبيان إلاّ والرجال معه فى داره نصف النهار واذا معه معاذ بن جوين و نحو من عشرين رجلا من أصحابهما، فاستسلموا فانطلق بهم إلى المغيرة بن شعبة، فقال لهم المغيرة: ما حملكم على ما أردتم من شقّ عصا المسلمين، قالوا له: أمّا اجتماعنا فى هذا المنزل فإنّ حيّان بن ظبيان أقرأنا القرآن، فنحن نجتمع عنده فى منزله، فنقرأ القرآن عليه، قال: فاذهبوا بهم إلى السجن، فلم يزالوا فيه نحواً من سنة(۳) . ــــــــــــــــــــ

۱. ابن الاثير: الكامل: ۳/ ۲۰۷ .

۲. الطبرى: التاريخ ۴/۱۳۳ ـ ۱۳۴ .

۳. الطبرى: التاريخ ۴/۱۳۸. ابن الاثير: الكامل ۳/۲۱۰ ـ ۲۱۲ . (۱۶۳) وأمّا المستورد، فقد ذكر الطبرى فى تاريخه (۱) وابن الأثير فى كامله (۲) ثورته على وجه التفصيل و نحن نذكر ملخّصها حسب ما قام به الدكتور نايف معروف فى كتابه «الخوارج فى العصر الأموى»: وأمّا المستورد، فإنّه نزل داراً فى الحيرة بعيداً عن أعين الحرّاس. ولكن لمّا أخذت الخوارج تفد عليه، وانكشف أمره، أمر أصحابه بالرحيل عنها، فتحوّلوا إلى دار سليم بن مخدوج العبدى، فى بنى سلمة من عبد القيس، وكان صهراً للمستورد لايرى رأيه فى الخروج. ولمّا شاع خبرتحرّك الخوارج، أدرك المغيرة خطورة الأمر، فجمع رؤساء القبائل و خطبهم فقال: فليكفين كلّ امرىء من الرؤساء قومه، وإلاّ فو الذى لا إله غيره لأتحولنّ عمّا كنتم تعرفون إلى ما تنكرون، وعمّا تحبّون إلى ما تكرهون فلا يلم لائم إلاّ نفسه، وقد اُعذر من أنذر. أخذ زعماء القبائل انذار المغيرة موضع جدّ واهتمام، فعادوا إلى قبائلهم وبادروا فى البحث عن مثيرى الفتنة فى صفوفهم، وجاء صعصعة بن صوحان إلى عبدالقيس ، فحذّرهم من إيواء هؤلاء المارقة، فتراجع كثيرون عن اللحاق بالخوارج. ولمّا علم المستورد بتهديد المغيرة لرؤساء القبائل، وتجنباً لاحراج أصهاره، أمر أصحابه بالرحيل، فخرجوا عن ديار عبدالقيس، وساروا إلى الصراة ومنها إلى «بهرسير» وعزموا على دخول المدينة العتيقة التى كانت بها منازل كسرى فردّهم عنها عاملها سماك بن عبيد الأزدى العبسى. ثم حاول أن يردّهم عن خروجهم، ويأخذ لهم الأمان، فأبى المستورد، وعبر «جراجرايا» ومضى بأصحابه إلى أرض جوخى، حتى بلغ المذار، ونزلوا ــــــــــــــــــــ

۱. الطبرى: التاريخ ۴/۱۳۸ ـ ۱۶۱ .

۲. ابن الأثير: الكامل ۳/۲۱۲ ـ ۲۱۷ . (۱۶۴)

هناك. فبعث إليهم المغيرة جيشاً، قوامه ثلاثة آلاف رجل من نقاوة الشيعة، على رأسهم معقل بن قيس الرياحى التميمى الشيعى، فأرسل معقل فى أثرهم أبا الرواغ الشاكرى فى ثلاثمائة من الفرسان، فلحقهم حتى أدركهم فى أرض المذار. وحينذاك استشار أصحابه فى قتالهم أو انتظار قدوم معقل عليه، فاختلف أصحابه بين مؤيّد ومعارض. وأخيراً تنحّى جانباً. ثمّ تقدم معقل فى سبعمائة من فرسانه والتقى الخوارج فانهزم كثيرون من أصحابه ولم يثبت سوى معقل وأبى الرواغ فى نحو مائتين من الفرسان. ووصلت مؤخّرة الجيش وتوافقوا للقتال. وفى تلك الأثناء جاءت الخوارج الأخبار بأنّ شريك بن الأعور قد أقبل فى ثلاثة آلاف من أهل البصرة، فاقترح المستورد على أصحابه أن ينحازوا ثانية، عن أرض البصرة وأن يعودوا إلى أرض الكوفة، لأن البصريين لايحاربون خارج دائرتهم، فانسحبوا من مواقعهم وتسلّلوا إلى أرض الكوفة حتى بلغوا جراجرايا، وقد أصاب حدسُهم، فإنّ البصريين رفضوا اللحاق بهم، فمضى الخوارج فى طريقهم وعبروا دجلة ونزلوا فى ارض بهرسير. وهناك بالقرب من ساباط كان اللقاء الحاسم فاشتدّ القتال بين الفريقين، وكادت الدائرة تدور على أهل الكوفة لولا ثبات معقل فى عدد من فرسانه، ونجدة أبى الرواغ الذى كان أبعده المستورد عن ساحة المعركة بحيلة حربية، أمّا المستورد، فإنّه نادى معقلا ودعاه للمبارزة، فحاول أصحابه منعه من ذلك، فأبى وخرج إليه معقل، فاختلفا ضربتين، فقتل كل واحد منهما صاحبه. وكان قد أوصى بالامارة من بعده إلى عمرو بن محرز ابن شهاب التميمى، الذى أخذ الراية بعد مقتله و حمل على الخوارج (۱۶۵)

فقتلوهم ولم ينج منهم إلّا بضعة رجال فرّوا من أرض المعركة (۱) . ۷ ـ خروج الموالى لصالح الخوارج: إنّ الموالى فى العصر الأموى كانوا تحت الضغط يحقّرون بأنّهم غير عرب، فلأجل ذلك لاعجب إذا رأينا صلة بينهم وبين الخوارج فإنّهم وإن كانوا لايتبنّون مبادىء الخوارج ولكن كانوا يلتقون معهم بعدائهم للحكومة الأموية، ولأجل ذلك نجد أنّ عصابة من الموالى خرجت من الكوفة فبعث إليهم المغيرة رجلاـ من بجيلة، فقاتلهم وقضى عليها، وهؤلاء أوّل خارجة خرج فيها الموالى (۲) . ۸ ـ خروج حيان بن ظبيان السلمى: وفى سنة خمسين توفّى المغيرة بن شعبة، وهو ابن سبعين، وقد سجن كثيراً من الخوارج وقد أفرج عنهم بعد موته، ولمّا ولى على الكوفة عبدالرحمن بن عبدالله بن عثمان بن ربيعة الثقفى، وهو ابن اُمّ الحكم، اُخت معاوية بن أبى سفيان عادوا للخروج. يقول الطبرى: إنّ حيان بن ظبيان السلمى، جمع إليه أصحابه، فدعاهم إلى الجهاد، وأدعم رأيه معاذ بن جوين الطائى، وبايع القوم حيان بن ظبيان، ثم اجتمعوا فى منزل معاذ بن جوين بن حصين الطائى، فقال لهم حيان: عباد الله أشيروا برأيكم أين تأمرونى أن أخرج؟ فقال له معاذ: إنّى أرى أن تسير بنا إلى «حلوان» فلم يقبله حيان، فقال له: عدوّك معاجلك قبل اجتماع الناس إليك، ورأى الخروج إلى جانب الكوفة، ولم يرض به أصحابه، فقال لهم معاذ بن جوين: سيروا بنا فلننزل بـ«انقيا» فخرجوا فبُعِثَ إليهم جيش فقتلوا جميعاً، وذلك فى عام تسعة و خمسين . ويقول الطبرى: وفى هذه السنة اشتدّ عبيدالله بن زياد على الخوارج ــــــــــــــ

۱. د ـ نايف معروف:الخوارج فى العصر الأموى ۱۱۸ ـ ۱۱۹ .

۲. اليعقوبى: التاريخ ۲/۲۲۱ . (۱۶۶)

وقتل منهم صبراً جماعة كثيرة، وفى الحرب جماعة اُخرى، وممّن قتل منهم صبراً، عروة بن ادية أخو أبى بلال مرداس بن ادية(۱). الخوارج فى البصرة: لم تكن الكوفة وضواحيها هى المركز الوحيد لحركة الخوارج وثوراتهم فى أوائل العصر الأموى، فقد كانت البصرة مثل الكوفة مركزاً لنشاطهم وخروجهم. فقد خرج حمران بن أبان على البصرة فى عام ۴۱ فبعث معاوية بسر بن أرطاة فقتله وأخمد الثورة، ثم عزله معاوية واستعمل مكانه عبدالله بن عامر فخرج فى عصره سهم بن غالب الهجينى فى سبعين رجلا، فخرج إليه ابن عامر ففرّق شملهم حتّى اضطرّوا إلى الأمان. ولمّا ولّى معاوية زياداً على البصرة فى سنة ۴۵، فوجدها تعج من الخوارج، وكانت لهم انتفاضات واحدة بعد اُخرى ولكن لم يكن النجاح حليفاً لهم (۲) ونذكر هنا أهمّها على وجه الاجمال: ۹ ـ خروج الخطيم الباهلى

وسهم بن غالب الهجینی: خرج سهم إلی الأهواز فأحدث وحکم ثم رجع فاختفی وطلب الأمان، فلم یؤمنه زیاد وطلبه حتی أخذه وقتله وصلبه علی بابه. وأمّا الخطیم فسیّره إلی البحرین، ثمّ أذن له فقدم، ولمّا أخلّ بما أمره به زیاد أمر بقتله واُلقی فی عشیرته (باهلة) (۳) .

---

۱. الطبری: التاریخ ۴/۲۳۱ .

۲. الطبری: التاریخ ۴/۱۷۲ .

۳. الطبری: التاریخ ۴/۱۷۲. ابن الاثیر: الکامل ۳/۲۲۵ . (۱۶۷) ۱۰ ـ خروج قریب بن مرة وزحّاف الطائی: خرج هذان الرجلان فی أمارة زیاد بالبصرة فاعترضا الناس فلقیا شیخاً ناسکاً من بنی ضبیعة فقتلاه، فخرج رجل من بنی قطیعة من الأزد وفی یده السیف، فناداه الناس من ظهور البیوت الحروریة: اُنج بنفسک، فنادوه (قریب وزحاف و من معهما): لسنا حروریة، نحن الشرط، فوقف فقتلوه. ثم جعلا لا یمرّان بقبیلة إلاّ قتلا من وجدا. حتّی مرّا علی بنی علی بن سود من الأزد وکانوا مائة فرموهم رمیاً شدیداً فصاحوا: یا بنی علی، البُقْیا، لارماء بیننا، قال رجل من بنی علی : لا شیء للقوم سوی السهام مشحوذةً فی غلس الظلام ففرّ عنهم الخوارج، إلی أن واجهوا بنو طاحیة من بنی سود، وقبائل من مزینة وغیرها، ووقع الحرب، فقتل الخوارج عن آخرهم، وقتل قریب وزحاف وقد کان عمل هؤلاء منفِّراً علی حدّ، تبرّأ عنهم بعض الخوارج، ونقل ابن أبی الحدید عن أبی بلال مرداس بن اُدَیَّة انّه قال: قریب، لاقرّبه الله، وزحاف لاعفا الله عنه، رکباها عشواء مظلمة ـ یرید اعتراضهما الناس ـ ونسب الطبری هذا القول إلی سعید بن جبیر(۱) . وقال الجزری: واشتد زیاد فی أمر الخوارج فقتلهم، وأمر سمرة بذلک فقتل منهم بشراً کثیراً، وخطب زیاد علی المنبر وقال: والله لتکفّنّنی هؤلاء، أو لأبدأنَّ بکم، والله لإن اُفلِتَ منهم رجل، لاتأخذون العام من عطیاتکم درهماً، فثار الناس بهم فقتلوهم(۲) . ۱۱ـ خروج زیاد بن خراش العجلی: خرج زیاد بن خراش العجلی فی ________

۱. الطبری: التاریخ ۴/۱۷۶ ـ ۱۷۷. ابن أبی الحدید : الشرح ۴/۱۳۵. المبرد: الکامل ۲/۱۸۰ .

۲. ابن الاثیر: الکامل فی التاریخ ۳/۲۲۹. (۱۶۸)

ثلاثمائة فارس فأتی أرض مسکن من السواد فسیَّر إلیه زیاد خیلا علیها سعد بن حذیفة أو غیره فقتلوهم، وقد صاروا إلی مائة (۱) . ۱۲ـ خروج معاذ الطائی: وخرج علی زیاد أیضاً رجل من طی یقال له معاذ، فأتی نهر عبدالرحمن بن اُمّ الحکم فی ثلاثین رجلا فی سنة ۵۱، فبعث إلیه زیاد من قتله وأصحابه، وقیل بل حلّ لواءه واستأمن(۲) . ۱۳ ـ خروج طواف بن غلاق: توفّی زیاد بن أبیه بالکوفة فی شهر رمضان سنة ۵۳، ثمّ إنّ معاویة ولّی ابنه عبیدالله بن زیاد علی البصرة عام ۵۵ فکانت سیرته مع الخوارج نفس سیرة أبیه، فاشتدّ علیهم وقتل منهم جماعة کثیرة، فقد بلغه أنّ قوماً من الخوارج بالبصرة یجتمعون إلی رجل اسمه «جدار» فیتحدّثون عنده ویعیبون السلطان، فأخذهم ابن زیاد فحبسهم، ثم دعا بهم وعرض علیهم أن یقتل بعضهم بعضاً ویخلّی سبیل القاتلین، ففعلوا، فأطلقهم، فکان ممّن قتل طواف، فعذلهم أصحابهم وقالوا: قتلتم اخوانکم؟ قالوا: اُکْرِهْنا وقد یکره الرجل علی الکفر وهو مطمئن بالایمان، وندم طواف وأصحابه، فقال طواف: أما من توبة؟ فکانوا یبکون وعرضوا علی أولیاء من قتلوا، الدیة، فأبوا، وعرضوا علیهم القود، فأبوا. ثم لقی طواف، ابن ثور السدوسی، فقال له: أماتری لنا من توبة؟ فقال: ما أجد لک إلاّ آیة فی کتاب الله عزّوجلّ: (ثُمّ إنَّ رَبَّکَ لِلَّذِینَ هاجروا مِنْ بَعْدِ مافُتِنُوا ثُمَّ جاهَدُوا وَ صَبَرُوا اِنَّ رَبَّکَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِیمٌ) (۳) . فدعا طواف أصحابه إلی الخروج وإلی أن یفتکوا بابن زیاد، فبایعوه فی سنة ________

۱. ابن الاثیر: الکامل فی التاریخ ۳/۲۴۴ .

۲. ابن الاثیر: الکامل فی التاریخ ۳/۲۴۴ .

۳. النحل: ۱۱۰. (۱۶۹)

ثمان و خمسین، وکانوا سبعین رجلا من بنی عبدالقیس بالبصرة، فسعی بهم رجل من أصحابهم إلی ابن زیاد فبلغ ذلک طوافاً، فعجّلوا

الخروج فخرجوا من ليلتهم، فقتلوا رجلا ـ ومضوا إلى الجلحاء، فندب ابن زياد الشرط البخارية، فقاتلوهم فانهزم الشرط حتّى دخلوا البصرة وذلك يوم عيد الفطر وكثّرهم الناس فقاتلوا فقتلوا، وبقى طواف فى ستة نفر و عطش فرسه فأقحمه الماء فرماه البخارية بالنشاب حتّى قتلوه وصلبوه ثمّ دفنه أهله (۱) . ۱۴ ـ خروج عروة بن اديّة: إنّ عبيدالله بن زياد خرج فى رهان له، فلمّا جلس ينتظر الخيل، اجتمع الناس وفيهم عروة بن اُدية، فأقبل على ابن زياد فقال: خمس كن فى الاُمم قبلنا، فقد صرن فينا(اَتَبْنونَ بِكُلِّ رِيع آيَةً تَعْبَثُونَ* وتَتَّخِذُونَ مَصانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَ إذا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبّارين)(۲) . وخصلتين اُخريين لم يحفظهما جرير (الراوى)، فلمّا قال ذلك ظنّ ابن زياد انّه لم يجتر على ذلك إلاّ ومعه جماعة من أصحابه، فقام وركب وترك رهانه. فقيل لعروة ما صنعت، تعلمنّ والله ليقتلنك، فتوارى فطلبه ابن زياد، فأتى الكوفة، فأخذ بها، فقدم به على ابن زياد، فأمر به فقطعت يداه ورجلاه، ثم دعا به فقال: كيف ترى؟ قال: اَرى اَنَّك اَفْسدتَ دنياى واَفسدتُ آخرتك، فقتله وأرسل إلى ابنته فقتلها(۳) . ۱۵ ـ خروج مرداس به اُديَّة: قال الطبرى: حبس ابن زياد فيمن حبس مرداس بن ادية، فكان السجّان يرى عبادته و اجتهاده، وكان يأذن له فى الليل فينصرف فإذا طلع الفجر أتاه حتى يدخل السجن، ثمّ إنّه اُفرج عنه بشفاعة ـــــــــــــــــــ

۱. ابن الاثير: الكامل ۳/۲۵۴ .

۲. الشعراء: ۱۲۸ ـ ۱۳۰ .

۳. الطبرى: التاريخ ۴/۲۳۱ ـ ۲۳۲. ابن الاثير: الكامل ۳/۲۵۵ . (۱۷۰)

السجّان (۱) . يقول المبرّد: كان مرداس قد شهد صفّين مع على بن أبى طالب ـ صلوات الله عليه ـ وأنكر التحكيم، وشهد النهر، ونجا فيمن نجا، وبعد ما خرج من حبس ابن زياد عزم الخروج، فقال لأصحابه: إنّه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين، تجرى علينا أحكامهم، مجانبين للعدل، مفارقين للفصل، والله إنّ الصبر على هذا لعظيم، وإنّ تجريد السيف واخافة السبيل لعظيم، ولكنّا ننتبذ عنهم ولانجرّد سيفاً ولانقاتل إلاّ من قاتلنا. فاجتمع إليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلا، فلمّا مضى بأصحابه لقى عبدالله بن رباح الأنصارى، وكان له صديقاً فقال له: أين تريد؟ قال: اُريد أن أهرب بدينى وأديان أصحابى من أحكام هؤلاء الجورة، فقال له: أعلم بكم أحد؟ قال: لا. قال: فارجع، قال: أو تخاف علىّ مكروهاً؟ قال: نعم وأن يؤتى بك، قال: لا تخف فإنّى لا اُجرّد سيفاً ولا اُخيف أحداً ولا اُقاتل إلاّ من قاتلنى، ثم مضى حتى نزل «آسك» وهى ما بين رامهرمز وارجان، فمرّ به مال يحمل لابن زياد، وقد قارب أصحابه الأربعين، فحطّ ذلك المال، وأخذ منه عطاءه واعطيات أصحابه، وردّ الباقى على الرسل وقال: قولوا لصاحبكم: إنّما قبضنا اعطياتنا، فقال بعض أصحابه فعلام ندع الباقى؟ فقال: إنّهم يقسمون هذا الفىء، كما يقيمون الصلاة فلانقاتلهم . كل ذلك دليل على عدم تطرّفه واعتداله وانّه أحسّ بعقله أو بدينه أن مآل التطرّف هو الموت والزوال . وممّا يدل على اعتداله ـ خلافاً لمن سبق عليه ـ أنَّ رجلا من أصحاب ابن زياد، قال: خرجنا فى جيش نريد خراسان، فمررنا بـ«آسك» ـــــــــــــــــــ

۱. الطبرى: التاريخ ۴/۲۳۲ . (۱۷۱)

فإذا نحن بهم ستة وثلاثين رجلا ـ وصاح بنا أبوبلال: أقاصدون لقتالنا أنتم؟ وكنت أنا و أخى قد دخلنا زربا(۱)، فوقف أخى ببابه وقال: السلام عليكم، فقال مرداس: وعليكم السلام، فقال لأخى: أجئتم لقتالنا؟ فقال له: لا إنّما نريد خراسان، قال: فبلغوا من لقيكم انّا لم نخرج لنفسد فى الأرض، ولا لنروّع أحداً ولكن هرباً من الظلم ولسنا نقاتل إلاّ من يقاتلنا، ولانأخذ من الفىء إلاّ اعطياتنا، ثمّ قال: أنَدِب إلينا أحد؟ قلنا: نعم، أسلم بن زرعة الكلابى. قال: فمتى ترونه يصل إلينا؟ قلنا: يوم كذا وكذا، فقال أبوبلال: حسبنا الله ونعم الوكيل . فلمّا سار إليهم أسلم، صاح به أبو بلال: اتّق الله يا أسلم، فإنا لا نريد قتالا، ولا نَحْتَجِن فيئاً، فما الذى تريد؟ قال: اُريد أن أردّكم إلى ابن زياد، قال مرداس: إذاً يقتلنا، قال: وإن قتلكم؟ قال: تشركه فى دمائنا، قال: إنّى ادين بأنّه محقّ وأنّكم مبطلون، فصاح بن حريث بن جحل (من أصحاب أبى بلال): أهو محق وهو يطيع الفجرة وهو أحدهم، ويقتل بالظِنَّة، ويخص بالفىء، ويجور فى الحكم؟ أما علمت أنّه قتل بابن سُعادَ، أربعة براء؟ ثم حملوا عليه حملة رجل واحد وكان معبد أحد الخوارج قد كاد يأخذه فانهزم هو

وأصحابه من غير قتال، فلمّا ورد أسلم على ابن زياد، غضب عليه غضباً شديداً، قال: ويلك أتمضى فى ألفين فتنهزم لحملة أربعين؟.... وكان إذا خرج إلى السوق، أومرّ بصبيان، صاحوا به: أبو بلال وراءك، وربّما صاحوا به: يا مَعْبد خذه، حتى شكا ذلك إلى ابن زياد، فأمر ابن زياد الشرط أن يكفّوا النّاس عنه، ففى ذلك يقول عيسى بن فاتك من بنى تيم: ــــــــــــــــ

۱. الزرب: جمع الزرب و هو مسيل الماء، حظيرة المواشى وعرين الأسد. (۱۷۲) أألفا مؤمن فيما زعمتم * ويهزمهم بآسک أربعونا كذبتم ليس ذاک كما زعمتم * ولكن الخوارج مؤمنونا هم الفئة القليلة غير شک * على الفئة الكثيرة ينصرونا ثم ندب لهم عبدالله بن زياد الناس واختار عباد بن أخضر، فوجّهه فى أربعة آلاف وكان التقاؤهم فى يوم الجمعة فناداه أبو بلال: اخرج إلىّ يا عباد فإنّى اُريد أن اُحاورك، فخرج إليه، فقال: ما الذى تبغى؟ قال: آخذ بأقفائكم فأردّكم إلى الأمير عبيدالله بن زياد، قال: أو غير ذلک؟ قال: وما هو؟ قال: أن ترجع، فإنّا لانخيف سبيلاً ولا نحارب إلاّ من حاربنا، ولا نجبى إلاّ ما حمينا، فقال له عباد: الأمر ما قلت لک، فقال له حريث بن حجل: أتحاول أن ترد فئة من المسلمين إلى جبّار عنيد؟ قال لهم: أنتم أولى بالضلال منه، وما من ذاک بدّ. وقدم القعقاع بن عطية الباهلى من خراسان يريد الحجّ فلمّا رأى الجمعين، قال: ماهذا؟ قالوا: الشراة فحمل عليهم، فاُخِذَ القعقاع أسيراً، فَأُتى به أبو بلال، فقال: ما أنت؟ قال: لست من أعدائک، وأنّما قدمت للحج فجهلت وغررت، فأطلقه... . فلم يزل القوم يجتلدون، حتى جاء وقت الصّلاة يوم الجمعة، فناداهم أبوبلال: يا قوم هذا وقت الصلاة، فوادعونا حتى نصلّى و تصلّوا، قالوا: لک ذاک، فرمى القوم أجمعون أسلحتهم وعمدوا للصّلاة، فأسرع عباد ومن معه، والحروريّة مبطئون، فهم من بين راكع وقائم وساجد فى الصّلاة وقاعد، حتى مال عليهم عباد ومن معه فقتلوهم جميعاً، وأتى برأس أبى بلال (۱) . هذا أبو بلال وهذه مرونته واعتداله، فعدّ الاباضية مبدأ الاعتدال ليس بقوى، بل الحق أنّه مبدأ للطريق الذى سلكه عبدالله بن اباض، ولأجل ذلک نرى ــــــــــــــــ

۱. المبرد: الكامل ۲/۱۸۶. الطبرى: التاريخ ۴/۲۳۲. ابن الاثير: الكامل ۳/۲۵۶. (۱۷۳)

لمّا خرج قريب وزحاف الطائى فاعترضا الناس فقتلا شيخاً ناسكاً إلى آخر مامرّ فى خروجهم، انه لمّا بلغ أعمالهم أبا بلال اعترض عليهم، فقال: قريب لا قرّبه الله، وزحاف لا عَفا الله عنه، ركباها عشواء مظلمة (يريد اعتراضهما الناس) . مخطّط زياد لاستئصال الخوارج: كان لزياد بن أبيه اُسلوباً فى استئصال الخوارج وهو يتلخّص فى أمرين: ۱ ـ إذا وقف على خارجى فى قبيلة وثب على جميعهم، وقد خطب يوماً وقال: ألا ينهى كلّ قوم سفهاءهم يا معشر الأزد لولا أنّكم أطفأتم هذه النائرة لقلت إنّكم أرّثتموها (۱). فكانت القبائل إذا أحسّت بخارجىّ فيهم شدّتهم وأتت بهم زياداً. ۲ ـ خرجت طائفة من الخوارج وأخرجوا معهم امرأة، فظفربها فقتلها، ثم عرّاها، فلم تخرج النساء بعد على زياد، وكنّ إذا دعين إلى الخروج قلن: لولا التعرية لسارعنا. كان الحافز لتلک الثورات والانتفاضات ـ التى كانت تتضمّن التضحية بالنفس والنفيس ـ هو الاعتقاد الجدّى، بأنّ الحكومات القائمة، حكومات كافرة، اُسّست باسم الإسلام ولكن انحرفت عن الخط الصحيح له، فالأمويّون باعتبار اشاعة الظلم و الفساد بينهم، خرجوا عن ربقة الإسلام، ودخلوا فى الكفر، وهم كافرون، كما أنّ المؤيّدين لهم مثلهم أيضاً كفرة، فالخلافات والحكومات كلّها كافرة، والدار دار كفر، ويجب عليهم جهاد الكفّار (۲) . ــــــــــــــــ

۱. أرّث: أوقد نار الفتنة .

۲. يعلم ذلک من خطب أمرائهم ورؤسائهم . (۱۷۴) كان هذا هو الحافز لتلک الثورات والانتفاضات الفاشلة، فلو وجدنا فى صحيفة حياة الخوارج نقطة بيضاء فهذه النقطة المشعّة التى اعترف بها الإمام علىّ عند توصيفهم بقوله، «لا تقتلوا الخوارج من بعدى، فإنّه ليس من طلب الحق فأخطاه كمن طلب الباطل فأصابه» (۱) . فإنّهم كانوا يرون بأمّ أعينهم، كيف شاع الفساد، ودبّ العيث بين الحكّام، فركبت اغيلمة بنى اُميّة على رقاب الناس، واستأثروا بالفىء، فكان ذلک هو السبب لقيام لفيف منهم ضدّ الحكومات، وأما مسألة التحكيم التى كانت هى المستمسک الأوّل للمخالفة فكأنها صارت منسية أو تناساها القوم، فكانوا يبّررون قيامهم بأنّهم بصدد بسط العدل والقسط وازالة الظلم والجور عن المجتمع وإعادة الصلاح والفلاح إلى الساحة الاسلامية . ولكن لم يكن النجاح حليفاً لهم،

لأنّهم راهنوا فى الساحة السياسية على جوادين خاسرين. أحدهما: الاعتماد على الأساليب الاجرامية للنيل بالهدف، وكأنّهم كانوا ينتحلون مبدأ «الغايات تبرّر الوسائل» . الثانى: المظاهرة بالعداء لعلىّ وأهل بيته . أمّا الأوّل: فكانوا يستعرضون الناس ويفّتشون عن عقائدهم، ثم يقتلون الأبرياء، بحجّة أنّهم لم يكفّروا عثمان وعليّاً، أو غيرهما ممّن كانوا يخالفونهم، وهذا هو الذى صار سبباً لرغبة الناس عنهم، وعدم ايوائهم بل طردهم والتعاون مع الحكومات ضدّهم فى بعض الموارد، إذ كيف يصحّ لمسلم أن يشهر سيفه، ويعترض الطريق، ويفّتش عن العقائد التى لاصلة لها بالإسلام الذى جاء به النبى الأكرم ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ، ولا الإسلام معقود بها، ولا هى حد الكفر ـــــــــــــــــــــــ

۱. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۶۱ . (۱۷۵)

والإسلام، فاتّخاذ هذه الأساليب الشريرة، التى تعرّفت عليها فى بعض الانتفاضات، صار سبباً لخسرانهم وخيبتهم وإن كان بعض الفرق بريئاً منها، لكن الكلّ أخذ بجرم الجزء، والجار بذنب الجار . وقد خلّفت هذه الأعمال الاجرامية آثار سيّئة فصار لفظ «الحرورية» مساوياً لسفك الدم و قطع الطريق، وكان الناس يتوسّلون للاخافة بهذا اللفظ ويقولون: حرورى!! مكان الحرامى!! وأمّا الثانى: فلأنّ المظاهرة ضدّ علىّ، ونصب عدائه و أهل بيته ليس بأمرهيّن، وكيف لا يكون كذلك، وقد عجنت دماء ونفوس المسلمين بحبّهم فهم كانوا يتلون قول الله سبحانه فى الذكر الحكيم: (قُلْ لا أَسأَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجراً إلاّ المَوَدَةَ فى القُرْبى)(۱). فهل يمكن لجماعة تتظاهر بكفر علىّ وأولاده، وتنصب عدائهم، ان يكون لهم رصيد شعبى؟ كلاّ، ولا، فلأجل ذلك خسروا فى انتفاضاتهم، حتى بوجه الطغاة . تعرب انتفاضاتهم عن أنّ الحكومة الأموية كانت تستخدم شيعة العراق فى بعض الأحيان لقتال الخوارج، فكأنّها كانت تضرب عصفورين بحجر واحد، فإنّ الطائفتين كانا من أعداء الحكومة الأموية، فضرب أحدهما بالاُخرى كان متنفّساً لها(۲). ومع الاعتراف ببراعتهم فى النقد والاعتراض، وتملّكهم القدرة على التنظيم و التخطيط، لكن كانت انتفاضاتهم المتفرّقة والمبعثرة فى الرقعة الإسلامية، كانت أشبه بالثورات العشوائية، إذ لم تكن هناك قيادة موحّدة تنبثق منها الثورات، وتستثمر هذا الجمهور لتحقيق النصر النهائى، فالحجر الأساس

---

۱. الشورى: ۲۳ .

۲. لا حظ خروج فروة بن نوفل فى تاريخ الطبرى ۴/۱۲۶ . (۱۷۶)

فى نجاح الثورة و الانتفاضة وإن طالت مدّتها، هو وجود قيادة موحّدة سرّية، ينبعث منها الأمر والنهى، وقد كان القوم يفقدون ذلك الأمر المهمّ . هذه نبذة خاطفة عن انتفاضات هؤلاء فى عصر معاوية، وأمّا ما قاموا به فى عصر عبدالله بن الزبير، وخلافة عبدالملك، وخلافة هشام بن عبدالملك، إلى أواخر العهد الأموى، فحدّث عنه ولاحرج، فهى مليئة بالانتفاضات والمعارك الدموية المريرة بين فترة واُخرى، ومن أراد الاحاطة بها فليرجع إلى مظانّها فى كتب التاريخ . إلاّ أنّا نشير إلى بعض الانتفاضات التى قام بها بعض رؤسائهم بعد عصر معاوية كنافع بن الأزرق ونجدة بن عامر الحنفى، وغيرهم ممّن صاروا من رؤساء المذهب، وأصحاب المنهج بين الخوارج، فإنّ هؤلاء وإن كانوا قادة عسكريين إلاّ أنّهم كانوا أيضاً مرشدين لأتباعهم، ولهم آراؤهم فى المذهب، وندرس كلّ ذلك ببيان فرقهم الكثيرة فى الفصل القادم. وبذلك بيّنا الظروف التى كانت سبباً لنشوء المذاهب فى هذه الفرقة . *** (۱۷۷)

الفصل التاسع ألقاب الخوارج وفرقهم

الفصل التاسع ألقاب الخوارج وفرقهم (۱۷۸) (۱۷۹) للخوارج ألقاب عديدة فمن ألقابهم «الخوارج» لخروجهم على علىّ بن أبى طالب، و«المحكّمة»، لكون شعارهم: «لا حكم إلاّ لله»، و«الحرورية» لنزولهم بحروراء فى أوّل أمرهم، و«الشُراة» لقولهم: شرينا أنفسنا فى طاعة الله أى بِعْناها بالجنّة، و«المارقة» لأنّهم مرقوا من الدين كما يَمْرق السهم من الرميّة ـ حسب توصيف الرسول لهم ـ وخرجوا منه، والفرقة الباقية اليوم أعنى الاباضية يفسّرون الخروج بالخروج عن الدين ويخصّون اللقب بالطوائف المنحرفة الذين خرجوا فى

عصر الأمويين، وكانوا يعترضون الطريق ويقتلون الأبرياء من غير جرم وسيوافيك أنّ التخصيص بلاوجه . وأمّا فرقهم، فقد ذكر البغدادى لهم عشرين فرقة، بل أزيد، وهذه أسماؤهم: ۱ ـ المحكّمة ۲ ـ الأزارقة ۳ ـ النجدات ۴ ـ الصفرية ۵ ـ العجاردة، المفترقة إلى: ۶ ـ الخازنية ۷ ـ الشعيبية ۸ ـ المعلومية ۹ ـ المجهولية ۱۰ ـ أصحاب طاعة لايراد الله تعالى بها ۱۱ ـ والصلتية ۱۲ ـ الاخنسية ۱۳ ـ الشبيبية ۱۴ ـ الشيبانية ۱۵ ـ المعبدية ۱۶ ـ الرّشيدية (۱۸۰) ۱۷ ـ المكرمية ۱۸ ـ الحمزية ۱۹ ـ الشمراخية ۲۰ ـ الإبراهيمية ۲۱ ـ الواقفية ۲۲ ـ الاباضية(۱) . ولا ـ يخفى أنّ الفرق حسب ما ذكرها تزيد على عشرين، ولو لم تعد العجاردة فرقة مستقلّة باعتبار أنّها مقسّمةً لأقسام كثيرة يكون عدد الفرق «۲۱» فرقة. ثمّ قال البغدادى: «الاباضية» منهم افترقت فرقاً، معظمها فريقان «حفصية» و«حارثية»، وقال: فأمّا «اليزيدية» من الاباضية، و«الميمونية» من العجاردة، فهما فرقتان من غلاة الكفر الخارجين عن فرق الاُمّة . وأمّا الأشعرى فقد ذكر لهم خمس عشرة فرقة ثم ذكر الفرق المتشعّبة منها وهى فرق كثيرة (۲). وقد ذكر المقريزى فى خططه للقوم ستاً وعشرين فرقة(۳) . وذكر الشهرستانى لهم ثمانية فرق، وإليك أسماؤها: ۱ ـ المحكّمة الاُولى ۲ ـ الأزارقة ۳ ـ النجدات ۴ ـ البيهسية ۵ ـ العجاردة ۶ ـ الثعالبة ۷ ـ الاباضية ۸ ـ الصفريّة(۴) . ولكن الحق، إنّ اُصول الفرق قليلة جدّاً، وقد ذكر الأشعرى أنّ اُصول أربعة وهى: الأزارقة، النجدية، الاباضية، والصفرية، والأصناف الاُخرى تفرّعوا من الصفرية (۵). ويظهر من المبرّد فى كامله، أنّ اُصول الفرق هى ثلاثة:

۱. البغدادى: الفّرق بين الفرق ۷۲ .

۲. الأشعرى: المقالات ۱/۸۶ ـ ۱۳۱ .

۳. تقى الدين المقريزى: الخطط ۲/۲۵۴ ـ ۲۵۵ .

۴. الشهرستانى: الملل و النحل ۱/۱۱۴ ـ ۱۳۸ .

۵. الأشعرى: المقالات: ۱ / ۱۰۱ . (۱۸۱) الأزارقة، الاباضية، البيهسية، وأمّا الصفرية والنجدية فكانوا يقولون بقول ابن أباض(۱) . ولعلّ ما ذكره الأشعرى فى بيان اُصول فرقهم أقرب، كما يظهر من دراسة مذهبهم ونحن نذكر الفرق الأربعة التى ذكرها الأشعرى، ونحيل بيان سائر الفرق إلى كتب المقالات والفرق، خصوصاً المقالات للأشعرى، والفَرق بين الفِرق للبغدادى، والملل و النحل للشهرستانى، وانّا ضربنا الصفح عن بيان فرقهم عامّة لأنّهم قد هلكوا ولم يبق منهم على أديم الأرض سوى فرقة واحدة هى الاباضية وأقاويلها أقرب إلى أقاويل سائر المسلمين. ولأجل ذلك نرى أنّ أبا بيهس يصف نافعاً بأنّه غلى، ويصف عبد الله بن اباض بأنّه قصَّر، وسوف يظهر غلوّ الأوّل وتقصير الثانى حسب تعبير أبى بيهس، وسيوافيك نصّه فى محلّه. والعجب أنّ هذه الفرق ظهرت فى زمان واحد، فصار للقوم أئمّة أربعة، كلّ يدعو إلى نفسه . وكانت الخوارج على رأى واحد إلى عصر ابن الزبير وبعد افتراقهم عنه حصل هناك اختلاف بين الأزارقة والنجدية كما ستعرف وصارت فرقتين ذاتى أمامين، ولم يكن لهم إلى عهد عبدالله بن الزبير إلاّ اُصول بسيطة وهى: ۱ ـ اكفار مرتكب الكبيرة. ۲ ـ انكار مبدأ التحكيم . ۳ ـ تكفير عثمان وعليّ ومعاوية وطلحة والزبير ومن سار على دربهم ورضى بأعمال عثمان وتحكيم عليّ، على هذه الاُصول نشأوا إلى عهد ابن الزبير. ________________

۱. المبرّد: الكامل ۲/۲۱۴ . (۱۸۲) قال الكعبى: إنّ الذى يجمع الخوارج إكفار عليّ وعثمان و الحكمين وأصحاب الجمل وكلّ من رضى بتحكيم الحكمين، والخروج على الإمام الجائر وإكفار من ارتكب الذنوب (۱) . وقال الأشعرى: أجمعت الخوارج على إكفار عليّ بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ لأنّه حكّم، وهم مختلفون هل كفره شرك أم لا. وأجمعوا على أنّ كلّ كبيرة كفرٌ إلاّ النجدات، فإنّها لاتقول بذلك، وأجمعوا على أنّ الله سبحانه يعذّب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً إلاّ النجدات(۲) . وما ذكره من الاستثناء دليل على أن أكثر هذه الاُصول برزت بينهم فى العصر الزبيرى وما بعده، لا فى عهد الإمام على ولا فى عهد معاوية. إذا وقفت على ذلك فلنشرع فى بيان الفرق الأربعة التى ذكرها الأشعرى ونترك بيان عداها إلى الكتب المعدّة لذلك. *** ________________

۱. البغدادى: الفّرق بين الفِرق ۱/۷۳ نقلا عن الكعبى.

۲. الأشعری: مقالات الاسلاميين ۱/۸۶ . (۱۸۳) الفرقة الأولی: الازارقة أتباع نافع بن الأزرق المقتول سنة ۶۵: لمّا هلك معاوية، تنّفس أهل الكوفة الصعداء، فاجتمعت شيعتهم علی تسليم مقاليد الخلافة للحسين ـ عليه السَّلام ـ فبايعوه وكاتبوه، واستقدموه حتی يتسلّم الأمر، فلمّا غادر الحسين المدينة و مكّة، متوجّهاً إلی العراق خذلته الشيعة وقصّروا فی نصرته، فلمّا بلغهم قتل الحسين واستشهاده، قام أهل المدينة بخلع يزيد عن الخلافة وأخرجوا واليه مروان بن الحكم عن المدينة، ثمّ إنّ عبدالله بن الزبير استغلَّ الظروف، فدعا إلی البيعة لنفسه من داخل البيت الحرام، وكانت نتيجة ذلك أن طرد عمّال يزيد من أرض الحجاز، فخضعت المنطقة كلّها لعبدالله بن الزبير، ثمّ إنّ يزيد بن معاوية لمّا وقف علی خطورة الموقف بعث بأشقی عُمّالِه وأغلظهم «مسلم بن عقْبَة» إلی المدينة فلمّا (۱۸۴)

ورد مدينة الرسول، استباح أموالهم ونفوسهم وأعراضهم ثلاثة أيام، فقتل فی ذلك آلافاً من الأبرياء ونهبت الأموال واستبيحت الأعراض إلی درجة لم يذكر التاريخ إلی يومه مثيلا لها، ثمّ توجّه مسلم إلی مكّة للسيطرة عليها، فلم يصل إليها حيّاً. ومات فی أثناء الطريق، فتولّی القيادة بعده الحصين بن النمير السكونی، وحاصر مكّة، وفی أثناء المحاصرة ورد نعی يزيد فی ربيع الآخر عام ۶۴، فاضطرّ الحصين إلی العودة إلی الشام، ولمّا هلك يزيد، قام بأعباء الخلافة معاوية بن يزيد، ولكّنه مات بعد أن خلع نفسه عن الخلافة، فرأی البيت الأموی خطورة الموقف، فأجمعوا علی البيعة لمروان بن الحكم، وانتقل الملك من البيت السفيانی إلی البيت المروانی عام ۶۵، وكان ابن الزبير مستولياً علی الحجاز عامّة وفی ضمن ذلك، الحرمان الشريفان . استغلال الخوارج الظروف الحَرِجَة: وقد استغلّت الخوارج تلك الظروف الحرجة بعدما لاقوا من عبيدالله بن زياد مالاقوا وقرّروا الانظمام لعبدالله بن الزبير لمحاربة الشاميين: قال الطبری: لمّا ركب ابن زياد من الخوارج بعد قتل أبی بلال ماركب، وقد كان قبل ذلك لايكف عنهم ولايستبقيهم، غير أنّه بعد ما قتل أبا بلال، تجرّد لاستئصالهم وهلاكهم واجتمعت الخوارج حين ثار ابن الزبير بمكة... فقال نافع بن الأزرق للخوارج: إنّ الله قد أنزل عليكم الكتاب، وفرض عليكم فيه الجهاد، واحتجّ عليكم بالبيان، وقد جرّدَ فيكم السيوف أهلُ الظلم، واُولوا العدی والغشم، وهذا من قد ثار بمكة، فاخرجوا بنا نأتی البيت، ونلقی هذا الرجل فإن يكن علی رأينا جاهدنا معه العدو، وإن كان علی غير رأينا، دافعنا عن البيت ما استطعنا، ونظرنا بعد ذلك فی اُمورنا، فخرجوا حتی قدموا علی (۱۸۵)

عبدالله بن الزبير، فسرّ بمقدمهم ونبّأهم أنّه علی رأيهم، وأعطاهم الرضا من غير توقّف ولا تفتيش، فقاتلوا معه حتی مات يزيد بن معاوية وانصرف أهل الشام عن مكّة . ثمّ إنّ القوم لقی بعضهم بعضاً فقالوا: إنّ الذی صنعتم أمس بغير رأی ولا صواب من الأمر، تقاتلون مع رجل لاتدرون لعلّه ليس علی رأيكم، إنّما كان أمس يقاتلكم هو وأبوه ينادی: يالثارات عثمان، وسلوه عن عثمان، فإن برئ منه كان وليّكم، وإن أبی كان عدوّكم. فمشوا له فقالوا له: أيّها الإنسان إنّا قاتلنا معك ولم نفتّش عن رأيك، أمنّا أنت أم من عدوّنا فأخبرنا: ما مقالتك فی عثمان؟ فنظر فإذا من حوله من أصحابه قليل، فقال لهم: إنّكم أتيتمونی، فصادفتمونی حين أردت القيام، ولكن روحوا إلیّ العشيّة، حتی اعلمكم من ذلك الذی تريدون، فانصرفوا، وجاءت الخوارج وقد أقام أصحابه حوله وعليهم السلاح ، وقامت جماعة منهم عظيمة علی رأسه، بأيديهم الأعمدة، فقال ابن الأزرق لأصحابه: خشی الرجل غائلتكم وقد ازمع بخلافكم، واستعدّ لكم ماترون. فدنا منه ابن الأزرق فقال له: يا ابن الزبير اتّق الله ربّك وابغض الخائن المستأثر، وعادِ أوّل من سنّ الضلالة وأحدث الأحداث، وخالف حكم الكتاب، فإنّك إن تفعل ذلك، ترضی ربّك، فتنج من العذاب الأليم نفسك، فإن تركت ذلك، فأنت من الذين استمتعوا بخلاقهم وأذهبوا فی الحياة الدنيا طيّباتهم. ثمّ أمر ابن الأزرق عبيدة بن هلال أن يتكلّم عنهم بما يريدون، فقال: إنّ الناس استخلفوا عثمان بن عفان فحمی الحمی، فآثر القربی، واستعمل الفتی، ورفع الدرة، ووضع السوط، ومزّق الكتاب، وحقَّر المسلم، وضرب منكری (۱۸۶)

الجور، وآوی طريد الرسول ـ صلّی الله عليه وآله وسلم ـ وضرب السابقين بالفضل وسيّرهم وحرمهم، ثم أخذ فی الله الذی آفاءه عليهم فقسّمه بين فسّاق قريش، ومُجّان العرب، فصارت إليه طائفة من المسلمين أخذ الله ميثاقهم علی طاعته، لايبالون فی الله لومة لائم، فقتلوه، فنحن لهم أولياء، ومن ابن عفان وأوليائه براء، فما تقول أنت يا ابن الزبير؟ وروی المبرّد فی الكامل: ان ابن الأزرق سأل ابن

الزبير فى الغداة الذى جاء إليه وقال: ما تقول فى الشيخين؟ قال: خيراً، قالوا: فما تقول فى عثمان الذى أحمى الحمى، وآوى الطريد، وأظهر لأهل مصر شيئاً، وكتب بخلافه وأوطأ آل أبى معيط رقاب الناس وآثرهم بفىء المسلمين؟ وما تقول فى الذى بعده، الذى حكّم فى دين الله الرجال وأقام على ذلك غير تائب ولانادم؟ وما تقول فى أبيك وصاحبه وقد بايعا عليّاً وهو إمام عادل مرضى لم يظهر منه كفر، ثم نكثا بِعَرَض من أعراض الدنيا و أخرجا عائشة تقاتل، وقد أمرها الله وصواحبها أن يقرن فى بيوتهن، وكان لك فى ذلك ما يدعوك إلى التوبة، فإن أنت كما نقول فلك الزلفة عندالله . ثمّ إنّ ابن الزبير ترك التقية وأصحر بالعقيدة بما يخالف عليه الخوارج فى حق عثمان وحق أبيه، فلمّا سمع ذلك الخوارج تفرّقوا عنه(۱) . فأقبل نافع بن الأزرق الحنظلى وعبدالله بن صفار السعدى من بنى صريم، وعبدالله بن اباض أيضاً من بنى صريم، وحنظلة بن بيهس، وبنو الماحوز، عبدالله وعبيدالله والزبير من بنى سليط، حتى أتوا البصرة. وانطلق أبو طالوت وعبدالله بن ثور(أبوفديك) وعطية بن الأسود ________

۱. الطبرى: التاريخ ۴/۴۳۶ ـ ۴۳۸. المبرد: الكامل: ۲/۲۰۳ ـ ۲۰۸ . (۱۸۷)

اليشكرى إلى اليمامة فوثبوا باليمامة مع أبى طالوت، ثم أجمعوا بعد ذلك على إمامة نجدة بن عامر الحنفى وذلك فى سنة ۶۴(۱) . وقال الشهرستانى: كان نجدة بن عامر ونافع بن الأزرق قد اجتمعا بمكّة مع الخوارج على ابن الزبير ثم تفرّقا عنه، فذهب نافع إلى البصرة ثم الأهواز، وذهب نجدة إلى اليمامة. قال نافع: التقيّة لاتحلّ، والقعود عن القتال كفر، فخالفه نجدة، وقال بجواز التقية متمسّكاً بقوله تعالى: (إلاّ أنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً)(۲). وبقوله تعالى: (وَ قالَ رَجُلٌ مُؤمِنٌ مِنْ آل فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إيمانَهُ)(۳) وقال: القعود جائز والجهاد إذا أمكنه أفضل. قال الله تعالى:(وَ فَضَّلَ اللهُ الْمجاهِدِيْنَ عَلَى القاعِدِيْنَ اَجْراً عَظِيماً)(۴) .(۵) ولمّا أظهر نافع أراء شاذّة عن الكتاب والسنّة والفطرة الإنسانية، فارقته جماعة كانوا معه، منهم «أبو فديك» وعطية الحنفى وراشد الطويل، وتوجّهوا شطر اليمامة، فأخبروا نجدة باحداثه وبدعه. فكتب إليه نجدة بكتاب نَقِمَ عليه احداثه واستدلّ بآيات واضحة المعنى، وأجاب نافع بكتاب وأوّل ما استدلّ به زميله من الآيات، وكان هو هذا انشقاقاً عظيماً بين الخوارج، ويعرب عن وحشيّة الأزارقة، وجمود قلبهم، ونزع الرحمة منهم، فكأنّهم جمادات متحرّكة شريرة سجّلوا لأنفسهم فى التاريخ أكبر العار، وأفظع الأعمال إلى حدّ تبرأ عنهم، سائر الفرق وليس ذلك ببعيد، فهؤلاء أتباع المحكّمة الأولى الذين ذبحوا عبدالله بن خباب وبقروا بطن زوجته المقرب المتم، تلمس حدّ الشقاء ________

۱. الطبرى: التاريخ ۴/۴۳۸ .

۲. آل عمران: ۲۸ .

۳. غافر: ۲۸ .

۴. النساء: ۹۵ .

۵. الشهرستانى: الملل و النحل ۱/۱۲۵ . (۱۸۸)

من كتاب نجدة إلى نافع ومن اجابة الثانى. قال المبرّد: إنّ أصحاب «نجدة» رأوا أنّ نافعاً قد كفَّر القعدة ورأى الاستعراض وقتل الأطفال، انصرفوا مع نجدة، فلمّا صار نجدة باليمامة كتب إلى نافع. كتاب نجدة إلى نافع: أمّا بعد: فإنّ عهدى بك وأنت لليتيم كالأب الرحيم، وللضعيف كالأخ البّر ـ تعاضد قوى المسلمين، و تصنع للأخرق منهم ـ لا تأخذك فى الله لومة لائم، ولاترى معونة ظالم، كذلك كنت أنت و أصحابك. أو ما تذكّر قولك: لولا انّى أعلم أنّ للإمام العادل أجر رعيّته، ماتولَّيتُ أمر رجلين من المسلمين. فلمّا شريت نفسك فى طاعة ربّك ابتغاء مرضاته، وأصبت من الحق فصّه (۱)، وركبت مُرّه، تجرّد لك الشيطان، ولم يكن أحد أثقل عليه وطأةً منك ومن أصحابك، فاستمالك واستهواك وأغواك، فُغُويْتَ، وأكفرت الذين عذرهم الله تعالى فى كتابه، من قعدة المسلمين وضَعَفَتهم، قال الله عزّوجلّ، وقوله الحق، ووعده الصدق:(لَيْسَ عَلى الضُّعَفاءِ وَ لا عَلَى الْمَرْضى وَ لا عَلَى الَّذِيْنَ لا يَجِدُونَ ما يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إذا نَصَحُوا للهِ وَ رَسُولِهِ) (۲): ثمّ سمّاهم تعالى أحسن الأسماء فقال: (ما عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبيل) (۳) ثم استحللت قتل الأطفال، وقد نهى رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ عن قتلهم، وقال الله جلّ ثناؤه: (وَ لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ اُخْرى)(۴)، وقال سبحانه فى القعدة

خيراً، فقال: ــــــــــــــــــــ

۱. فصّه: كنهه .

۲. التوبة: ۹۱.

۳. التوبة: ۹۱.

۴. الاسراء: ۱۵ . (۱۸۹) (وَفَضَّلَ اللهُ الْمجاهِدِيْنَ عَلَى القاعِدِيْنَ اَجْراً عَظِيماً)(۱) فتفضيله المجاهدين على القاعدين لايدفع منزلة من هو دون المجاهدين، أو ماسمعت قوله تعالى: (لا يَسْتَوِى القاعِدُونَ مِنَ الْمُؤمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَر)(۲) فجعلهم من المؤمنين وفضّل عليهم المجاهدين بأعمالهم، ثمّ إنّك لاتؤدّى أمانةً إلى من خالفك، والله تعالى قد أمر أن تودّى الأمانات إلى أهلها، فاتّق الله فى نفسك، واتّق يوماً لا يجزى فيه والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً، فإنّ الله بالمرصاد، وحكمه العدل، وقوله الفصل، والسَّلام. اجابة نافع عن كتاب نجدة: أمّا بعد: أتانى كتابك تعظنى فيه، وتذكّرنى وتنصح لى وتزجرنى، وتصف ما كنتُ عليه من الحق، و ماكنتُ اُوثره من الصواب،وأنا أسأل الله أن يجعلنى من القوم الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه. وعبت على مادِنْتُ، من إكفار القعدة وقتل الأطفال، واستحلال الأمانة من المخالفين، وسأُفسّرلك لِمَ ذلك إن شاء الله.... أمّا هؤلاء القعدة، فليسوا كمن ذكرت ممّن كان على عهد رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ لأنّهم كانوا بمكّة مقهورين محصورين لا يجدون إلى الهرب سبيلا، ولا إلى الاتّصال بالمسلمين طريقاً، وهؤلاء قد تفقّهوا فى الدين، وقرأوا القرآن، والطريق لهم نهج واضح. وقد عرفت ما قال الله تعالى فيمن كان مثلهم، قالوا: (كُنّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى الأرْضِ)(۳). فقال: (أَلَمْ ــــــــــــــــــــ

۱. النساء: ۹۵ .

۲. النساء: ۹۵.

۳. النساء: ۹۷ . (۱۹۰) تَكُنْ اَرْضُ اللهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها)(۱) وقال سبحانه: (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أنْ يُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللهِ)(۲) وقال: (وَجاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأعْرابِ لِيُؤذَنَ لَهُمْ)(۳) فخبّر بتعذيرهم، وأنّهم كذبوا الله ورسوله، ثمّ قال: (سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أليمٌ)(۴) فانظر إلى أسمائهم وسماتهم . وأمّا الأطفال، فإنّ نوحاً نبىّ الله، كان أعلم بالله منّى ومنك، وقد قال: (رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأرْضِ مِنَ الكافِرينَ دَيَّاراً* إنَّكَ انْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ ولا يَلِدُوا إلّا فاجِراً كَفَاراً)(۵) فسمّاهم بالكفر وهم أطفال، وقبل أن يولدوا، فكيف كان ذلك فى قوم نوح، ولاتقوله فى قومنا، والله تعالى يقول: (اَكُفّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ اُولئِكُمْ اَمْ لَكُمْ بَراءَةٌ فِي الزُّبُرِ)(۶) وهؤلاء كمشركى العرب، لايقبل منهم جزية وليس بيننا وبينهم إلّا السيف، والإسلام. وأمّا استحلال أمانات من خالفنا فإنّ الله تعالى أحلّ لنا أموالهم، كما أحلّ دماءهم لنا، فدماؤهم حلال طلق(۷) وأموالهم فىء للمسلمين، فاتّق الله وراجع نفسك، فإنّه لا عذر لك الّا بالتوبة، ولن يسعك خذلاننا والقعود عنّا وترك ما نهجناه لك من مقالتنا، والسلام على من أقرّ بالحق و عمل به (۸) . ــــــــــــــــــــ

۱. النساء:۹۷ .

۲. التوبة: ۸۱ .

۳. التوبة: ۹۰ .

۴. التوبة ۹۰ .

۵. نوح: ۲۶ ـ ۲۷ .

۶. القمر: ۴۳ .

۷. يقال: حلال طلق،أى حلال طيّب.

۸. المبرد: الكامل ۲/۲۱۰ ـ ۲۱۲، ونقلهما ابن أبى الحديد فى الشرح لاحظ ۴/۱۳۷ ـ ۱۳۹ . (۱۹۱) هذا هو نافع بن الأزرق، وهذا غلو

منهجه وتطرّفه الفكرى، حيث يجوّز استعراض الناس والتفتيش عن عقائدهم وقتل الأطفال إلى غير ذلك. وأمّا خروجه فقد بسط الكلام فيه المؤرّخون(١) على وجه لايسعنا نقله وإنّما نكتفى بما لخّصه البغدادى. قال البغدادى: ثمّ الأزارقة بعد اجتماعها على البدع التى حكيناها عنهم بايعوا نافع بن الأزرق و سمّوه أمير المؤمنين، وانضمّ إليهم خوارج عمان واليمامة فصاروا أكثر من عشرين ألفاً، واستولوا على الأهواز وما وراءها من أرض فارس و كرمان وجبوا خراجها. رسالة نافع إلى محكّمة البصرة(٢): وكتب إلى من بالبصرة من المحكِّمة: أمّا بعد فإنّ الله اصطفى لكم الدين فلاتموتنّ إلاّ وانتم مسلمون، إنّكم لتعلمون أنّ الشريعة واحدة، والدين واحد، ففيم المقام بين أظهر الكفّار، ترون الظلم ليلا ونهاراً، وقد ندبكم الله عزّوجلّ إلى الجهاد، فقال: (وَقاتِلُوا المُشرِكينَ كافَّةً)(٣) ولم يجعل لكم فى التخلّف عذراً فى حال من الأحوال فقال: (انْفِرُوا خِفافاً وَ ثِقالا)(۴) وإنّما عذر الضعفاء والمرضى، والذين لا يجدون ما ينفقون، ومن كانت اقامته لعلّة، ثم فضّل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال: (لا يَسْتَوِى القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ اُولِى الضَّرَرِ وَ الُمجاهِدُونَ فِى سَبِيلِ الله)(۵)، فلا تغترّوا وتطمئنوا إلى الدنيا، فإنّها غرّارة ـــــــــــــــــــ

١. ذكر ابن أبى الحديد مفصّل حروب الأزارقة فى شرحه، لاحظ ۴/۱۳۶ ـ ۲۷۸ .

٢. المبرّد: الكامل ٢/٢١٣ .

٣. التوبة: ٣۶ .

۴. التوبة: ۴۱ .

۵. النساء: ۹۵ . (۱۹۲)

مكّارة، لذّتها نافذة، ونعيمها بائد، حُفَّتْ بالشهوات اغتراراً، وأظهرت حَبْرةً(١) وأضمرت عبرة، فليس آكلُ منها أكلةً تَسرّه، ولا شاربُ منها شربةً تونقه (٢) إلاّ دنابها درجةً إلى أجله، وتباعد بها مسافة من أمله، وإنّما جعلها الله دار المتزوّد منها، إلى النعيم المقيم، والعيش السليم، فليس يرضى بها حازم داراً ولاـ حليم قراراً، فاتّقوا الله وتزوّدوا، فإنّ خير الزاد التقوى، والسلام على من اتّبع الهدى. قال المبرّد:لمّا ورد كتابه عليهم وفى القوم يومئذ أبوبيهس هيصم بن جابر الضبعّى، وعبدالله بن اباض المرى، فأقبل أبوبيهس على ابن أباض فقال: إنّ نافعاً غلاـ فكفر، وانّك قصّرت فكفرت تزعم أنّ من خالفنا ليس بمشرك، وانّما كفّار النعم، لتمسّكهم بالكتاب، وإقرارهم بالرسول، تزعم أنّ مناكحهم ومواريثهم والاقامة فيهم حلّ طلق، ثم أدلى أبوبيهس برأيه وسيوافيك فى محلّه . ويظهر من هذا الكتاب والكتاب الذى كتبه إلى عبدالله بن الزبير(٣): إنّ نافع بن الأزرق كان من المتطرّفين بين الخوارج، ولم نجد فى تاريخ الخوارج أشدّ تطرّفاً منه. ثمّ إنّ عامل البصرة يومئذ عبدالله بن الحارث الخزاعى من قبل عبدالله بن الزبير، فأخرج عبدالله بن الحارث جيشاً مع مسلم بن عبس بن كريز بن حبيب بن عبد شمس لحرب الأزارقة، فاقتتل الفريقان بدولاب الأهواز، فقتل مسلم بن عبس وأكثر أصحابه، فخرج إلى حربهم من البصرة عمربن عبيدالله بن معمر التميمى فى ألفى فارس، فهزمته الأزارقة، فخرج إليهم حارثة بن بدر الغدانى ـــــــــــــــــــ

١. الحبرة: النعمة .

٢. تونقه: تعجبه .

٣. المبرّد: الكامل ٢/٢١٢ . (۱۹۳)

فى ثلاثة آلاف من جند البصرة، فهزمتهم الأزارقة، فكتب عبدالله بن الزبير من مكّة إلى المهلّب بن أبى صفرة(١) و هو يومئذ بخراسان يأمره بحرب الأزارقة وولاّه ذلك، فرجع المهلّب إلى البصرة، وانتخب من جندها عشرة آلاف، وانضمّ إليه قومه من الأزد فصار فى عشرين ألفاً، وخرج وقاتل الأزارقة وهزمهم عن دولاب الأهواز إلى الأهواز، ومات نافع ابن الأزرق فى تلك الهزيمة وبايعت الأزارقة بعده عبيدالله بن مأمون التميمى، وقاتلهم المهلَّب بعد ذلك بالأهواز فقتل عبدالله بن مأمون فى تلك الواقعة، وقتل أيضاً أخوه عثمان بن مأمون مع ثلاثمائة من أشدّ الأزارقة، وانهزم الباقون منهم إلى أيدج وبايعوا قطرىّ بن الفجاءة(٢) وسمّوه أمير المؤمنين، وقاتلهم

المهلّب بعد ذلك حروباً سجالا(۳)، وانهزمت الأزارقة فى آخرها إلى سابور من أرض فارس، وجعلوها دار هجرتهم، وثبت المهلَّب وبنوه وأتباعهم على قتالهم تسع عشرة سنة، بعضها فى أيام عبدالله بن الزبير، وباقيها فى زمان خلافة عبدالملك بن مروان وولاية الحجّاج على العراق، وقرّر الحجّاج المهلَّب على حرب الأزارقة، فدامت ــــــــــــــــ

۱. هو أبوسعيد: المهلب بن أبى صفرة ـ واسم أبى صفرة ظالم بن سراق، الأزدى، من أزد العتيك. كان المهلّب من أشجع الناس. وهو الذى حمى البصرة من الخوارج حتى سمّاها الناس بصرة المهلّب. ولّاه عبدالله بن الزبير خراسان فى سنة ۶۵، فحارب الأزارقة وأفنى منهم عدداً كثيراً، ثمّ ولّى قتالهم فى عهد عبدالملك ابن مروان، وفى شهر ذى الحجة من سنة ۸۲ مات (المعارف ۳۹۹، العبر: ۱/۷۲ ـ ۷۵ ـ ۷۷ ـ ۸۸ ـ ۹۲ ـ ۹۵) .

۲. هو أبو نعامة: قطرى بن الفجاءة، أحد بنى حرقوص بن مازن بن مالك ابن عمرو بن تميم، خرج فى أيام عبدالله بن الزبير وبقى عشرين سنة يسلّم عليه بالخلافة، وفى أيام عبدالملك بن مروان وجّه إليه الحجاج جيشاً بعد جيش، وكان آخرها بقيادة سفيان بن الأبرد الكلبى، فقتله ـ ويقال: عثرت به فرسه فمات ـ وأتى الحجاج برأسه، وذلك فى سنة ۷۹ (المعارف ۴۱۱، العبر: ۱/۹۰).

۳. تقول «كانت الحرب بين الفريقين سجالا» تعنى أنّ النصر يكون لهذا الفريق مرّة ولذلك مرّة اُخرى، وأصل السجال جمع سجل و هو الدلو. (۱۹۴)

الحرب فى تلك السنين بين المهلّب وبين الأزارقة وفرّوافيما بين فارس والأهواز، إلى أن وقع الخلاف بين الأزارقة ففارق عبد ربّه الكبير قطرياً وصار إلى واد بجيرفت كرمان فى سبعة آلاف رجل، وفارقه عبد ربّه الصغير فى اربعة آلاف، وصار إلى ناحية اُخرى من كرمان، وبقى قطرى فى بضعة عشر ألف رجل بأرض فارس، وقاتله المهلّب بها، وهزمه إلى أرض كرمان و تبعه وقاتله بأرض كرمان وهزمه منها إلى الرى، ثم قاتل عبد ربّه الكبير فقتله، وبعث بابنه يزيدبن المهلّب إلى عبد ربّه الصغير فأتى عليه و على أصحابه، وبعث الحجّاج سفيان ابن الأبرد الكلبى فى جيش كثيف إلى قطرى بعد أن انحاز من الرى إلى طبرستان فقتلوه بها، وأنفذوا برأسه إلى الحجّاج وكان عبيدة بن هلال اليشكرى(۱) قد فارق قطريّاً وانحاز إلى قومس، فتبعه سفيان بن الأبرد وحاصره فى حصن قومس إلى أن قتله وقتل أتباعه، وطهّر الله بذلك الأرض من الأزارقة، والحمدلله على ذلك(۲) . وفى الختام نقول: يظهر من كتبه ورسائله أنّ الرجل كان حافظاً للقرآن، ومقرئاً له، ويؤيّد ذلك ما نقله السيوطى أنّ نافع بن الأزرق لمّا رأى عبدالله بن عباس جالساً بفناء الكعبة، وقد اكتنفه الناس ويسألونه عن تفسير القرآن، فقال لنجدة بن عويمر الحرورى: قم بنا إلى هذا الذى يجترى على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله، فتفسّرها لنا وتأتينا بمصادقه من كلام العرب، فإنّ الله تعالى أنزل القرآن بكتاب عربى مبين، فقال ابن عباس: سلانى عمّا بدالكم، فقال نافع: أخبرنى عن قول ــــــــــــــــ

۱. عبيدة بن هلال: أحد بنى يشكر بن بكر بن وائل .

۲. الطبرى: التاريخ ۴/۴۷۶. والجزرى: الكامل ۳/۳۴۹. ابن عبد ربه: العقد الفريد۱/۹۵ ـ ۱۲۱ . (۱۹۵)

الله تعالى:(عن اليَمينِ وَ عَنِ الشّمالِ عِزين)(۱). قال: العزون حلق الرقاق، فقال: هل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول: فجاءوا يهرعون إليه حتى * يكونوا حول منبره عزينا ثم سألاه عن أشياء كثيرة عن لغات القرآن الغريبة، ففسّرها مستشهداً بالشعر الجاهلى، وربّما تبلغ الأسئلة والأجوبة إلى مائتين، ولو صحّت تلك الرواية لدلّت على صلة السائلين بالقرآن صلة وثيقة، كما تدلّ على نبوغ ابن عباس فى الأدب العربى وإلمامه بشعر العرب الجاهلى حيث استشهد على كل لغة فسّرها بشعر عنهم، فجاءت الأسئلة والأجوبة فى غاية الاتقان (۲) . إنّ ابن الأرزق كان يتعلّم من ابن عباس ما يجهله من مفاهيم القرآن، نقل عكرمة عن ابن عباس انّه بينما كان يحدّث الناس إذ قام إليه نافع بن الأزرق، فقال له: يا ابن عباس تفتى الناس فى النملة و القملة؟ صف لى إلهك الذى تعبد، فأطرق ابن عباس إعظاماً لقوله، وكان الحسين بن علىّ جالساً ناحية فقال: إلىّ يا ابن الأزرق، قال ابن الأزرق: لست إيّاك أسأل، قال ابن عباس: يا ابن الأزرق، إنّه من أهل بيت النبوّة وهم ورثة العلم، فأقبل نافع نحو الحسين، فقال له الحسين: يا نافع إنّ

من وضع دينه على القيـاس لم يزل الـدهر فى الالتباس، سائلا ناكباً عن المنهاج، ظاعناً بالاعوجاج، ضالاّ عن السبيل، قائلا غير الجميل. يـا ابن الأزرق أصف إلهى بمـا وصف به نفسه و اُعرّفه بمـا عرّف به نفسه: لا يـدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب غير ملتصق، وبعيد غير منقص، ——————

۱. المعارج: ۲۷ .

۲. السيوطى الاتقان ۱/۳۸۲ ـ ۴۱۶ ط دار ابن كثير دمشق بيروت، تحقيق الدكتور مصطفى . (۱۹۶)

يوحّـِد ولاـ يتبعّض، معروف بالآيـات، موصوف بالعلامـات، لا إله إلاّ هو الكبير المتعال. فبكى ابن الأزرق، وقال: يا حسين ما أحسن كلامك؟ قال له الحسين: بلغنى أنّك تشهد على أبى وعلى أخى بالكفر وعليّ؟ قال ابن الأزرق: أما والله يا حسين لئن كان ذلك لقد كنتم منارالإسـلام ونجوم الأحكـام. فقـال له الحسين: إنّى سائلـك عن مسألـة. قال: اسأل، فسأله عن هـذه الآيـة: (وَ أمّا الْجِدارَ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَةِ)(۱) . يا ابن الأزرق من حفظ فى الغلامين؟ قال ابن الأزرق: أبوهما. قال الحسين: فأبوهما خير أم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ؟ قال ابن الأزرق: قد أنبأنا الله تعالى أنّكم قوم خصمون (۲) . آراء الأزارقة وعقائدهم: إنّ للأزارقة أهواء متطرّفة وبدعاً فظيعة وقد تشترك فى بعضها مع سائر الفرق: ۱ ـ قولهم: إنّ مخالفيهم من هذه الاُمّة مشركون، وكانت المحكّمة الاُولى يقولون: إنّهم كفرة لامشركون. ۲ ـ قولهم: إنّ القعدة ـ ممّن كان على رأيهم ـ عن الهجرة إليهم مشـركون. ۳ ـ اوجبوا امتحان من قصد عسـكرهم إذا ادّعى أنّه منهـم: أن يـدفع إليـه أسـيراً مـن مخـالفيهم ويـأمره بقتلـه، فـإن قتلـه صـدَّقوه فى دعـواه أنّـه منهـم، وإن لم

۱. الكهف: ۸۲ .

۲. ابن عساكر: تاريـخ مدينـة دمشق. قسم حياة الإمام الحسين: ۱۵۸. بتحقيق محمـد باقر المحمودى، والمجلسـى: بحار الأنوار ۴/۲۹۷ (ذيل الحديث يحتاج إلى توضيح) . (۱۹۷)

يقتله قالوا: هذا منافق مشـرك، وقتلوه. ۴ ـ اباحة قتل أطفال المخالفين ونسائهم، والمقصود: المسـلمون، وزعموا أنّ الأطفال مشـركون، وقطعوا بأنّ أطفال مخالفيهم مخلّدون فى النار مع آبائهم. ۵ ـ اسـقاط الرجم عن الزانى، إذ ليس فى القرآن ذكره، واسقاط حدّ القذف عمّن قذف المحصنين من الرجال(۱) مع وجوب الحدّ على قاذف المحصنات من النساء . ۶ ـ إنّ التقيّة غير جائزة فى قول ولا عمل . ۷ – تجويزهم أن يبعث الله نبيّاً يعلم أنّه يكفر بعـد نبوّته، أو كان كافراً قبل البعثـة . ۸ ـ اجتمعت الأزارقة على أنّ من ارتكب الكبيرة كفر كفر ملّة، خرج به عن الاسـلام جملـة، ويكون مخلّداً فى النار مع سائر الكفّار، واسـتدلّوا بكفر ابليس وقالوا:ما ارتكب إلاّ كبيرة، حيث اُمر بالسـجود لآدم ـ عليه السَّلام ـ فامتنع، وإلاّ فهو عارف بوحدانيّـة الله تعالى(۲) . ۹ ـ إنّ دار مخـالفيهم دار كفر، وقالوا: إنّ مخالفيهم مشركون فلا يلزمنا اداء أماناتهم إليهم، وسيوافيك تحليل عقائدهم فى فصل خاص. *** ——————

۱. بحجّة أنّه سبحانه قال: (والّذين يَرْمُونَ الُمحَصَنات) (النور: ۴) ولم يقل: والذين يرمون المحصنين.

۲. البغدادى: الفَرق بين الفرِق: ۸۳ ، الشهرستانى: الملل والنحل ۱/۱۲۱ ـ ۱۲۳ . (۱۹۹) الفرقة الثانية: النجديَّة وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفى، ومن الغريب أنّه كـان للخوارج إمامـان فى وقت واحـد، إمام فى البصـرة وهو نافع بن الأزرق، وإمام فى اليمامـة وأطرافها وهو نجـدة بن عـامر، وذلـك انّه لمّـا أظهر نـافع آراءه المستهجنة الشاذّة كالبراءة من القعـدة حتّى سـمّاهم مشـركين، واسـتحلّ قتل أطفال مخالفيه ونسائهم، تبرّأ منه عـدّة من الخوارج، منهم أبو فـديك، وعطية الحنفى، وراشد الطويل، ومقلاص، وأيّوب الأزرق، فذهبوا إلى اليمامـة، فاسـتقبلهم نجـدة بن عامر فى جنـد من الخوارج يريـدون اللحوق بعسـكر نافع، فأخبروهم باحـداث نافع وردّوهم إلى اليمامة، وبايعوا بها نجـدة بن عامر، وكفّروا من قال بإكفار القعدة منهم عن الهجرة إليهم، وأكفروا من قال بإمامة نافع، وأقاموا على إمامة نجدة إلى أن اختلفوا عليه فى اُمور نقموهـا منه. (۲۰۰) ثمّ الـذين اختلفوا عليه بعـد ما اجتمعوا حوله صاروا ثلاث فرق: ۱ ـ فرقة صارت مع عطيّـة بن الأسود الحنفى ففارقهم إلى سجسـتان، وتبعهم خوارج سجسـتان، ولهذا قيل لخوارج سجسـتان فى ذلك الوقت: عطويّة . ۲ ـ

فرقة صارت مع أبى فديك وهم الذين قتلو نجدة . ۳ ـ وفرقة عذروا نجدة فى ما أحدثه من البدع وأقاموا على إمامته. والذين خالفوه نقموا عليه الاُمور التالية: الف ـ إنّه بعث جيشاً فى غزو البّر وجيشاً فى غزو البحر، ففضّل الذين بعثهم فى البّر على الذين بعثهم فى البحر فى الرزق والعطاء. ب ـ بعث جيشاً فأغاروا على مدينة الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وأصابوا منها جارية من بنات عثمان، فكتب إليه عبدالملك فى شأنها، فاشتراها نجدة من الذى كانت فى يديه، وردّها إلى عبدالملك بن مروان، فقالوا له: إنّك رددت جارية لنا على عدوّنا. ج ـ عذر أهل الخطأ فى الاجتهاد إذا كان سببه الجهل وذلك يعود إلى الحادثة التالية: بعث ابنه المضرج مع جند من عسكره إلى القطيف، فأغاروا عليها، وسبوا منها النساء والذرّية وقوّموا النساء على أنفسهم، فنكحوهنّ قبل اخراج الخمس من الغنيمة، وقالوا: إن دخلت النساء فى قسمنا فهو مرادنا، وإن زادت قيمتهنّ على نصيبنا من الغنيمة غرمنا الزيادة من أموالنا، فلمّا رجعوا إلى «نجدة» وسألوه عمّا فعلوا من وطء النساء، ومن أكل طعام الغنيمة قبل اخراج الخمس منها، وقبل قسمة أربعة أخماسها بين الغانمين، قال لهم: لم يكن لكم ذلك، فقالوا: لم نعلم أنّ ذلك لا يحلّ لنا، فعذّرهم بالجهالة. ثم قال: إنّ الدين (۲۰۱)

أمران: أحدهما: معرفة الله تعالى، ومعرفة رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وتحريم دماء المسلمين ـ يعنون موافقيهم ـ والاقرار بما جاء من عند الله جملة، فهذا واجب على الجميع، والجهل به لايعذر فيه. والثانى: ما سوى ذلك، فالناس معذورون فيه إلى أن تقوم عليه الحجّة فى الحلال والحرام. قالوا: ومن جوّز العذاب على المجتهد المخطئ فى الأحكام قبل قيام الحجّة عليه فهو كافر. د ـ تولّى أصحاب الحدود من موافقيه وقال: لعلّ الله يعذّبهم بذنوبهم فى غير نار جهنّم ويدخلهم الجنّة، وزعم أنّ من خالفه فى دينه يدخل النار. هـ ـ أسقط حدّ الخمر(۱) . و ـ من نظر نظرة صغيرة، أو كذب كذبة صغيرة، وأصرّ عليها فهو مشرك، ومن زنى وسرق وشرب الخمر غير مصرّ عليه فهو مسلم، إذا كان من موافقيه على دينه. ولهذه البدع، استتابه أكثر أتباعه وقالوا: اُخرج إلى المسجد، وتب من احداثك فى الدين، ففعل ذلك. ثمّ إنّ قوماً منهم ندموا على استتابته، وانضمّوا إلى العاذرين له، وقالوا له: أنت الإمام ولك الإجتهاد ولم يكن لنا أن نستتيبك، فتب من توبتك، واستتب الذين استتابوك وإلاّ ـ نابذناك، ففعل ذلك، فافترق عليه أصحابه، وخلعه أكثرهم، وقالوا له: اختر لنا إماماً، فاختار «أبافديك». وصار «راشد الطويل» ________________

۱. هذا ما يقوله البغدادى، ويقول الشهرستانى: غلظ على الناس من حد الخمر تغليظاً شديداً، والظاهر صحّة الثانى لكون نجدة من الخوارج . (۲۰۲)

(أحد رؤساء الخوارج) مع «أبى فديك» يداً واحدة، فلمّا استولى أبو فديك على اليمامة علم أنّ أصحاب نجدة إذا عادوا من غزواتهم أعادوا نجدة إلى الإمارة فطلب نجدة ليقتله فاختفى نجدة فى دار بعض عاذريه، ينتظر رجوع عساكره الذين كان قد فرّقهم فى سواحل الشام و نواحى اليمن، ونادى منادى «أبى فديك»: من دلّنا على «نجدة» فله عشرة آلاف درهم، وأى مملوك دلّنا عليه فهو حر، فدلّت عليه أمة، فأنفذ أبوفديك «راشد الطويل» فى عسكر إليه فكبسوه وحملوا رأسه إلى «أبى فديك» . ولما قُتِلَ نجدة فصارت النجدات بعده ثلاث فرق: ۱ ـ فرقة اكفرته وصارت إلى أبى فديك، كراشد الطويل، وأبى بيهس، وأبى الشمراخ وأتباعهم. ۲ ـ فرقة عذّرته فيما فعل، وهم النجدات. ۳ ـ وفرقة من النجدات هاجروا من اليمامة، وكانوا بناحية البصرة شكوا فيما حكى من احداث نجدة وتوقّفوا فى أمره وقالوا: لاندرى هل أحدث تلك الاحداث أم لا؟ فلانبرأ منه إلاّ ـ باليقين. وبقى أبوفديك بعد قتل نجدة إلى أن بعث إليه عبدالملك بن مروان، عمربن عبيدالله بن معمر التميمى فى جند فقتلوا أبا فديك، وبعثوا برأسه إلى عبدالملك بن مروان، فهذه قصة النجدات (۱) . وبالامعان فيما نقلنا عنه من الآراء يظهر مذهب النجدية، وأنّهم كانوا أخف وطأة من الأزارقة وتتلخّص الأفكار التى امتازوا بها عن غيرهم من فرق الخوارج فى الاُمور التالية: ________________

۱. البغدادى: الفَرق بين الفِرق ۸۷ ـ ۹۰ ; الأشعرى: مقالات الإسلاميين ۱/۸۹ ; الشهرستانى: الملل و النحل ۱/۱۲۲ ـ ۱۲۵ . (۲۰۳) ۱ ـ التقيّة جائزة (۱). ۲ ـ تعذير قَعَدة المسلمين وضَعَفَتهم. ۳ ـ تحريم قتل الأطفال . ۴ ـ لزوم رد أمانة المخالف(۲) . ۵ ـ لا حاجة للناس إلى إمام قط، وإنّما عليهم أن يتناصحوا فيما بينهم، فإن هم رأوا أنّ ذلك لايتم إلاّ بإمام يحملهم عليه فأقاموه، جاز(۳) . ۶ ـ تولّى أصحاب

الحدود والجنايات من موافقيه. ۷ ـ من نظر نظرة صغيرة، أو كذب كذبة صغيرة وأصرّ عليها فهو مشرك (ولعلّه فى حقّ مخالفيهم) ومن زنى، وسرق، وشرب الخمر غير مصرّ عليه فهو مسلم، إذا كان من موافقيه على دينه(۴) . هذه آراؤهم وسوف نرجع إلى دراسة هذه الموضوعات فى فصل خاص. وأخيراً نعيد ما ذكرناه: انقسمت النجدية بعد «نجدة» إلى ثلاث فرق هم: النجدية والفديكية، والعطوية (۵) . وهذا يدل على أنّ كثيراً من الفرق كانت فرقاً سياسية، لادينية. ــــــــــــــــ

۱. ولو صحّ ذلک كما هو صريح كتاب نجدة لايصحّ ما نسب إليهم الأشعرى فى مقالاته من أنّهم استحلّوا دماء أهل المقام وأموالهم فى دار التقيّة وبرأوا ممّن حرمّها، الأشعرى: مقالات الاسلاميين ۱/۹۱ .

۲. لاحظ فى هذا الاُصول الأربعة كتاب نجدة إلى نافع تجد فيه تلک الآراء.

۳. الشهرستانى: الملل والنحل ۱/۱۲۴ .

۴. الأشعرى: مقالات الإسلاميين ۱/۹۱ .

۵. الأشعرى: مقالات الإسلاميين ۱/۹۲ . (۲۰۴) (۲۰۵) الفرقة الثالثة: البيهسية البيهسية من الخوارج ينسبون إلى أبى بيهس و اسمه هيصم بن جابر وهى فرقة مستقلّة، لاصلة لها بالإبراهيمية والميمونية، وإنّما تدخّلت فى الخلاف الذى حدث بين تلک الفرقتين، والفرقتان من الاباضية كما سنبيّن: قد وقفت عند الكلام فى الأزارقة على أنّ أبابيهس هيصم بن جابر الضبعى وعبدالله بن اباض كانا فى وقت واحد، وكان لنافع قيادة روحية مثلما كان لعبدالله بن اباض أو أقوى، وإنّما خرج أبوبيهس بمنهج عندما ظهر له غلوّ نافع و تقصير عبدالله بن اباض، حيث إنّ نافع غلا فى البراءة من المسلمين وجوّز استعراضهم والتفتيش عن عقائدهم واستحلّ أماناتهم وقتل أطفالهم . بينما عبدالله بن اباض قد قصّر (أى فى التطرّف) حيث إنّ المخالفين عندهم كفّار ولكن كفّار فى النعم كما عدّ سبحانه وتعالى تارک الحج مع (۲۰۶)

الاستطاعة كافراً وقال: (وَلِلّه عَلَى النّاسِ حجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيلا و مِنْ كَفَرَ فَإنَّ اللّه غَنِيٌّ عَنِ العالمين)(۱) وجوّز مناكحهم ومواريثهم والاقامة فى بلدهم. عند ذلک أدلى أبو بيهس بأوّل رأيه حيث اعتبر أنّ هناک إفراطاً وتفريطاً والحق الوسط، يقول: إنّ أعداءنا كأعداء رسول الله، تحلّ لنا الاقامة فيهم، خلافاً لنافع كما فعل المسلمون خلال اقامتهم بمكة وأحكام المسلمين تجرى عليهم، وزعم أنّ مناكحهم ومواريثهم تجوز لأنّهم منافقون يظهرون الإسلام، وانّ حكمهم عند الله حكم المشركين. قال المبرّد: فصارت الخوارج فى هذا الوقت على ثلاثة أقاويل: ۱ ـ قول نافع فى البراءة والاستعراض واستحلال الأمانة وقتل الأطفال. ۲ ـ قول أبى بيهس الذى ذكرناه. ۳ ـ وقول عبدالله بن اباض وهو أقرب الأقوال إلى السنّة من أقاويل الضلال (۲). ثمّ إنّ البيهسية انقسمت إلى فرق : ۱ ـ العوفية. ۲ ـ أصحاب التفسير. ۳ ـ أصحاب السؤال، وهم أصحاب شبيب النجرانى . ولنذكر المشتركات بين هاتيک الفرق، ثمّ نذكر المميّزات، أمّا الاُولى فقال أبو بيهس: لا يسلم أحد حتّى يقرّ بمعرفة الله، ومعرفة رسوله، ومعرفة ما جاء به محمّد جملة، والولاية لأولياء الله سبحانه، والبراءة من أعداء الله وما ــــــــــــــــ

۱. آل عمران: ۹۷ .

۲. المبرّد: الكامل ۲/۲۱۴ وأضاف انّ الصفرية والنجدية فى ذلک الوقت يقولون بقول ابن اباض . (۲۰۷)

حرّم الله سبحانه ممّا فيه الوعيد ، فلا يسع الإنسان إلاّ علمه ومعرفته بعينه، وتفسيره . ومنه ما ينبغى أن يعرفه باسمه ولايبالى أن لايعرف تفسيره و عينه حتى يبتلى به، وعليه أن يقف عند ما لا ـ يعلم، ولا ـ يأتى شيئاً إلاّ بعلم. وفى مقابل البيهسية من قال: قد يسلم الإنسان بمعرفة وظيفة الدين، وهى شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ عبده و رسوله، والاقرار بما جاء من عندالله جملة(۱)، والولاية لأولياء الله، والبراءة من أعداء الله وإن لم يعرف ما سوى ذلک فهو مسلم. ثمّ إنّه مسلم حتى يبتلى بالعمل، فمن واقع شيئاً من الحرام، ممّا جاء فيه الوعيد، وهولايعلم أنّه حرام، فقد كفر، ومن ترک شيئاً من كبير ما افترضه الله سبحانه عليه وهو لا يعلم فقد كفر، فإن حضر أحد من أوليائه مواقعة من واقع الحرام وهو لا يدرى أحلال أم حرام، أو اشتبه عليه، وقف فيه، فلم يتولّه ولم يبرأ

منه حتى يعرف أحلال ركب أم حرام؟ . قالت البيهسية: الناس مشركون بجهل الدين(۲)، مشركون بمواقعة الذنوب، وإن كان ذنب لم يحكم الله فيه حكماً مغلظاً ولم يوقفنا على تغليظه فهو مغفور، ولا يجوز أن يكون أخفى أحكامه عنّا فى ذنوبنا، ولو جاز ذلك جاز فى الشرك (۳) . وقالوا: التائب فى موضع الحـدود، وفى موضع القصاص، والمقرّ على ـــــــــــــــــــ ۱. الفرق بين الفرقتين: هو أنّ البيهسية التزموا بالمعرفة جملة، وهؤلاء اكتفوا بالاقرار جملة، والفرق بينهما واضح، فإنّ المعرفة تستلزم المعرفة التفصيلية دون الاقرار .

۲. ذلك لازم الأصل الأوّل من اشتراط تحقّق الإسلام بمعرفة ما جاء به محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ .

۳. يريد أنّ المعاصى الكبيرة لا تكون خفيّة علينا، ولو جاز خفاؤها لجاز خفاء حكم الشرك. (۲۰۸)

نفسه يلزمه الشـرك إذا أقرّ من ذلك بشـىء وهو كافر، لأنّه لايحكم بشىء من الحدود والقصاص إلاّ على كل كافر يشهد عليه بالكفر عندالله(۱) . هـذه هى الأحكـام المشتركـة بين جميع فرق البيهسـية ولب الجميع عبارة عن أمرين: ۱ ـ لزوم معرفـة مـا جاء به النبى على وجه التفصـيل . ۲ ـ إنّ مرتكب الكبـائر مشـرك خصوصـاً فيمـا إذا كان فى موضع الحـد. نعم هناك فِرق من البيهسـية اختصّوا ببعض الأحكام، نـذكر منها ما يلى: الف ـ العوفيـة: وهم فرقتان: فرقـة تقول: من رجع من دار هجرتهم ومن الجهاد إلى حال القعود نبرأ منهم. وفرقـة تقول: لا نبرأ منهم، لأنّهم رجعوا إلى أمر كان حلالا لهم. وكلا الفريقين من العوفيـة يقولون: إذا كفر الإمام فقـد كفرت الرعية، الغائب منهم و الشاهـد. والبيهسـية يبرأون، منهم وهم جميعاً يتولّون أبا بيهس، وقالت العوفية: السـكر كفر، ولا يشـهدون أنّه كفر حتى يأتى معه غيره كترك الصـلاة، وما أشبه ذلك، لأنّهم إنّما يعلمون أنّ الشارب سكر إذا ضمّ إلى سكره غيره ممّا يدلّ على أنّه سكران (۲) . ب ـ أصحـاب التفسير: كان صاحب بدعتهم رجل يقال له الحكم بن مروان من أهل الكوفة، زعم أنّه من شهد على المسلمين لم تجز شـهادتهم إلاّ بتفسير الشهادة كيف هى. قال: ولو أنّ أربعة شهدوا على رجل منهم بالزنا لم تجز شهادتهم حتى يشهدوا كيف هو، وهكذا قالوا فى سائر الحدود، فبرأت ـــــــــــــــــــ

۱. وهذا مبنى على كون ارتكاب الكبائر كفراً.

۲. إنّ العلم بالسكر يعلم بأدنى شىء ولا يتوقّف على ترك الصلاة . (۲۰۹)

منهم البيهسية على ذلك وسمّوهم أصحاب التفسير. ج ـ أصحاب السؤال: وهم الذين زعموا أنّ الرجل يكون مسلماً إذا شهد أن لا إله إلاّ الله و أنّ محمّداً ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ عبده و رسوله، وتولّى أولياء الله وتبرّأ من أعدائه، وأقرّ بما جاء من عندالله جملة، وإن لم يعلم سـائر مـا افترض الله عليه ممّـا سوى ذلـك، أفرض هوأم لاـ؟ فهو مسـلم حتى يبتلى بالعمـل به (فيسأل)(۱) . وقـالوا: فى أطفال المؤمنين: إنّهم مؤمنون أطفالاـ وبـالغين، حتى يكفروا، وإنّ أطفـال الكفّـار كفّـار، أطفالا وبالغين حتى يؤمنوا. وقالوا بقول المعتزلـة فى القدر (أى كون الأفعال منسوبةً إلى الإنسان دونه سـبحانه). هذه هى البيهسـية وهذه الفرق المتشعّبة عنها. وهاهنا آراء تنسب إلى بعض البيهسـيين ولم يعرف قائلها. منها قول بعض البيهسية: من واقع زنا، لم يُشهد عليه بالكفر حتى يرفع إلى الإمام أو الوالى ويحد، فوافقهم على ذلـك طائفـة من الصـفرية، إلاّـ أنّهم قـالوا: نقف فيهم ولاـ نسـمّيهم مؤمنين ولاكافرين . منها قول بعضـهم: إذا كفر الإمام كفرت الرعية، وإنّ الدار دار شـرك وأهلها جميعاً مشـركون، ولا يصلّى إلاّ خلف من يعرف، وقالوا: بقتل أهل القبلة وأخذ الأموال واستحلال القتل والسبى على كل حال. ـــــــــــــــــــ ۱. قد عرفت أنّ القدر المشترك بين البيهسية هو لزوم معرفة ما جاء به محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ تفصيلا، ولكن أصحـاب السؤال اكتفـوا بالاـقرار الإجمـالى، فعـدّهم من البيهسـية موضع تأمّـل، وإن عـدّه منهم الأشعرى فى مقالاته.

ثمّ إنّ الفرق بينهم وبين الفرقـة المخالفـة للبيهسـية التى أوعزنا إليها فى صدر البحث هو أنّهم يحكمون بالكفر إذا ابتلى بالعمل وهو لا يعلم أنّه حرام، وهذا بخلاف أصحاب السؤال فهم لا يحكمون بكفره بل يحكمون عليه بالسؤال . (۲۱۰) منها: السكر من كل شراب، حلال موضوع عمّن سـكرمنه، وكل ما كان فى السـكر من ترك الصلاة أوشتم الله سبحانه موضوع فيه، لاحدّ فيه، ولا حكم، ولا يكفّر أهله بشـىء من ذلك مادامو فى سـكرهم، وقالوا: إنّ الشراب حلال الأصل، ولم يأت فيه شىء من التحريم لا فى قليله ولا فى اكثار أو

سكر(۱). وأمّا تدخّل أبی بیهس فی الخلاف الذی حدث بین الإبراهيمیة والمیمونیة فحاصله أنّ رجلا من الاباضیة یعرف بإبراهیم، دعا قوماً من أهل مذهبه إلی داره، وأمر جاریة له کانت علی مذهبه بشیء، فأبطأت علیه فحلف لیبیعنّها فی الأعراب، فقال له رجل منهم اسمه میمون: کیف تبیع جاریة مؤمنة إلی الکفرة؟ فقال له إبراهیم: إنّ الله تعالی قد أحلّ البیع وقد مضی أصحابنا وهم یستحلّون ذلک، فتبرّأ منه میمون وتوقّف آخرون منهم فی ذلک وکتبوا بذلک إلی علمائهم، فأجابوهم بأنّ بیعها حلال، وبأنّه یستتاب میمون، ویستتاب من توقّف فی إبراهیم، فصاروا فی هذا ثلاث فرق: أبراهیمیة، ومیمونیة، وواقفة. ثمّ إنّ البیهسیة قالوا: إنّ میموناً کفر بأن حرّم الأمة فی دار التقیة من کفّار قومنا، وکفرت الواقفة بأن لم یعرفوا کفر میمون وصواب أبراهیم، وکفر إبراهیم بأن لم یبرأ من الواقفة(۲) . وأمّا مصیر أبی بیهس، فقد طلبه الحجاج أیّام الولید فهرب إلی المدینة فطلبه بها عثمان بن حیّان المزنی فظفربه وحبسه، وکان یسامره إلی أن ورد کتاب الولید بأن یقطع یدیه ورجلیه ثم یقتله، ففعل ذلک به (۳) . *** ________________

۱. الأشعری: مقالات الإسلامیین ۱/۱۱۳ ـ ۱۱۸، والشهرستانی: الملل والنحل ۱/۱۲۵ ـ ۱۲۷ .

۲. البغدادی: الفرّق بین الفرِق ۱۰۷ ـ ۱۰۸ .

۳. الشهرستانی: الملل و النحل ۱/۱۲۵ . (۲۱۱) الفرقة الرابعة: الصفریة اختلفت کلمة أصحاب المقالات فی مؤسّس هذه الفرقة، فنری أنّ المبرّد یعرّفهم بأنّهم أصحاب ابن صفار، وانّهم إنّما سمّوا بصفرة لصفرة عَلَتْهم ویستشهد علی ذلک بقول ابن عاصم اللیثی، وکان یری رأی الخوارج وصار مرجئاً. فارقتُ نجدة والذین تزرّقوا * وابن الزبیر وشیعة الکذّاب والصفر الآذان (۱) الذین تخیّروا * دیناً بلاثقة ولا بکتاب بینما الأشعری والشهرستانی ینسبانها إلی زیاد بن أصفر(۲) . ________________

۱. قال المبرّد: خفف الهمزة من الاذان ولولاه لانکسر الشعر.(المبرّد: الکامل ۲/۲۱۴) .

۲. الأشعری: مقالات الإسلامیین ۱۰۱، والشهرستانی: الملل والنحل ۱/۱۳۷ . (۲۱۲) ولکن یقول المقریزی: إنّهم أتباع زیاد بن الأصفر ویضیف، ربّما یقال: إنّهم أتباع النعمان بن الصفر، وقیل: بل نسبوا إلی عبدالله بن صفار، ویقال لهم أیضاً: الزیادیة...ویقال لهم أیضاً: النُکّار من أجل أنّهم ینقصون نصف علی وثلث عثمان وسدس عائشة(۱) . وعل کل تقدیر فهم کالأباضیة أقرب الفرق إلی المسلمین: ۱ ـ یخالفون الأزارقة فی عذاب الأطفال، فإنّهم لا یجیزون ذلک ولا یکفّرونهم ولایخلّدونهم فی النار. ۲ ـ لم یکفّروا القعدة عن القتال ـ والمراد قعدة الخوارج ـ. ۳ ـ لم یسقطوا الرجم . ۴ ـ التقیة جائزة فی القول دون العمل عندهم. ۵ ـ وأمّا إطلاق الکافر و المشرک علی مرتکبی الکبائر، فقد قالوا فیه بالتفصیل الآتی: ماکان من الأعمال علیه حدّ واقع فلا یتعدّی بأهله، الاسمُ الذی لزمه به الحدّ کالزنا والسرقة، والقذف، فیسمّی زانیاً سارقاً، قاذفاً، لا کافراً مشرکاً. وماکان من الکبائر ممّا لیس فیه حدّ لعظم قدره مثل ترک الصلاة والفرار من الزحف، فإنّه یکفّر بذلک. ۶ ـ ونقل عن الضحّاک منهم انّه جوّز تزویج المسلمات من کفّار قومهم (یرید سائر المسلمین) فی دار التقیّة دون دار العلانیة . ۷ ـ ونقل عن زیاد بن الأصفر انّ الزکاة سهم واحد فی دار التقیّة(۲) . ________________

۱. المقریزی: الخطط ۲/۳۵۴، والنّکار جمع ناکر.

۲. یرید أنّه لا یجب صرف الزکاة علی الأصناف الثمانیة الواردة فی آیة الصدقات، لعدم بسط الید فی دار التقیّة بل تصرف فی مورد واحد. (۲۱۳) ۸ ـ ویحکی عنه أنّه قال: نحن مؤمنون عند أنفسنا ولاندری أنّنا خرجنا من الإیمان عند الله! ۹ ـ الکفر کفران، کفر بانکار النعمة، وکفر بانکار الربوبیة. ۱۰ ـ البراءة براءتان: براءة من أهل الحدود، سنّة، وبراءة من أهل الجحود، فریضة(۱) . وعلی ما ذکره الشهرستانی فهم لایرون ارتکاب الکبیرة موجباً للشرک والکفر إلّا فیما إذا لم یرد فیه حدّ کترک الصلاة . لکن الظاهر ممّا نقله البغدادی فی الفرق انّ بین الصفریة قولین آخرین: الف ـ إنّ صاحب کل ذنب مشرک، کما قالت الأزارقة. ب ـ إنّ صاحب الذنب لا یحکم علیه بالکفر حتی یرفع إلی الوالی فیحدّه(۲). وکل الصفریة بل جمیع فرق الخوارج حتی الاباضیة الذین یتحرّجون من تسمیتهم خوارج، یقولون بموالاة عبدالله بن وهب الراسبی وحرقوص بن زهیر واتباعهما من المحکّمة الاُولی . ویقولون بإمامة أبی بلال مرداس، الخارج بعد المحکّمة الاُولی، وبإمامة عمران بن حطان السدوسی بعد أبی بلال. أمّا أبو بلال فقد مرّت ترجمته وأنّه خرج فی

أيّام يزيد بن معاوية بناحية البصرة، فبعث إليه عبيدالله بن زياد، عبّاد بن أخضر التميمى، فقتله مع أتباعه. وأمّا الثانى فهو من شعراء الخوارج وخطبائهم، مات سنة ۸۴، وبلغ من خبثه فى بغض على ـ عليه السَّلام ـ أنّه رثا عبدالرحمن بن ملجم وقال فى ضربه

۱. الشهرستانى: الملل و النحل ۱/۱۳۷. البغدادى: الفَرق بين الفِرق ۹۰. الأشعرى: المقالات ۱۰۱ .

۲. البغدادى: الفَرق بين الفِرق ۹۱ . (۲۱۴) عليّاً: يا ضربة من منيب ما أراد بها * إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا إنّى لأذكره يوماً فأحسبه * أوفى الربية عند الله ميزانا قال عبدالقاهر (البغدادى): وقد اجبناه عن شعره هذا بقولنا: يا ضربة من كفور ما استفاد بها * إلاّ الجزاء بما يصليه نيرانا إنّى لألعنه ديناً، وألعن من * يرجو له أبداً عفواً وغفرانا ذاك الشقى لأشقى الناس كلّهم * أخفّهم عند ربّ الناس ميزانا(۱) اُصول الفرق للخوارج: هذه هى اُصول فرق الخوارج المتطرّفين وأمّا سائر الفرق فكلّها مشتقّة منها بسبب اختلاف غير هامّ فى التخطيط والتطبيق، لا ـ فى المبدأ والأصل، وأمّا الاباضية، فلم يكونوا بهذا التطرّف، ولأجل ذلك أسماهم سائر الفرق باسم «القعدة» لأنّهم قعدوا عن الجهاد فى سبيل الله بمحاربة الولاة والحكّام الظالمين. يقول «الدكتور رجب محمّد»: قد تطّورت الأحوال فى جماعة المحكّمة الذين ظلّوا على عدائهم وصدامهم مع الدوله الأموية إلى الانقسام إلى فرق ثلاث: هى الأزارقة، والنجدات، والبيهسية منذ عام ۶۴، واُضيفت إليها الفرقة الرابعة وهى الفرقة المعروفة باسم الصفرية منذ عام ۷۵، واتّفقت هذه الفرق الأربع فيما بينهم على آراء، وكفّر بعضهم بعضاً، واصطدموا بالدولة الأموية مرّات عديدة، وتصدّت لهم قوات الخلافة وأخضعت شوكتهم وقضت على زعمائهم، وكان ذلك على يد المهلّب بن أبى صفرة المعانى وعلى يد قومه من ________________

۱. البغدادى: الفَرق بين الفِرق ۹۳ . (۲۱۵)

الأزد العمانيين، وعندما حاول بعض زعمائهم اللجوء إلى عمان، تصدّى لهم العمانيون وقاتلوهم وقتلوهم (۱). وعلى كل تقدير فالفرقة الباقية من الخوارج تلعن الفرق الأربع وتتبرّأ منها، وإليك نصّ بعضهم فى هذا الشأن: لقد حرص ابن اباض فى رسالته إلى عبدالملك بن مروان أن يقرّر رأيه بصراحة فى ابن الأزرق... فذكر فيها قوله: «أنا براء إلى الله من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه. لقد كان حين خرج على الإسلام فيما ظهر لنا، ولكنّه أحدث وارتدّ وكفر بعد اسلامه فنبرأ إلى الله منهم» (۲) . وقد عرض القلهاتى بالتحليل لآراء الأزارقة: «الأزارقة إمامهم أبو راشد نافع بن الأزرق، وهو أوّل من خالف اعتقاد أهل الاستقامة، وشقّ عصى المسلمين، وفرّق جماعتهم، وانتحل الهجرة، وسبى أهل القبلة، وغنم أموالهم، وسبى ذراريهم، وسنَّ تشريك أهل القبلة، وتبرأ من القاعد ولو كان عارفاً لأمره تابعاً لمذهبه، واستحلّ اعتراض الناس بالسيف، وحرّم مناكحتهم وذبائحهم ومو ارثتهم، وابتدع اعتقادات فاسدة وآراء حائدة خالف فيها المسلمين أهل الاستقامة فى الدين» (۳) . وقد تعرَّض كذلك لسائر فرق الخوارج الاُخرى فقال: «وجميع أصناف الخوارج ـ غير أهل الاستقامة (الأباضية) ـ اجتمعوا ________________

۱. الدكتور رجب محمّد عبدالحليم (استاذ التاريخ بجامعة القاهرة وجامعة السلطان قابوس): الاباضية فى مصر و المغرب: ۱۴ .

۲. البرادى: الجواهر المنتقاة (رسالة ابن اباض) ۱۵۶ ـ ۱۶۷. ويأتى نصّ الرسالة فى محلّها.

۳. القلهاتى: الكشف والبيان ۲/۴۲۳ . (۲۱۶)

على تشريك أهل القبلة، وسبى ذراريهم، وغنيمة أموالهم، و منهم من يستحل قتل السريرة والعلانية، واعتراض الناس بالسيف على غير دعوة، ومنهم من يستحلّ قتل السريرة، وهم مختلفون فيما بينهم، يقتل بعضهم بعضاً، ويغنم بعضهم مال بعض، ويبرأ بعضهم من بعض، وانتحلوا الهجرة، وحرّموا موارثتهم، ومناكحتهم، وأكل ذبائحهم» (۱) . الخوارج قد شوّهوا محاسن الدين : إنّ الخوارج قد شوّهُوا محاسنَ الدين الإسلامى تشويهاً غريباً، فإنَّ هذا الاغراق فى التأويل و الاجتهاد أخرجهم عن روح الإسلام وجماله واعتداله، وهم فى تعمّقهم قد سلكوا طريقاً ما قال به محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ولا دعا إليه القرآن، وأمّا التقوى التى كانوا يَظْهرون بها فهى من قبيل التقوى العمياء، والصلاح، الذى كانوا يتزينون به فى الظاهر، كان ظاهر التأويل بادئ الزخرفة، وقد طمعوا فى الجنة وأرادوا السعى

لها عن طريق التعمق والتشدد والغلوّ فى الدين، غلّواً أخرجهم منه، ومجاوزة الحدّ، تُوقع فى الضد(۲). ***

۱. صالح بن أحمد الصوافى: الإمام جابر بن زيد العمانى: ۲۱۵ ـ ۲۱۶ .

۲. عمر ابو النضر: الخوارج فى الاسلام: ۱۱۱ . (۲۱۷) الفرقة الخامسة: الاباظية أتباع عبدالله بن اباض(۱) م ۸۶ وصفت الاباضية فى كلام غير واحد بأنّهم أقرب الناس إلى أهل السنّة(۲) وأنّهم هم الفرقة المعتدلة من الخوارج، ولأجل هذا اُتيح لهم البقاء إلى يومنا هذا، فهم متفرّقون فى عمان وزنجبار وشمال أفريقيا، فإذا كان البحث فى سائر الفرق بحثاً فى طوائف أبادهم الدهر وصاروا خبراً لِكانَ، فالبحث عن الاباضية بحث عن فرقة موجودة من الخوارج ويعتبر مذهبهم، المذهب الرسمى فى عُمان، وقد ذكرنا فى بداية الكتاب النشاط الثقافى التى تقوم به وزارة الأوقاف عندهم. فنبحث أوّلا عمّا يقول عنهم أصحاب المقالات والتاريخ، ثم نرجع إلى

۱. إنّ اباضية عمان يقرأونه ـ بالفتح ـ خلافاً لاباضية شمال أفريقيا فيقرأونه ـ بالكسرـ وعلى كل تقدير واباض ـ بضم الهمزة ـ فهى قرية أو واحة باليمامة.

۲. المبرّد: الكامل ۲/۲۱۴ . (۲۱۸)

كتبهم المنتشرة فى هذه الأيام لغاية التعريف بهم. الاباضية فى كتب المقالات والتاريخ : عبدالله بن اباض المقاعسى المرّى التميمى من بنى مرّة بن عبيد بن مقاعس، رأس الاباضية وإليه نسبتهم، وقد عاصر معاوية وعاش إلى أواخر أيّام عبدالملك بن مروان، وكان ممّن خرج إلى مكّة لمنع حرم الله من مسلم بن عقبة المرّى(۱) عامل يزيد بن معاوية. اتّفق عبدالله بن اباض مع نافع و أصحابه على أن يسألاـ عبدالله بن الزبير عن رأيه فى عثمان، لأنّ الخوارج يومذاك كانوا ملتفّين حول عبدالله بن الزبير، فلمّا سألوه وجدوه، مخالفاً للعقيدة فتفرّقوا من حوله، وذهبت طائفة من الخوارج إلى اليمامة وعدّة اُخرى إلى البصرة، منهم ابن الأزرق وعبدالله بن اباض وعبدالله بن الصفار(۲) . ثمّ إنّ ابن الأزرق خرج على ثلاثمائة رجل عند وثوب الناس بعبيدالله بن زياد، وتخلّف عنه عبدالله بن صفّار وعبدالله بن اباض ورجال معهما على رأيه، وكتب إليهما ما ألقاه لأصحابه فى خطابته وهو: «إنّ الله قد أكرمكم بمخرجكم، وبصّركم ما عمى عنه غيركم. ألستم تعلمون أنّكم إنّما خرجتم تطلبون شريعته وأمره، فأمره لكم قائد، والكتاب لكم إمام، وإنّما تتّبعون سننه و أثره؟ فقالوا: بلى، فقال: أليس حكمكم فى وليّكم حكم النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فى وليّه، وحكمكم فى عدوّكم حكم النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فى عدوّه، عدوّكم اليوم عدوّالله وعدوّ

۱. الطبرى: التاريخ ۴/۴۳۸ .

۲. الطبرى: التاريخ ۴/۴۳۸ . (۲۱۹)

النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ كما أنّ عدوّ النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يومئذ هو عدوّ الله وعدوّكم اليوم؟ فقالوا: نعم، قال: فقد أنزل الله تبارك و تعالى:(بَراءَةٌ مِنَ اللهِ وِرَسُولِهِ اِلَى الَّذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ) وقال: (لا تَنْكِحُوا المُشْرِكاتِ حَتّى يُؤْمِنَّ) فقد حرّم الله ولايتهم، والمقام بين أظهرهم، واجازة شهادتهم، وأكل ذبائحهم، وقبول علم الدين عنهم، ومناكحتهم و مواريثهم. قد احتجّ الله علينا بمعرفة هذا، وحقّ علينا أن نعلم هذا الدين الذين خرجنا من عندهم، ولانكتم ما أنزل الله، والله عزّوجلّ يقول:(إنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ البَيِّناتِ وِ الهُدى مِنْ بَعْدِ ما بَيَّناهُ لِلنّاسِ فِى الكِتابِ اُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللاّعِنُونَ)(۱) . فبعث بالكتاب إلى عبدالله بن صفار وعبدالله بن اباض، فأتيا به، فقرأه عبدالله بن صفار، فأخذه، فوضعه خلفه فلم يقرأه على الناس خشية أن يتفرّقوا ويختلفوا، فقال له عبدالله بن اباض: مالك لله أبوك؟ أىّ شى أصبت؟ أن قد اُصيب اخواننا؟ أو اُسر بعضُهم؟ فدفع الكتاب إليه، فقرأه، فقال: قاتله الله، أىّ رأى رأى. صدق نافع بن الأزرق (لكن) لوكان القوم مشركين، كان أصوب الناس رأياً وحكماً فيما يشير به، وكانت سيرته كسيرة النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فى المشركين . ولكنّه قد كذب وكذبنا فيما يقول: إنّ القوم كفّار بالنعم والأحكام، وهم براء من الشرك، ولايحلّ لنا إلاّ دماؤهم، وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام (۲) . ثمّ إنّ المبرّد نقل كتاب

ابن الأزرق إليهما بغير هذه الصورة، والنقلان ـــــــــــــــــــــــ

۱. البقرة: ۱۵۹ .

۲. الطبرى: التاريخ ۴/۴۳۸ ـ ۴۴۰ . (۲۲۰)

متّفقـان فى المادة، وأضاف أنّ الكتاب ورد إلى أبى بيهس وعبـدالله بن اباض، فأقبل أبوبيهس على ابن اباض فقال: إنّ نافعاً غلا فكفر وانّك قصّرت فكفرت(۱). هذا هو عبدالله بن اباض، وهذه زمالته مع نافع بن الأزرق وهذا فراقه له فى مسألة تكفير المسـلمين كفر ملّة ودين، وهـذه اباحته دماء المسـلمين (بعد اتمام الحجّة) ولأجل هذه المرونة بين الاباضـية، يقول المبرّد: إنّ قول عبدالله بن اباض أقرب الأقاويل إلى أهل السنّة من أقاويل الضلال. أوهام حول مؤسّس المذهب: ثمّ إنّ هناك أوهاماً حول الرجل فى كتب الفِرق والتواريخ: ۱ ـ خرج ابن اباض فى أيام مروان بن محمّد (۲) وهذا وهم فقد مات قبل أيام مروان بأربعين عاماً. ۲ ـ وقال الزبيدى: كان مبدأ ظهوره فى خلافة مروان الحمار(۳). ۳ ـ وقال المقريزى: إنّه من غلاة المحكّمة وانّه خرج فى أيام مروان، ثمّ قال: ويقال: إنّ نسبة الاباضية إلى ابـاض ـ بضم الهمزة ـ وهى قريـة باليمامـة نزل بها نجـدة بن عامر(۴) . وكلا ـ الأمرين يـدلّان على أنّه ظهر بين سـنتى ۱۲۷ ـ ۱۳۲، أيام حكم مروان وهو لايتّفق مع ما عليه الاباضية على أنّ وفاته كانت فى أيام عبدالملك بن مروان . ـــــــــــــــــــــــ

۱. المبرّد: الكامل ۲/۲۱۳ ـ ۲۱۴ وقد مرّ ـ كتاب ابن الأزرق ـ إليهما عند البحث عن البيهسية، فلاحظ.

۲. نقله خير الدين الزركلى فى الاعلام ۴/۱۸۴، عن هامش الأغانى: ۳۳۰ من المجلد السابع .

۳. الزبيدى: تاج العروس، مادة ابض .

۴. المقريزى: الخطط ۲/۳۵۵ . (۲۲۱) وقـال الشهرسـتانى: عبـدالله بن ابـاض الـذى خرج فى أيام مروان بن محمّـد (۱) . ولعـلّ وجه اشـتباههم هـو: وقـوع فتنـة الاباضـية فى أواخر حكومـة مروان بـن محمّـد، وكـان فى رأس الفتنـة عبـدالله بـن يحيى الجنـدى الكنـدى الحضـرمى طـالب الحق وكان اباضـياً. قال ابن العماد: وفى سـنة ۱۳۰ كـانت فتنـة الاباضـية وهم المنسوبون إلى عبـدالله بن اباض. قال: مخالفونا من أهل القبلة كفّار، ومرتكب الكبيرة موحّد غير مؤمن، بناءً على أنّ الأعمال داخلة فى الإيمان، وكفّروا عليّاً وأكثر الصحابة، وكان داعيتهم فى هـذه الفتنـة عبـدالله بن يحيى الجنـدى الكنـدى الحضـرمى (طالب الحق)، وكانت لهم وقعـة بقديد مع عبدالعزيز بن عبـدالله بن عمرو بن عثمـان فقتـل عبـدالعزيز ومن معه من أهـل المدينـة، فكانوا سبعمائة أكثرهم من قريش منهم: تخرمـة بن سـليمان الوالـبى، روى عـن عبـدالله بـن جعفر وجماعـة، وبعـدها سـارت الخـوارج إلى وادى القرى ولقيهم عبـدالملك السعدى فقتلهم ولحق رئيسـهم إلى مكّـة فقتله أيضاً، ثمّ سار إلى تبالة ـ وراء مكّة بستّ مراحل ـ فقتل داعيتهم الكندى(۲) . ومن الأوهام ما ذكره ابن نشوان الحميرى عن أبى القاسم البلخى المعتزلى: انّ عبدالله لم يمت حتى ترك قوله أجمع، ورجع إلى الاعتزال (۳)، والرجل توفّى ولم يكن للاـعتزال أى أثر، فـإنّ رأس الاعتزال هو واصل بن عطاء الـذى ولـد عام ۸۰ . ثمّ إنّ الاباضـية انقسـمت إلى فرق خرجوا عن الاعتدال والمرونة ومالوا ـــــــــــــــــــــــ

۱. الشهرستانى: الملل و النحل ۱/۱۳۴ .

۲. ابن عماد الحنبلى: شذرات الذهب ۱/۱۷۷ .

۳. ابن نشوان الحميرى: الحور العين ۱۷۳ . (۲۲۲)

إلى التطرّف والشـدّة، ولكن جمهور الاباضـية على الاعتـدال. يقول الأشـعرى: وجمهور الاباضـية يتولّى المحكّمـة كلّهـا إلاّ من خرج، ويزعمون أنّ مخالفيهم من أهل الصـلاة كفّار، وليسوا بمشـركين، حلال مناكحتم وموارثتهم حلال غنيمة أموالهم من السـلاح والكراع عنـد الحرب، حرام مـاوراء ذلـك، وحرام قتلهم وسبيهم فى السـر، إلاـّ من دعا إلى الشـرك فى دار التقيّـة ودان به، وزعموا أنّ الـدار ـ يعنون دار مخالفيهم ـ دار توحيد إلاّ عسـكر السـلطان، فإنّه دار كفر ـ يعنى عندهم ـ . وحكى عنهم أنّهم أجازوا شـهادة مخالفيهم على أوليـائهم، وحرّموا الاسـتعراض إذا خرجوا، وحرّموا دماء مخالفيهم حتّى يـدعوهم إلى دينهم، فبرأت الخوارج منهم على ذلك، وقالوا:

إنّ كـل طاعـة إيمان ودين، وإنّ مرتكبي الكبائر موحِّدون وليسوا بمؤمنين(۱). وقريب من ذلـك ما ذكره البغدادی فی كتابه، يقول: افترقت الاباضيـة فيما بينها فرقاً يجمعها القول بأنّ كفّار هـذه الاُمّة ـ يعنون بذلك مخالفيهم من هذه الاُمّة ـ براء من الشـرك والإيمان، وانّهم ليسـوا مـؤمنين ولاـ مشـركين ولكنّهم كفّار، وأجـازوا شـهادتهم وحرّمـوا دمـاءهم فی السـرّ واسـتحلّوها فی العلانيـة، وصـحّحوا منـاكحتهم، والتوارث منهم، وزعموا أنّهم فی ذلـك محـاربون لله ولرسوله، لايـدينون دين الحق، وقالوا باسـتحلال بعض أموالهم دون بعض، والذی اسـتحلّوه الخيل والسلاح، فأمّا الذهب والفضة فإنّهم يردّونهما إلی أصحابهما عند الغنيمة . ثمّ افترقت الاباضية فيما بينهم أربع فرق: الحفصية، والحارثية، واليزيدية، وأصحاب طاعة لايراد الله بها. ــــــــــــــــــــ

۱. الأشعری: مقالات الإسلاميين ۱۰۴ ـ ۱۰۵ . (۲۲۳) ثم قال: واليزيدية، منهم غلاة لقولهم بنسخ شريعة الإسلام فی آخر الزمان (۱) . ولأجل تصـريح عبدالله بن اباض بأنّ المراد من الكفر هو الكفر بالنعم لا محيص عن تفسير الكفر فيما نقله البغدادی عنه بالكفر بالنعم، نعم بعض الفرق منهم خرجوا عن الاعتـدال وحكموا بكفر المسـلمين كفراً حقيقياً . هذا ما يقوله أصـحاب المقالات عنهم ولكنّهم فی كتبهم المنتشرة فی السنوات الأخيرة يقولون خلاف ذلك، وانّهم لا يختلفون مع جماهير المسلمين إلاّ فی مسألة التحكيم، وأمّا ما سواه فهم وغيرهم سواسيـة، وينكرون وجود هذه الفرق التی نسبها إليهم الأشعری ثم البغدادی (۲) . ولأجل ذلك يجب دراسة مذهبهم من كتبهم . الاباضـية فی كتب اعلامهم: قد تعرّفت علی المذهب الاباضی وترجمة مؤسّسه علی ما فی كتب الفرق والتاريخ، غير أنّ كُتّاب الاباضـية فی العصـر الحاضـر ومـاقبله يتحرّجـون مـن أن يُعَدُّوا من فرق الخـوارج، وإن كـانوا يتّفقـون معهم فی بعض المبـادئ ولكن يخالفونهم فی كثير من المبادئ والعقائد، ويعتقدون أنّه مذهب نجم فی أواخر القرن الأوّل بيد مؤسّسه عبدالله بن اباض وجابر بن زيد العمانی، فكأنّ الأوّل قائداً مخطّطاً والثانی قائداً دينياً، وانّ الخوارج هم المتطرّفون كالأزارقة الذين كانوا يكفّرون المسـلمين ويعدّونهم مشركين ويستبيحون أموالهم ويستحيون ــــــــــــــــــــ

۱. البغـدادی: الفَرق بين الفِرق: ۱۰۳، ثمّ ذكر عقائد فرق الاباضـية تبعاً للشيـخ الأشـعری فی المقالات ۱۰۲ ـ ۱۱۱، ومن أراد التفصيل فليرجع إليهما.

۲. الاباضية بين الفرق الإسلامية ۱/۲۱ ـ ۲۸ . (۲۲۴)

نسائهم ويقتلون أولادهم، وأمّا غيرهم الـذين لايعتنقون هـذا المبـدأ وماشابه فليسوا من الخوارج . وقد بذلت الاباضـية فی هذه العصور الأخيرة جهوداً فی تنزيههم عن كونهم من هذه الطائفة وانّ المقصود منه غيرهم، وإليك بعض نصوصهم وتحليلاتهم: هل الاباضية من الخوارج؟: ۱ ـ قد عمد البعض من الخوارج بعد وقعة النهروان إلی سـلوك طريق لايتّفق مع الاُصول الصحيحة للشريعة الغرّاء وأحد ثوا فی الإسـلام حـدثاً كبيراً بمـا اسـتحلّوا من اسـتعراض المسـلمين بالسـيف وتكفير أهل القبلـة الـذين لايـذهبون مـذهبهم، وتفرّق هؤلاء الخارجون إلی فرق عديـدة كان منها الأزارقـة والنجـدات والصـفرية... وهؤلاء هم الـذين أصـبحوا يعرفون بالخوارج، ويعنی وصـفهم بـذلك أنّهم خارجون عن الـدين ومارقون بما استحلّوا من المحرّمات وما خالفوا فيه من الأحكام الصـحيحة للإسـلام . أمّا الاباضـية ـ وهم عرفوا بجماعـة المسـلمين أهـل الحقّ والاسـتقامة ـ فهم لايرون رأی هؤلاء الخوارج بل يرونهم مارقين خارجين عن الـدين، ورغم أنّهم يوالون المحكّمـة الاُولی ـ وعلی رأسـهم عبـدالله بن وهب الراسبی ـ إلاّ أنّهم لم يوافقوا الأزارقـة و من والاهم من بعـده بل تبرأوا منهم ولم يـذهبوا مـذهبهم . وعلی ذلـك فـالخوارج هم غير الاباضـية ولاـيمكن اعتبار الاباضـية احـدی فرقهم، وإلاّ فكيف نجمع بين النقيضين فی صعيد واحد، وكيف نصف من يتمسّك بصحيح الإسلام، ولايكفّر أصحاب القبلة، ولايستحلّ دماء المسلمين ولا أموالهم إلاّ دفعاً لبغی أو ردّاً لعدوان؟....كيف نصف هؤلاء بأنّهم من (۲۲۵)

الخـوارج الـذين أبـوا إلاّـ مفارقـة الجماعـة والخروج عليهم واسـتعراض المسـلمين بالسـيف، واسـتحلال دمـائهم وأموالهم بغير حقّهـا، وذهابهم إلی تكفير هؤلاء، وإذا كانت الاباضـية قد والوا المحكّمة الاُولی إلاّ أنّ ولاءهم لم يكن لمن خرج من بعد ذلك علی الدين، وكان سلوكهم مروقاً وعصياناً (۱) . ۲ ـ الاباضـية لم يجمعهم جامع بالصـفرية والأزارقـة ومن نحا نحوهم إلاّ انكار الحكومـة بين علی

ومعاوية، وأمّا استحلال الدماء والأموال من أهل التوحيد، والحكم بكفرهم كفرَ شرك، فقد انفرد به الأزارقة والصفرية والنجدية، وبه استباحوا حمى المسلمين ولمّا كان مخالفونا لايتورّعون، ولايكلّفون أنفسهم مؤونة البحث عن الحق، ليقفوا عنده، خلطوا بين الاباضية الذين لايستبيحون قطرة من دم موحّد بالتوحيد الذى معه، وبين ما استحلّوا الدماء بالمعصية الكبيرة حتى قتلوا الأطفال تبعاً لآبائهم، مع أنّ الفرق كبير جداً كالفرق بين المستحل والمحرّم . ثمّ قال: إنّ تسمية الخوارج لم تكن معهودة فى أوّل الأمر، وإنّما هى انتشرت بعد استشراء أمر الأزارقة ولم تعرف هذه التسمية فى أصحاب علىّ، المنكرين للتحكيم والراضين به، ولعلّ أوّل ما ظهر هذا اللفظ بعد ثبوت الأمر لمعاوية والاستقرار ولم يفرّقوا فى ذلك بين المتطرف وغيره (۲). ۳ ـ إنّ الاباضية رغم اعتدالهم من الناحية المذهبية والفقهية إلاّ أنّهم كانوا فى عداء سياسى مع دولة بنى اُمية ودولة بنى العباس لأنّهم كانوا يقولون بأنّ الإمامة أو الخلافة حق لأىّ مسلم صالح، فلاـ تكون قاصرة على قريش، ولاـ على بطونها المختلفة من الأمويين أو العباسيين أو العلويين، ولمّا كان هذا الموقف

---

۱. صالح بن أحمد الصوافى: الإمام جابر بن زيد العمانى: ۲۱۲ .

۲. أبو إسحاق السالمى: تحفة الأعيان : هامش الجزء الأوّل كما فى الإمام جابر بن زيد العمانى . (۲۲۶)

السياسى للاباضية يلتقى من الناحية النظرية ومن الناحية الفكرية البحتة مع الخوارج: الأزارقة والنجدات والصفرية، فقد عمّ كُتاب الفرق القول ووضعوا الاباضية ضمن هؤلاء الخوارج واعتبروهم فرقة رابعة من فرقهم، والاباضية أنفسهم كما هو موجود فى كتبهم القديمة والحديثة يتبرّأون من هؤلاء الخوارج كل البراءة بل ويقاتلونهم بأشدّ قتال. إنّ المذهب الاباضى لم يعرف بهذا الاسم إلاّ منذ الربع الأخير من القرن الثالث للهجرة حينما غلب على أصحابه هذا الاسم واشتهروا به، وانّما أصحابه قبل ذلك يعرفون باسم جماعة القعدة وهو اسم له دلالته السياسية، وقد أطلقه عليهم جماعات الخوارج من الأزارقة وغيرهم احتقاراً لهم ورفضاً لمبدئهم: ذاك فى القعود، فقد وضع هؤلاء القعدة لأنفسهم مبدأ المسالمة وعدم اشتهار السيف فى وجه اخوانهم من المسلمين، وأجازوا لأنفسهم البقاء تحت حكم الجبابرة، وقالوا بعدم جواز قتل أطفال مخالفيهم ولا قتل نسائهم ولا استحلال أموالهم وأخذوا يعملون على نشر مبادئهم السياسية فى سرّيّة وكتمان، ودخلوا فى مرحلة كتمان طويلة امتدّت منذ أن تأسّس المذهب على يد جابر بن زيد فى أواخر القرن الأوّل للهجرة حتى هاجر معظم علماء المذهب وآخر أئمة الكتمان أبو سفيان محبوب بن الرحيل إلى عمان فى أواخر القرن الثانى للهجرة(۱) . ۴ ـ إنّ مذهب الاباضية لم يعرف بهذا الاسم فى المصادر الاباضية إلاّ فى الربع الأخير من القرن الثالث للهجرة وقد قبلت الاباضية بهذا الاسم منذ ذلك التاريخ لأنّه غلب عليهم بمرور الزمن وصار علماً يلتقّون حوله، وإنّما يطلقون على أنفسهم قبل ذلك اسم «جماعة المسلمين» أو «أهل الدعوة» أو «أهل الاستقامة» وقد سمّاهم أعداؤهم من الخوارج المتطرّفين باسم «القعدة»

---

۱. الدكتور رجب محمّد عبدالحليم: الاباضية فى مصر والمغرب: ۵۴ ـ ۵۶ . (۲۲۷)

احتقاراً لهم، لأنّهم طبقاً لوجهة نظر هؤلاء الخوارج، قعدوا عن الجهاد فى سبيل الله بمحاربة الولاة والحكّام الظالمين. وكان هؤلاء القعدة قد رأوا القعود عن الحرب، وعن رفع السيف ضد اخوانهم المسلمين عقب موقعة النهروان التى وقعت بين الإمام على بن أبى طالب وجماعة المحكّمة الذين عارضوه لقبوله التحكيم، وقالوا: «لاحكم إلاّ لله» واشتهروا باسم «المحكّمة» أو «الشراة» أو «الحرورية» وأطلق عليهم خصومهم من أرباب الدولة الأمويّة اسم الخوارج (۱). ۵ ـ إنّ الصفريّة اتّخذت الخروج بالسيف على الدولة وسيلة لتحقيق أهدافهم، فإنّ الصفريّة فى بلاد المغرب اتّبعوا هذا الاسلوب فى هذه المنطقة النائية، ولذلك رفعوا لواء الثورة ضدّ بنى اُميّة منذ عام ۱۲۲ . وقد أظهر هؤلاء الصفرية من تطرّف شديد فى معاملتهم لخصومهم سواء كانوا من العرب أم من البرير، فكانوا يستحلّون سبى النساء، ويستحلّون الأموال، يسفكون الدماء، وكانوا فى حركتهم فى بلاد المغرب أقسى على الناس من حركة الأزارقة فى بلاد المشرق، وقد وصل تطرّف البرير الصفرية إلى غايته عندما داهموا القيروان فى عام ۱۳۹، واحتلّوها وفعلوا بأهلها وبمساجدها ما تقشعرّ

له الأبدان على يد قبيلة«ورفجومة» التى كان أهلها من غلاة الصفرية . ثمّ بعد فترات تنقّلت قيادة البربر من الصفرية إلى الاباضية بعد أن ضاق البربر بعنف الصفرية وتطّرفهم المقيت، فضعف أمر الصفرية منذ ذلك الحين وذاب أغلبهم فى الاباضية (۲) .

---

۱. الدكتور رجب محمّد عبدالحليم: الاباضية فى مصر والمغرب: ۱۲ ـ ۱۳ .

۲. نفس المصدر: ۵۳ . (۲۲۸) ۶ ـ المذهب الاباضى يعتمد فى اُصوله على الكتاب والسنّة ويتّفق فى كثير من اُصوله وفروعه مع مذهب أهل السنّة، ولايختلف معها إلّا فى مسائل قليلة، اختلاف مذاهب السنّة فيما بينها، فلا يخلو منها مذهب لايخالف غيره فى قليل أو كثير من المسائل، وما كان اعتماد المذهب الاباضى على الكتاب والسنّة وعدم تباعده عن مذاهب السنّة إلّا لأنّ مؤسسّه جابر بن زيد قد أخذ عن الصحابة الذين أخذ عنهم أصحاب هذه المذاهب من الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة، بل انّه يمتاز على أصحاب هذه المذاهب، فى انّه أخذ عن الصحابة مباشرة بينما هم لم يأخذوا فى معظهم إلّا من التابعين، كما أنّ الأحاديث التى جمعها هو وغيره من علماء وفقهاء وجمّاع الأحاديث من الاباضية كالربيع بن حبيب وغيره، ليست إلّا أحاديث وردت عند البخارى ومسلم وغيرهم من أئمّة الحديث كأبى دواد والترمذى والنسائى وابن ماجه والدارقطنى والطبرانى والبيهقى وغيرهم من أهل السنّة والجماعة (۱). ۷ ـ اطلاق لفظ الخوارج على الاباضية من الدعايات الفاجرة التى نشأت عن التعصّب السياسى أوّلا ثمّ عن المذهبى ثانياً، لمّا ظهر غلاة المذاهب وقد خلطوا بين الاباضية والأزارقة والصفرية والنجدية. إنّ لاطلاق الخوارج على الاباضية سببين: الف ـ اشتراكهم مع سائر الخوارج فى انكار التحكيم، فصار ذلك سبباً للجمع بين كل منكر للتحكيم فى صعيد واحد. ب ـ إنّ تسمية الخوارج لم تكن معهودة فى أوّل الأمر وإنّما انتشرت بعد استشراء أمر الأزارقة، ولم تعرف هذه التسمية فى أصحاب عليّ المنكرين للتحكيم والراضين به، ولعلّ أوّل ما ظهر هذا الأمر بعد ثبوت الأمر لمعاوية، فإنّ ________________

۱. الدكتور رجب محمّد عبدالحليم: الاباضية فى مصر و المغرب: ۶۰ . (۲۲۹)

الأمويين أطلقوا هذه التسمية على كل من يعارض ملكهم العضوض(۱) ولم يفرّقوا بين الاباضية وبين سواهم من متطرّفى الخوارج(۲) . ۸ ـ إنّ ابن اباض تبّرأ من الأزارقة فى الرسالة التى كتبها إلى عبدالملك وجاء فيها: أنا براء إلى الله من ابن الأزرق وضيعه وأبقاعه، لأنّه خرج عن مبادئ الإسلام فيما ظهر لنا و أحدث وارتدّ وكفر بعد إسلامه فنبرأ إلى الله منهم(۳) . نَظُرنا فى الموضوع: هذه كلمات القوم وهى تعبّر عن كونهم مصرّين على أنّهم ليسوا بخوارج ومن سمّاهم بذلك فقد ظلمهم، وبما أنّ الخوارج لم يكونوا ذوى سمعة حسنة، وكان المسلمون يتبرّأون من عقائدهم وأعمالهم، صار هذا هو الحافز لعلماء الاباضية على السعى البالغ من اخراج أنفسهم عن صفوفهم، وانّهم فرقة مستقلّة لاصلة لهم بالخوارج إلّاكونهم مشتركين فى أصل واحد وهو انكار التحكيم . ولعلّ القارىء، يتعجّب من الاطناب والافاضة فى المقام وماهذا إلّا لأجل اراءة منطق القوم فيما يتبّنونه لئلّانبخس حقوقهم، فإنّهم كما عرفت يتّهمون المخالفين بعدم التورع فى البحث وعدم تكليف الأنفس مؤونة الفحص عن الحق، ولكنّها غير لاصقة بنا، فإنّا كلّفنا أنفسنا مؤونة البحث ويشهد بذلك نقل كلماتهم، ومع هذا كل ما ذكروه أشبه بالخطابة، وذلك: ________________

۱. لازم ذلك أن يسمّوا الشيعة أيضاً باسم الخوارج .

۲. صالح بن أحمد الصوافى، الإمام جابر بن زيد العمانى: ۲۱۳ ـ ۲۱۴، والكاتب غفل عن القريض المعروف فى شأن أبى بلال المنتصر كما سيوافيك، وكانت الحادثة سنة ۶۰ قبل فتنة الأزارقة .

۳. الإمام جابر بن زيد العمانى: ۲۲۴، ونقلا ـ عن الجواهر المنتقاة للبرادى: ۱۵۶ ـ ۱۶۷ . (۲۳۰) أوّلا ـ: إنّ هذه الكلمات تحكى أنّ الاباضية أوّل من خطّ خطّ الاعتدال ومشى على ضوئه، واكتفى بالعزلة والقعود ولم يحارب الناس، ولم يعترضهم، ولكنّه فى غير محلّه إذ لو صحّ كلّ ذلك فى عبدالله بن اباض فراسم هذا الخط هو أبو بلال مرداس بن جدير، فإنّه أوّل من ندّد بعمل الخوارج فى اعتراضهم الناس و نهب أموالهم، وكان ينادى بأعلى صوته بأنّه لا يحارب الّا من حاربه ولايروّع أحداً ولا...ولا...فعلى ذلك يجب أن

يقال: إنّ مبدىء هذه الكفرة هو أبوبلال المقتول عام«۶۰» وقد كان أبو بلال قد شهد صفّين مع على بن أبى طالب ـ صلوات الله عليه ـ وأنكر التحكيم وشهد النهر ونجا فيمن نجا(۱) . ثانياً: إنّ الحجر الأساس لفرقة الخوارج هو التّطرف والخروج عن الاعتدال، وإن كان للتطرّف مدارج ومراحل، فالقوم من بدو الخروج على على وانكار التحكيم عليه بعدما فرضوه عليه، كانو متطرّفين، لا يحترمون دماً ولاعرضاً. إنّ تخصيص التطرّف بالأزارقة، والنجدات، والصفرية بزعم أنّهم هم الذين كانوا يستعرضون المسلمين، ويستحلّون دماءهم، ويكفّرون أهل القبلة، كلام فارغ عن الحجّة، بل الحجة على خلافه، فإنّ المحكّمة الاُولى وعلى رأسهم عبدالله بن وهب الراسبى أيضاً كانوا من المتطرّفين، ويظهر ذلك من خطب هذا الراسبى وكلماته التى ألقاها فى الحروراء، وقد نقلنا بعض كلماته فى الفصل السادس، وإليك لقطات منها: قال مخاطباً إخوانه عند الشخوص من الحروراء إلى النهروان: فاخرجوا بنا اخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال أو بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضرّة(۲) . ــــــــــــــــــ

۱. المبرّد: الكامل ۲/۱۸۳ ومرّ تفصيله.

۲. مرّ المصدر فى الفصل السادس . (۲۳۱) ماذا يريد من قوله: الظالم أهلها، وهل يريد بلدة الكوفة وأهلها الملتفّين حول الإمام على بن أبى طالب ـ عليه السّلام ـ ؟ والحال انّ الآية نزلت فى حق المشركين قال سبحانه:(وِمالَكُمْ لاتُقاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ و المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجال وَالنِّساءِ وَ الوِلْدانِ الّذينَ يَقُولُونَ رَبَّنا أَخرِجْنا مِنْ هـذِهِ القَرْيَةِ الظّالِمِ أهْلُها واجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً واجْعَلْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ نصِيراً)(۱). إنّ المحكّمة الاُولى هم الذين بقروا بطن زوجة عبدالله بن خباب بن الأرت، ذلك التابعى العظيم، ولم يكتفوا بذلك، فذبحوا زوجها كما يذبح الكبش، بعدما أعطوه الأمان، وهم الذين قتلوا ثلاث نسوة من طى، وقتلوا أمّ سنان الصيداوية، كل ذلك ارتكبوه بعد ما انتقلوا من الحروراء إلى النهروان، ولمّا بلغ عليّاً هذه الجنايات المروّعة عمد إلى مقاتلتهم بعد ما أتمّ الحجّة عليهم . وأىّ دليل على تطرّفهم أتقن من توصيف الإمام إيّاهم بقوله: «سيوفكم على عواتقكم، تضعونها مواضع البُرء والسقم، وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب»(۲) . أبعد هذا يصحّ للاُستاذ صالح بن أحمد الصوافى تخصيص التطرّف بالخوارج الذين جاءوا بعدهم. هذا هو شبيب، مساعد ابن ملجم فى قتل على، دخل على معاوية فى الكوفة بعد قتل علىّ، ولمّا وقف معاوية على أنّه فيها، بعث إلى الأشجع لأن يخرجه من الكوفة، وكان شبيب إذا جنّ عليه الليل خرج فلم يلق أحداً إلاّ قتله.(۳) ــــــــــــــــــ

۱. النساء ۷۵ .

۲. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۷ .

۳. ابن الأثير: الكامل ۳/۲۰۶ . (۲۳۲) وهذا هو قريب بن مرّة وزحاف الطائى قد خرجا فى امارة زياد بن أبيه فاعترضا الناس، فلقيا شيخاً ناسكاً من بنى ضبيعة فقتلاه، فخرج رجل من بنى قطيعة من الأزد وفى يده السيف، فناداه الناس من ظهور البيوت: «الحرورية»!!! انج بنفسك، فنادوه (قريب وزحاف ومن معهما): لسنا حرورية، نحن الشرط، فوقف فقتلوه، ثمّ جعلا لا يمرّان بقبيلة إلاّ قتلا من وجدا حتى مرّا على بنى على بن سود من الأزد، وكانوا رماة فرموهم رمياً شديداً، فصاحوا: يا بنى على! البقيا! لارماء بيننا. قال رجل من بنى على: لاشيء للقوم سوى السهام * مشحوذة فى غلس الظلام ففرّ عنهم الخوارج إلى ان واجهوا بنو طاحية من بنى سود، وقبائل من مزينة وغيرها، ووقعت الحرب فقتل الخوارج عن آخرهم، وقتل قريب وزحاف(۱) . ما ذكرنا نماذج من استعراضهم للناس وقتلهم الأبرياء، قبل قيام ابن الأزرق بالدعوة، فإنّ ماذكرنا يرجع إلى عهد على وما بعده بقليل، وأمّا فتنة الأزارقة والنجدات فهى راجعة إلى عصر ابنه يزيد بن معاوية فهى من حوادث بعد الستين. ثالثاً: إنّ تخصيص اسم الخوارج بالمتطرّفين منهم كالأزارقة والنجدات تخصيص بلاوجه، فقد اُطلق هذا اللفظ فى عصر علىّ على هؤلاء أى على عبدالله بن وهب الراسبى وذى الخويصرة ومن قتل معهما فى وقعة النهروان: هذا هو الإمام على بن أبى طالب ـ بعد ما خرج من قتال الخوارج فى ضفة النهر مرفوع الرأس ـ قال: لا تقاتلوا الخوارج بعدى فليس من طلب الحق فأخطاه ــــــــــــــــــ

۱. المبرّد: الكامل ۲/۱۸۰ . (۲۳۳)

كمن طلب الباطل فأدركه(۱). فلو كانت هذه الكلمة لعلى كما هوالمقطوع لكان دليلا على أنّ القوم فى بدء نشوئهم كانوا مسمّين بهذا الاسم، وإن كان لغيره فالظاهر أنّ ذلك الغير هو الموالى للخوارج بقرينة مدحهم فى ذيل الجملة، فكان شاهداً على أنّ القوم كانوا مسمّين بهذا الاسم منذ البداية. ويظهر ممّا نظمه نفس الخوارج من الأشعار أنّ تسميتهم بها كان رائجاً فى عصر معاوية أى قبل الستين وقبل أنّ يتسنّم الأزارقة والنجدات منصّة القيادة يقول عيسى بن فاتك من بنى تميم تأييداً لموقف أبى بلال مرداس به ادية الذى قتل عام ۶۰ فى أبيات : أألفا مؤمن فيما زعمتم * ويهزمهم بآسك أربعونا؟ كذبتم ليس ذاك كما زعمتم * ولكن الخوارج مؤمنونا هم الفئة القليلة غير شكّ * على الفئة الكثيرة ينصرونا(۲) ويُستنتج من ذلك الأمرين: أنّ الخوارج اُطلق يوم اُطلق على من خرج عن طاعة أمير المؤمنين وأنكروا التحكيم عليه من غير فرق بين أوائلهم ومن بعدهم. رابعاً: لاشك إنّ المحكّمة الاُولى كانوا يبغضون عليّاً ويكفّرونه، وتشهد بذلك كلماتهم و أشعارهم خصوصاً فى مفاوضاتهم مع عليّ، وقد تضافرت الروايات أنّ حبّه آية الإيمان وبغضه آية النفاق، ولايمكن لعالم ملّم بالأحاديث انكار ذلك . هذا هو مسلم روى فى صحيحه عن زر بن حبيش قال: قال عليّ: والذى ——————

۱. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۶۰ .

۲. المبرّد: الكامل ۲/۱۸۶، ابن سلاّم (م۲۷۳) بدء الاسلام وشرائع الدين: ۱۱۱، مرّت قصة أبى بلال . (۲۳۴)

خلق الجنّة وبرأ النسمة أنّه لعهد النبىّ الاُمىّ إلىّ لايحبّنى إلاّ مؤمن ولايبغضنى إلاّ منافق(۱) . وروى الإمام أحمد فى فضائل الصحابة عن زرّ بن حبيش، عن على قال: عهد النبى إلىّ أنّه لايحبّك إلاّ مؤمن ولايبغضك إلاّ منافق (۲) . ورواه النسائى فى خصائصه بعدّة طرق(۳) . ورواه الحافظ ابن عساكر فى تاريخه بأسانيد تربو على ۱۸ طريقاً(۴) . وعلى ضوء ذلك فهؤلاء محكومون بالنفاق والخلود فى النار، فيشملهم قول النبى الأكرم ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فى شأن ذى الخويصرة الذى كان فى الرعيل الأوّل من المحكّمة: فإنّه سيكون له شيعة يتعمّقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرميّة (۵) . روى المبرّد فى الكامل أنّ عليّاً(رضى الله عنه) وجّه إلى رسول الله مذهّبة من اليمن فقسّمت أرباعاً فأعطى ربعاً للأقرع بن جالس المجاشعى، وربعاً لزيد الخيل الطائى، وربعاً لعيينة بن حصن الغزارى، وربعاً لعلقمة بن علاثة الكلابى، فقام إليه رجل مضطرب الخلق غائر العينين ناتئُ الجبهة فقال: لقد رأيت قسمة مااُريد بها وجه الله، فغضب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ حتى تورّد خداه، ثم قال: أيأمننى الله عزّوجلّ على أهل الأرض ولاتأمنونى؟ فقام إليه عمر فقال: أقتله يا رسول الله؟ فقال ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ إنّه سيكون من ——————

۱. مسلم: الصحيح ۱، كتاب الايمان ۶۰.

۲. أحمد بن حنبل: المسند ۱/۱۲۷. الحديث ۹۴۸، وفضائل الصحابة ۲/۵۶۳، ونقله فى كتابه الأخير فى غير واحد من المواضع، لاحظ الأحاديث ۹۷۹، ۱۰۵۹، ۱۰۸۶، ۱۱۴۶ .

۳. الحافظ أبو عبدالرحمان النسائى: الخصائص ۱۸۷ .

۴. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ترجمة الإمام على بن أبى طالب ۲/۱۹۰ ـ ۱۹۹ .

۵. ابن هشام: السيرة النبوية ۴/۴۹۶. ابن الأثير: الكامل ۲/۱۶۴ . (۲۳۵)

ضئضىء هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية تنظر فى النصل فلاترى، شيئاً، وتنظر فى الرصاف فلاترى شيئاً، وتتمارى فى الفوق(۱) . إنّ المحكّمة الاُولى كفّروا من طهّره الله سبحانه فى كتابه وقال: (إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)(۲) وقد اصفقت الاُمّة إلاّ الشواذ من الخوارج كعكرمة على نزول الآية فى حقّ العترة الطاهرة، هذا هو مسلم يروى فى صحيحة عن عائشة، قالت: خرج النبى غداة وعليه مرط مرجّل من شعر أسود وجاء الحسن بن على فأدخله، ثم جاء الحسين بن على فأدخله، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء على فأدخله، ثم قال: (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً)(۳) . وروى إمام الحنابلة فى مسنده نزول الآية فى شأن الخمسة الطاهرة، فمن أراد فليرجع إلى مظانّه(۴) . إلى غير ذلك من

الآيات النازلة فی حقّ أهل البيت . أفيصحّ لنا الحكم باسلام من يكفّر ويبغض ويقاتل من طهّره الله فی نصّ كتابه، ومحكم ذكره؟ ولأجل ذلك فالمحكّمة الأُولی محكومون بالكفر والنفاق وإن افترضنا أنّهم اكتفوا بانكار التحكيم فقط، ولم يستعرضوا المسلمين بالسيف ولم يقتلوا النساء ولا الأطفال ولاكفّروا المسلمين . وفی كلمات أئمّة أهل بيت اشارة إلی هذا النوع . ______________

۱. المبرّد: الكامل ۲/۱۴۲ .

۲. الأحزاب: ۳۳ .

۳. مسلم: الصحيح ۷/۱۳۰ .

۴. أحمد بن حنبل: المسند: ۴/۱۰۷ و ۶/۲۹۲، ۲۹۶ و ۳۲۳ . (۲۳۶) كان عبدالله بن نافع بن الأزرق يقول: لو عرفت أنّ بين قطريها أحداً تبلغنی إليه الإبل يخصمنی بأنّ عليّاً ـ عليه السَّلام ـ قتل أهل النهروان وهو غير ظالم، لرحلتها إليه، فقيل له: إئت ولده محمّد الباقر ـ عليه السَّلام ـ فأتاه فسأله، فقال بعد كلام: الحمد لله الذی أكرمنا بنوبّته، واختصّنا بولايته، يامعشر أولاد المهاجرين و الأنصار من كان عنده منقبة فی أمير المؤمنين، فليقم وليحدّث، فقاموا ونشروا من مناقبه فلمّا انتهوا إلی قوله: لأُعطينّ الراية غداً رجلا يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله، سأله أبو جعفر عن صحّته فقال: هو حقّ لاشكّ فيه، ولكن عليّاً أحدث الكفر بعد. فقال أبو جعفر ـ عليه السَّلام ـ: أخبرنی عن الله أحبّ علی بن أبی طالب يوم أحبّه وهو يعلم أنّه يقتل أهل النهروان، أم لم يعلم، إن قلت: لا، كفرت، فقال: قد علم، فقال: فأحبّه علی أن يعمل بطاعته أم علی أن يعمل بمعصيته؟ قال: علی أن يعمل بطاعته، فقال أبو جعفر: قم مخصوماً، فقام عبدالله بن نافع ابن الأزرق وهو يقول: حتّی يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود، اللهُ يَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَه (۱) . روی الشريف المرتضی عن الشيخ المفيد: أحبّ الرشيد أن يسمع كلام هشام بن الحكم مع الخوارج، فأمر بإحضار هشام بن الحكم وإحضار عبدالله بن يزيد الاباضیّ(۲) وجلس بحيث يسمع كلامهما ولايری القوم شخصه، وكان بالحضرة يحيی بن خالد، فقال يحيی لعبدالله بن يزيد: سل أبا محمّد ـ يعنی هشاماً ـ عن شیء، فقال هشام: لا مسألة للخوارج علينا، فقال ______________

۱. ابن شهر آشوب: مناقب آل أبی طالب: ۲/۲۸۹ كما فی البحار ۱۰/۱۵۸ .

۲. ترجمه ابن حجر فی لسان الميزان ۳ / ۳۸۷ بقوله: عبدالله بن يزيد الفزاری الكوفی المتكلّم، ذكره ابن حزم فی النحل: انّ الاباضية من الخوارج أخذوا مذهبهم عنه . (۲۳۷)

عبدالله بن يزيد، وكيف ذلك؟ فقال هشام: لأنّكم قوم قد اجتمعتم معنا علی ولاية رجل وتعديله والإقرار بإمامته وفضله، ثمّ فارقتمونا فی عداوته والبراءة منه، فنحن علی إجماعنا وشهادتكم لنا، وخلافكم علينا غير قادح فی مذهبنا، ودعواكم غير مقبولة علينا، إذ الاختلاف لايقابل الاتّفاق، وشهادة الخصم لخصمه، مقبولةٌ، وشهادته عليه مردودة. قال يحيی بن خالد: لقد قرّبت قطعه يا أبامحمّد، ولكن جاره شيئاً، فإنّ أمير المؤمنين أطال الله بقاءه يحبّ ذلك، قال: فقال هشام: أنا أفعل ذلك، غير أنّ الكلام ربّما انتهی إلی حدّ يغمض ويدق علی الأفهام، فيعاند أحد الخصمين أو يشتبه عليه، فإن أحبّ الإنصاف فليجعل بينی وبينه واسطة عدلا، إن خرجت عن الطريق ردّنی إليه، وإن جار فی حكمه شهد عليه، فقال عبدالله بن يزيد: لقد دعا أبومحمّد إلی الإنصاف، فقال هشام: فمن يكون هذه الواسطة؟ وما يكون مذهبه؟ أيكون من أصحابی، أو من أصحابك، أو مخالفاً للملّة أو لنا جمعياً؟ قال عبدالله بن يزيد: اختر من شئت فقد رضيت به، قال هشام: أمّا أنا فأری أنّه إن كان من أصحابی لم يؤمن عليه العصبيّة لی، وإن كان من أصحابك لم آمنه فی الحكم علیّ، وإن كان مخالفاً لنا جميعاً لم يكن مأموناً علیّ ولا عليك، ولكن يكون رجلا من أصحابی، ورجلا من أصحابك، فينظران فيما بيننا ويحكمان علينا بموجب الحقّ ومحض الحكم بالعدل، فقال عبدالله بن يزيد: فقد أنصفت يا أبامحمّد، وكنت أنتظر هذا منك. فأقبل هشام علی يحيی بن خالد فقال له: قد قطعته أيّها الوزير، ودمّرت (۱) علی مذاهبه كلّها بأهون سعی، ولم يبق معه شیء، واستغنيت عن مناظرته، قال: فحرّك الرشيد الستر، فأصغی يحيی بن خالد فقال له: هذا متكلّم الشيعة وافق ______________

۱. دمّر عليه: هجم عليه هجوم الشر. دمّر عليه: أهلكه . (۲۳۸)

الرجل موافقة لم تتضمّن مناظرة، ثمّ ادّعى عليه أنّه قد قطّعه وأفسد عليه مذهبه، فمره أن يبيّن عن صحّة ما ادّعاه على الرجل، فقال يحيى بن خالد لهشام: إنّ أمير المؤمنين يأمرك أن تكشف عن صحّة ما ادّعيت على هذا الرجل، قال: فقال هشام رحمه الله: إنّ هؤلاء القوم لم يزالوا معنا على ولاية أميرالمؤمنين علىّ بن أبى طالب ـ عليه السَّلام ـ حتّى كان من أمر الحكمين ماكان، فأكفروه بالتحكيم وضلّلوه بذلك، وهم الّذين اضطرّوه إليه، والآن فقد حكّم هذا الشيخ وهو عماد أصحابه مختاراً غير مضطرّ رجلين مختلفين فى مذهبهما: أحدهما يكفّره، والآخر يعدّله، فإن كان مصيباً فى ذلك فأمير المؤمنين أولى بالصواب، وإن كان مخطئاً كافراً فقد أراحنا من نفسه بشهادته بالكفر عليها، والنظر فى كفره وإيمانه أولى من النظر فى إكفاره عليّاً ـ عليه السَّلام ـ قال: فاستحسن ذلك الرشيد و أمر بصلته وجائزته(۱) . إنّ عداء القوم بالنسبة إلى الإمام أمير المؤمنين كانت ظاهرة فى كتب أوائلهم، هذا هو محمّد بن سعيد الكدمى أحد علماء المذهب الاباضى بعمان، حتى لُقّب بإمام المذهب فى القرن الرابع الهجرى يذكر عليّاً فى كتابه ويقول: «إنّ على بن أبى طالب استخلف على الناس، ونقض عهد الله وحكم فى الدار غير حكم كتاب الله، وقتل المسلمين وسار بالجور فى أهل رعيّته، فعلى الذى قد صحّت منه سعادة علىّ بن أبى طالب أن يتولّى لله على بن أبى طالب على سفكه لدماء المسلمين وعلى تحكيمه فى الدماء غير حكم كتاب الله، وسيرته القبيحة، لا ـ يحلّ له الشك فى ولايته، وعليه أن يبرأ الله من باطله ومن سفكك دمه إن قدر على ذلك، وليس له أن ينكر على المسلمين ـــــــــــــــــــــ

۱. الشريف المرتضى: الفصول المختارة ۱/۲۶ . (۲۳۹)

البراءة منه» (۱) . وهذا هو ابن سلّام الاباضى المتوفّى بعد عام ۲۷۳ يقول: «وحكّموا الحكمين خلافاً لكتاب الله، وحكّموا الحكمين فى أمر قضاه الله، واختلفت الاُمّة وتفرّقت الكلمة، وصار الناس شيعتين مفترقتين، وظهر أهل الباطل من أصحاب معاوية على أهل الحق، فاختفى المسلمون بالحقّ الذى تمسّكوا به فاختلفت عليهم كلمة المختلفين، يقتلونهم على دين الله الحنيف والملّة الصادقة (مِلَّةَ إبْراهِيمَ حَنيفاً وَ ما كانَ مِنَ المُشْرِكينَ)(۲). يبصّرون الناس دينهم فى السرّ ويصبرون فى الله على الأذى والقتل، واحتقروا ذلك فى ذات الله» (۳) . ياليت ابن سلّام يشير إلى الذين حكّموا الحكمين خلافاً لكتاب الله، إلى الذين فرضوا التحكيم على الإمام المفترض طاعته فى أمر قضاه الله. أو ليس هؤلاء أشياخه وأولياءه الذين كانوا مقنّعين فى الحديد يدعون إمامهم باسم علىّ لابإمرة المؤمنين، ويقولون: «أجب القوم إلى كتاب الله وإلاّ ـ قتلناك كما قتلنا ابن عفان» . إنّ الكاتب نسى أو تناسى الجرائم المريرة التى ارتكبتها المحكّمة الاُولى حين تنقّلهم من حروراء إلى النهروان. فكان الأولى له التنويه بذلك، لكّنه شطب على هذه الحقائق التاريخية بقلم عريض، وإلى الله المشتكى . يقول بعض فقهائهم فى مسألة «الولاية والبراءة» . فإن قالوا: فما تقولون فى على بن أبى طالب؟ قلنا له: إنّ على بن أبى طالب مع المسلمين فى منزلة البراءة . ـــــــــــــــــــــ

۱. الكدمى ـ محمّد بن سعيد: المعتبر ۲/۴۱ .

۲. البقرة: ۱۳۵ .

۳. ابن سلام الاباضى: بدء الاسلام وشرائع الدين ۱۰۶ . (۲۴۰) فإن قال: من أين وجبت عليه البراءة وقد كان إماماً للمسلمين وهو ابن عم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وختنه (۱)، مع فضائله المشهورة وقتاله بين يدى النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ المشركين؟ قلنا له: أوجبنا عليه البراءة من وجوه شتّى، أحدها أنّه ترك الحرب التى أمر الله بها للفئة الباغية قبل أن تفئ إلى الله، و أحدها تحكيم الحكمين فى دماء المسلمين وفيما لم يأذن الله به المضلّين الذين كان النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يحذّرهما ويخوّفهما أصحابه. وأحدهما بقتله أهل النهروان وهم الأفضلون من أصحاب النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وهم الأربعة آلاف رجل من خيار الصحابة رحمهم الله. والأخبار بذلك تطول ويضيق بها الكتاب ويتّسع بها الجواب ولم نعدّ كتابنا هذا لشرح جميع أخبارهم، وإنّما أردنا أن نلوّح لكم ونذكر بعض الذى كان من أحداثهم، لتكونوا من ذلك على علم ومعرفة لتعلموا ضلال من ضلّ وخالف وشغب عليكم وبالله التوفيق. فإن قالوا: فما تقولون فى طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام؟ قلنا له: إنّهما عند المسلمين بمنزلة

البراءة. فإن قال: من أين وجبت عليهما البراءة؟ قلنا له: بخروجهما على على بن أبى طالب والمسلمين وطلبهما بدم عثمان بن عفان بإرادتهما إزالة على بن أبى طالب عن إمامته، وقالا: حتى يكون الأمر شورى بين المسلمين يختارون لأنفسهم إماماً غيره، بعد رضائهما به وبيعتهما له وأعطيا صفقة أيديهما (۲) على طاعة الله وطاعة رسوله وعلى قتال من خرج يطلب بدم ــــــــــــــــ

۱. الختن: الصهر، زوج الابنة، والجمع: أختان .

۲. صفقة الأيدى تعنى توكيد البيعة . (۲۴۱)

عثمان بن عفان . فإن قال: فما تقولون فى الحسن والحسين ابنى على؟ قلنا له: هما فى منزلة البراءة، فإن قال: من أين أوجبتم عليهما البراءة وهما ابنا فاطمة ابنة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ؟! قلنا له: أوجبنا عليهما البراءة بتسليمهما الإمامة لمعاوية بن أبى سفيان وليس قرابتهما من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ تغنى عنهما من الله، لأنّ النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ قال فى بعض ما أوصى به قرابته: يا فاطمة بنت رسول الله، ويا بنى هاشم، اعملوا لما بعد الموت، فإنّى ليس أغنى عنكم شيئاً، أو نحو ذلك من الخطاب. فلو كانت القرابة من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ تغنى عن العمل لم يقل ذلك لهم النبى. فهذا نقض لقول من يقول: إنّ القرابة من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ مغفور لها. وقد وجدنا الله يهدّد نبيه بقوله: (وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الأَقاوِيلِ* لأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيمينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الوَتِينَ * فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَد عَنْهُ حاجِزِينَ)(۱). فقد بطل ما خاصمت به أيّها الخصم واحتججت به من قبل القرابة للنبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ (۲) . إنّ الخوارج فى مصطلح القوم مفهوم سياسى وفى الوقت نفسه مفهوم دينى، فيراد من الأوّل خروجهم عن طاعة الإمام المفترض طاعته، ويحكم عليهم بما يحكم على البغاة، ويراد من الثانى خروجهم من الدين والملّة، وصيرورتهم كفّاراً. وعلى كلا المفهومين، فالمحكّمة الاُولى خوارج، حيث خرجوا عن

---

۱. الحاقة: ۴۴ ـ ۴۷ .

۲. السير والجوابات لبعض فقهاء الاباضية: تحقيق الاستاذة الدكتورة «سيدة إسماعيل كاشف، استاذة التاريخ الاسلامى فى كلية البنات جامعة عين شمس ;القاهرة ط ۱۴۱۰ هـ ـ ۱۹۸۹ م، ص ۳۷۵ ـ ۳۷۷. (۲۴۲)

طاعة الإمام وبقوا عليه فى أثناء المعركة، وخارجون عن الدين حيث أبغضوا من بغضه نفاق وكفر وحبّه دين وإيمان. وقال عمر أبوالنظر: وتعاليم الخوارج منذ ظهورهم مزيج من السياسة والدين، فشعارهم «الحكم لله» شىء يمتزج بالدين والسياسة معاً، فلا يصحّ والحالة هذه أن يقال: إنّ دعوتَهم هذه كانت دينيّة محضة أو سياسية محضة، وظلت دعوتهم بسيطة حتى خلافة عبدالملك بن مروان حيث خرجوا فيها كثيراً عن التعاليم الجديدة، وذهبوا يتأوّلون الأحكام الدينية تأويلا فيه كثير من الاغراق و التعقيد، فقالوا: إنّ العمل بأوامر الدين من الايمان، فمن اعتقد التوحيد والرسالة وارتكب الكبائر فهو كافر(۱) . هذا ما يرجع إلى المحكّمة الاُولى ومن جاء بعدهم من الأوائل المنتمين إلى الاباضية . وأمّا اباضية اليوم المنتشرة فى عمان والمغرب العربى أعنى ليبيا والجزائر وتونس وكذلك مصر، فلم يظهر لنا من كتبهم المنتشرة اليوم إلاّ تخطئة التحكيم وتصويب المحكّمة الاُولى من دون نصب عداء للوصىّ أو بذاءة فى اللسان بالنسبة إليه ـ إلا ما نقلناه أخيراً ـ فلايمكن الحكم فى حقّهم إلاّ بالمقدار الذى ظهر لنا ولكن لايمكن الوثوق به لأنّ للقوم فى الدين مسالك أربعة، منها مسلك الكتمان كما سيوافيك توضيحه عند البحث عن التقّية، فإنّ القوم من أصحابها ومجوّزيها والعاملين بها طيلة قرون، وفى ظلّها عاشوا ومهّدت لهم الطريق، وقامت لهم دول فى عمان، وفى أقصى المغرب العربى . ــــــــــــــــ

۱. عمر أبو النضر: الخوارج فى الإسلام ۱۰۲ . (۲۴۳) نظرية اُخرى فى مفهوم الخوارج : المتبادر من الخوارج لدى المسلمين هو المحكّمة الاُولى الذين ثاروا على علىّ فى ثنايا حرب صفّين وخرجوا عن الطاعة بوجه وعن الدين بوجه آخر، غير أنّ بعض الاباضيين فى العصر الحاضر يفسّره بالخروج عن الدين ويصّر على أنّ المراد منه هو أصحاب الردّة بعد وفاة رسول الله أو الثورات الاُخرى التى وقعت إلى انتهاء خلافة الإمام على ـ عليه السَّلام ـ (۱) . قال على يحيى معمر: «كان الأمويّون والشيعة يحاولون بكل ما استطاعوا أن

يلصقوا هـذا اللقب لقب الخوارج ـ بعد أن فسّر بالخروج من الدين ـ بهؤلاء الثائرين الذين ينادون فى اصرار وشدّة بالمبادىء العادلة فى الخلافة، وكـان الشيعة يحـاولون بمـا اُوتوا من براعـة أن يحصـروها فى بيت على، كمـا كان غير هم من الطامعين فيها، يشترط لها الهاشـمية أو القرشـية أو العروبة، حسب المصـلحة السياسية لأصحاب الآراء فى ذلك الحين، وكلّ هذه الاّتجاهات تجتمع على محاربة الاّتجاه الذى اتجه إليه أتباع عبدالله بن وهب الراسبى. ذلك الاّتجاه العادل الذى يرى أن ّ المسلمين متساوون فى الحقوق والواجبات. (إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقـاكُم). «لا ـ فضـل لِعربىّ على أعجمىّ إلاّ ـ بـالتقوى» . يلاحـظ عليه: أنّ النـبىّ الأ ـ كرم لم يتكلّم عن الخـوارج بوصف كلّى وإنّما عيّن إمامهم وأشار إلى قائدهم، وقد رواه المحدّثون فى صحاحهم ومسانيدهم وأطبق على نقله الفريقان، فلا يمكن لمحدّث واع انكاره، ولا التشـكيك فى صـحّة أسانيده، فما ظنّك بحديث رواه البخارى ومسـلم وابن ماجة وأحمد بن حنبل وغيرهم،

---

۱. على يحيى معمر: الاباضية فى موكب التاريخ، الحلقة الاُولى ۲۷ . (۲۴۴)

ولأجل ايقاف القارىء على نصّ الروايـة نذكرها عن تلك المصادر ونشير إلى محلّها: ۱ ـ روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال: بينـا النبى يقسّم ذات يوم قسـماً، فقال ذو الخويصـرة ـ رجل من بنى تميم ـ: يا رسول الله أعـدل. قال: ويلك! من يعـدل إذا لم أعـدل؟ فقال عمر: إئذن لى فلأضـرب عنقه؟ قال: لا إنّ له أصـحاباً يحقّر أحدكم صـلاته مع صـلاتهم وصـيامه مع صيامهم. يمرقون من الدين كمروق السـهم من الرميّة ينظر إلى نصله (۱) فلايوجـد فيه شـىء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شـىء، ثم ينظر إلى نضـيّه (۲) فلا يوجد فيه شـىء، ثم ينظر إلى قذذه (۳) فلا يوجد فيه شـىء سبق الفرث والدم، يخرجون على حين فرقة من الناس آيتهم رجل إحدى يديه مثل ثدى المرأة، أو مثل البضعة تدردر(۴). قال أبو سعيد: أشهد لسمعته عن النبى وأشهد أنّى كنت مع علىّ حين قاتلهم فالتمس فى القتلى فـأتى به على النعت الـذى نعت النبى (۵) . ورواه بنصّه بلا تفاوت مسـلم فى صحيحه (۶) . ۲ ـ روى ابن ماجـة عن جابر بن عبـدالله، قـال: كـان رسول الله بـالجعرانه، وهو يقسّم التبر و الغنائم، وهو فى حجر بلال، فقال رجل: أعـدل يا محمّـد، فإنّك لم تعـدل، فقال: ويلك ومن يعـدل بعدى إذا لم اعدل؟ فقال عمر: دعنى يا رسول الله حتى أضـرب عنق هذا المنافق؟ فقال رسول الله: إنّ هذا فى

---

۱. هى عصبة تلوى فوق مدخل النصل .

۲. هو القدح فى عود السهم .

۳. جمع القُذّة وهى ريش السهم .

۴. تضطرب وتتحرك.

۵. البخارى: الصحيح ۸/۷۰ رقم الحديث ۱۸۶ من باب ما جاء فى قول الرجل ويلك.

۶. مسلم: الصحيح ۳/۱۱۲ طبعة محمّد على صبيح . (۲۴۵)

أصـحاب أو اصـيحاب له يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الـدين كما يمرق السـهم من الرميّة(۱) . والرسول وإن لم يسـمّ الرجـل أو لم يجىء اسـمه فى الروايـة، ولكن علم المقصود منه بفضل الروايتين السابقتين. ۳ ـ روى أحمد بن حنبل فى مسنده بالنصّ الـذى رواه البخارى ومسـلم بتفاوت طفيف فى آخره، حيث جاء فيه: رجل أسود فى إحـدى يديه أو قال إحدى ثدييه مثل ثدى المرأة أو مثل البضـعة تـدردر، يخرجون على حين فترة من الناس فنزلت فيهم:(وَ مِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِى الصَّدَقاتِ...)ثم نقل ما ذكره أبوسـعيد من سماعه عن رسول الله و مشاهدته فى عصر علىّ(۲) . كيف يفسّر حديث ذى الخويصرة بأصحاب الردّة، فقد أشار النبىّ الأكرم إليه، وقال: «سيخرج من ضئضىء هذا الرجل قوم يمرقون من الدين...» ولم يكن هو من أصحاب الردّة، بل كان من المحكّمة الاُولى. كيف يفسـرّ هـذا المفهوم بالثورات التى وقعت إلى انتهاء خلافة الإمام علىّ ـ عليه السّلام ـ مع أنّ النبى الأكرم قال: أنت يا على قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، ولم يقاتل الإمام بعد أصحاب الجمل (الناكثين) وأصحاب معاوية (القاسطين) إلاّ المحكّمة الاُولى. أظنّ انّ هذه

الاستدلالات الواهية أشبه بتمسّك الغريق بالطحلب، فالأولى على علماء الاباضية المفكّرين، والعائشين فى عصر ظهرت البواطن، وطلعت الحقائق، وانقشع غمام الجهل عن سماء المعرفة، أن يعرضوا عقائدهم على الكتاب والسنّة، وعلى المقاييس الصحيحة من الاجماع و ـــــــــــــــــــــــ

١. أبو عبدالله بن ماجة (٢٠٧ ـ ٢٧٥ هـ): السنن ١/١٧١ الباب ١٢، باب فى ذكر الخوارج .

٢. أحمد بن حنبل: المسند ٣/٥٦. وسيوافيك مجموع ما رواه اهل السنّة عن النبى والصحابة والتابعين فى آخر الكتاب فانتظر . (٢٤٦) العقل، فلربّما عادوا إلى الطريق المهيع، وتنكّبوا عن سبيل الغواية، فلهم أن يعملوا بما وصل إليهم من الكتاب والسنّة فى ضوء الاجتهاد الصحيح، ويجدّدوا النظر فى مسألة التحكيم كما لهم أن يجدّدوا النظر فى حق المحكّمة، وربّما اختاروا طريقاً واضحاً لاتعصّب فيه ولا تساهل . (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ما يُوعَظُونَ بِهِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَاَشَدَّ تثبيتاً) ***

الفصل العاشر عقائد الاباضية واُصولهم الثمانية

الفصل العاشر عقائد الاباضية واُصولهم الثمانية (٢٤٨) (٢٤٩) إنّ الاباضية تشترك مع سائر فرق الخوارج فى أمرين بلاشك ولاشبهة، ولا ـ يمكن لأحد منهم انكاره . ١ ـ تخطئة التحكيم . ٢ ـ عدم اشتراط القرشية فى الإمام . وفى ظل الأصل الأوّل يوالون المحكِّمة الاُولى كعبدالله بن وهب الراسبى وحرقوص بن زهير السعدى وغيرهما، ولأجل الأصل الثانى، اعترفوا بإمامة عبدالله بن وهب الراسبى ومن جاء بعده من المحكِّمة . ثمّ إنّ لهم اُصولا خاصّة يتميّزون بها عن أهل السنّة (الأشاعرة) وإن كانوا يلتقون فيها مع غيرهم، فتجب علينا دراسة تلك الاُصول التى يعتقدون بها، وربّما يكون بعضها أصلا لامعاً ورصيناً يدعمه الكتاب والعقل . ١ ـ صفات الله ليست زائدة على ذاته: إذا كانت الأشاعرة قائلة بأنّ صفات الله تعالى غير ذاته، وكان المنسوب إلى الماتريدية من أهل السنّة انّ الصفات ليست شيئاً غير الذات، فهى ليست (٢٥٠)

صفات قائمة بذاتها ولا منفكّة عن الذات فليس لها كينونة مستقلّة عن الذات، فهذا هو ما يقوله الاباضية فى الصفات أيضاً، وربّما يلتقى الاباضية والماتريدية فى هذه المسألة حتى فى التعبير واختيار الكلمات(١) . إنّ البحث عن الصفات من أهم المسائل الكلامية، فقد طال النقاش فيها قروناً، وأوّل من أصحر بالحقيقة، وصوّر التوحيد بأعلى مظاهره هو الإمام أمير المؤمنين ـ عليه السَّلام ـ فنفى زيادة صفاته على ذاته، وإنّه عين ذاته، لا بمعنى نفى صفاته، تعالى عنه علوّاً كبيراً، بل بمعنى أنّ الذات بلغت من الكمال والعلو مرتبة صارت نفس العلم، والقدرة، والحياة، وليس هناك صفات قديمة وراء الذات حتى يناقض التوحيد ويكون هناك قدماء كثيرة وراء الذات، وكون العلم والقدرة والحياة فينا اُموراً قائمة بالمادة أو بالموضوع، لايكون دليلا على كونها كذلك فى جميع المراتب، إذكما أنّ من العلم ممكناً، فكذا منه واجباً، فلولم يكن الممكن قائماً بالذات، فلايكون دليلا على كونه كذلك عند ما كان واجباً، والحكم بالتوحيد وانّه لاواجب سواه، يجرّنا إلى القول بعينية صفاته مع ذاته، وقد أوضحنا الحال فيها فى الجزء الثالث من هذه الموسوعة عند البحث عن عقائد المعتزلة، ولايبعد أن يتأثّر الخوارج فى هذه المسألة بالمعتزلة كما أنّ المعتزلة اخذت هذا الأصل من خطب الإمام أميرالمؤمنين وكلماته، بل لايبعد أن يكون الجميع قد أخذوا من الإمام أميرالمؤمنين ـ عليه السَّلام ـ . والعجب انّ هذه النقطة من النقاط الوضّاءة فى عقائد الاباضية، مع أنّهم لا ـ يركّزون على ذلك الأصل خوفاً من مخالفة الأشاعرة، وطفقوا يبحثون بين الكتب الإسلامية حتى يجدوا موافقاً لهم من أهل السنّة حتى استبان لهم أنّ الماتريدية من أهل السنّة يوافقونهم . ـــــــــــــــــــــــ

١. على يحيى معمر: الاباضية بين الفرق الإسلامية ١/٢٩٥ . (٢٥١) إنّ الرجل الواعى الطالب للحقيقة لا يخاف من لومة لائم، ولا من مخالفة فئة، فكان على الاباضية أن يرفعوا علم المخالفة فى هذه المسألة، وفى مسألة الرؤية، وخلق القرآن، ويندّدوا بالمخالفين سواء أكانوا من السنّة أو غيرهم، فالحق أحق أن يتّبع، كيف يصحّ لموحّد أن يقيس الواجب بالممكن فيصوّر له ذاتاً وصفة قائمة بها، ويحكم بالتعدّد ويخرج فى النتيجة بالقدماء الثمانية ثمّ يدّعى التوحيد ويخطّىء النصارى القائلين بالتثليث. ثمّ إنّ من يرى أنّ مرجع

عينيـة الصـفات إلى نفى حقائقها عن ذاته، (كما عليه الزنادقة) رأى باطل صدر ممّن لاقدم له فى المباحث العقلية، وليس له مصدر إلاّ قياس الممكن بالواجب، فإذا رأى أنّ القول بالعينيّـة ينتـج نفيها فى الممكنات، عاد يخطّىء القائل بالعينيّـة فى الواجب بأن معناها نفى حقائقهـا عن ذاته سبحانه . ۲ ـ امتنـاع رؤيـة الله سبحانه فى الآـخرة: إنّ امتنـاع رؤيـة الله سبحانه من الاُـصول التى اسـتقاها الوعاة من المسلمين من القرآن الكريم وخطب سيّد الموحّدين أميرالمؤمنين ـ عليه السَّلام ـ إذ قال عزّ من قائل: (لا تُدْرِكَهُ الأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الأبْصـارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ)(۱). وهـذا الأصـل أيضـاً من الاُصول اللامعـة فى عقائـد الاباضـية، والأسف انّ الكُتّاب المتأخّرين منهم يُقلِّلون من أهميـة هـذا الأصل، توخّياً لتقريب عقائدهم من أهل السنّة. حتى أنّ على يحيى معمَّر يُعَنْوِنُ المسألةَ بقوله: هل رؤية البارى جـلّ وعلا فى الآخرة ممكنـة؟ والعنوان يحكى عن وجود تردّد وشك فى نفس الكاتب، ولا أقل يطرح المسألـة على شكل غير قطعى وعلى خوف ووجل، ______________

۱. الأنعام: ۱۰۳ . (۲۵۲)

وليس كتابه كتاباً دراسياً يطلب فيه طرح المسائل على وجه السؤال والاستفهام. ثمّ إنّه يكتب: قد كان فى الرؤية طرفان متطرّفان ووسط معتـدل هوكان اللقاء بين المـذهبين، وذلك إنّ طرف الاثبات يبالغ حتى يصل به التطرّف إلى حـدّ التشبيه والتمثيل والتحديد، وطرف النفى يبالغ حتّى يصل به التطرّف إلى حـد نفى حصول كمال العلم، وبينهما يقف أصحاب التحقيق فى الجوانب المتقاربـة التى تلتقى فى المعنى الواحـد لقاءً كاملا أو لقاءً متقارباً، وهـذه الصورة تتمثّل فيما ذهب إليه بعض علماء أهل السنّة من أنّ الرؤية معناها حصول كمـال العلم بـالله تبارك وتعالى، وعبَّر عنها آخرون منهم بأنّ الرؤيـة تقع بحاسّـة سادسـة هى كمال العلم، واختلفت تعابير الكثير منهم ولكنّهـا تتلاقـى فى النهايـة على نفى كامـل الصورة التى يتخيّلهـا الإنسان لصورة راء ومرئىّ وما تستلزمه من حـدود وتشبيه، وتتّفق فى النهاية على الابتعاد عمّا يشـعر بأىّ تشبيه فى أىّ مراتبه، وبالمحدودية فى أىِّ أشـكالها، وليس لنا أن نخوض فيه بغير القدر التى جاءت به النصوص . والمعتـدلون من الاباضـية لايمنعون أن يكون معنى الرؤية هو كمال العلم به تعالى ويمنعون الرؤية بالصورة المتخّيلة عند الناس(۱) . عزب عن الكـاتب انّ محـلّ النزاع من القرن الأـوّل إلى القرون المتـأخّرة ليس إلاّ الرؤيـة بالأبصار لابحاسّـة سادسـة سـمّاها كمـال العلم، فـإنّ القـائلين بالرؤيـة يسـتندون إلى مـا رواه البخارى وأمثاله من أنّ النبى ـ صـلّى الله عليه وآله وسلـم ـ قال: «إنّكم ترون ربّكم كما ترون القمر ليلـة البـدر غير متضامّين»، فليس للمحقّق الكلامى إلاّ موافقة هذا الأصل أو طرده من الرأس، فاللجوء إلى الرؤية بحاسّة سادسة بمعنى كمال العلم تفسير بأمر بائن وخروج عن محطّ البحث . ______________

۱. على يحيى معمَّر: الاباضـية بين الفرق الإسلامية ۱/۲۹۱ ـ ۲۹۲ . (۲۵۳) وأظن وظن الأـلمعى يقين انّ الكاتب توخّياً لإيجاد القرب بين الاباضـية وأهل السنّة تنازل إلى حـدّ غير مطلوب، ولم يقم بالـدفاع عن مـذهبه بحماس. نعم قد أحسن فى المقام صالح بن أحمد الصوافى، فقد طرح المسألة بشـكل رصـين، ودفع شـبهة القائلين فى المقام،ترى أنّه قام بتفسير قوله سبحانه:(وُجُوهٌ يَوْمَئذ ناضِرَةٌ * إلى رَبِّها ناظِرَةٌ)(۱)، الـذى هو من أهم أدلّـة القائلين بالرؤيـة، فقال: «أوّلا: النظر فى اللغـة غير الرؤية، ولذا يقال: نظرت إلى الهلال فلم أره، ولايصـحّ أن يقال رأيته فلم أره، واطلاقه على الرؤيـة مجاز، لايصـحّ إلاّ لقرينـة، والعدول عن الحقيقة إلى المجاز خلاف الظاهر . ثانياً: إنّ سـياق الآيـة دال على انتظار رحمـة الله تعالى بدليل أنّه عطف عليها قوله: (وَ وَجُوهٌ يَوْمَئِذ باسِرَةٌ * تَظُنُّ أنْ يُفْعَلَ بَها فاقِرَةٌ)(۲) فلو فسّر النظر فى الآية بالرؤية لارتفعت المناسبة بين الجملتين ولتداعى بناؤها واختلّ نظمها، إذ لامناسبة بين عيون رائية ربّها ووجوه باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة(۳) . ثالثاً: إنّ النظر فى الآية انتظار ما لهم عند الله من الثواب، ومنه قول الشاعر: فإن يك صدر هذا اليوم ولّى * فإنّ غداً لناظره قريب وقول الآخر: كلّ الخلائق ينظرون سجاله * نظر الحجيج إلى طلوع هلال ______________

۱. القيامة: ۲۲ ـ ۲۳ .

۲. القيامة: ۲۴ ـ ۲۵ .

۳. صالح بن أحمد الصوافى: الإمام جابر بن زيد العمانى: ۲۳۸ وقد أوضحنا هذا الوجه فى الجزء الثانى من هذه الموسوعة (لاحظ ص

۲۰۲ ـ ۲۰۸) . (۲۵۴) وقول الآخر: وكنّا ناظريك بكل فجّ * كما للغيث ينتظر الغماما وقال امرؤ القيس: وقد نظرتكم أعشى بخامسة * للورد طال بها حبّى وتبساسى(۱) *** ۳ ـ القرآن حادث غير قديم: إنّ المترقّب من الأباضية الذين رفضوا القشرية، وخضعوا للعقل، أن يكون موقفهم فى خلق القرآن موقف العدلية ويصرّحوا بأنّ القرآن مخلوق لله سبحانه وحادث بعد أن لم يكن، لكونه حادثاً ومخلوقاً لله سبحانه غير أنّ الظاهر من بعض كتّابهم أنّهم يتحرّجون من التصريح بخلق القرآن وإن كانوا بعداء عن القول بكونه قديماً غير مخلوق. وننقل فى المقام نصّين من كتّابهم، حتى تلمس الحقيقة . ۱ ـ يقول الدكتور رجب: وبالنسبة لمشكلة خلق القرآن نراهم يقفون أمام هذا القول الذى فرضه المأمون على العالم الإسلامى فرضاً بتأثير من المعتزلة، ممّا أدّى إلى تمزيق وحدة الأُمّة الفكرية، وإلى اضطهاد كثير من العلماء والفقهاء، ولذلك توقّف العمانيون عن القول بخلق القرآن، وقالوا فى صراحة واضحة فى واحد من أهمّ كتبهم الفقهية: «لا يلزم الناس معرفة هذه المسألة» وكتب أبو عبدالله القلهاتى الذى عاش فى القرن الرابع للهجرة ـ العاشر للميلاد ـ أكثر من عشرين صفحة فى مناقشة القول بخلق القرآن والردّ على من قال بذلك، كما كتب أحمد بن نظر العمانى الذى عاش فى القرن الخامس للهجرة ________

۱. المصدر نفسه، وقد اغرق نزعاً فى التحقيق فى اثبات القول الحق وتنزيهه، والتبساس: هو الشوق الشديد. (۲۵۵)

ـ الحادى عشر للميلاد ـ فى كتابه دعائم الإسلام خمسة وسبعين بيتاً من الشعر، فندّد القول بهذه المسألة واستنكرها كل الاستنكار. وفى العصر الحديث نجد الشيخ نورالدين السالمى يعبّر عن هذا الموقف قائلا: «إنّ الأشياخ توقّفوا عن اطلاق القول بخلق القرآن وأمروا بالشدة على من أطلق القول فى هذه المسألة، حتى لايفتتن الناس فى دينهم» (۱). ترى فى هذا الكلام التناقض، فبينما ينقل عن بعضهم الرد على من قال بخلق القرآن ينقل عن الأشياخ انّهم توقّفوا عن اطلاق القول بخلق القرآن، وأمروا بالشدّة على من أطلق القول فى هذه المسألة . لاشكّ إنّ القرآن ليس بمخلوق أى ليس بمختلق للبشر كما قال سبحانه حاكياً عن بعض المشركين: (إنْ هذا إلاّ قَوْلُ البَشَرِ)(۲) ولكنّه مخلوق لله سبحانه، إذ لايتجاور كون القرآن فعله، وفعله كلّه حادث غير قديم، وإلاّ ـ يلزم تعدّد القدماء وأما علمه سبحانه بما فى القرآن من المضامين والمعارف والحوادث فلاشك إنّه قديم، وهو غير كلامه . فاللائق بمن يصف نفسه بأنّه أهل تقييد لاتقليد أن يصرّح بموقفه فى مسألة خلق القرآن، اللّهم إلاّ إذا كان موجباً للفتنة أو كانت عقول الناس بعيدة عن درك الحقيقة، فحينئذ الأولى عدم البحث والطرح . ونؤكّد من جديد أنّ القول بعدم قِدم القرآن هو من الأُصول الوضّاءة فى عقائد الاباضية، وهم فى الاعتقاد بها عيال على المعتزلة، فاللائق بالكاتب الواعى أن يجهر بالحق ويحدّد محل النزاع، وياللأسف انّ بعضهم ـ مثل الكاتب السابق ـ بدل أن يخرج من المسألة مرفوع الرأس، ويحقّقها على ضوء ________

۱. الدكتور رجب محمّد عبدالحليم: الأباضية فى مصر والمغرب: ۷۰ ـ ۷۱ .

۲. المدثر: ۲۵ . (۲۵۶)

القرآن والعقل، طفق يطلب من يقول بكون القرآن مخلوقاً من بين أهل السنّة . ۲ ـ يقول على يحيى معمّر: إنّ من علماء أهل السنّة من يقول دون تحرّج أو احتراز:«القرآن مخلوق» فقد ذكر الخطيب البغدادى من طرق متعدّدة عن أبى يوسف انّ أبا حنيفة كان يقول: القرآن مخلوق، أمّا أبو منصور الماتريدى، فقد كان يقول: إنّه محدث، ولم يحفظ عنه أنّ قال: مخلوق، وقد كان أبو النضر العمانى من أئمّة الاباضية يقول: إنّ القرآن غير مخلوق، وأنكر انكاراً شديداً على من يقول بخلق القرآن، وذهب القطب من أئمّة الاباضية انّ هذه المسألة ليست من الأُصول، وقال أبو إسحاق طفيش: إنّ الخلاف فيها لفظى، وهذا القدر كاف للدلالة على اللقاء بين المذهبين، ويكفى أن يلتقى المسلمون على حقيقتين فى هذا الموضوع: هى أنّ الله تبارك و تعالى سميع بصير متكلّم وانّ القرآن الكريم كلام الله عزّوجلّ أنزله على رسوله(۱) . يلاحظ عليه: أنّ ما ذكره ناش من توخّى ايجاد اللقاء بين المذهبين: الأشاعرة والاباضية، فلأجل ذلك ذهب ليجد من أهل السنة من يقول بأنّ القرآن مخلوق، ومن أئمّة الاباضية من يقول: بأنّ القرآن غير مخلوق، وهذا يعرب عن أنّه لم يتّخذ الكاتب فى هذا الموقف رأياً حاسماً أوليس للأباضية فيه رأى جازم، مع أنّ المنقول منهم كونه حادثاً أو غير قديم أو

مخلوقاً بمعنى أنّه أنزله الله سبحانه وأوجده من العدم . فكان من الواجب على الكاتب أن يدافع عقيدته وعقيدة طائفته ويطرحها بوضوح ويذبَّ عنها ذبّاً علميّاً تحقيقياً متحرّياً للواقع. ثمّ إنّ ما ذكره فى ذيل كلامه من أنّه «يكفى أن يلتقى المسلمون على أنّ القرآن الكريم كلام الله عزّوجلّ أنزله على رسوله». وإن كان كلاماً صحيحاً، ـــــــــــــــــــــــــــــ

۱. على يحيى معمرّ: الاباضية بين الفرق الإسلامية ۱/۲۹۱ . (۲۵۷)

إذ ليس الاعتقاد بالحدوث والقدم فى القرآن من الأصول العقائدية التى يناط بها الإسلام و الكفر، غير أنّه لو كان هذا هو الأصل الثابت فى جميع المواقف فليضرب هذا الكاتب الاباضى صفحاً على الأصول التى اتّخذها اُصولا لمذهبه كمسألة التحكيم وولاء المحكّمة الاُولى، أو ليس ذلك أوفق بالتقريب و توحيد الاُمّة وجعلهم صفّاً واحداً فى مقابل الأعداء؟ إنّ البحث عن التحكيم و المحكّمة وخلق القرآن وعدمه ومايأتى من الاُصول الاُخرى للاباضية من خلود الفاسق فى النار وعدمه، وكونه كافراً كفر النعمة، بحوث علمية يختصّ فهمها بالمحقّقين والوعاة من علماء الإسلام، فالتحيّز إلى هذه الاُصول وجعلها محاور للحقّ والباطل والإسلام والكفر، لايدعمه الكتاب ولا يوافقه العقل، فليكن شعار الجميع ما سمحت به قريحة شاعر الأهرام: إنّا لتجمعنا العقيدة أمّة * ويُضمّنا دين الهدى أتباعا ويؤلّف الإسلام بين قلوبنا * مهما ذهبنا فى الهوى أشياعا والحق إنّ الخوارج بالمعنى العام الذى يعمّ الاباضية لم يكن يوم ظهورها إلّا حزباً سياسيّاً يهدف إلى تخطئة مسألة التحكيم مع عزل على عن الحكومة والدعوة إلى بيعة رئيس المحكّمة الاُولى عبدالله بن وهب، ولم يكن لهم يومذاك أى شأن فى المسائل العقائدية الماضية، ولمّا قضى علىٌ نحبه واستولت الطغمة الغاشمة من الأمويين و المروانيين على منصَّة الحكم، صار الخوارج يكافحون الحكومات، ويصارخون فى وجوههم للقضاء عليهم ولم يكن لهم فى هذه الأيّام أيضاً إلّا هذا الأصل، غير أنّ مرور الزمن وتلاقى الخوارج مع المعتزلة وغيرهم من الطوائف الإسلامية، ألجأهم إلى أن يّتخذوا فى بعض المسائل موقفاً فكريّاً، فعند ذلك أصبحوا جمعيّة دينية وفرقة كلامية بعد ما كانوا حزباً سياسياً بحتاً (۲۵۸)

فتلاقوا فى هذه المسائل مع المعتزلة بل تأثّروا بهم كما هو الحال فى المسألة التالية، فقد تأثرت الاباضية فيها عن المعتزلة وخالفوا الشيعة وغيرهم من الطوائف الإسلامية. ۴ ـ الشفاعة: دخول الجنّة بسرعة: إنّ مرتكبى الكبيرة عند الاباضية إذا ماتوا بلا توبة، محكومون بالخلود فى النار، فلأجل هذا الموقف المسبَّق فى هذه المسألة فسّروا الشفاعة بدخول المؤمنين الجنّة بسرعة، وفى الحقيقة خَصُّوها بغير المذنبين من الاُمّة، وهذا التفسير يوافق ما عليه المعتزلة من أنّ الغاية من الشفاعة هو رفع الدرجة لامغفرة الذنوب . إنّ الشفاعة أمر مسلّم عند جميع المسلمين غير أنّهم اختلفوا فى تفسيرها، وهؤلاء كالمعتزلة ذهبوا إلى أنّ شفاعة النبىّ بل شفاعة جميع الشفعاء لاتنال أهل الكبائر متمسّكاً بقوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «ليست الشفاعة لأهل الكبائر من اُمّتى» . يقول السالبى فى كتابه شرح أنوار العقول: «فإن قيل: المؤمنون مستوجبون للجنّة بأعمالهم فلا معنى للشفاعة، فالجواب أنّ الشفاعة لهم هى طلب تنقلهم من المحشر، ودخولهم الجنّة بسرعة»(۱) . يلاحظ عليه: أنّ الشفاعة مسألة قرآنية، وفى الوقت نفسه مسألة روائية وحديثية، فلا يجوز لمسلم الإدلاء برأى إلّا بعد الرجوع إلى المصدرين الرئيسيّين مجرّداً عن كل رأى، وأمّا تفسيرها على ضوء الرأى المسبق فهو من قبيل التفسير بالرأى الذى حذَّر عنه النبى فى الحديث المتواتر عنه و قال: «من ـــــــــــــــــــــــــــــ

۱. صالح بن أحمد الصوافى: الإمام جابر بن زيد العمانى: ۲۵۶، نقلا عن مشارق أنوار العقول: ۲۹۴ . (۲۵۹)

فسّر القرآن برأيه فليتبوّء مقعده من النار»(۱) . إنّ مسألة الشفاعة ليست مسألة جديدة ابتكرها الإسلام وانفرد بها، بل كانت فكرة رائجة بين اُمم العالم من قبل، وخاصّة بين الوثنيين واليهود، فلو ذكرها القرآن فإنّما يذكرها بالمفهوم الرائج عندهم، لا بمفهوم مغاير، فلو أمضاها، فإنّما أمضاها بهذا المفهوم، ولو هذّبها من الخرافات وحدّدها فى اطار خاص فإنّما هذّب ذلك المفهوم وحدّده، ومن المعلوم أنّ الشفاعة عندهم إنّما هو لغفران الذنوب لالرفع الدرجة أو سرعة التنقّل إلى الجنّة، ولأجل ذلك كانوا يرجون لصلتهم بالأنبياء حطَّ ذنوبهم، وغفران آثامهم، وكان المتطرّفون منهم يرتكبون الذنوب تعويلا ـ على الشفاعة. وفى هذا الموقف ورداً على ذلك التطرّف الباعث للجرأة، يقول سبحانه:(مَنْ ذَا الّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاّ بِإذْنِهِ)(۲) ويقول أيضاً رفضاً لتلك الشفاعة المقترنة بالخرافة:(وَلا يَشْفَعُونَ

إلّا لِمَنِ ارْتَضَى)(۳) . ومن تدبّر فى الآيات الواردة حول الشفاعة أيجاباً وسلباً، يقف على أنّ الإسلام قَبِلَ الشفاعة بنفس المفهوم الرائج بين الأُمم، لكن حدّدها بشروط وجعل لها إطاراً خاصّاً، وعلى ضوء ذلك فتفسير الشفاعة بدخول الجنّة بسرعة، نبع من العقيدة بخلود العصاة فى النار إذا ماتوا بلاتوبة، فلأجل ذلك إلتجأوا إلى تفسير الشفاعة بغير المعنى المعروف . نعم يجب إلفات نظر القارىء إلى أمر هامّ: إنّ بعض الذنوب الكبيرة ربّما تقطع العلائق الإيمانية بالله سبحانه كما ____________

۱. حديث متّفق عليه. رواه الفريقان .

۲. البقرة: ۲۵۵ .

۳. الأنبياء: ۲۸ . (۲۶۰)

تقطع الأواصر الروحية بالشفيع فمثل هذا الشخص لاينال الشفاعة، ولايرضى الرب بشفاعة الشفيع فى حقّه، وقد أوضحنا حقيقة الشفاعة وشروطها فى موسوعتنا التفسيرية، وقمنا بالذّبّ عن الاشكالات التى تثار حولها من جانب المعتزلة أو بعض المفكّرين الجدد(۱) . ۵ ـ مرتكب الكبيرة كافر نعمة لاكافر ملّة: اتّفقت الخوارج حتى الاباضية على أنّ ارتكاب الكبيرة موجب للكفر، ولكن المتطرّفين يرونه خروجاً عن الملّة، ودخولا فى الكفر والشرك، ولكن الاباضية لاعتدالهم، يرونه كفر النعمة، فالمسلم الفاسق كافر عندهم لكن كفر النعمة، ولأجل التعرّف على حقيقة مرامهم نأتى بنص بعض كُتّابهم، وإن كان طويلا مفصّلا: يقول على يحيى معمّر: «يحسب كثير ممّن لا علم له أنّ الاباضية ممّن يتّفقون مع الخوارج فى تكفير العصاة كفر شرك، ولايعرفون أنّ الاباضية يطلقون كلمة الكفر على عصاة الموحّدين الذين ينتهكون حرمات الله، ويقصدون بذلك كفر النعمة، أخذاً من الآيات الكريمة التى أطلقتها فى أمثال هذه المواضيع و استناداً إلى أحاديث الرسول ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : (وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إلَيْهِ سَبِيلا وَ مَنْ كَفَرَ فَإنَّ اللهَ غَنِىٌّ عَنِ العالَمِيْنَ)(۲) . (لِيَبْلُوَنِى ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَ مَنْ شَكَرَ فَإنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإنَّ رَبِّى ____________

۱. لا حظ: مفاهيم القرآن ۴/۱۵۶ ـ ۲۷۹ .

۲. آل عمران: ۹۷ . (۲۶۱) غَنِىٌّ كَرِيمٌ)(۱) . (وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمـا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئكَ هُمُ الكافِرُونَ)(۲). سأل الأقرع بن حابس رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «الحج علينا كل عام يا رسول الله؟ فقال ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : لو قلت نعم لوجب، ولو وجب لما قدرتم عليه، ولو لم تفعلوا لكفرتم، وقال: من ترك الصلاة كفر، وقال: ليس بين العبد والكفر إلّا تركه الصلاة، وقال: ألا لاترجعوا بعدى كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض وقال: الرشا فى الحكم كفر». وخلاصة البحث انّ الأباضية عندما يطلقون كلمة الكفر على أحد من أهل التوحيد فهم يقصدون كفر النعمة، وهو ما يطلق عليه غيرهم كلمة الفسوق و العصيان، والمعنى الذى يطلق عليه الاباضية كفر النعمة ويطلق عليه المعتزلة (۳) الفسوق، ويطلق عليه غيرهم النفاق أو العصيان فهو معنى واحد. والسبب الذى دعا الاباضية إلى اطلاقهم هذه الكلمة على العصاة بدلا من كلمة النفاق أو الفسوق أمران: أوّلهما: إنّها الكلمة التى أطلقها الكتاب الكريم والسنّة القويمة عليهم فى كثير من المواضيع والمناسبات . ثانيهما: إنّ لكلمة النفاق أثراً خاصّاً فى تاريخ الإسلام، فقد اشتهر بها عدد من الناس فى زمن رسول الله، آمنوا ظاهراً، ولكن قلوبهم لم تطمئن بالإيمان، فكان القرآن الكريم ينزل بتقريعهم، ويفضح بعضهم، ويتوعّدهم بالعذاب الأليم ____________

۱. النمل: ۴۰ .

۲. المائدة: ۴۴ .

۳. اطلاق الفاسق على مرتكب الكبيرة غير مختصّ بالمعتزلة، بل الأشاعرة والإمامية فى ذلك أيضاً سواء، بل الفرقتان الاخيرتان أولى بهذا الاصطلاح من المعتزلة، لأنه عندهما مؤمن، لا كافر ولا مشرك بخلاف المعتزلة فإنّه عندهم لاكافر ولا مؤمن بل منزلة بين المنزلتين. (۲۶۲)

فى الدنيا والآخرة حتى اشتهروا بهذا الاسم وعرفوا به، قال الله تعالى: (المُنافِقُونَ والمُنافِقاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْض يَأْمُرُونَ بالمُنْكَرِ وَ يَنْهَوْنْ

عَنِ المَعْرُوفِ وَ يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ المُنافِقِينَ هُمُ الفاسِقُونَ)(۱) حتى صارت هذه الكلمة تشبه أن تكون علماً لهم فإذا اطلقت انصرفت إليهم . والنقاش فى هذا الموضوع نقاش لغوىّ والاختلافات لفظى، والنتيجة انّ من يصرّ على معصية الله يلاقى نفس الجزاء الذى يلاقيه من يكفر بالله، أمّا معاملة المسلمين لمن يفسق عن أمر الله، أو ينافق فى دين الله، أو يكفر بنعمة الله، فإنّها معاملة للعاصى المنتهك الذى تجب محاولة ارشاده إلى وجوب الاستمساك بدينه ورجوعه إلى أوامر ربّه، واقلاعه عن محادة الله ورسوله، فإن أصرّ واستكبر وتغلّب عليه الشيطان، بُرئ منه (۲) . يلاحظ عليه أوّلا: انّ المحكّمة الأُولى كانوا لايريدون من الكفر إلاّ الخروج عن الدين، وكانوا يقولون للإمام أميرالمؤمنين: تب من كفرك، وكان يجيبهم: أبعد ايمانى بالله، وجهادى مع رسول الله أشهد على نفسى بالكفر؟ لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين (۳) . فلمّا أحسّ عبدالله بن اباض أو من قبله بتطرّف هذه الفكرة عاد بتأويله إلى كفر النعمة تحرّزاً عن ردّ فعل للنظرية الأُولى. ثانياً: لو فرضنا إنّ القرآن الكريم استعمل الكفر فى كفر النعمة أو استعمله الحديث فى حق تارك الصلاة، ولكن هذا الاستعمال طفيف جدّاً، فقد ورد لفظ الكفر ومشتّقاته فى القرآن قريباً من ۴۵۰ مرّة واُريد فى أغلبها كفر الملّة ________________

۱. التوبة: ۶۷.

۲. على يحيى معمّر: الاباضية فى موكب التاريخ، الحلقة الأُولى ۸۹ ـ ۹۲ .

۳. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۵۸ . (۲۶۳)

والخروج عن الدين، ولو استعمل فى كفر النعمة فانّما استعمل مورد أو موردين، هذا من جانب، ومن جانب آخر انّ لفظ الكفر والكافر يعطيان مفهوماً خاصّاً يهزّ القلوب ويروّعها، إذ لايقصد منه إلاّ الخروج عن الدين فاستعمال ذلك فى كلّ معصية كبيرة، يقلّل من شدّة خطره ويُصغّر أمره العظيم. والأثر الخاص الذى ادّعاه لكلمة النفاق، موجود فى كلمة الكفر بوجه أشدّ. فلو عدلوا عن إعماله، فليعدلوا عن اطلاق كلمة الكفر لأجله والكلمتان مشتركتان فى أثر السيّىء. أوليس الأولى للاباضية أن ينتهجوا نهج جميع المسلمين فيختاروا لفظاً غيره فى مورد ركوب الكبيرة؟ وقد تنبّه لما ذكرناه الكاتب الاباضى حيث علّق على ماينسب إلى الاباضية: «المخالفون كفّار نعمة لا ـ كفّار فى الاعتقاد» قوله: لا شكّ انّ أىّ مسلم إذا قيل له: «إنّ الاباضية يعتبرونك غير مسلم، ويرونك كافراً» يتملّكه الغضب ويعتبرهم فرقة ضالّة ظالمة تستحقّ اللعن، ولن ينتظر منك أن تشرح له الفرق بين معانى الكفر(۱) . ولكن اللوم متوجّه عليه وعلى أسلافه لا لأصحاب المقالات فإنّهم استعملوا لفظ الكفر فى حق المخالفين غير أنّ المتطرّفين فسّروه بالكفر فى الاعتقاد وغيرهم فسّروه بكفر النعمة مستشهدين بأنّه ورد لفظ الكفر فى مورد المرتكبين للكبائر، ونقلوا عن الرسول الأعظم أنّه قال: الرشوة فى الحكم كفر، وقوله من أتى كاهناً أو عرّافاً فصدّقه فيما يقال فقد كفر بما اُنزل على محمّد(۲) . ________________

۱. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الإسلامية ۱/۱۰۳ .

۲. صالح بن أحمد الصوافى: الإمام جابر بن زيد: ۱۲۳ . (۲۶۴) ۶ ـ الخروج على الإمام الجائر: يقول أبو الحسن الأشعرى: «والاباضية لاترى اعتراض الناس بالسيف لكنّهم يرون ازالة أئمّة الجور ومنعهم من أن يكونوا أئمّة بأىّ شىء قدروا عليه بالسيف أو بغيره»(۱) . وربّما ينسب إليهم أمر غير صحيح، وهوأنّ «الاباضية لايرون وجوب اقامة الخلافة» (۲) . إنّ وجوب الخروج على الإمام الجائر أصل يدعمه الكتاب والسنّة النبوية وسيرة أئمّة أهل البيت إذا كانت هناك قدرة ومنعة، وهذا الأصل الذى ذهبت إليه الاباضية بل الخوارج عامّة، هو الأصل العام فى منهجهم، ولكن نرى أنّ بعض الكتّاب الجدد من الاباضية الذين يريدون ايجاد اللقاء بينهم وبين أهل السنّة يطرحون هذا الأصل بصورة ضئيلة. يقول على يحيى معمر: إنّ الاباضية يرون أنّه لابدّ للأُمّة المسلمة من اقامة دولة ونصب حاكم يتولّى تصريف شؤونها، فإذا ابتليت الأُمّة بأن كان حاكمها ظالماً، فإنّ الاباضية لايرون وجوب الخروج عليه لاسيّما إذا خيف أن يؤدّى ذلك إلى فتنة وفساد أو أن يترتّب على الخروج ضرر أكبر ممّا هم فيه، ثم يقول: إذا كانت الدولة القائمة جائرة وكان فى امكان الأُمّة المسلمة تغييرها بدولة عادلة دون احداث فتن أكبر تضّر بالمسلمين فإنّهم ينبغى(۳) لهم تغييرها. أمّا إذ كان ذلك لايتسنّى إلاّ بفتن

واضرار فإنّ البقاء مع الدولة الجائرة ومناصرتها فى حفظ الثغور ومحاربة أعداء الاسلام، وحفظ ـــــــــــــــــــــ

١. الأشعرى: مقالات الإسلاميين: ١٨٩ .

٢. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الإسلامية: ٢ / ٥٣ ـ ٥۴ .

٣. إنّ الرجل لتوخّى المماشاة مع أهل السنّة يعّبر عن مذهبه بلفظ لايوافقه، بل عليه أن يقول مكان «ينبغى» «يجب» . (٢۶٥)

الحقوق، والقيام بما هو من مصالح المسلمين واعزاز كلمتهم، أوكد وأوجب(١) . إنّ ما ذكره لاتدعمه سيرة الأباضية فى القرون الاُولى ويكفى فى ذلك ما ذكره المؤرّخون فى حق أبى يحيى عبدالله بن يحيى طالب الحق، قالوا: إنّه كتب إلى عبيدة بن مسلم بن أبى كريمة وإلى غيره من الاباضية بالبصرة يشاورهم بالخروج، فكتبوا إليه: إن استطعت ألاّ تقيم إلاّ يوماً واحداً فافعل، فأشخص إليه عبيدةُ بن مسلم أبا حمزة المختار بن عوف الأزدى فى رجال من الاباضية فقدموا عليه حضرموت، فحثّوه على الخروج، وأتوه بكتب أصحابه، فدعا أصحابه فبايعوه فقصدوا دار الامارة إلى آخر ما سيوافيك بيانه من حروبه مع المروانيين وتسلّطه على مكّة والمدينة . وأظنّ انّ ما يكتبه على يحيى معمّر فى هذا الكتاب وفى كتاب «الاباضية فى موكب التاريخ» دعايات و شعارات لصالح التقارب بين الاباضية وسائر الفرق خصوصاً أهل السنّة، ولأجل ذلك يريد أن يطرح اُصول الاباضية بصورة خفيفة حتى يتجاوب مع شعور أهل السنّة، تلك الأكثرية الساحقة، وأوضح دليل على أنّهم يرون الخروج واجباً مع القدرة والمنعة بلا اكتراث، إنّهم يوالون المحكّمة الاُولى ويرون أنفسهم اخلافهم والسائرين على دربهم، وهم قد خرجوا على عليٍّ بزعم أنّه خرج بالتحكيم عن سواء السبيل . وأظنّ انّ هذا الأصل أصل لامع فى عقيدة الخوارج والاباضية بشرطها وشروطها، وأنّ التخفيض عن قوّة هذا الأصل دعاية بحتة . والعجب أنّه يعترف بهذا الأصل فى موضع آخر من كتابه ويقول: إنّ الثورة على الضلم والفساد والرشوة ومايتبع ذلك من البلايا والمحن، إنّما هو المنهج الذى جاء به الإسلام ودعا إليه المسلمين، ودعا المسلمون إليه، وقاموا ـــــــــــــــــــــ

١. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الإسلامية ٢ / ٥٣ ـ ٥۴ . (٢۶۶)

به فى مختلف أدوار التاريخ، ولم تسكت الألسنة الآمرة بالمعروف، الناهية عن المنكر، ولم تكفّ الأيدى الثائرة فى أىّ فترة من فترات الحكم المنحرف....وقد استشهد فى هذا السبيل عدد من أفذاذ الرجال، ويكفى أن أذكر الأمثلة لاُولئك الثائرين على الانحراف و الفساد: شهيد كربلاء الإمام الحسين سبط رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وعبدالله بن الزبير نجل ذات النطاقين، وسعيد بن جبير، وزيد بن على بن الحسين، وكلّ واحد من هؤلاء يمثّل ثورة عارمة من الاُمّة المسلمة على الحكم الظالم، والخروج عليه ومدافعته حتى الاستشهاد(١) . ٧ ـ التولّى والتبرّى والوقوف: قد اتّخذ الاباضيون «التولّى» و«التبرّى» نحلة ولهما أصل فى الكتاب والسنّة وهما ممّا يعتنقه كل مسلم اجمالا، ولكن التفسير الاباضى لهذين المفهومين يختلف تماماً مع تفسير الجمهور، وإليك بيانه بنقل نصوصهم من كتبهم: «أصل الولاية، الموافقة فى الدين، فكل من وافقك فى الدين فهو وليّك، سواء علمت بموافقته أو جهلتها، أو برئتَ منه بالظاهر، لحدث عرفته منه وهو قد تاب ورجع عنه، فالملائكة عليهم السلام أولياؤنا لأنّهم موافقوننا فى أصل الامتثال، وكذلك أهل الطاعة من الاُمم السالفة، فإنّه وإن اختلفت الأوامر بالنظر لاختلاف الشرائع، فالدين عندالله الإسلام أى الانقياد لأحكامه مطلقاً . فاعلم انّ ممّا يدين به المسلمون وهو لازم لهم، الولاية لأولياء الله والحب لهم، والبغض لأعداء الله والبراءة منهم. فولاية من اتّصف بالإيمان فرض ـــــــــــــــــــــ

١. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الإسلامية ١/١٨٣ . (٢۶٧)

واجب، ثبت وجوبه بأدّلة قطعية، وأمّا البراءة فهى مثل الولاية فتجب البراءة من الفاسقين مطلقاً سواء كانوا من المشركين أو كانوا أهل كفر نعمة، فالبراءة منهم واجب بنصّ الكتاب العزيز والسنّة المطهّرة . ثمّ إنّهم ذكروا للولاية والبراءة أقساماً نوردها فيما يلى: ١ ـ أن يرد الكتاب بما يوجب ولاية أحد، أو البراءة منه، كالأنبياء المذكورين بأسمائهم فى الولاية وكأبليس فى البراءة . ٢ ـ ما نطق فيه رسول من رسل الله انّ فلاناً من أهل السعادة، أو من أهل الشقاء، بشرط أن يسمع السامع من لسان الرسول ذلك الكلام حين نطقه. ٣ ـ ولاية

الجملة وبراءة الجملة، وصورتها أن يعتقد المكلّف ولاية أهل طاعة الله من الأوّلين والآخرين إنسهم وجنّهم وملائكتِهم، وأن يعتقد البراء من جميع أهل معصية الله من الأوّلين والآخرين إنسِهم وجنّهم إلى يوم الدين. وهذا القسم هو الذى يعبّر عنه بعقيدة الإنسان لأنّه لابدّ لكل مكلّف أن يعتقده ديناً. ۴ ـ نعم يجب الوقوف فيمن لم يعلم فيه موجب الولاية ولا ـ البراءة لقوله تعالى: (وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)(۱)، وقال ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «المؤمن وقّاف، والمنافق وثّاب (۲) . قال أبو سعيد الكدمى: واعملوا رحمنا الله وإيّاكم: انّ الولاية والبراءة فريضتان وقد نطق بذلك القرآن وأكّدته السنّة، ونسخته آثار الأئمّة الذين هم ــــــــــــــــ

۱. الاسراء: ۳۶ .

۲. صالح بن أحمد الصوافى: الإمام جابر بن زيد: ۲۵۸ ـ ۲۶۳ بتلخيص، وكان عليه أن يذكر قسماً خامساً وهو تولّى شخص معيّن لكونه مطيعاً والتبرّى منه لكونه عاصياً إذا لمسنا شخصيّاً منهما الطاعة أو العصيان، ولعلّه لم يذكره لكونه مستفاداً من القسم الاوّل. (۲۶۸)

حجّة الله فى دينه، فمن ذلك قوله تعالى: (قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إبْراهِيمَ والَّذِينَ مَعَهُ إذ قالُوا لِقَوْ مِهِمْ إنّا بُرَءَ ؤْا مِنْكُمْ وَ مِمّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنا بِكُمْ وَ بدَا بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمُ العَداوَةُ وَالبَغْضاءُ أَبَداً حتّى تُؤْمِنُوا بالله وَحْدَهُ)(۱) . ويقول أيضاً: لايجوز له أن يتولّى أحداً من علماء أهل الخلاف ولامن أفضلهم، ولو جهل أمرهم، ولو ظنّ أنّهم أهل الحقّ وأهل الفضل، ماجاز أن يتولّى أحداً منهم بدين(۲) . ويقول أيضاً: البراءة حكم من أعظم أحكام الإسلام (۳) . ويقول: واعلموا انّه ممّا يلزم المسلمون ويدينون به: الولاية لأولياء الله والحبّ لهم، والبغض لأعداء الله والبراءة منهم، ومن أحبَّ عبداً فى الله فكأنّما أحبّ الله، وذلك من أشرف أعمال البّر (۴) . وقد حرّر هذه المسألة أحد المعاصرين من علماء الاباضية وقال: ولاية الجملة وبراءتها فريضتان بالكتاب والسنّة والاجماع على كلّ مكلّف عند بلوغه إن قامت عليه الحجّة، وأمّا ولاية الأشخاص وبراءتها فواجبتان قياساً عليهما. إنّ محبّة المؤمن الموفى بدينه، الحريص على واجباته، المبتعد عن المحارم، المتخلّق بأخلاق الإسلام، المتّبع لهدى محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وجبت محبّته على المؤمنين، وأُعلِنَت ولايته بين المسلمين، وطلبت له المغفرة والرحمة من ربّ العالمين . فإذا نزغ أحدهم من الشيطان نزغ، ولم يستعذ بالله من الشيطان، فأقدم على المعصية ولم يُسارع إلى التوبة، انفصم هذا الرباط الذى يربطه ــــــــــــــــ

۱. أبوسعيد الكدمى: المعتبر ۲/۱۳۴. والآية من سورة الممتحنة: ۴ .

۲. المصدر نفسه ۱/۹۵ .

۳. المصدر نفسه: ۱ / ۱۳۵ .

۴. المصدر نفسه: ۱ / ۱۳۷ . (۲۶۹)

بالمؤمنين، وتهدَّمَتْ هذه الأُخوّة التى قامت على الدين حتى يجدّد ايمانه بربّه، ويستغفرالله من ذنبه، ويصل حبال قلبه بفاطر السموات و الأرض، فإذا فعل ذلك، رجعت منزلته بين اخوانه كما كانت، وعزَّتْ نفسه بينهم بعد أن هانت (ولِلّهِ العِزّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلمُؤْمِنِينَ). إنّ المسلم الذى يعلن بين الملأ قول «لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله»، ثمّ يجترئ على أوامر الله فيتخلّى عن واجباته، أو يقدم على ارتكاب المحظورات... لايحقّ أن يكرم بالتساوى مع الصادقين ولا يمكن أن تشمله المحّبة فى الدين، بل يجب أن يجد الغلظة من المؤمنين وأن يسمع التقريع والتوبيخ، وأن يُطْلب الابتعاد عنه، وأن يُعْلَنَ البراءة منه، ويُقلَّلَ التعامل معه حتى تضيق عليه الأرض بما رحبت، ولايجد ملجأ من الله إلاّ إليه، فأمّا أن يشرح الله صدره للإسلام، وأن يفتح قلبه للإيمان وأن يسخّر أعضاءه للعبادة، وأن يباعد بينه و بين المعصية فيتوب ممّا ارتكب ويعود إلى حظيرة الإسلام بالعمل الصالح، والجهاد المتواصل، جهاد النفس و الهوى، فترتبط أواصره حينئذ بأواصر الناس، ويصبح بعد الهداية و التوفيق أخاً فى الله . وأمّا أن يرتكس إلى الشيطان، ويصّر على العصيان، ويبتعد عن محاسبة النفس، ويستمرّ فى الغواية والضلال، وحينئذ لايمكن لأولياء الله أن يحبّوا عدوّالله، ولا أن يرضوا عمّن جاهره بالمعصية، وانّ القلوب المؤمنة لتستحى أن تّتجه إلى المليك الديّان لتطلب منه الرحمة والغفران، لعبيد الشهوات و أغوياء الشيطان . إنّ العصاة الذين يصرّون

على ما فعلوا ويجاهرون الله والناس بما ارتكبوا، انفصلوا بكبريائهم عن ربّهم، وابتعدوا عن محّبة إخوانهم، وحادوا الله ورسوله. (۲۷۰) (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالَيوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حادَّ اللهَ وَ رَسُولَهُ...)(۱). (إنَّ الَّذِينَ يُحادُّونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ أُوْلئِكَ فِى الأَذَلِيْنَ)(۲). (إنَّ الَّذِينَ يُحادُّونَ اللهَ وَ رَسُولَهُ كُبِتُوا كَما كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)(۳). إنّ المجتمع الاسلامى أنظف من أن تقع فيه المعصية من مسلم، ثم يسكتون عنه، فيدعونه فيهم محبوباً قبل أن يبادر إلى التوبة والاستغفار والتكفير إن كانت المعصية ممّا يتحلّل منه بالتكفير . إنّ هذه القضيّة من القضايا التى يكاد ينفرد بها الاباضية(۴) عن غيرهم من الفرق الإسلامية فلم يساووا بين مؤمن تقىّ وعاص شقىّ فى المعاملة، وقالوا: يجب على المجتمع المسلم أن يُعْلِنَ كلمة الحق فى كلّ فرد من أفراده، وأن يتولّى تهذيب الناشزين، وتقويم المنحرفين وتربية المتذرّعين بالوسائل التى شرعها الإسلام للتربية الجماعية من أمر بمعروف و نهى عن منكر، واعراض عمّن يتولّى عن الله. وليس من الحق أبداً أن نتغاضى عن اُولئك الذين يرتكبون المعاصى، ونضعهم فى صفّ واحد مع المؤمنين الموفين، بل يجب أن نزجر العاصى عن معصيته، وأن نعالِنَه بالعداوة، مادام منحرفاً عن سبيل الله، وأن لانساوى فى المعاملة بينه و بين الموفى، وأن لانعطيه من المحبّة وطلب المغفرة، وحسن التعامل، مانعطيه للذى يراقب الله فى الخفاء والعلانية، ويرجع إليه فى كلّ كبيرة وصغيرة، ويقف عند حدوده التى رسمها لايتخطّاها، (وَلِيَجِدُوا فِيْكُمْ ________________

۱. المجادلة: ۲۲ .

۲. المجادلة: ۲۰ .

۳. المجادلة: ۵ .

۴. ستعرف ضعفه و انّه ممّا أصفقت عليه الاُمّة الإسلامية اجمالا، نعم انفردت الاباضية بالغلظة والشدّة فى المسألة. (۲۷۱) غِلْظَة)، والاباضية لايخرجون العصاة من الملّة ولايحكمون عليهم بالشرك، ولكن يوجبون البراءة منهم و بغضهم و اعلان ذلك لهم حتى يقلعوا عن معصيتهم ويتوبوا إلى ربّهم (۱) . هذا عصارة ماذكروه فى هذه المسألة، أى الولاية والبراءة والوقوف . يلاحظ عليه: لاأظنّ أنّ من أحاط بالكتاب والسنّة أو ألمّ بهما أن ينكر وجوب التولّى والتبرّى فإن المصدرين الأساسيّين مملوءان بالأمر بتولّى الرسول، والمؤمنين، والتبرّى من المشركين وأهل الكتاب والعصاة، وإليك رشحة من ذلك فيكفى فيه قوله سبحانه:(لا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ)(۲) و قوله عزّوجلّ: (وَالمُؤْمِنُونَ وَ المُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْض)(۳) وقوله عزّوجلّ: (فَإن لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فَإخْوانُكُمْ فِى الدِّينِ وَ مَوالِيكُمْ)(۴) وقوله عزّوجلّ:(لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حادَّ اللهَ وَ رَسُولَهُ ولَو كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُم أَوْ إخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الإيمانَ وأَيَّدَهُمْ بِرُوح مِنْهُ ويُدْخِلُهُمْ جَنَّات تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ خالِدِينَ فيها رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ وَ رضُوا عَنْهُ أُوْلئِكَ حِزْبُ الله ألا إنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المُفلِحُونَ).(۵) وأمّا السنّة فيكفى فى ذلك الأحاديث التالية: قال على بن أبى طالب ـ عليه السَّلام ـ : من ترك انكار المنكر بقلبه و لسانه ________________

۱. على يحيى معمّر: الاباضية فى موكب التاريخ، الحلقة الاُولى ۸۳ ـ ۸۷ .

۲. آل عمران: ۲۸ .

۳. التوبة: ۷۱ .

۴. الأحزاب: ۵ .

۵. المجادلة: ۲۲ . (۲۷۲)

فهو ميّت بين الأحياء (۱) . وقال ـ عليه السَّلام ـ : أمَرَنا رسول الله أن نلقى أهل المعاصى بوجوه مكفهّرة(۲). وقال ـ عليه السَّلام ـ : أدنى الانكار أن تلقى أهل المعاصى بوجوه مكفهّرة. وعن الإمام جعفرالصادق ـ عليه السَّلام ـ : حسب المؤمن غيرة إذا رأى منكراً أن يَعْلَم الله عزّوجلّ من قلبه انكاراً.(۳) إنّ الحب والبغض من الظواهر والحالات النفسية، ولهما آثار على الأعضاء والجوارح فى حياة الإنسان، فلقاء أهل المعاصى بوجوه مكفهرّة من آثار تلك الظاهرة، هذا كلّه ممّا لااشكال فيه. إنّما الكلام فى موضع آخر يجب

إلفات النظر إليه وهو أنّ التبرّى من عصاة المسلمين ليس شيئاً مطلوباً بالذات، وإنّما الغاية منه ارجاع العاصى إلى حظيرة الطاعة، وإلحاقه بأصفياء الاُمّة، وعلى ذلك فهو من مراتب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فيدور وجوبه مدار وجود شرائطهما: منها كون التبرّى مؤثّراً فى كبح جماح العاصى وتماديه فى الغى، ولأجل ذلك جوّز الإسلام غيبة المتجاهر بالفسق وربّما أوجب الوقيعة فى أهل البدع، واكثارالوقيعة فيهم، وقال ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «أربعة ليس غيبتهم غيبة: الفاسق المعلن بفسقه، والإمام الكذّاب إن أحسنت لم يشكر وإن أسأت لم يغفر، والمتفكّهون بالاُمّهات، والخارج من الجماعة الطاعن على أمّتى، الشاهر عليها بسيفه» (۴). وقال ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «لاغيبة لثلاث: سلطان جائر، وفاسق معلن، ـــــــــــــــــــــــ

۱. الحرّ العاملى: وسائل الشيعة ۱۱/۴۰۴ .

۲. المصدر نفسه: ۱۱ / ۴۰۹ .

۳. المصدر نفسه: ۱۱ / ۴۱۳ .

۴. حسين النورى: المستدرك، الجزء ۹، الباب ۱۳۴ من أبواب أحكام العشرة، الحديث ۲ . (۲۷۳)

وصاحب بدعة»(۱) . فعلى ذلك فوجوب التبرّى رهن شروط نشير إليها: ۱ ـ أن يحتمل كون التبرّى مؤثّراً فى ارجاعه عن المعصية كما عرفت، وإلاّـ فلايـجب كما هو الحال فى جميع مراتب الأمر بالمعروف . ۲ ـ إن لايـكون اظهار التبرّى موجباً لتماديه فى الغى، وانكبابه على الإثم، فإنّ إيجاب التبرّى فى ذلك ينتج نقيض المطلوب . ۳ ـ يكفى فى التبرّى، الاعراب عمّا فى ضمير المتبرّى من كونه كارهاً لعمله، بلا حاجة إلى اعمال الغلظة والشدّة كما فى كلام القائل. ثمّ الآيات والروايات الدالّة على التبرّى واردة فى حقّ الكفّار والعصاة المتمادين فى الغى، لامن عصى مرّة واحدة ويبدو أنّه سوف يرجع ويستغفر. وأمّا ما ذكره القائل فى كيفية التبرّى فليس عليه دليل بل الدليل على خلافه، لأنّ المعاملة مع العصاة على النحو الذى ذكره القائل لم يكن رائجاً فى عصر الرسول، إلاّ فى حقّ العتاة المتمادين فى الغى، أو المتخلّفين عن الزحف، وقد ورد فى حقّهم قوله سبحانه: (وَ عَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتّى إذا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِما رَحُبَتْ وضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَ ظَنُّوا أَنْ لامَلْجَأَ مِنَ اللهِ إلاّ إلَيْهِ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا اِنَّ اللهَ هُوَ التَّوابُ الرَّحِيمُ)(۲).ترى أنّ الغلظة والشدّة كانت فى حقّ هؤلاء الثلاثة الذين تخلّفوا عن الجهاد فى الوقت الذى كان الرسول فى أشدّ حاجة إلى المجاهد الصادق، فنزل الوحى بالضغط وايجاد الضيق عليهم حتى يصلوا إلى مرتبة تضيق عليهم أرض المدينة بما رحبت. وأمّا المعاملة لكلّ عاص ولو مرّة واحدة بهذا النحو والضغط عليه حتى ـــــــــــــــــــــــ

۱. حسين النورى: المستدرك، الجزء ۹، الباب ۱۳۴ من أبواب أحكام العشرة، الحديث ۱ .

۲. التوبة: ۱۱۸ . (۲۷۴)

تضيق عليه الأرض، فهو بعيد عن سماحة الإسلام، كيف وقد قال سبحانه حاكياً عن حملة العرش الذين يستغفرون للذين تابوا واتّبعوا سبيله: (رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْء رَحْمَةً)(۱) وقال سبحانه:(وَ لا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ اِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ اِلاّ القَوْمُ الكافِرُونَ)(۲) وقال سبحانه: (قالَ وَ مَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ اِلاّ الضّالُّونَ)(۳) وقال سبحانه:(قُلْ يا عِبادِىَ الَّذِينَ اَسْرَفُوا عَلى اَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِ نَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً اِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ)(۴) . فأين هذه الوعود ودعوة العصاة إلى حظيرة الغفران والنهى عن اليأس من روح الله ممّا جاء فى كلام هذا القائل؟ فالاباضية وإن كانوا غير متطرّفين فى مسلكهم لكن فى التبرّى عن العاصى فى جميع الأحوال والظروف على النحو الذى سمعت نوع تطرّف كما لايخفى. على أنّ هذا النحو من التبرّى الوارد فى كلام القائل يناسب العيشة القبلية، والاجتماعات الصغيرة، ولايتمشّى أبداً مع الاجتماعات الكبيرة التى تضم الفسّاق، إلى العدول فى جميع الأندية والمجالس كما لايخفى. اكمال: ثمّ إنّه لو ثبت كون رجل عدوّاً من أعداء الله لارتكابه الكبائر أو لإرتداده عن الدين، فليس لآحاد الاُمّة القيام بإجراء الحدّ عليه، وإنّما واجب الآحاد هو التبرّى منه، ومن فعله، روحاً وجسداً، وأمّا إجراء الحدّ عليه فإنّما هو على ـــــــــــــــــــــــ

۱. غافر: ۷ .

۲. يوسف: ۸۷ .

۳. الحجر: ۵۶ .

۴. الزمر: ۵۳ . (۲۷۵)

القويّ المطاع فى الاُمّـة وهو الحاكم الإسـلامى، ولأجل ذلك ينقسم الأمر بالمعروف الى قسـمين: قسم يُعَدُّ واجباً فرديّاً، يقوم به آحاد الاُمّـة، وقسم يعـدّ رسالـة اجتماعية تقوم به القوّة التنفيذية فى الدولة الاسـلامية، وهنا كلمة قيّمة للإمام الصادق ـ عليه السَّلام ـ نذكرها: سئـل عن الأمر بـالمعروف والنهى عن المنكر أواجب هو على الاُمّـة جميعـاً؟ فقال: لا. فقيل له: ولم؟ قال: إنّما هو على القويّ المطاع، العالم بالمعروف من المنكر، لاعلى الضـعيف الـذى لايهتـدى سبيلا إلى أيٍّ، مِنْ أىّ؟ يقول من الحق إلى الباطل، والـدليل على ذلك من كتـاب الله عزّوجلّ قوله: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ اُمَّةٌ يَدْعُونَ اِلى الخَيْرِ وَيَأْمُرونَ بالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ) فهـذا خاصّ غير عام.(۱) ۸ـ آراء الاباضيـة فى الصـحابة: قـد طرحنا مسألـة عدالة الصـحابة فى الجزء الأوّل من هذه الموسوعة عند البحث عن عقائد أهل الحديث، والمعروف بين كتّاب الفرق انّ الاباضية يحبّون الشيخين ويبغضون الصهرين، غير أنّ كتّاب الاباضية فى هذا العصر ينكرون هذه النسبة ويقولون إنّ الدعاية التى سـلّطها المغرضون على الاباضية نبذتهم بهذه الفرية، وذهب على يحيى معمّر فى نقد النسبة وتزييفها إلى نقل الكلمات التى فيها الثناء البالغ على الصـهرين، ينقل عن أبى حفص عمرو بن عيسى قوله: وعلى الهادى صلاة نشرها * عنبرٌ ماخبّ ساع ورمـل وسـلام يتـوالى وعلى * آلـه والصـحب مـا الغيـث هطـل سـيما الصـديق والفـاروق والجـامع * القرآن والشـهم البطل

---

۱. الحر العاملى: وسائل الشيعة ۱۱/۴۰۰. والآية من سورة آل عمران: ۱۰۴. (۲۷۶) وينقل عن ديوان البدر التلاتى مايلى: بنت الرسول زوجها وابناها * أهل لبيت قد فشـى سـناها رضى إلاله يطلب التلاتى * لهم جميعاً ولمن عناها(۱) نحن نرحّب بهـذا الود الذى أمر الله سبحـانه به فى كتـابه بالنسبـة إلى العترة الطـاهرة إذ قـال: (قُلْ لااَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاّ المَوَدَّةَ فِى القُرْبَى)(۲) . ولكن لايمكننـا التجاهل بأنّهم يحبّون المحكّمة الاُولى، ويعتبرونهم أئمّة، وهم قُتلوا بسيف على، وهل يمكن الجمع بين الحبّين والودّين؟ قد قال الله سبحانه: (مـا جَعَلَ اللهُ لِرَجُل مِنْ قَلْبَيْنِ فِىْ جَوْفِهِ)(۳) وهـل يجتمع حبّ على وودّه وحبّ من كان يكفّر عليّاً ويطلب منه التوبـة؟ كيف وهؤلاء هم الـذين قلّبوا له ظهر المجنَ وضـعّفوا أركان حكومته الراشـدة. نرى أنّ الاباضـية يعدّون عمران بن حطان من القعدة، وهو إمام لهم بعد أبى بلال، وهو القائل فى حق عبدالرحمن بن ملجم قاتل الإمام على، شقيق عاقر ناقة ثمود، قوله: ياضربة من تقى ما أراد بها * إلاّ ليبلغ من ذى العرش رضوانـا إنّى لأذكره يوماً فأحسبه * أوفى البريّـة عنـدالله ميزانا(۴) ومع هذا السـعى لكتمان الحقيقة فالظاهر أن للشـهرة حقيقـة: أمّا حبّهما للشـيخين فليس مجال شك وأمّا بغضـهما للصـهرين فقـد وقفت فى الفصل التاسع على نظر قـدمائهم فى حق الإمام على ـ عليه السَّلام ـ وإليك نظرهم فى حق عثمان، ليعلم ـــــــــــــــــــ

۱. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الإسلامية ۲/۵۰ .

۲. الشورى: ۲۳ .

۳. الاحزاب: ۴ .

۴. مرّ مصدر البيتين . (۲۷۷)

مدى صحّة النسبة: فإن قال: فما قولكم فى عثمان بن عفان؟ قلنا له: فى منزلة البراءة عند المسلمين . فإن قال: من أين وجبت البراءة من عثمان بن عفان وقـد تقـدمت ولايته وصـحّت عقـدة إمامته مع فضائله المعروفة فى الإسـلام، وفى تزويج النبى له ـ عليه السَّلام ـ بابنتيه واحـدة بعد واحدة؟ قلنا: إن الولاية والبراءة هما فرضان فى كتاب الله لا عذر للعباد فى جهلهما، وقد أمرنا الله تبارك وتعالى أن نحكم ونـدين له فى عباده بما يظهر لنا فى اُمورهم ولم يكلّفنا علم الغيب. ثم وجـدنا أصـحاب النبى ـ صـلّى الله عليه وآله وسـلم ـ قـد قـدّموا عثمـان إمامـاً لهم بعـد عمر بن الخطاب ـ رحمه الله ـ، ثم قصـدوا إليه فقتلوه على ما استـحقّ عنـدهم من الأحـداث التى زايل بها الحق

وسبيله، فمن قال إنّ عثمان قتل مظلوماً كان قد أوجب على أصحاب النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ البراءة بقتلهم لعثمان بن عفان وألزام البراءة من على بن أبى طالب لأنّه وضعه المسلمون بعد عثمان إماماً لهم. وعلى الإمام إقامة الحدود و لم يغيّر ذلك على بن أبى طالب ولم ينكره ولم يقم الحد على من قتل عثمان، وحارب من طلب بدمه و هو طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام، ولو لم يكن مستحقاً للقتل وأنّه مظلوم لكان على قد كفر لقتاله لمن طلب بدم عثمان بن عفّان. فلما قاتل على والمسلمون من طلب بدم عثمان وصوّبوا من قتله وأقرّهم على بين يديه وكانوا أعوانه و أنصاره، كان دليلا على أنّهم محقّون فى قتله لأنّ إجماعهم على ذلك حجّة لغيرهم ودليل. وأمّا قولك زوّجه النبى بابنتيه واحدة بعد واحدة فإنا لاننكر ذلك ولايكون عثمان مستوجباً للولاية بتزويج النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ له بابنتيه. ولو كان عقد النبى له بالنكاح موجباً للرجل المشرك الذى كان النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ (۲۷۸)

قد زوّجه بابنته زينب قبل التحريم بين المسلمين والمشركين مع قوله الله تبارك وتعالى:(إِنَّ اللَهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ)(۱)، فهذا مبطل لاحتجاجك علينا بتزويج النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ له بابنتيه. وأمّا قولك: إنّه كانت له فضائل فى الإسلام متقدّمة، فإن الأعمال بالخواتم فى الآخرة، لابالفضائل الاُولى(۲). وعلى كل تقدير فما يذكره هذا الكاتب وغيره هو الحق الذى يجب أن تمشى عليه الاباضية فى حياتهم الدينية ويجب علينا احترام الصحابة وودّهم على الموازين التى وردت فى الكتاب والسنّة، ولا أظنّ مسلماً على أديم الأرض يبغض الصحابى بما هو صحابى أو بما أنّه رأى النبى أو بما أنّ له صلة به، ولو كان هناك استنكار فانّما لبعض الصحابة أمثال المغيرة بن شعبة وبسر بن أرطاة، وعمرو بن العاص، وسمرة بن جندب لما قاموا به من سفك الدماء البريئة والظلم فى الأحكام، والطلب الحث بلذائذ الدنيا، كيف لايصحّ التبرّى منهم؟ وقد قال عمرو بن العاص لمعاوية عندما دعاه للمشاركة فى الحرب ضدّ على أبياتاً أوّلها: معاوية لا اعطيك دينى ولم أنل * به منك دنياً فانظرن كيف تصنع فإن تعطنى مصراً فأربح بصفقة * أخذتَ بها شيخاً يضرّ وينفع (۳) *** ________________

۱. النساء: ۴۸ و ۱۱۶ .

۲. السير و الجوابات لعلماء وأئمة عمان ۱/۳۷۴ ـ ۳۷۵ طبع وزارة التراث القومى والثقافة، تحقيق سيدة إسماعيل كاشف.

۳. الطبرى: التاريخ ۳/۵۵۸. اليعقوبى: التاريخ ۲/۱۷۵ طبع النجف الاشرف . (۲۷۹) الفتاوى الشاذّة عن الكتاب والسنّة المذهب الاباضى يدّعى أنّه يعتمد فى اُصوله على الكتاب والسنّة ويتّفق فى كثير من اُصوله وفروعه مع مذاهب أهل السنّة، ولا يختلف معها إلاّ فى مسائل قليلة اختلاف مذاهب السنّة نفسها فى ما بينها. وما كان اعتماد المذهب الاباضى على الكتاب والسنّة وعدم تباعده عن مذاهب السنّة إلاّ لأنّ مؤسّسه جابر بن زيد قد أخذ عن الصحابة الذين أخذ عنهم أصحاب هذه المذاهب من الحنفيّة والشافعيّة والمالكيّة والحنابلة، بل أنّه يمتاز على أصحاب هذه المذاهب فى أنّه أخذ عن الصحابة مباشرة بينما هم لم يأخذوا فى معظمهم إلاّ من التابعين . كما أنّ الأحاديث التى جمعها هو وغيره من علماء وفقهاء وجمّاع الأحاديث من الاباضية كالربيع بن حبيب و غيره، ليست إلاّ أحاديث وردت عن البخارى ومسلم وغيرهم من أئمّة الحديث كأبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجة والدارقطنى والطبرانى والبيهقى وغيرهم من أهل السنّة والجماعة. (۲۸۰) إنّ الاباضية لا يعترفون بالتقليد فيما يأخذون أو يدّعون حتى لفقهائهم أنفسهم، والمشهور عنهم أنّهم يقولون: إنّهم رجال تقييد لاتقليد، أى أنّهم يتقيّدن بالكتاب والسنّة، وبما تقيّد والتزم به السلف الصالح، ولايقلّدون أصحاب المذاهب أو أصحاب الأقوال إلاّ إذا كانت أقوالهم موافقة للكتاب والسنّة (۱) . إنّ المذهب الاباضى كما وصفه الكاتب يستند إلى الأدلّة الشرعية والعقلية، فالعقل عندهم حجّة كالكتاب والسنّة، وليس ذلك أمراً خفيّاً على من سبر كتبهم العقائدية والفقهية، وقد كان ذلك معروفاً عنهم فى القرون الاُولى حتى بين مخالفيهم على وجه قالوا: باغناء العقل عن السمع فى أوّل التكليف. يقول المفيد شيخ الشيعة فى القرن الرابع: «اتفقت الإمامية على أنّ العقل يحتاج فى علمه ونتائجه إلى السمع وأنّه غير منفك عن سمع ينبّه الغافل على كيفيّة الاستدلال، وأنّه لابدّ فى أوّل التكليف وابتدائه فى العالم من رسول، ووافقهم فى ذلك أصحاب الحديث،

وأجمعت المعتزلة والخوارج والزيدية على خلاف ذلك، وزعموا أنّ العقول تعمل بمجرّدها من السمع و التوقّف، إلاّ أنّ البغداديين من المعتزلة خاصّة يوجبون الرسالة فی أوّل التكليف»(۲). وهذا النحو من الاعتماد على العقل يعد نوع مغالاة فی القول بحجيّته إلاّ فی مورد لزوم إصل المعرفة، لاستقلاله عليه دفعاً للضرر المحتمل وغيره ما حرّر ـــــــــــــ

۱. الدكتور رجب محمّد عبدالحليم: الاباضية فی مصر والمغرب وعلاقتهم بأباضية عمان والبصرة: ۵۸ ـ ۶۱ .

۲. الشيخ المفيد (۳۳۶ ـ ۴۱۳ هـ): أوائل المقالات ۱۱ ـ ۱۲ . (۲۸۱)

فی محلّه (۱) إنّ القول بحجّية العقل لا يعنی منها إلاّ حجّيته فی موارد يستقلّ بحكمها العقل على وجه اللزوم والقطع كالملازمات العقليّة، مستقلّة كانت أو غير مستقلّة، والأوّل كاستقلاله بالبراءة عن أيّ تكليف فيما إذا لم يرد من الشارع فيه بيان، ولزوم الفحص عن بيّنة مدّعی النبوّة، والنظر فی دعواه وبرهانه، والثانی كالمسائل المعروفة بباب «الملازمات العقليّة» فی اُصول الفقه، كادّعاء الملازمة بين وجوب الشیء ووجوب مقدّمته، أو نقيضه (الضد العام) إلى غير ذلك ممّا هو مذكور فی محلّه، ولا يحتجّ به الاّ فيما إذا لم يرد من الشرع حكم فی مورده، وإلاّ فلا يقام له وزن، ولأجل الغلوّا الموجود فی كلماتهم التی ترتبط بالعقل نجد لهم فتاوى فقهية لاتوافق الكتاب و السنّة، وقد أعطوا للعقل العاطفی فيها قيمة أكثر ممّا أعطوه للكتاب والسنّة، فقدّموا حكم العقل الظنّی على الحكم الشرعی القطعی، وإليك نماذج: ۱ ـ قد بلغت السماحة وحب السلام لدى الاباضية أنّ فقهاءهم فضّلوا الصلح بين أی فئتين من المؤمنين وقع القتال بينهما، وأنّه لاينبغی لأحد أن يفضّل أيّ فئة منهما على الاُخرى، حتى لاتحدث فتنة، وفی ذلك قال أحد شيوخهم من المغاربة: «إنّه إذا وقعت الفتنة بين فئتين من المؤمنين فالأحبّ إليّ أن يصطلحوا، فإن لم يفعلوا فالأحبّ إليّ أن لاتغلب فئة فئة، فإنّ من أحبّ أن تغلب أحدهما الاُخرى فقد دخل فی الفتنة ولزمه ما لزمه أهل تلك، وكان سيفه يقطر دماً، والسلامة عندی أن يكونا فی البراءة سواء، لايرجّح احدى الطائفتين، فإنّه متى رجّح اُثم»(۲). ـــــــــــــ

۱. لا حظ محاظراتنا فی الالهيات بقلم الشيخ حسن مكّی العاملی ۱/۲۴ .

۲. الدكتور رجب محمّد عبدالحليم: الاباضية فی مصر والمغرب: ۶۱، نقلا عن الدرجينی: طبقات المشايخ بالمغرب ۲/۴۹۱ . (۲۸۲)

لاشك انّ هذه الفتوى صدرت عن عاطفة القائل وكونه محبّاً للوئام والسلام، لكنّها عاطفة فی غير محلّها وربّما تتم لصالح الظالمين والفئات الباغية، والذكر الحكيم يصرّح بخلافه وانّه يجب مقاتلة الباغی إن لم يرجع إلى أمر الله، قال سبحانه:(وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الاُْخْرَى فَقاتِلُوا الَّتِی تَبْغِی حَتَّى تَفِیءَ إِلَى أَمْرِاللهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالعَدْلِ وَ أَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ)(۱) . وعلى ضوء ما ذكره القائل، فالواجب على المسلمين فی الفتنة التی أثارها طلحة والزبير فی خلافة علی ـ عليه السَّلام ـ أو الفتنة التی أثارها ابن أبی سفيان بعد حرب الجمل، أن لاتفضّل أی فئة على الاُخرى حتى لاتحدث فتنة، وهذا النوع من حبّ الصلح والسلام أشبه بالخضوع لعاطفة عشواء ولو كان فی ذلك ركوب الباطل. ۲ – اتّفقت الاُمّة الإسلامية على أنّ الزنا بمجرّده لاينشر الحرمة بين الفاعلين إلاّ فی موارد خاصّة كما إذا كانت الزانية مزوّجة، ويسمى فی مصطلح الفقه« الزنا بذات الاحصان» وروت عائشة: أنّ النبی ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ قال الحرام، لا يحرّم الحلال. ومع ذلك فقد جاءت الاباضية بفتوى شاذّة حسبها أنّها صيانة لكرامة المرأة حتى أنّ بعض المتأخّرين منهم صاغها فی قالب اجتماعی حسب أنّه ينطلی على أصحاب الفقه، قال: «لقد كانت بيئة الحياة فی الاُمّة المسلمة لا تبيح للمرأة أن تخلی برجل أجنبی ولا تبيح لرجل أن يختلی بامرأة اجنبية عنه، وذلك خوفاً من الفتنة، لأنّ الدوافع الجنسية قد تتغلّب على النفس عند الرجل أو عند المرأة وهما مختليان، ـــــــــــــ

۱. الحجرات: ۹ . (۲۸۳)

فيصلان إلى المحذور، ويقع السوء الذی منه يحذران. ولقد درس الاباضية هذه المشكلة منذ خير القرون وانتهوا فيها إلى رأيهم الذی ينفردون به فيما أعرف، فحرّموا الزواج بين من ربطت بينهما علاقة إثم، وقد كانوا فی تحريمهم لهذا الزواج يستندون إلى روح الإسلام الذی يحارب الفاحشة . روت اُمّ المؤمنين عائشة ـ رضی الله عنها ـ عن رسول الله أنّه قال: «أيّما رجل زنا بامرأة ثم تزوّجها فهما

زانيان إلى يوم القيامة»(١) . يلاحظ عليه أوّلا: انّ الخضوع للعاطفة والتمسّك بهذه الذرائع إنّما يجوز إذا لم يكن فى المسألة دليل من الشرع وإلاّ ـ فيضرب بها عرض الجدار، وإن نبع عن مبدأ عقلى!!! أو عاطفى، فإذا كان الكتاب والسنّة واجماع الأُمّة حاكماً بجواز التزويج فلا ـ يسوغ لنا التمسّك بهذه الوجوه، ويكفى فى ذلك اطلاق قوله سبحانه:(وَ أُحِلَّ لَكُمْ ماوَرآءَ ذلِكُمْ أنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسافِحِين)(٢)، نعم عن بعض الفقهاء اشتراط الجواز بالتوبة، وعلى كلّ تقدير فليس فى الأُمّة من يحرّم إلاّ ـ الحسن البصرى، وقوله شاذّ مخالف للكتاب واتّفاق الأُمّة. قال الشيخ الطوسى: إذا زنى بامراة جاز له نكاحها فيما بعد، وبه قال عامّة أهل العلم، وقال الحسن البصرى:لايجوز، وقال قتادة ومحمّد (وفى نسخة أحمد): إن تابا جاز وإلاّ لم يجز، وروى ذلك فى أخبارنا(٣) . وقال ابن قدامة: «وإذا زنت المرأة لم يحل لمن يعلم ذلك نكاحها إلاّ بشرطين: ______________

١. على يحيى معمّر: الاباضية فى موكب التاريخ، الحلقة الأُولى ١١١ ـ ١١٢.

٢. النساء: ٢۴.

٣. الشيخ الطوسى: الخلاف ج ٢، كتاب النكاح، المسألة ٧١ ص ٣٧٨ . (٢٨۴) ١ ـ انقضاء العدّة. ٢ ـ التوبة: وإذا وجد الشرطان حلّ نكاحها للزانى وغيره فى قول أكثر أهل العلم، منهم: أبوبكر وعمر و ابنه و ابن عباس وجابر بن زيد وعطاء والحسن وعكرمة والزهرى والثورى والشافعى و ابن المنذر و أصحاب الرأى، وروى عن ابن مسعود والبّراء بن عازب وعائشة: انّها لاتحلّ للزانى بحال، ويحتمل انّهم أرادوا بذلك ما كان قبل التوبة أو قبل استبرائها فيكون كقولنا، فأمّا تحريمها على الاطلاق فلايصحّ لقول الله تعالى: (وَ أُحِلَّ لَكُمْ ماوَراءَ ذَلِكُمْ أنْ تَبْتَغُوا بِاَمْوالِكُمْ...)، لأنّها محلّلة لغير الزانى فحلّت له كغيرها(١) . ثانياً: إنّ صيانة كرامة المرأة إنّما هو فى تجويز الزواج لافى التحريم لأنّ الزواج ـ بعد الإثم ـ يغطّى الفاحشة التى صدرت منهما عن جهالة، ويصير الفاعلان فى المجتمع الإسلامى كزوجين شرعيّين يتعامل الناس معهما معاملة صحيحة وواقعية، وأمّا إذا أفتينا بحرمة الزواج، فالمرأة المخدوعة المحكومة بحكم العاطفة ربّما تلتحق بالغانيات إذا انتشر أمرها وظهر سرّها، ورغب عنها كلّ شابّ غيور. ٣ ـ «قد وردت أحاديث كثيرة فى النهى عن الاستجداء والمسألة، واعتمد الاباضية تلك الأحاديث الشريفة فمنعوا المسلم من إراقة ماء الوجه والتعرّض لمذلّة السؤال، فإذا هانت عليه كرامته، وذهب يسأل الناس الزكاة، حرم منها عقاباً له على هذا الهوان، وتعويداً له على الاستغناء عن الناس، والاعتماد على الكفاح»(٢) . لاشك انّ السؤال و الاستجداء حرام شرعاً ومكروه فى بعض الموارد، ______________

١. عبد الله بن قدامة: المغنى ٧ / ۶۴ ـ ۶۵ .

٢. على يحيى معمّر: الاباضية فى موكب التاريخ، الحلقة الأُولى ١١۶ . (٢٨۵)

غير أنّ الافتاء بتحريم الزكاة بحجّة صيانة ماء وجه السائل فتوى على خلاف الكتاب والسنّة، ولو كان ذلك موجباً للتحريم لصدر فيه نصّ عن رسول الله لكثرة الابتلاءبها . أضف إلى ذلك انّه سبحانه يأمر باعطاء السائل وعدم نهره، يقول سبحانه: (وَ الَّذِينَ فِى أَمْوالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ* لِلسّائِلِ وَ الَمحْرُوم)(١). وقال سبحانه: (وأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ)(٢) . وقال سبحانه: (وَ آتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى القُرْبَى وَالْيَتَامى وَالمَسَاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ وَ فِى الرِّقابِ وأَقامَ الصَّلاةَ وآتَى الزَّكاةَ)(٣)، والآية مطلقة تعم مورد الزكاة وغيره لولم نقل بورودها فيها. *** ______________

١. المعارج: ٢۴ ـ ٢۵ .

٢. الضحى: ١٠ .

٣. البقرة: ١٧٧ . (٢٨۶) (٢٨٧) خاتمة المطاف قد تعرّفت فى ماسبق على عقائد الاباضية وخصائصهم وقد اخترنا منها أموراً ثمانية بقى هنا أمرٌ يطيب لنا أن نلفت نظر القارىء إليه: أ ـ إنّ الاباضية لتجويزهم التقيّة جعلوا مسالك الدين أربعة تنتهى فى المرحلة الرابعة إلى الكتمان المساوق للتقيّة، فقالوا: مسالك الدين أربعة: ١ ـ الظهور ٢ - الدفاع ٣ ـ الشراء ۴ ـ الكتمان. إنّ للاباضية لجنة تقوم بالاشراف الكامل على شؤون المجتمع الاباضى تسمّى بـ «العزّابة» ولأجل ايقاف القارىء على خصوصيّات وصلاحيّات هذه اللجنة

وشؤونها نأتى بنصّ كتابهم، فإليك البيان: مسالك الدين عند الباضية: إنّ المجتمع الإسلامى إمّا أن يكون ظاهراً على أعدائه، حرّاً فى أراضيه، مستقّلا بأحكامه، عاملا بكتاب الله وسنّة رسوله، منفّذاً لأحكام الدين، لايخضع (۲۸۸)

لأجنبىّ بوجه من الوجوه، ولايستبدّ به حاكم، ولا يطغى عليه ذو سلطان، فهذه الحالة هى حالة الظهور، وهى أكمل الحالات للمجتمع المسلم، و عليها يجب أن تكون الاُمّة، لأنّها المنزلة التى ارتضاها الله للمؤمنين (وَ لِلَّهِ العِزَّة وَ لِرَسولِهِ و للمؤمِنينَ). فإذا انحدر المسلمون عن هذا المقام، وتضاءلوا عن هذا الشرف، ونزلوا عن هذه المرتبة التى رفعهم إليها الإيمان بالله، والثقة فيه، فيجب أن لايهادنوا الظلم، وأن لايستكينوا للطغيان، وأن لايسمحوا للأيدى العابثة، أن تعبث بمقدّرات الاُمّة، فتنتهك حرماتهم، وتحول دون اُمور دينهم، وتتحكّم فى أعمالهم وعباداتهم، وتتصرّف فى أموالهم بغير التشريع الذى وضعه عالم الغيب والشهادة، والهدى الذى تركه محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ لأبناء الإسلام . إذا انحدرت الاُمّة إلى هذه الوهدة، فيسيطر عليها عدوّ أجنبى، أو تخلّى ـ من أولته الاُمّة ثقتها، وأسلمته مقاليدها، ووضعت بين يديه رعايتها ـ عن الأمانة، وحاد بها عن الطريق، وخان الله ورسوله والمسلمين فيما وضع بين يديه، وجب حينئذ أن يقف المسلمون فى طريق تلك الدولة الباغية، يأمرونها بالمعروف، وينهونها عن المنكر، ويلزمونها أن تسلك بهم طريق الصواب، فإذا اعتزّت بالإثم، واستمرأن طعم الظلم، واستكبرت أن تخضع لأمرالله، وأن ترجع إلى سبيل الله، فحينئذ يأتى القسم الثانى من التنظيم الإسلامى وهو الدفاع، والدفاع فى مسالك الدين يرادف ما يعبّر عنه فى العصر الحاضر بالثورة...الثورة على الاستعمار الأجنبى، أو الثورة على الاستعمار الداخلى: كالثورة على الظلم، والثورة على الاقطاع، والثورة على الفساد، والثورة على الانحراف عن دين الله فى كلّ مظاهره وأشكاله. والزعيم الذى يقود هذه الثورة يسمّى «إمام الدفاع» وله على الاُمّة الثائرة حق الطاعة والامتثال، مادامت (۲۸۹)

الثورة قائمة، فاذا استقرّت الاُمور، ورجعت إلى الهدوء والاستقرار، أصبح واحداً من أفراد الاُمّة، له حقوقهم، وعليه واجباتهم، ورجوع الاُمور إلى نصابها يكون بأحد أمرين: إمّا نجاح الثورة، وإمّا فشلها، ونجاحها يكون بأحد أمرين: إمّا استجابة الدولة لمطالب الاُمّة، ورجوعها إلى أحكام الله، وفى هذه الحالة ينتهى عمل الثورة إلى هذا الحد. وإمّا الإطاحة بالنظام الفاسد، وقلب الحكم الظالم، وتغييره إلى نظام إسلامى، يتمشّى مع التشريع الذى جاء به كتاب الله الكريم، وعندئذ أيضاً لايكون لزعيم الثورة أو أمير الدفاع، أىّ حق فى الحكم، إلاّ إذا اختارته الاُمّة، لشروط توفّرت فيه بعد الهدوء والاجتماع و التفكير والمفاضلة، حسب الشروط المتبعة فى اختيار أمير للمؤمنين. فإذا ضعف المسلمون حتى عن هذا الموقف، وأصبحوا لايستجيبون لداعى الثورة، ويفضّلون طريق السلامة، ويركنون إلى الدعة والاستراحة، جاء المسلك الثالث من مسالك الدين، وهو الشراء: فحق لقلّة منهم إذا بلغوا أربعين شخصاً أن يعلنوا الثورة على الفساد، وبما أنّ هذه الثورة التى يقوم بها عدد قليل، لايتوقّع لها النجاح فى كفاحها ضدّ دولة ظالمة مسلّحة، واُمّة مسالمة راضية بالذل، فإن هذا التنظيم يشبه أن يكون شغباً على دولة ظالمة حتى لاتطمئنّ إلى تنفيذ خططها الجائرة، وقد لاتكون لها نتائج غير هذا القلق الذى يخيّم على الظالمين، والتوجّس والخوف الذى يسود أعمالهم وحركاتهم، ولذلك فقد اشترط لهذا التنظيم، شروط قاسية لايقبلها إلاّ الفدائيّون، الذين وهبوا حياتهم لحياة الاُمّة، وذلك أنّه لايحلّ لهم بعد أن ينخرطوا فى هذه المؤسّسة، أن يعودوا إلى بلادهم، أو يستقرّوا فى أمكنتهم، أو يتخلّوا عن رسالتهم، حتى ينتهى بهم الأمر إلى النجاح أو القتل، والقتل أقرب الأمرين إليهم، وعندما تضطرّ الظروف أحدهم إلى منزله لشأن من شؤون تمديد الثورة، (۲۹۰)

كالتزوّد، فإنّه يعتبر فى منزله غريباً مسافراً يقصر الصلاة. ولكنّه عندما يكون فى شعف الجبال، أو بطون الأدوية، يقطع المواصلات على الطغاة، أو يهدم الجسور التى تمرّبها القطر الظالمة، أو يقتلع اُسس القلاع التى تجمع ذخيرة الجبابرة، حينئذ يعتبر فى منزله وبين أهله، وهم فى كلّ ذلك لايحلّ لهم أن يروّعوا الآمنين، أو أن يسيئوا إلى المسالمين. إنّه تنظيم رائع للفدائية فى الإسلام عندما يتحكّم الظلم، ويستعلى عبيد الشيطان، وتعطّل أحكام الله بأحكام الإنسان، يقول أبو إسحاق: «الشراء من أخص أوصاف الاباضية». فإذا رضيت الاُمّة بالذل، واستسلمت للظلم، وجرى عليها حكم الطغاة، ولم يقم فيها من يثور لكرامة الإسلام المهدرة، ولالشرف الرسالة التى أعزّت

الإنسانیة، وتغلّب حبّ الدعة علی کلّ فرد، ورکن الجمیع إلی الراحة، فلم تتکوّن حتی الفدائیة التی تقضّ مضاجع الظالمین، وتذکّرهم أنّ حکمهم لن یقر، وأنّ کراسیهم لن تستقر، وأنّ المقاومة لا تزال هی أمل المؤمنین، وانّهم سوف یحاسبون أمام الله، والأُمّة حساباً عسیراً. إذا ضعفت الأمّة حتی عن هذه المرتبة، أصبحت تحت التنظیم الأخیر، تنظیم الکتمان. وعندئذ یجب أن یبتعد المؤمنون عن مساعدة الظالمین بتولّی الوظائف الظالمة ، وأن تتولّی شؤونهم جمعیات تبثّ فیهم هدایة الله، وتملأ قلوبهم بالإیمان بالله، وتنشر فیهم المعرفة والثقافة الاسلامیة التی تبصّرهم بدین الله، فلاتکون علاقتهم بالظالمین إلاّ فی أیسر طریق، وأضیق مجال، فیما یتعلّق بجبایة الأموال المفروضة علیهم للحاکمین، وهی الجمعیّات، أو ما یسمّی فی التنظیم الاباضی «بحلقة العزّابة»(۱) . ــــــــــــــــ

۱. علی یحیی معمّر: الاباضیة فی موکب التاریخ، الحلقة الأُولی ۹۳ ـ ۹۶ . (۲۹۱) العزّابة: تعریف العزّابة: العزّابة هیئة محدودة العدد، تمثّل خیرة أهل البلد علماً وصلاحاً، وهذه الهیئة تقوم بالاشراف الکامل علی شؤون المجتمع الاباضی، الشؤون الدینیة، والشؤون التعلیمیة، والشؤون الاجتماعیة، والشؤون السیاسیة. وهی فی زمن الظهور والدفاع تمثّل مجلس الشوری للإمام أو عامله ومن ینوب عنه. أمّا فی زمنی الشراء أو الکتمان فهی تمثّل الإمام وتقوم بعمله. تختار هیئة العزّابة من بینها شیخاً یسمّی «شیخ العزّابة» یکون أعلمهم وأکثرهم کفاءة، ولایشترط فیه أن یکون أکبر هم سنّاً، والشیخ یرأس الهیئة فی جلساتها، ویمثّلها فی جمیع أعمالها، ویتکلّم باسمها، وینفّذ قراراتها، ویتولّی الاشراف المباشر علی جمیع شؤون البلد أو الأُمّة، ویجب أن تعرض علیه جمیع المشاکل والأحداث، وحکمه بعد قرار الهیئة نافذ فی جمیع الأحکام. اشتقاق کلمة العزّابة: اشتقّت هذه الکلمة من العزوب أو العزابة، وهی تعنی العزالة، والغربة، والتصوّف والتهجّد، والانقطاع فی رؤوس الجبال، ویقصد بها فی هذا الاستعمال الانقطاع إلی خدمة المصلحة العامة، والاعراض عن حظوظ النفس، والبعد عن مشاغل الحیاة، من أهل ومال وولد، فإنّ العزّابی لایعطی لهؤلاء من جهده ووقته إلاّ القلیل، أمّا أعظم طاقته فیجب أن یصرفها لله فی خدمة المسلمین، دون مقابل یتقاضاه علی عمله، أو أجر یرجوه منهم، لأنّ أجره وحسابه علی الله. معنی کلمة الحلقة: کلمة الحلقة استعمال ثان یقصد به هیئة العزّابة، فهی مرادفة لها، وقد اُخذت هذه الکلمة من التحلیق، وهو الاستدارة، وذلک انّ العزّابة فی اجتماعاتهم الرسمیة یجلسون علی هیئة حلقة أو دائرة، وهو أنسب وضع لتبادل الآراء، ودارسة وجهات النظر المختلفة. (۲۹۲) کما أنّ الجلوس علی هذا الوضع أفضل حال عند الدراسة، أو تلاوة القرآن الکریم، والاّتجاه إلی الله بالدعاء . مقرّ العزّابة: المقرّ الرسمی للعزّابة یکون فی المسجد، ولذلک فلزام أن یکون فی جانب من جوانب المسجد بیت خاص بالعزّابة، ویستحسن أن یکون بعیداً عن مجالس الناس، حتی لاتسمع المداولات التی تجری فیه، وهذا البیت الخاص بهم لایجوز لغیرهم الدخول إلیه مطلقاً، ویتحتّم علی الجدد منهم أن یقوموا بتنظیفه ومراقبته وفرشه وملاحظة جمیع مایلزمه، وفیه تحفظ وثائقهم فلایطّلع علیها أحد غیرهم. وجمیع المداولات والمناقشات والمباحث التی تجری داخله تعتبر سرّیّة، لایجوز اخراجها وافشاؤها لأیّ سبب من الأسباب، ماعدا القرارات التی تّتخذ للتنفیذ فیتولّی الشیخ اعلانها، وقد ینوب عنه أحد الأعضاء الآخرین، ولایجوز للعزّابة أن یناقشوا أی موضوع فی غیرمقرّهم الرسمی، وبعد أن ینتهوا إلی قرار فی أی موضوع یحق لهم أن ینتقلوا إلی مکان آخر لتنفیذ ذلک القرار، إذا کان تنفیذه یقتضی منهم الانتقال، وإذا أصدروا أمراً فی شأن من الشؤون الاجتماعیة للبلد، کتحدید المهور، أو تحدید الأسعار، أوبدء العمل فی المواسم الزراعیة، أو ما شاکل ذلک، فلم یستجب الجمهور لقرارهم، اعتصموا فی مقرّهم، ولزموا المسجد دون أن یقوموا بأعمالهم المعتادة، وامتنعوا من دخول الأسواق والبلد، حتی یستجیب الناس للحکم، ویقوموا بتنفیذ الأمر، ولم تحدث مثل هذه الحالة عند الاباضیة فی لیبیا، إلاّ عدداً قلیلا من المرّات، استجاب فیها الناس لأمر العزّابة بأسرع مایمکن، بل لقد کان الناس یسارعون حین یسمعون بمثل هذا الموقف من العزّابة، فیقنعون بعضهم، ویبلّغون موافقتهم إلی المجلس قبل حضور وقت الصلاة الثانیة، فتسیرالأُمور فی معتادها. (۲۹۳) عدد أعضاء الحلقة: یتراوح عدد أعضاء الحلقة بین عشرة أعضاء وستة عشر عضواً، یوزّع علیهم العمل کما یأتی: ۱ ـ شیخ العزّابة: ویکون أعلم القوم، وأقواهم شخصیة، وأقدرهم علی حلّ المشاکل. ۲ ـ المستشارون: ویکون عددهم أربعة لایزیدون ولاینقصون، ویلزمون الشیخ، ولا یقطع أمراً دون موافقتهم. ۳ ـ الإمام: شخص واحد، یقوم بصلاة الجماعة، ویجوز أن یکون أحد الأربعة

المستشارين. ۴ ـ المؤذّن: وهو شخص واحد مسؤول عن تحرّی أوقات الصلاة، والقيام بمهمّة الأذان، ويصحّ أن يكون أحد الأربعة المستشارين. ۵ ـ وكلاء الأوقاف: يخصّص عضوان للاشراف على الأوقاف، وعلى ميزانيّة الحلقة، وضبط الواردات والصادرات، وطريقة اصلاح وتنمية الأوقاف، ويشترط فی هذين العضوين بالاضافة إلى الشروط العامّة لأعضاء الحلقة، أن لايكونا من الأغنياء المكثرين، ولامن الفقراء المعوزين، ولكن من متوسّطی الحال المستورين. ۶ ـ المعلّمون: يخصّص ثلاثة أعضاء أو أكثر أو أقلّ حسب الحاجة، للاشراف على التربية والتعليم، وتنظيم الدراسة، ومراقبة التلاميذ فی المحاضر، وهی دور التعليم، أو فی الأقسام الداخلية، وما إلى ذلك من شؤون التعليم . ۷ ـ حقوق الموتى: يخصّص أربعة أعضاء أو خمسة للاشراف على حقوق الموتى، فيتولّون الاشراف على غسلهم، وتجهيزهم، والصّلاة عليهم، ودفنهم ومراقبة تنفيذ وصاياهم، وتقسيم تركاتهم حسب الفرائض فی أحكام (۲۹۴)

الإسلام. وإذا توفّی شخص وهو فی براءة المسلمين بأن مات على معصية، فإنّ هؤلاء العزّابة لايقومون بحقوقه، لأنّ العاصی لاحقّ له على المؤمنين، ولكنّهم يسمحون لمن شاء من غير أعضاء الحلقة أن يقوم بتلك الحقوق، ذلك أنّ القيام بأُمور الميّت فرض على الكفاية، إذا قام به البعض أجزى عن الباقين. شروط العضوية: يشترط فی أعضاء العزّابة عدّة شروط، منها: ۱ ـ أن يكون حافظاً لكتاب الله. ۲ ـ أن يمرّ بمراحل الدراسة مرحلة مرحلة، ويستوفی الدراسة فيها. ۳ ـ أن يكون محافظاً على الزّی الرسمی للطلبة عندما كان فی الدراسة، وللزّی الرسمی للعزّابة عندما يدخل الحلقة . ۴ ـ أن يكون أديباً كيّساً فطناً، ذا لباقة ومهارة فی تصريف الأُمور. ۵ ـ أن يكون محبّاً للدراسة راغباً فيها، مواصلا للتعلّم والتعليم. ۶ ـ أن لاتكون له مشاغل دنيوية كثيرة تحمله على كثرة التردّد على الأسواق، والاختلاط بالعامّة والسَوَقة، اختلاطاً يزری بمقامه، ويذهب بهيبته . ۷ ـ أن يغسل جسده بماء ويغسل قلبه بماء و سدر، وهذه عبارة اصطلاحية، يقصد منها أن يكون الإنسان نظيف اليد، والبطن، والعين من أموال الناس، وأن يكون نظيف القلب من جميع أمراض القلوب، أی أن يكون طاهر الباطن والظاهر. وقد شرح أبو عمار عبد الكافی هذه العبارة، بقوله: «أمّا الجسد فيغسله من الدنس فی الناس، وأمّا القلب فيغسله من الغش والتكّبر وما أشبه ذلك ممّا يوجب حبط العمل» والعبارة كماترى فی غاية الدقّة، وهی تحتمل أكثر ممّا أشرت إليه وأشار إليه العلاّمة أبو عمار فتأمّلها، فكلّما تأمّلتها وجدت فيها (۲۹۵)

معنى جديداً.... ولقد شدّد المشايخ فی تنظيف المؤمن لقلبه، لأنّ أدران القلوب أشدّ قذارة من أدران الأبدان، ولذلك أوجبوا عليه أن يغسل جسده بالماء، وأن يغسل قلبه بماء وسدر، وهی كناية تفيد الحرص الشديد على نظافة الباطن أكثر من نظافة الظاهر، فإنّ من طهرت سريرته حسنت سيرته، واستقامت أُموره، وكثرت محاسبته لنفسه، ورعايته لسلوكه، وفی ذلك النجاح . واجبات الحلقة: على هيئة العزّابة واجبات أكيدة هی مسؤولة عنها باعتبارها هيئة، وتتلخّص هذه الواجبات فيما يلی: ۱ ـ الاشراف على التعليم وتهيئة الوسائل لذلك، وتيسير السبل أمام جميع الأطفال لينالوا قسطاً من الدراسة، ويتعلّموا جزءاً من القرآن الكريم وما يعرفون به أُمور دينهم، وهذا أقل ما يمكن أن يتاح للطفل، فإذا كانت أُسرة الطفل فقيرة بحيث لاتستغنی عن مجهوده الضعيف، أو ليس لها ما تموّنه به أوقات الدراسة، وجب أن تقدّم له مساعدة، وذلك بالانفاق عليه. ۲ ـ مراعاة الحالة الاجتماعية للناس، وتيسير سبل الحياة للفقير والضعيف وايجاد العمل للجميع، وذلك بمطالبة الأغنياء وأصحاب اليسار أن يستعينوا بالفقراء فی انجاز أعمالهم مقابل أُجور، كثيراً ما يعيّنها أعضاء العزّابة . ۳ ـ حلّ المشاكل التی تنجم بين الناس، والفصل فی قضاياهم، والحكم بينهم فی خصوماتهم وايصال الحقوق إلى أصحابها . ۴ ـ الاشراف على أوقاف المساجد، وعلى ميزانية الحلقة أو ضبط الصادر والوارد، وانفاق جميع ذلك فی وجوهه، والعمل على تنمية الأوقاف الثابتة، واصلاحها، واستغلالها أحسن استغلال. ۵ ـ حفظ الأسواق ومراقبتها من أن تقع فيها معاملات لايبيحها الشرع، أو (۲۹۶)

أن ترد إليها أموال مسترابة أو مشبوهة. ۶ ـ تنظيم الحراسة البلدية على أموال الناس من زراعة وماشية حتى لاتصل إليها أيدی الغارة والسرقة والاضرار . ۷ ـ الحكم على العصاة والمجرمين وتأديبهم، واعلان البراءة منهم، وقطع التعامل معهم حتى يتوبوا ويرجعوا إلى الله . ۸ ـ القيام بالعلاقات الخارجية وتنظيمها، سواء كانت علاقات حرب أو سلام. هذه بعض المهام التی تناط بمجلس العزّابة باعتباره هيئة

مسؤولـة عن المجتمع أمام الله وأمام الناس، وعلى الهيئـة أن توزّع الأعمال على الأعضاء حسب الكفاءة والمقـدرة، والذی يقوم بذلک إنّما هو الشيخ بعد اتّفاق الحلقة. أين تنشأ حلق العزّابة: تنشأ حلق العزّابة فی کل بلد أو قرية، وحلقة العزّابة هم الذين يشرفون علی اُمور البلـد أو القريـة الخاصّـة، فإذا کان هنالک أمر هام، أو حـدث أکبر من مسـتوی القريـة أو البلـد رفع إلی المجلس الأعلی للعزّابة الذی يرأسه الشيـخ الأـکبر، أو حـاکم الجبـل حسبما کـان فی جبل نفوسـة، وذلک کمسائل ايقاع الحـدود، وما يتعلّق بالأمن العام، وما إلی ذلک من المشاکل التی تکون أکبر من المسـتوی المحلّی للقريـة، والهيئـة الکبری للعزّابـة أو الهيئـة العامـة لهم هی الهيئة التی يرأسـها الشيـخ الأکبر، ولابـدّ أن يکون شـيخاً للعزّابـة فی بلـده ويقوم مقام الإمام فی أزمنـة الکتمان، أمّا أعضاء العزّابة الذين يکونون معه فهم المسـتشارون، ويکونون من شـيوخ حلق العزّابة فی بلدانهم. ومقرّهم هو مرکز البلاد وعاصـمتها، ولهم مع الشيخ اجتماعات دورية، مرة فی کلّ ثلاثة أشـهر، ومتی دعت الحاجة. وأحکام هذا المجلس نافذة علی جميع البلاد، وکل الحلق خاضع مادّياً وأدبيّاً لهذا المجلس، ويعتبر السلطة الحقيقية للمجتمع (۲۹۷)

الاباضـی، أمّا بقيـة الحلق فهی مساعـدة له، منفّذة لأعماله، ويجب علی الشـيخ الأکبر للعزّابة ان يکون مقر حکمه فی مرکز البلاد، فإذا اختار السـکن فی غير ذلک المکان فعليه أن يباشـر الأحکام فی مرکز الحکم لا فی محل السـکن کما کان يفعل أبو هارون موسی بن هـارون، وأبو عبـدالله بن جلـداسن اللالـوتی، وأبو يحيی الارّجانی، وغيرهم. إنّ شـيخ العزّابـة فی المجتمع الاباضـی يمثّل سـلطة الإمام العادل، ويقوم بجميع مهامه فی النطاق الذی تسمح به ظروف الحياة فی زمن کل واحد منهم. وهو مقيّد بمجلس الشوری الذی لايحق له أن يصدر رأياً قبل موافقته، اللّهمّ إلاّ فی الأحکام الثابتة فی الدين الإسـلامی، وله أن يسـتعين بشخص يقوم له مقام المفتی، والقصد من هـذا المفتی هو تحرير نصوص الحکم المسـتمدّة من الشـرع الشـريف، أو المساعـدة علی ترجيح الأقوال فی المسائل الخلافية التی تتعدّد فيها وجهات أنظار الفقهاء. وليس المقصود من وجود المفتی أن يبصـر الشـيخ باحکام لا يعرفها، لأنّ شيخ العزّابة يشترط فيه أن يکون من أعلم المشايخ، إذا لم يکن أعلمهم. وفی الاجتماعات الدورية التی تعقد فی ثلاثة أشـهر، أو فی سـتّة أشـهر، يحضـر ممثّلون عن جميع حلق العزّابـة، ويسـتعرضون مـا لـديهم من مشاکـل، ويـدرسون معـاً وضع المجتمع، ويتّخـذون فی ذلـک القرارات اللازمـة، يرسـمون خطط السـير فی المسـتقبل، علی أنّه يحق لکل حلقـة أن تتّصل بالمجلس الأعلی وتـدعوه للانعقاد إذا کانت هنالک أسـباب تـدعو إلی ذلک، کما أنّ لها الحق أن تعرض مشاکلها الخاصة علی الشـيخ الأکبر، وتقتبس منه الرأی والنصـيحة. ويمثّل کلّ حلقة من حلق العزّابة شيخها وبعض مستشاريه، إلاّ فی أحوال الضرورة التی يتعذّر فيها عليه أن يقوم بهذه المهمّة. (۲۹۸) اختيار أعضاء الحلقة: يراعی فی اختيار العزّابـة بالاضافة إلی الشـروط التی يجب أن تتوفّر فی کل شـخص أن يکونوا ممثّلين للقبائل أو الجهات التی يشـتمل عليها البلد، ولايشترط تساوی العدد، کما أنّه إذا لم يوجد فی قبيلة ما ، من تتوفّر فيه الشـروط الشخصـية اُخذ من غيرها، وعندما يحتاج العزّابة إلی اضافة عضو جديد إلی الحلقة يأخذونه عن أحد طريقين: إمّا أن يطلبوا من القبيلة التی يراد أخذ العضو منها أن ترشّح عدداً ممّـن تتـوفّر فيهم شـروط العضويـة والکفـاءات المطلوبـة مع الشـهرة بالصـلاح، والتقـوی، والعفـاف، والنزاهـة، وحب الخير، والايثـار، والتضحية، والعمل للصالح العام، فتختار الهيئة واحداً منهم، وإمّا أن يطلبوا إلی منظمة «إيرْوان» أن يقدّموا إليهم واحداً ممّن يملأ ذلک الفراغ . حين يتعيّن العضو لأن يشـغل مرکزاً فی العزّابـة، يـدعی إلی مقرّهم الرسـمی ويتولّی الشـيخ تعريفه بالسـيرة التی يجب عليه أن يسيرها، وبالأـدب الـذی يلتزمه، ويؤکّـد عليه أن يعرف انّ من أوکـد الواجبـات عليه أن يحافـظ علی آداب الإسـلام، ويتخلّق بأخلاقه الحميدة، من الاستقامة والنزاهة، والعفّة، والانقطاع إلی خدمة الاُمّة، والتزام المسجد، والاعراض عن حظوظ الدنيا إلاّ بمقدار الضرورة، والاجتهـاد فی العبـادة، والتواضع للمؤمنين، والغلظـة علی العصـاة والمجرمين، وأن يکون قـدوة حسـنة للنـاس فی قوله وفی عمله، وأن يتحرّی فی رزقه التحرّی الکامـل، ويختار له أن يکون مجال احترافه الزراعـة، لأنّ التجارة تسـبّب له احتکاکاً مباشـراً بالناس، فيغلب أن لايسـلم منها بالحق أو بالباطل، وهم يلخّصون هـذا الموقف فی عبارة مشـهورة متداولة هی: «أن لايکون فی مسـجده، أو حقله أو بيته» وبعد أن يعرّف بجميع ما يترتّب عليه من حقوق وواجبات، وما يلقی عليه من مهام ومسؤوليات، يطلب (۲۹۹)

إليه أن يعلن عن قبوله أو رفضه، فإذا أعلن قبوله ـ وهـذا ما يحـدث فعلا ـ اُسـندت إليه المهامّ العمليـة، كأن يقوم بالتـدريس أو وكالة المسجد، أو الاشتراك فى الاشراف على حقوق الموتى، ثمّ اعلم انّه يعتبر أصغر العزّابة، ولو كان أكبر من بعضهم سنّاً، وعليه أن يتولّى خـدمتهم، ويطلب إلى سـلفه ـ أى العزّابى الـذى كان أصـغرهم قبل هذا العضو الجديد ـ أن يبقى معه ثلاثة أيّام، يدرّبه فيها على آداب خدمـة العزّابـة، لأنّه يعتبر رئيسه المباشـر، وعنـدما يجلس العزّابـة يتحتّم أن يكون مجلسه بعـده... وترتيب مجـالس العزّابـة ضرورى، فلا يجوز للمتأخّر أن يسبق المتقـدّم، والعزّابى يعتبر رئيساً فى أى مكان يوجـد فيه، وله وحـده حق افتتاح الكلام فى المجالس العامّـة، وكـذلك اختتـامه، وادارة المناقشـات، ومـا إلى ذلـك، فلا يجوز لتلميـذ أو عـامى أن يتولّى شـيئاً من ذلـك إلّا بإذنه. عقوبـة العزّابى: المطلوب من العزّابى أن يكون قـدوة ومثلا ـ للاسـتقامة، ولـذلك فـإنّ ما يعتبر من غير أخطاء صـغيرة يعتبر منه أخطاء كبيرة يجب عليه الاحتراس منها، والابتعاد عنها، وهـذا حتى فى مكارم الأخلاق، ومعاملـة الناس، فإذا قـدّر عليه فأخطأ، نظر مجلس العزّابة فى موضوعه: فإن كان الخطأ كبيراً يتّصل بمعصيـة الله، ويسـىء إلى سـمعة العزّابـة، أو يلحق إهانـة بالمسـجد أو اسـتخفافاً بالحق، أو ما أشـبه ذلك، وجب عليهم أن يحكموا عليه بالبراءة على الأشـهاد، كما يقع بالنسـبة لغيره من الناس، ولا يرفع عنه حكم البراءة حتى يتوب علناً، وليس له بعد ذلك حق الرجوع إلى مجلس العزّابة أبداً، فإنّ من اُخرج من هذا المجلس بطريق البراءة لا يحق له دخوله مرّة (٣٠٠)

ثانيـة، وإن تاب ونصـحت توبته، ويبقى كسائر المسـلمين له حقوقهم وعليه واجباتهم. أمّا إذا كان الخطأ صـغيراً لا يقتضـى التوبة، فإنّهم يعقـدون له مجلس تـأديب سرّى، وقـد يحكمون عليه بالابعاد عن مجلس العزّابـة لمـدة طويلـة أو قصـيرة حسب الخطأ الـذى ارتكبه، وستروا عليه ذلك عن الناس. وبسبب هذا الحكم كان العزّابة من أشد المحافظين على الإسـلام وآدابه، وقد لخّص أحد المشايخ هذه السيرة فى عبـارة لطيفـة فقال: «إنّ متولّى الناس مثل اللبن يغّيره أى شـىء يقع عليه» . كيف تكون نظام العزّابـة: فى أواخر القرن الثالث الهجرى وقعت حادثتـان كبيرتـان، وكـان لهمـا أثر كبير على الاباضـية، فى ليبيا و تونس والجزائر: الاُولى: الحرب الطاحنـة بين الأغالبة والاباضـية فى قصـر مانو، وقد تلقّى فيها الاباضية ضربة عنيفة من يد الطاغية أحمد بن الأغلب. أمّا الثانية: فهى تغّلب الشيعة على الدولة الرسـتمية فى الجزائر، وقضائهم على هـذه الدولـة. وإذا كانت كلتا الدولتين الأغلبية والشـيعية لا تتبعان أحكام الإسـلام، ولا تعملان بها، فقد فكّر علماء الاباضـية فى جعل نظام يسـيرون عليه، يحفظون به أحكام الله فى مواطنهم، ويسيّرون به الاُمّة فى الوجهة الصالحة، دون أن يلتجئوا إلى اعلان دولـة جديـدة، أو يتعلّقوا بدولـة ظالمة مستبدّة. فاهتدوا إلى وضع هذا النظام، وقد كان فى أوّل الأمر عرفاً يسـير عليه الناس، حتى جاء الإمام الكبير أبو عبدالله محمد بن بكر فى أواخر القرن الرابع، (٣٠١)

فحرّره على شـكل قـانون يشـتمل على مواد، ثمّ طبّقه تطبيقـاً كاملا ـ فى مواطن الاباضـية، فى ليبيا، ثمّ فى تونس، ثمّ فى الجزائر، حيث لا يزال يطبّق بدقّة، وعلى هـذا الأساس اعتبر المؤرّخون أنّ الإمام أبا عبـدالله هو واضع نظام العزّابة، والحق أنّه يعتبر واضـعاً لهذا النظام، فلولاه لما وصل إلينا على تلك الطريقة المنسّـقة، وقد جاء بعد أبى عبدالله عدد من العلماء الكبار عنوا بدراسة هذا النظام عناية خاصّة، وأضافوا إليه بعض المواد، وأطلق عليه بعضهم لفظ «سيرة العزّابة» ومن العلماء الذين عنوا به، وكتبوا عنه: أبو زكريا يحيى بن بكر، وأبو عمّار عبدالكافى، وأبو الربيع سـليمان بن يخلف المزاتى، وقد حرص المتأخّرون منهم أن يضـيفوا إليه جملا فى آداب العالم والمتعلّم، وآداب حلقـة العزّابـة وما يجب أن تتنزّه عنه. والـذى يدرس هذا النظام كما شـرحه اُولئك الأئمّة الأعلام يخرج بقانون فذّ لنظم التربية والتعليم من جهة، وللسيـرة الصالحة التى يجب أن يسـير عليها المسلمون، فتحفظ عليهم خلقهم ودينهم، عندما تسيطر عليهم دول البغى والعدوان. هذا ملخّص يسير مختصـر عن نظام العزّابة الذى بقى يسير به الاباضـية فى المغرب الإسـلامى مُدّة طويلة . وقد ارتفع حكم العزّابـة من مواطن الاباضـية، فى ليبيا وتونس فى القرن الأخير، ومنـذ ارتفع نظام العزّابـة فى هذه المواطن تسـرّب الفساد إلى المجتمع، ولن يسـتطيع الاباضـية أن يعـودوا إلى مـا كـانوا عليه من دين وخلق واسـتقامة مـالم يعودوا إلى الاسـتمساك بـدين الله واللـياذ به، وانّ المسلمين جميعاً ما اُصيبوا به إلّا لانحرافهم عن دين الله، وخروجهم عن منهاجه. ولن يصلح آخر هذه الاُمّة إلّا بما صلح به أوّلها. ***

(٣٠٢) نصيحة للاباضية أظن أنّ العالم الاباضى إذا قرأ فصول هذا الجزء لا يرمينا بالبخس لحقّه، والتجاهل لمذهبه، والتساهل فى نقل

عقائده بعدم الرجوع إلى المصادر الأصيلة لهم، كما اتّهم به غيرنا من كتّاب المقالات (۱) . وذلک لأنّا كما رجعنا إلى كتب المخالفين رجعنا إلى مصادرهم أيضاً، ولنا هنا موقف خاص و هو موقف الناصح الشفيق لاخوانه فى الدين، لايريد من القاء هذا النصح سوى وجه الله ـ تبارک و تعالى ـ ودعم وحدة الاُمّة وقطع جذور الاختلاف بقدر الامكان. إنّ كتّاب الاباضية اليوم وأمس خرجوا بهذه النتيجة أنّه لافرق بينهم وبين جميع فرق المسلمين إلاّ فى أمرين: ۱ ـ تخطئة التحكيم. ۲ ـ نفى لزوم القرشيّة فى الإمام.

---

۱. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الإسلامية ۱/۱۹ ـ ۲۰ . (۳۰۳) وأمّا سائرالاُصول التى يعتقدون بها فهم يلتقون فيها مع بعض الفرق الإسلامية، مثلا يلتقون فى القول بعدم زيادة صفاته على ذاته، وامتناع رؤية الله سبحانه فى الآخرة، وتنزيهه سبحانه عن وصمة التشبيه بتأويل الصفات الخبرية تأويلا تؤيّده قواعد الأدب والمحاورة وحدوث القرآن، ففى هذه الاُصول يلتقون مع المعتزلة والشيعة الإمامية، وفى تفسير الشفاعة بمعنى ترفيع الدرجة، أو سرعة الدخول إلى الجنّة وخلود أهل المعاصى فى النار يلتقون مع المعتزلة، وفى تفسير القدر و كون أفعال الانسان مخلوقة لله سبحانه فهو خالق و العبد كاسب يلتقون مع الأشاعرة (۱) . إذا سلّمنا أنّ هذه الاُصول من عقائدهم وسلّمنا أنّ ما كتبه كتّاب الفرق ورموهم به فرية بلامرية، نرى أنّ من الواجب أن تقوم الطائفة الاباضية بالاُمور التالية حتى يدعم الوئام ويملأ الفراغ وتصبح الاُمّة يداً واحدة، وهى: ۱ ـ إنّ الإيمان بصحّة كل ما يكتبونه عن منهجهم ويفسّرون به عقائدهم مشكلٌ جدّاً لما وافاک من أنّ لهم فى تبيين الدين مسالک أربعة ومن بين تلک المسالک: «الكتمان والسر» فعندئذ انّه من المحتمل أن تكون كل هذه المناشير مستقاة من هذا المبدأ وأنّها دعايات برّرتها التقيّة، وسوّغتها المصالح الزمنيّة. فلأجل استقطاب قلوب الناس، حان حين الشطب على هذه المسالک فى تبيين الدين، خصوصاً انّ القوم يعيشون فى عصر الحريّة، وعندئذ لامبرّر لهم للتقّية لأنّ التقيّة شأن من يخفى عقيدته من مخالفه، ويخاف من ابداء موقفه من الهجوم والقتل والضرب، وأنتم بحمدالله أيّها الاباضيّون ملتقون مع الفرق الإسلامية فى جميع المسائل إلاّ مسألتين غير هامّتين، فأجهروا بالحقيقة واشطبوا على هذه المسالک واتّخذوا مسلكاً واحداً . ________________

۱. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الإسلامية ۱/۲۸۹ ـ ۲۹۷ . (۳۰۴) ۲ ـ إذا كان الحدّ الفاصل بينكم وبين سائر المسلمين هو الأمران المذكوران، فمن الجدير شطب القلم على هذين الأمرين ايضاً: أمّا مسألة القرشية فلو كان شرطاً فإنّما هو شرط فى الخلافة الإسلامية والإمامة الدينية، وأين المسلمون من هذه المنى؟ وأين هم به من إقامة صرح الإمامة، وهم يعيشون فى سحيق القومية البغيضة النامية فى أقوام المسلمين، والعجب انّ الشيخ على يحيى معمّر قد تنّبه بما ذكرنا، وقال: «والآن قد ألغت الحياة بعض تلک الاعتبارات التى أدخلتها السياسة على الموضوع، واتّضح للناس جميعاً انّ الصراع الذى وقع بسبب اشتراط الوصية، أو الهاشمية أو القرشية، أو العروبة أو اعتبار الإمام معصوماً، أو لايجوز اسقاطه ولو كان منحرفاً، كل هذه الجوانب التى كان الخلاف بسببها بين فرق الاُمّة ثبت اليوم أنه صراع على تفصيلات لاتدخل فى أصل الموضوع» (۱). إنّ فيما ذكره و إن كان إغراقاً حيث انّ البحث عن الوصاية ليس بالمرتبة التى تخيّلها، لأنّه كان يجب على المسلمين بعد رحلة النبى أن يبحثوا عن كيفيّة الاستخلاف وانّه هل هو أوصى برجل أو أدلى الأمر إلى الاُمّة، ولكن وراء ذلک كلّه مشاغبات حدثت بين المسلمين، لاتمت إلى الإسلام بصلة، فإذا كان شرط القرشية وعدمها هذا فما هو المبرّر لجعله أصلا دينياً. أما مسألة التحكيم، فقد عرفت الحقّ فيه، ولكنّه ليس أصلا من اُصول الدين يناط به الإسلام و الإيمان وقد عاش المسلمون فى عصر النبى وبعده إلى أواسط خلافة الإمام على ـ عليه السَّلام ـ ولم تكن هذه المسألة مطروحة. أفهل يصحّ أن نتّخذه شعاراً وأصلا أصيلا من الاُصول كالتوحيد، والنبوّة، والمعاد، وما جاء به النبى فى مجال المعاش والحياة؟ ________________

۱. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الإسلامية ۲/۱۵۰ . (۳۰۵) إنّ مسألة التحكيم مسألة تاريخية اختلف فيها الناس من حيث التصويب والتخطئة، فإذا لم تكن الإمامة عند أهل السنّة، أصلا من الاُصول فكيف يكون فرعه اصلا منها؟ وأقصى ما عند أهل السنّة قوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» وهو لايدل على أزيد من لزوم معرفة الإمام

الحى، فالاعتقاد بوصف فعل الإمام (صحّة التحكيم وعدمه) الذى مضى قبل أربعة عشر قرناً لايكون أصلا من الاُصول حتى تلزم الاُمّة بالاعتقاد بأحد الطرفين. نعم إنّ ذلك لايمنع عن طرح الموضوع على بساط البحث بين العلماء وبين المدارس والصفوف العلمية من دون أن يكون تحيّز كل فئة فى المسألة سبباً للتفرقة. ۳ ـ إنّ الاباضية يثنون على المحكّمة الاُولى كعبدالله بن وهب، وحرقوص بن زهير السعدى، وزيد بن الحصين الطائى، ومن لفّ لفّهم من المحكّمة الاُولى ولايذكرون عنهم شيئاً سوى أنّهم خالفوا التحكيم، وانّ عليّاً حكّم الرجال فى موضوع له حكم فى الكتاب والسنّة وهو قتال أهل البغى... يذكرون ذلك ويطرون عليهم ولايذكرون من عملهم الإجرامى شيئاً وهو أنّ هؤلاء هم الذين فرضوا التحكيم على الإمام، وانّ زيد بن الحصين الطائى جاء مع زهاء عشرين ألف رجل مقّنعين فى الحديد ونادوا الإمام باسمه لابإمرة المؤمنين، وقالوا له: لابد من الموافقة على وضع الحرب، وإلّا نقتلك كما قتلنا عثمان، فاضطرّ الإمام إلى التنازل والموافقة بعد ما خالفهم واحتجّ عليهم بأنّ رفع المصاحف خدعة ومكيدة، وانّه يعرف هؤلاء وانّهم كانوا شرّ أطفال فصاروا شرّ رجال . هذا هو زيد بن الحصين الطائى فهو بعد فترة قصيرة أصبح مخالفاً للتحكيم إلى حدّ كان هو المرشَّح الأوّل للخوارج فى قضية سوق المحكّمة إلى النهروان، (۳۰۶)

ولمّا امتنع من قبول القيادة اقترح على حرقوص بن الزهير السعدى، ثمّ على غيره فقبل القيادة فى النهاية عبدالله بن وهب الراسبى(۱). فكيف يتولّون جماعة متسرّعين فى القضاء تسمّونهم أئمّة وشهداء ولاتذكرون من عملهم الاجرامى شيئاً؟! شهد الله انّى لم أر كلمةً فى كتبهم تذكر عملهم الإجرامى فى أمر التحكيم. ۴ - إنّ الاباضية وصلت فى ضوء الاجتهاد المطلق مرتبة جديرة بالذكر وآية ذلك انّهم التقوا فى مسألة الرؤية، وعينيّة الصفات، وحدوث القرآن، وتفسير الصفات الخبرية، مع أهل الوعى والعقل والتفكير من المسلمين، ولاشكّ إنّهم وصلوا إلى هذه الاُصول بعد موت عبدالله بن اباض، وجابر بن زيد، ومسلم بن أبى كريمة، والربيع بن حبيب، لأنّ هذه الاُصول إنّما صفت وتنوّرت وتلألأت بفضل البحوث الجبّارة من أهل الفكر و التحقيق و من فضل ماورث علماء أهل البيت من خطب الإمام أمير المؤمنين على ـ عليه السَّلام ـ حتى صقلوها ببراهينهم الجليّة، فإذا كان هذا حال مذهبهم فلأى مبرّر يسندون مذهبهم إلى واحد من التابعين كعبدالله بن اباض وجابر بن زيد وتلاميذه؟ مع أنّهم لم يكونوا بالنسبة إلى هذه المسائل فى حلّ ولامرتحل. أضف إلى ذلك أنّ الرجلين كانا من التابعين أخذوا عن الصحابة وبلغوا إلى ما بلغوا من العلم، ولكن بين علماء الاُمّة من كان أعلم منهما أعنى اُستاذه ابن عباس، ذلك البحر المواّج ـ حسب تعابير القوم ـ بل وبينهم الإمامان الحسن و الحسين، وباقر العلوم، وجعفر الصادق(عليهم السلام) وغيرهم فلوكان هناك ملزم للانتساب، فالانتساب إلى الأعلم والأتقى ومن نصّ الكتاب على وجوب ودّه، أولى وألزم، فإن كان هذا الانتماء غير ممكن فالانتماء إلى ــــــــــــــ

۱. الطبرى: التاريخ ۴/۵ . (۳۰۷)

جميع الصحابة والتابعين بلا رفع واحد و خفض آخر، أولى وأحق . ۵ ـ إذا كان الكتاب و السنّة هما المصدران الرئيسيان لدى المسلمين ولديكم فنحن نحبّذ لكم دراسة حال حياة الإمام على ـ عليه السَّلام ـ ومناقبه الواردة فى السنّة النبوية، ولعلّكم عند ذلك سترجعون عن ولاء المحكّمة الاُولى، وتخطّئون منهجهم وأعمالهم. هذه أمنيتى واُمنية كل ناصح مشفق، عسى الله أن يجمع كلمة المسلمين ويلمَّ شعثهم، ويجعلهم يداً واحدة قبال المعتدين والمستعمرين، والله رؤوف رحيم. ***

الفصل الحادى عشر مؤسس المذهب الاباضى

الفصل الحادى عشر مؤسس المذهب الاباضى ودعاته فى العصور الاُولى (۳۱۰) (۳۱۱) قد تعرّفت على عقائد الاباضية وشيئاً من اُصولهم وفقههم وسيرتهم والمسالك الأربعة عندهم، فحان التعرّف على أئمّتهم و دعاتهم فى القرون الاُولى، خصوصاً أنّ الاباضية هى الفرقة الوحيدة الباقية من الخوارج المنتشرة فى مناطق مختلفة أعنى عمان، الجزائر، تونس، ليبيا، مصر، المغرب وزنجبار. ۱ ـ عبدالله بن اباض، مؤسّس المذهب: هو عبدالله بن اباض المقاعسى، المرى، التميمى ـ من بنى مرّة ـ ابن عبيد ابن مقاعس من دعاة الاباضية بل

هو مؤسّس المذهب. قد اشتهرت هذه الفرقة بالاباضية من أوّل يوم، وهذا يدل على أنّه كان لعبدالله بن اباض دور فی نشوء هذه الفرقة وازدهارها، وإن كانت الفرقة يطلقون على أنفسهم أسماء أُخرى يشترك فيها سائر المسلمين كأهل الإسلام وأهل الحق أو جماعة المسلمين، وغير ذلك، غير أنّ هذه الأسماء لم تكن وافية بالتعرّف عليهم بل كان المعرّف لهم عنوانين: ۱ ـ القعدة ۲ ـ الاباضية. كل ذلك يشرف الإنسان على الاطمئنان بأنّ لابن اباض تأثيراً هامّاً فی (۳۱۲)

نشوء هذه الفرقة، وإليك البيان: ظهور خط الاعتدال بعد مقتل الإمام: قد عرفت أنّ عليّاً ـ عليه السَّلام ـ قد قضی على الخوارج الذين كانوا يثيرون الشغب، ويستعرضون الناس بالسيف، فلمّا مضی علی ـ عليه السَّلام ـ وضع معاوية بن أبی سفيان السيف فی الخوارج واستأصل شأفتهم لما كانوا يرتكبون من الأعمال الإجرامية التی عبّر عنها علی ـ عليه السَّلام ـ فی خطبة له: «كلّا والله إنّهم نطف فی أصلاب الرجال وقرارات النساء. كلّما نجم منهم قرن قطع، حتى يكون آخرهم لصوصاً سلّابين»(۱) . وقال ـ عليه السَّلام ـ مخطاباً لهم: «أما إنّكم ستلقون بعدی ذلّاً شاملا، وسيفاً قاطعاً، وأثرة يتّخذها الظالمون فيكم سنّة»(۲) . ففی هذه الظروف القاسية وجد بينهم رجل يملك شيئاً من العقل ورأی أنّ تلك الأعمال الإجراميّة تسقطهم عن العيون ولا تُبْلِغُهم إلی الهدف، وهو «أبو بلال مرداس بن حدير» ونقطة البداية فی دعوة أبی بلال كانت هی انكار مسلك العنف وما يذهبون إليه من قتل المخالفين واستعراض الناس، فأمر أتباعه أن لا يُجرِّدوا سلاحاً، ولايقاتلوا مسلماً إلاّ إذا تعرّضوا لعدوان، أو واجهوا قتالاً فكان عليهم حمل السلاح دفاعاً عن النفس، وينقل البلاذری عنه قوله: «إنّ تجريد السيف واخافة السبيل لأمر عظيم، ولكنّا نشذّ عنهم ولانجرّد سيفاً ________________

۱. الرضی: نهج البلاغة، الخطبة ۶۰ .

۲. الرضی: نهج البلاغة، الخطبة ۵۸ . (۳۱۳)

ولا نقاتل إلاّ من قاتلنا»(۱) . ويؤيّد الكاتب انّ خط الاعتدال، ظهر بعد مقتل الإمام علی ـ عليه السَّلام ـ بقوله: «إنّ هذا المسلك (التطرّف) منهم، دعا بعض من كانوا يوازرونهم، إلی مخالفتهم، والافتراق عنهم، بل وتوجيه شديد النقد عليهم،...هذا البعض ـ الذی تشدّد بعد أن كانوا لهم مؤيّدين ـ بدا لهم رأی غير الذی ارتأوه جميعاً ورأوا أنّ عليّاً وإن أخطأ فی قبول التحكيم، وإن لم ينزل عند طلبهم عليه التوبة ممّا فعل، وكذلك سائر أهل القبلة الذين مازالوا على الشهادتين، إنّما هم مسلمون لايجوز قتالهم، ولاسبی نسائهم، وليست أموالهم غنيمة، وانّ قتالهم لايكون إلاّ فی حالة بغی وعدوان منهم، فهنا يجب القتال بمقدار مايلزم لدفع العدوان وردّ البغی (۲) . ويقول: إنّ المحكّمة بعد واقعة النهروان افتقدوا وحدة الصف، وشاعت فيهم الفرقة، وساد الاضطراب، ممّا دفع بعضهم إلی الغلو فی التطرّف، وتنكُّبِ الطريق السوی، ووجد بينهم من استنكره ولم يجد بداً من الافتراق عن هؤلاء الذين عرفوا بالخوارج، إيماناً منهم بأنّ طريق الاستعراض بالسيف، ليس هو طريق الإسلام، وقد كان على رأس هؤلاء - الذين عرفوا بالقعدة ـ أبو بلال مرداس ومن خلفه من الدعاة الذين عرفوا فيما بعد بالاباضية(۳). وقد تأثّرت عدّة من الخوارج بهذه الفكرة واستفحلت دعوة أبی بلال، وظهرت معالمها، غير أنّ بنی أُميّة لم يكونوا يرضون بوجود قدرة ماثلة أمامهم، ________________

۱. صالح بن أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زيد العمانی: ۱۳۸ وما نقله عن البلاذری مذكور فی الأنساب ۵/۹۴ .

۲. صالح بن أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زيد العمانی: ۱۰۵ و ۱۳۱ ـ ۱۳۲ .

۳. نفس المصدر . (۳۱۴)

فلأجل ذلك استعمل ابن زياد (والی البصرة) بعد موت أبيه زياد بن أبيه، الشدّة والقسوة على جميع المحكِّمة متطرّفيهم ومعتدليهم، فقتل أبابلال مرداس بن حدير فی منطقة نائية عن البصرة(۱)كما قتل أخاه عروة بن اديه(۲) فی البصرة فقطّع أيديه ثمّ صلبه. ففی البصرة اتّبع عمّال الأمويين سياسة البطش والتعذيب والنفی والقتل ضدّ معارضيهم بصفة عامّة، ولم يستثنوا من هذه السياسة جماعة القعدة، ورغم انّ هذه الجماعة لم تأخذ بأسلوب الخوارج فی التطرّف والعدوان، وترويع الآمنين، ورفع السيف فی وجه الدولة، إلاّ أنّ عمّال بنی أُميّة فی بلاد العراق، شدّدوا عليها خوفاً من دعوتها التی كانت تستسری بين الناس، وتحاشياً للشرّ قبل وقوعه، وقمعاً للنفاق

قبل أن ينجم. وازاء هذا الإضطهاد لجأت القعدة إلى السرِّية والكتمان، وظلّوا على هذا الأمر(إلّا فى فترة ثورة ابن الزبير) حتى جاء عصر الحجاج بن يوسف الذى قام بدوره فى اضطهاة من ينكشف لديه أمره(۳) . وبعد ما ثار عبدالله بن الزبير على عمّال يزيد، ودانت له الحجاز والعراق، فعند ذلك اجتمعت الخوارج وعلى رأسهم نافع بن الأزرق وعبدالله بن صفّار وعبدالله بن اباض، فزعموا أنّه ربّما يوجد عنده أُمنيتهم، ولكن بعدما وقفوا على عقائده فى حق عثمان وأصحاب الجمل تفرّقوا عنه، وغادروا مكّة المكرّمة فمنهم من ذهب إلى البصرة ومنهم من ذهب إلى حضرموت. وفى هذه اللحظة الحسّاسة بدأ الخلاف بين ابن الأزرق وعبدالله بن اباض

۱. قتل أوائل خلافة «يزيد» فى منطقة «آسك» قريبة من الأهواز عام ۶۰ .

۲. وهو الذى سلّ السيف على الأشعث بعد عقد التحكيم كما عرفت تفصيله.

۳. الدكتور رجب محمّد عبدالحليم: الاباضية فى مصر والمغرب: ۳۲ ـ ۳۳ . (۳۱۵)

فاختار الأُوّل الخروج وسلّ السيف، وقتل المخالفين وسبى النساء وأنكر الثانى هذا التطرّف، كل ذلك حوالى عام ۶۴ إلى ۶۵ من الهجرة، فقتل الأوّل بسبب تطرّفه فى ناحية الأهواز وبقى الثانى يعيش فى ظل الاعتدال والتقيّة. كل ذلك يعرب عن أنّ عبدالله بن اباض كان فى تلك الفترة رجلا كاملا لايقلّ عمره عن عمر الدعاة الذين يقودون أُمّة ويتأمّرون عليهم، ولعلّه كان فى تلك الأيام من أبناء الأربعين لو لم يكن أكثر، فعلى ذلك نخرج بهذه النتيجة انّه كان من مواليد سنة ۲۴ من الهجرة فيكون أصغر بسنتين من جابر بن زيد على رواية أو ستّ سنوات على رواية أُخرى . هذا من جانب، ومن جانب آخر نرى أنّه يخاطب عبدالملك بن مروان فى رسالة إليه بقوله: «فلا ـ تسأل عن معاوية ولاعن عمله ولا عن صنعته غير انّا قد أدركناه ورأينا عمله وسيرته فى الناس، ولا نعلم أحداً اترك للقسمة التى قسم الله، ولالحكم حكمه الله، ولا أسفك لدم حرام منه»(۱) . كل ذلك يعرب عن أنّ عبدالله بن اباض كان رجلا كاملا وداعياً قويّاً إلى خط الاعتدال وكان هو الناطق باسم هذه الجماعة، فنسب المذهب إليه لأجل ذلك ،فكونه هو المؤسّس للمذهب أو الداعى القوى إلى خط الاعتدال الذى أسّسه أبو بلال هو الأقوى بالنظر إلى النصوص التاريخية، والناظر إلى رسالته التى كتبها إلى عبدالملك بن مروان يجده مناظراً قويّاً ينقض دليل خصمه بحجّة أقوى من حجّته، ونذكر منه نموذجاً: احتجّ عبدالملك على صلاح معاوية بقوله: «إنّ الله قام معه وعجّل نصره وبلّج حجّته وأظهره على عدوّه بالطلب لدم عثمان....» فأجابه فى ذلك

۱. الحارثى: العقود الفضية: ۱۲۲ كما فى «الإمام جابر بن زيد» وسيوافيك نصّ الرسالة برمّتها عن مصدر آخر. (۳۱۶)

عبدالله بن اباض بقوله: «فإن كنت تعتبر الدين من قبل الدولة والغلبة فى الدنيا فإنّنا لانعتبره من قبل ذلك، فقد ظهر المسلمون على الكافرين لينظر كيف يعملون (۱) وظهر المشركون على المؤمنين ليبلى المؤمنين ويُعلى الكافرين...فلا تعتبر الدين من قبل الدولة...». ولو كان هو الكاتب لتلك الرسالة(۲) ولم تكن مملاة عليه لدّل على احاطته بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية. كل ذلك يؤيّد انّه هو المؤسّس الثانى للمذهب بعد انطماس خط أبى بلال. وبما أنّ فى تلك الرسالة احتجاجات على الطغمة الأمويّة، وفى الوقت نفسه، تعكس الأحوال السائدة فى تلك الأيّام، نأتى بنصّها فى آخر هذا الفصل و هى من المواثيق التاريخية. هذا ما وقفنا عليه بعد الغور فى التاريخ . رأى آخر فى المؤسّس : هناك رأى آخر هو أنّ المؤسّس هو جابر بن زيد التابعى، تلميذ ابن عبّاس وغيره كما سيوافيك، وأنّ عبدالله بن اباض كان ناطقاً عن الجماعة التى كان يرأسها ويقودها ذلك التابعى سرّاً وخفاء . يقول على يحيى معمّر: «وبعد وفاة جابر بن زيد ظهر عبدالله بن اباض بأجلى مظاهر الغيرة الدينية ولقّن أصحابه مبدأ الإقدام فى تقرير الحق، وقمع أهل الجور والظلم،

۱. لعلّه اشارة إلى قوله سبحانه فى حقّ بنى اسرائيل قال: (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) ـ الاعراف ۱۲۹ ـ .

۲. قد نقل البرّادى فى كتاب الجواهر المنتقاة رسالة ابن اباض فى ۱۵۶ ـ ۱۶۷ والكتاب مطبوع بمصر طبعة حجرية، كما نقلها مؤلف

السير والجوابات لبعض أئمة الاباضيّة . (۳۱۷)

المنحرفين عن جادة الصواب، حتى ظهرت هـذه الفرقة الناجية المحقة الصادقة فى أدوارها الوجودية فى حالتى الكتمان والظهور»(۱) . وقال أيضاً: «فقـد كان يحضـر مجلس جابر بن زيد عدد من الطلاب كقتادة، وأيّوب، وابن دينار، وحيّان الأعرج، وأبى المنذر تميم بن حويص، ومنهم من يأخـذ عنه أكثر ممّا يأخـذ من غيره، أو يكاد يختصّ بمجلسه، كأبى عبيـدة بن مسـلم، وضـمام، وأبى نوح الدهان، والربيع بن حبيب، وعبـدالله بن ابـاض، ومن هؤلاء الطلاب من كان يشـتغل أثناء التحصـيل وبعـده بالشؤون العامـة، ومنهم من اشـتغل بالمسائل السياسيـة ومطارحاتها مع حكّام الدولـة الأمويـة فى ميدان الكلمة دون اسـتعمال السـيف كعبدالله بن اباض، ومنهم من جلس للتدريس وأخذ مكان الإمام كأبى عبيدة أبى نوح الدهان وقام بنفس الدور وتخصّص فيه (۲). إنّ ما ذكره بصورة أمر قاطع غير ثابت فى التاريـخ، كيف وأغلب الظن انّ عبـدالله بن ابـاض مـات قبـل جـابر وانّه كان يقود أمر القعـدة فى حياة جابر، وإن كانت الأقوال فى زمـان حياته مختلفـة، فمن قائل إنّه مات عام ۸۰ إلى آخر إنّه مات قرابـة ۸۶، إلى ثـالث بأنّه مات سـنه ۱۰۰ بـالمغرب ودفن فى جبل نفوسه، كمـا أنّه اختلفت الأقوال فى حق جابر وأكثر الأقوال إنّه مات عام ۹۴، ذكر بعض المؤرّخين انّه مـات عام ۱۰۴، فكيف يمكن أن يكون عبـدالله هو القائم بالأمر بعـد وفاة جابر؟ ويظهر تقـدّم قيادة عبدالله بن اباض على جابر، من الدكتور رجب محمّد عبدالحليم: قال: إنّ القعدة أو جماعة المسلمين هم الذين انظمّوا إلى جابر بن ـــــــــــــــــــــــــــ

۱. على يحيى معمّر: الاباضيۀ فى موكب التاريخ، الحلقة الاُولى ۱۵۱ .

۲. الاباضية بين الفرق الاسلاميّة ۲/۱۳۵ ـ ۱۳۶ . (۳۱۸)

زيد، وانضووا تحت قيادته بعد أن انتهى دور عبدالله بن اباض، فبعد أن رأوا مدى القوَّة التى ينعم بها هذا الفقيد الأزدى بسبب مساندة الأزد له، لدرجة انّ الحجّاج المشهور بالبطش والعنف لم يجرأ على قتله عندما عرف صلته بالاباضية واكتفى بنفيه إلى بلدة عمان ولم يلبث أن عـاد منهـا إلى البصـرة مرّة اُخرى، ولم يتعرّض له الحجاج فى كثير أو قليل(۱) . ويقول فى موضع آخر: ولمّـا أحسّ الحجـاج بنشاط جابر بن زيـد الذى تولّى أمر جماعة القعدة بعد عبدالله بن اباض، ألقى به فى السـجن ثم نفاه إلى عمان، ولمّا عاد منها، ألقى به فى السـجن مرّة ثانية، كما سـجن قيادات القعدة الآخرين(۲) . وهناك نظريـة ثالثة وهى أنّ الرجلين كانا متعاصـرين، غير أنّ المصـلحة الزمنية كانت توجب اختفاء جابر وظهور عبدالله بن اباض فى الساحة. يقول الدكتور صالح بن أحمد الصوافى: «لقد آثرت الجماعة أن يظـل أمر جابر مسـتوراً ولعلّ مرجع ذلك مارأوه من عظم الخسارة فيما لو اشـتهر أمر جابر وأخـذوه بالشـدّة، فإنّ ذلك يفقـد الجماعة عقلها المـدبّر وزعيمها الحقيقى، ولقـد بالغ جابر فى التخفّى حتى قـدّم سواه للتحدّث باسم الجماعة ومُناظرة خصومه، وكان عبدالله بن اباض أحـد اُولئك الذين تحدَّثوا كثيراً باسـمهم حتى لقد ظن انّه الزعيم الحقيقى للجماعة فنسـبها الآخرون إليه، وعرفوها بأنّها جماعة الاباضـية مع أنّ عبـدالله بن اباض لم يكن إلاّ واحـداً من أفرادها قـدّمه زعيمها ـ جابر بن زيد ـ للتحدّث عنهم ومناظرة خصومهم»(۳) .

۱. الاباضية فى مصر والمغرب: ۲۰۰ .

۲. الاباضية فى مصر و المغرب: ۳۳.

۳. صالـح بن أحمـد الصوافى: الإمام جابر بن زيد العمانى ۱۵۳ . (۳۱۹) يلاحظ عليه: أنّه مجرد اسـتحسان وتحليل حدسـى لم يقترن بـدليل، وقد عرفت اقتران الرجلين فى الولادة والوفاة وظهور عبدالله بن اباض فى الدعوة أيّام يزيد بن معاوية، ولـم يكن يومذاك اسم من جابر ولاخبر. ثمّ إنّ الكاتب لمّا رأى أنّ المـذهب منتم إلى ابن اباض طيلة قرون، حاول أن يصـحّح وجه النسبة إليه وإنّه كان فرداً واحـداً من القعدة، وذلك بوجهين: ۱ ـ إنّ هذه الجماعة لم تطلق على نفسـها اسم الاباضـية بل كانوا يسـمّون أنفسـهم أهل الدعوة أو جماعة المسـلمين. ۲ ـ إنّ تسـمية الاباضـية إنّمـا أطلقهـا على هـذه الجماعـة مخالفوهم فى فترات تاليـة، وربّما كان الأمويّون كما يرى البعض هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم نسبة إلى عبدالله بن اباض لأنّ الأخير كان من علمائهم وشجعانهم والمناظر باسمهم، كما أنّ

الأمويّين لايريدون نسبة هذه الفرقة إلى جابر حتى لايجذبوا إليه الأنظار، ولايبدو فی حياة جابر المشرقة، فتميل إليهم النفوس، فنسبوهم إلی عبدالله بن اباض وهو أقلّ منزلة من جابر فی العلم و إن كان لايقلّ عنه فی التقوی والورع والصلاح (۱). ولا يخفی ضعف الوجهين: أمّا الأوّل فلأنّ الهدف من التسمية هو التعرّف علی المسمّی، ومن المعلوم أنّ اللفظين المذكورين لفظان عامّان لايكونان مشيرين إليه. وأمّا الثانی: فمجرّد حدس لادليل عليه ، ولم يكن جابر بن زيد من المشاهير والأعلام بين العلماء والمحدّثين حتی تكون التسمية باسمه موجباً للانجذاب، بشهادة انّه ليس لجابر روايات وافرة فی الصحاح والمسانيد. ______________

۱. الدكتور صالح بن أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زيد ۱۶۱ ـ ۱۶۲ نقلا عن تاريخ المغرب الكبير، لمحمّد علی دبوز ۲/۲۹۸ . (۳۲۰) ولعلّ القول الحق ما يذكره الصوافی فی آخر كلامه ويقول: إنّ جماعة الاباضية كانت حريصة علی التخفّی والتستّر ولم تبد كجماعة خارجة، وكان أوّل ظهور لها عندما راح عبدالله بن اباض يتحدّث باسمها ويبعث برسائل إلی الأمير الأموی عبدالله بن مروان، فكان من الطبيعی أن تنسب هذه الجماعة إلی من أبدی للخليفة نفسه علی أنّه صاحب الرأی والكلمة (۱) . أضف إلی ذلك أنّه لم يثبت كون جابر بن زيد من الاباضية، وسيوافيك انّه كان يصلّی خلف الحجاج ويأخذ جوائزه. ۲ ـ جابر بن زيد العمانی الأزدی: وهو الشخصية الثانية التی تتبنّاها الاباضية زعيماً ومؤسّساً لمذهبهم وقد أَطروه فی كتبهم، وقد تعرّفت علی الاختلاف فی ميلاده ووفاته، فهو من رجال النصف الثانی من القرن الأوّل، وقد طلع نجمه فی هذه الفترة، وهو عمانی عاش فی العراق وأمضی أكثر عمره فی البصرة احدی عواصم العراق العلمية، وإليك كلمات أهل الرجال فی حقّه. ۱ - قال أبو حاتم الرازی: جابر بن زيد أبو الشعثاء الأزدی اليحمدی روی عن ابن عباس والحكم بن عمرو وابن عمر، روی عنه عمرو بن دينار وقتادة وعمرو بن هرم. سمعت أبی يقول ذلك. وعن عطاء انّ ابن عباس قال : لو أنّ أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً عن كتاب الله عزّوجلّ، وقال عكرمة: كان ابن عباس يقول: هو أحد العلماء، و عن تميم بن حدير عن الرباب قال: سألت ابن عباس عن شیء، فقال: تسألوننی وفيكم ابن زيد؟

____

۱. الدكتور صالح بن أحمد الصوافی، الإمام جابر بن زيد: ۱۶۲ ـ ۱۶۳ . (۳۲۱) وعن أبی هلال، عن داود، عن عذرة قال: دخلت علی جابر بن زيد، فقلت: إنّ هؤلاء القوم ينتحلونك ـ يعنی الاباضية ـ، قال: أبرأ إلی الله عزّوجلّ من ذلك، وعن يحيی بن معين يقول: أبو الشعثاء جابر بن زيد روی عنه قتادة، بصری، ثقة. وقال أبو زرعة: إنّه بصری أزدی، ثقة(۱). ۲ ـ وقال أبو زكريا النووی بمثل ما قاله الرازی وأضاف: قال أحمد بن حنبل وعمرو بن علی والبخاری: توفّی سنة ثلاث و تسعين، وقال محمّد بن سعد: سنة ثلاث ومائة، وقال الهيثم: سنة أربع ومائة (۲) . ۳ ـ وقال ابن حجر العسقلانی بمثل ما قالا، وأضاف: وقال العجلی: تابعی ثقة، وفی تاريخ البخاری عن جابر بن زيد قال: لقينی ابن عمر فقال: جابر! إنّك من فقهاء أهل البصرة، وقال ابن حبان فی الثقات: كان فقيهاً، ودفن هو وأنس بن مالك فی جمعة واحدة، وكان من أعلم الناس بكتاب الله ، وفی كتاب الزهد لأحمد: لمّا مات جابر بن زيد، قال قتادة: اليوم مات أعلم أهل العراق. وقال اياس بن معاوية: أدركت الناس ومالهم مفت غير جابر بن زيد. وفی تاريخ ابن أبی خيثمة: كان الحسن البصری إذا غزا أفتی الناس جابر بن زيد. وفی الضعفاء للساجی: عن يحيی بن معين: كان جابر اباضياً، وعن عكرمة: صفرياً، وأغرب الأصيلی فقال: هو رجل من أهل البصرة لايعرف، انفرد عن ابن عباس بحديث: «من لم يجد إزاراً فليلبس السراويل» ولايعرف هذا الحديث بالمدينة(۳). ______________

۱. أبو حاتم الرازی: الجرح والتعديل ۲/۴۹۴، رقم ۲۰۳۲ .

۲. أبو زكريا النووی (ت ۶۷۶)، تهذيب الأسماء واللغات ۱/۱۴۲، رقم ۹۸ .

۳. تهذيب التهذيب ۲/۳۴ ،رقم ۶۱ . (۳۲۲) ۴ ـ وقال أيضاً: جابر بن زيد، أبو الشعثاء الأزدی الجوفی (۱) ـ بفتح الجيم وسكون الواو بعدها فاء ـ البصری، مشهور بكنيته، ثقة فقيه، من الثالثة، مات سنة ۹۳، ويقال: ومائة (۲) . ولم يذكره الذهبی فی ميزان الاعتدال ولا ابن حجر فی لسانه، وقال الأوّل فی سير أعلام النبلاء: روی جابر عن ابن عباس، قال: آخی النبی بين الزبير وابن مسعود. وفی موضع

آخر منه روى قتادة، قال: سمعت جابر بن زيد يحدّث عن ابن عباس قال: تقطع الصلاة الحائض(۳) . هذا ما وقفت عليه فى كتب الرجال من أحوال الرجل، وقد قامت الاباضية فى العصور الأخيرة بترجمته ترجمة وافية، وقد اطروه وإليك نبذاً من كلماتهم فى حقّه: كلمات الاباضية فى حقّ جابر: هذه نصوص علماء الرجال من أهل السنّة ولاعتب علينا أن نشير إلى كلمات اتباع الرجل وإن طال بنا المقام. ۱ ـ لم يكن جابر بن زيد ممّن عرف عنهم الميل إلى التمرّد أو الثورة، فلم يُعرف عنه أنّه كان ضمن الذين خرجوا على الإمام على بن أبى طالب، أو اعتزلوه أو تمرّدوا عليه، إذ أنّه ولد فى عمان فى الفترة ما بين عامى ۱۸ و ۲۲ هـ ، ثمّ رحل إلى البصرة يطلب العلم، وهو شاب فى زمن لا ـ نعرفه، ولايمكن تحديده، وغلب انّه رحل إليها بعد سنّ العشرين حيث كان شابّاً يستطيع تحمّل مشقّة

---

۱. ينسب إلى درب الجوف وهى محلّة بالبصرة.

۲. ابن حجر العسقلانى: تقريب التهذيب ۱/۱۲۲، رقم ۵ .

۳. الذهبى: سير أعلام النبلاء ۱/۴۹۰ و ۱۰/۲۵۲ . (۳۲۳)

السفر و الترحال. والمعروف أنّ التحكيم الذى أدّى إلى انفصال جزء من جيش على عنه، وقيامهم بمعارضته والخروج عليه، كان فى رمضان من عام ۳۷، وحدثت معركة النهروان التى أكّدت هذا الانفصال وكرّسته فى عام ۳۸ هـ . وعلى ذلك فإنّ جابر بن زيد امّا أنّه لم يكن موجوداً فى البصرة عند وقوع هذه الأحداث، أو انّه كان موجوداً، ولكنّه لم يشارك فيها على أى نحو من الأنحاء، لأنّ كتب التاريخ السنّية والشيعية والاباضية لم يرد فيها ذكر لأى شىء يتعلّق به، أو حتى مجرّد ذكر اسمه فى تلك الفترة، ولم يسمع أحد شيئاً عن جابر بن زيد إلاّ بعد انتهاء هذه الأحداث لحوالى أربعين عاماً عندما أتى الحجاج بن يوسف الثقفى إلى العراق والياً عليه من قبل عبدالملك بن مروان فى عام ۷۵ (۱). ۲ ـ إنّ مؤسّس مذهب الاباضى لم يكن ممّن شهدوا حرب الجمل او صفّين أو النهروان، ولم يكن ضمن هؤلاء الذين رفعوا السيف فى وجه الدولة أو حاربوها من الخوارج وغيرهم، بل كان يأتلف معها، فقد كان يأخذ عطاءه من الحجاج بن يوسف الثقفى، كما كان يأخذ جائرته ويحضر مجلسه ويصلّى خلفه. ولذلك كان من مبادئ الاباضية بعد جابر، جواز الصلاة خلف أهل القبلة كلّهم، وخلف الجبابرة فى أى بلد غلب عليه الجبابرة، ويجيزون الغزو معهم أيضاً، كما كانوا يأخذون بأحكامهم، ولا ـ يرون فى ذلك بأساً طالما أنّ أحكامهم كانت موافقة للحقّ والعدل، وكانوا يستحسنون أفعالهم إذا جاءت على هذه الصفة. من ذلك: ما حدث عندما عرض على عبدالملك بن مروان أمر رجل

---

۱. الدكتور رجب محمّد عبدالحليم: الاباضية فى المصر والمغرب: ۱۵ . (۳۲۴)

تزوّج من امرأة أبيه ظنّاً منه انّها تجوز له، فأمر عبدالملك بقتله على جهله فيما لايجوز الجهل به، وقال: لاجهل فى الإسلام ولاتجاهل، فاستحسن جابر بن زيد هذا العمل من عبدالملك وقال عنه: إنّه أحسن وأجاد. وما ذاك إلاّ لما تميّز به هذا الفقيه الكبير، تميّز مذهبه من صفة التسامح والاعتدال، ولما قام عليه هذا المذهب من اُسس واُصول (۱). ۳ – إنّ جابراً كان يصلّى الجمعة فى المسجد الجامع فى البصرة خلف عبيدالله بن زياد، وكان يقول لهم: إنّها صلاة جامعة وسنّة متّبعة. وذكروا: انّه كان يتناول من الحجاج عطاء مقداره ستمائة أو سبعمائة درهم ويصلّى خلفه، وعرض عليه الحجاج أن يولّيه القضاء ولكن جابراً رفض هذا العرض(۲) . ۴ ـ إنّ العلم مثله مثل طائر باض فى المدينة المنّورة، وفرّخ بالبصرة، وطار إلى عمان (۳). يريد انّه فرّخ بالبصرة بيد جابر، ولمّا مات جابر انتقل العلم إلى عمان و ذلك قبيل نهاية القرن الثانى للهجرة حيث قامت الإمامة الاباضية فى عمان عام ۱۷۷، وصارت هذه البلاد حجر الزاوية ومركز الثقل السياسى بالنسبة إلى المذهب و الدعوة. ۵ ـ إنّ جابر بن زيد الأزدى من أهل البصرة، يروى عن عبدالله بن عباس، وقد لقى جابر بن زيد عائشة اُمّ المؤمنين وسألها عن بعض مسائل، فلمّا خرج عنها قالت: لقد سألنى عن مسائل لم يسألنى عنها مخلوق قط، وإنّما توفّى

---

۱. الدكتور رجب محمد عبدالحليم: الاباضية فى مصر والمغرب: ۵۷ ـ ۵۸ .

۲. الدكتور رجب محمد عبدالحليم: الاباضية فى مصر والمغرب: ۱۶ ـ ۱۹ ـ ۳۲ .

۳. يكرّرون هذا التعبير فى غير واحد من كتبهم وهو من المغالاة فى القول . (۳۲۵)

جابر ـ رضـى الله عنه ـ سنة ثلاث سنين ومائة (۱). ۶ ـ اشـتهر انّه لايماكس فى ثلاث: فى كراء إلى مكّة، وفى عبد يشترى ليعتق، وفى شاة التضـحية، وكان يقول: لانماكس فى شـىء نتقرّب إليه. روى أنّه رأى أحـد الحجبـة يصـلّى فوق الكعبة، فنادى: يا من يصـلّى فوق الكعبة لاقبلة لك(۲) . ۷ - إنّ جابراً أحد المؤلّفين فى الإسـلام وقد كان لديوانه رنّة، وكان موضع تنافس بين دور الكتب الإسـلامية، واسـتطاعت مكتبـة بغـداد أن تحصل عليه و أن تبخل به عن غيرها من المكتبات. يقول على يحيى معمر: كان لهذا الكتاب قيمة كبرى لما فيه من علم وهدى، ولقربه من عصـر النبوّة، ولأخذ مؤلّفه عن الصـحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ، وكانت له قيمة اُخرى أثرية وهى أنّه أوّل كتـاب ضـخم اُلّف فى الإسـلام. وإنّه لمن المؤسف أن يضـيع هـذا الـتراث العظيم من مكتبـة بغـداد عنـدما اُحرقت تلـك المكتبة العظيمة. وضاعت منها آلاف النفائس، كما أنّه من المؤلم المُرّ أن تضـيع النسـخة التى وصلت إلى ليبيا، فيما ضاع من التراث الإسلامى العظيم بسـبب الجهـل والحقـد وطلب الرفعـة عنـد الناس، وليس أعظم محنـة من ضـياع التراث العلمى والخلقى والـدينى لاُمّـة مسـلمة لايسـتقيم حاضـرها إلاّ ـ على القواعـد المتينـة الـتى ابتنى عليهـا ماضـيها، ولـن يصـلح حاضـر هـذه الاُمّـة إلاّ ـ بمـا صـلح بـه أوّلهـا(۳) .

---

۱. ابن سلام الاباضى: بدء الاسلام وشرائع الدين: ۱۰۸ .

۲. على يحيى معمّر: الاباضية فى موكب التاريخ، الحلقة الاُولى: ۱۴۸.

۳. على يحيى معمّر: الاباضـية فى موكب التاريـخ، الحلقـة الاُولى: ۱۵۰ . (۳۲۶) ۸ ـ إنّ جابراً أخـذ عن عبـدالله بن مسـعود وجابر بن عبدالله وأبى هريرة وأبى سـعيد الخدرى، وقال: كان جابر بن زيد يلتقى باُمّ المؤمنين عائشة ويأخذ عنها العلم ويسألها عن سنّة الرسول، وقـد سألها يوماً عن جماع النبى وكيف كان يفعل، وانّ جبينها يتصـبّب عرقاً وتقول عائشة: سل يا بُنىّ، ثم قالت له ممّن أنت؟ قال: من أهل المشـرق من بلـد يقال لها عُمَان. ولمّا كان هذا السؤال بظاهره بمعزل عن الوقار علّق عليه صاحب «تحفة الأعيان» بقوله: المراد انّه سألها عن مقدّمات الجماع التى يجوز السؤال عنها حرصاً منه ـ رضى الله عنه ـ على نقل السنّة وجمعها كى يكون المسلم مقتدياً برسول الله فى كـل أعماله دقيقها وجليلها. يلاحظ عليه: أنّه لو صـحّ السؤال لما نفع هـذا التعليق وأمثاله ممّا حشـدها مؤلّف الكتاب وهو يعرب عن سذاجـة الرجل و عـدم عرفانه بموضع السؤال والمسؤول، والعجب انّ جواب اُمّ المؤمنين لم يذكر فى هذه الكتب ولم تصل السـنّة إلى أيـديهم، ولعـلّ تكـذيب أصل القضـية أولى من توجيهها. وهناك ملاحظـة حول حياة جابر وهو أنّ صـلاته خلف الحجاج تبرّرها التقيـة، وأمّا أخـذ الجوائز الـذى هو بمعنى دعم ولايته واضـفاء المشـروعية عليها، فهل تبرّره التقيّة؟ أو كان من واجبه التخلّى عنها كما تخلّى عن قبول القضاء؟ إنّ ما جاء فى هـذه الكلمات من كون الرجل اباضـياً مـدعماً لمبـدئه قاصـر عن افادة الاطمئنان و الاذعان، فإنّ التقيّة أمر مشترك بين الاباضية وغيرهـم، فالذى يوجب تقدير الرجل بل تقدير تلك الطائفة، انّهم يملكون الشجاعة الأدبية فى الاجهار بجواز التقية والسـلوك عليها فى حياتهم، بينما يفقدها غيرهم من فرق أهل السنّة، فهم يعملون بالتقية فى حياتهم السياسية والاجتماعية ولكن لايجاهرون بجوازها لو لم يكونوا مجاهرين بحرمتها!

(۳۲۷) فقه جابر بن زيـد: قد قام «يحيى محمّد بكوش» بجمع أقوال وآراء جابر من بطون الكتب، وهو يقول فى مقدّمة الكتاب: «فقد وجدت فى بطون الكتب أقوالا عديدة للإمام جابر بن زيد سواء ذلك فى كتب الاباضية أو فى غيرها، من كتب المذاهب الاُخرى، ثمّ رجعت إلى كتب الحـديث فـالتقيت برواياته منبثّة من هنـا وهنـاك فانقـدحت فى ذهنى فكرة أجمـع مـا يتيسّر لى جمعه وضـمّه فى مجموعة اُخرجها للناس...وفى أثناء بحثى ظهر للاُستاذ الصوافى كتاب يتناول هذا الجانب فاطّلعت عليه واستفدت منه كما اطّلعت أثناء ذلك على كتاب للاُستاذ «عوض خليفات» الذى درس نشأة الحركة الاباضية فى المشرق فاستفدت منه أيضاً...وقد قسّمت الكتاب إلى أبواب بلغت أحـد عشـر باباً، وكل باب يشـتمل على مسائل متفرّقـة قـد لايجمع بينها سوى أنّها تنسب إلى ذلك الباب، وإليك فهرس

الأبواب: ۱ ـ فى حياة الإمام جابر بن زيد، فيه ۱۳ مسألة. ۲ ـ فى مسائل القرآن وعلومه، فيه ۴۱ مسألة . ۳ ـ فى الطهارات، فيه ۱۹ مسألة . ۴ ـ فى الصلاة، فيه ۴۴ مسألة. ۵ ـ فى الزكاة، فيه ۱۲ مسألة. ۶ ـ فى مسائل الصوم، فيه ۱۸ مسألة . ۷ ـ فى مسائل الحج، فيه ۳۰ مسألة. ۸ ـ فى مسائل النكاح والطلاق، فيه ۶۱ مسألة . ۹ ـ فى المعاملات، فيه ۲۱ مسألة. ۱۰ ـ فى الأقضية والأحكام، فيه ۱۵ مسألة. (۳۲۸) ۱۱ – فى الزكاة والأطعمة والكفّارات والنذور والوصايا والمواريث، فيه ۳۱ مسألة (۱) . ثمّ إنّ الكتاب خرج فى ۷۲۸ صفحة، وربّما يتخيّل القارىء فى بادىء النظر أنّ أكثر ما جاء فيها يرجع إلى آراء جابر وأقواله وأفكاره، ولكنّه بعد ما سبر الكتاب سرعان ما يرجع ويقف انّ مجموع ما روى عنه فى تلك الأبواب ـ لو جمع فى محل واحد ـ لايتجاوز عن عشر صفحات، ولكن المؤلّف اتّخذ طريقة المقارنة الفقهية وطلب لآراء المذاهب دليلها، فجاء الكتاب كتاباً ضخماً فى الفقه، هو لايمت إلى جابر بصلة إلّا قليلا. هذا وقد بسط المؤلّف الكلام فى ترجمة جابر فى الباب الأوّل، ومن أراد التبسّط فليرجع إليه. ۳ ـ أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة (ت حوالى ۱۵۸ هـ) : هذا هو الشخصية الثالثة لفرقة الاباضية وله ترجمة فى كتب الرجال والتاريخ كما له ترجمة مفصّلة فى كتب الاباضية، ونذكر ما وقفنا عليه فى القسم الأوّل ثمّ نردفه بكلمات الاباضية. قال الحافظ الرازى: «مسلم بن أبى كريمة روى عن على ـ رضى الله عنه ـ، روى عنه...(كذا)، سمعت أبى يقول ذلك ويقول: هو مجهول (۲) . ولو كان المقصود من العنوان هو المترجم فيروى عن على ـ عليه السَّلام ـ بواسطة أو واسطتين كما لا يخفى. وعنونه ابن حبّان فى الثقات، واكتفى بنقل اسمه فقط وقال: مسلم بن ________

۱. يحيى محمّد بكوش: فقه الإمام جابر بن زيد: ۷ ـ ۸ وفهرس الكتاب .

۲. الرازى: الجرح والتعديل ۸/۱۹۳ برقم ۸۴۵ . (۳۲۹)

أبى كريمة (۱) . وقال ابن الجوزى: مسلم بن أبى كريمة، قال الرازى: مجهول(۲) . ولم أجد له ترجمة فى الكتب الرجالية، وأمّا كلمات الاباضية فى حقّه، فإليك بيانها: يقول على يحيى معمّر: أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة التميمى الذى توفّى فى ولاية أبى جعفر المنصور المتوفّى سنة ۱۵۸ هـ، وقد أدرك من أدركه جابر بن زيد، فروايته عن جابر رواية تابعى عن تابعى. وقد روى أبو عبيدة أيضاً عن جابر بن عبدالله وأنس بن مالك وأبى هريرة وابن عباس وأبى سعيد الخدرى وعائشة اُمّ المؤمنين (۳) ـ رضى الله عنها ـ وروايته هذه عنهم موجودة فى هذا المسند الصحيح (۴) وهى رواية تابعى عن تابعى . شيوخه: أخذ أبو عبيدة العلم عمّن لقيه من الصحابة وعن الجابرين: جابر بن عبدالله وجابر بن زيد، وعن ضمار السعيدى وجعفر السماك وغيرهم. تلاميذه : وحمل العلم عن أبى عبيدة خلق كثير، منهم الربيع بن حبيب الفراهيدى صاحب المسند، وفيهم: حملة العلم إلى المغرب و هم: أبو الخطاب ________

۱. محمد بن حبّان بن أحمد التميمى البستى: الثقات ۵/۳۵۴ و ۴۰۱ .

۲. عبدالرحمان بن الجوزى: كتاب الضعفاء و المتروكين ۳/۱۱۸ دار الكتب العلمية، بيروت ۱۴۰۶، ولاحظ بدء الاسلام: ۲۶، ۹۹، ۱۱۰، ۱۱۴، ولسان الميزان ۶/۳۲ .

۳. سماعه عن اُمّ المؤمنين عائشة و أبى هريرة بعيد جداً إلّا أن يكون الرجل من المعمّرين .

۴. اشارة الى مسند الربيع بن حبيب، والصحيح أن يقال: الجامع الصحيح، كما سيوافيك . (۳۳۰)

المعافرى، وعبدالرحمن بن رستم وعاصم السدراتى، وإسماعيل بن درار العذامسى، وأبو داود القبلى النفراوى، وكان الإمام أبو الخطاب المعافرى قد جاء من اليمن فرافق الأربعة من أهل المغرب فخرج معهم إلى بلادهم، فنصّبوه عليهم بأمر شيخهم أبى عبيدة. وبأمره نُصّب الإمام عبدالله بن يحيى الكندى فى أرض اليمن، وجمعت إمارته اليمن والحجاز، وأقام حملة العلم عنده خمس سنين فلمّا أرادوا الوداع سأله إسماعيل بن درار عن ثلاثمائة مسألة من مسائل الأحكام. فقال له أبو عبيدة: «أتريد أن تكون قاضياً مع ابن درار؟ قال: أرايت ان ابتليت بذلك» (۱). وقد روى عنه أنّه قال: من لم يكن له اُستاذ من الصحابة فليس هو على شىء من الدين، وقد منَّ الله علينا بعبدالله بن عباس، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن سلّام(۲) . ۴ ـ أبو عمرو ربيع بن حبيب الفراهيدى: إنّ الربيع من أئمّة الاباضية وهو صاحب المسند المطبوع، ولم نجد له ترجمة وافية فى كتب الرجال لأهل السنّة (۳) ونكتفى فى المقام بما ذكره الاُستاذ التنوخى

فی مقدّمته علی شرح الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب: «ومن يمن الطالع عن الحديث أن يكون الربيعان: الربيع بن صبيح والربيع بن حبيب فی طليعة ركب الجامعين للحديث، والمصنفّين فيه، ومن ــــــــــــــــــــــ

۱. علی يحيی معمّر: الاباضية بين الفرق الاسلامية ۱/۱۶۶ ـ ۱۶۷ .

۲. صالح بن أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زيد العمانی، وقد ترجم له ترجمة مفصّلة وذكر مواقفه فی تنظيم الدعوة ومجالها، والانتهاز من مواسم الحج لنشر المذهب واعمال السياسة السرّية والأخذ بالتقيّة، فمن أراد فليرجع إليه (۱۶۹ ـ ۱۷۵) .

۳. له ترجمة فی بدء الاسلام ۱۱۰، والاعلام ۳/۱۳ . (۳۳۱)

الأسف أن لاندری شيئاً عن مصير مسند ابن صبيح وعسی أن يهتم بذلك الباحثون عن نفائس المخطوطات، ومن لطف الباری أن أبقی لنا مسند الربيع بن حبيب، ثمّ من نعمه علیّ أن وفّقنی لإعادة نشره مع شرح علاّمة عمان عبدالله بن حميد السالمی ولم يطّلع علی المسند وشرحه فی علماء مصر والشام والعراق إلاّ قليل. الثلاثيات: قد ذكر أئمّة الحديث أنّ رتب الصحيح تتفاوت تفاوت الأوصاف المقتضية للصحيح، وانّ المرتبة العليا ما اطلق عليه بعض رجال الحديث أنّه أصح الأسانيد الثلاثية كسند الزهری عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه، وسند إبراهيم النخعی عن علقمة عن ابن مسعود، وسند مالك عن نافع عن ابن عمر، وهو قول البخاری لأنّ هذه الأسانيد قصيرة السند و قريبة الاتصال بالينبوع المحمّدی ـ صلّی الله عليه وآله وسلم ـ . ويشبه هذه الثلاثة الذهبية سلسلة مسند الربيع بن حبيب وثلاثياته... أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس، ورجال هذه السلسلة الربيعية من أوثق الرجال وأحفظهم و أصدقهم، لم يشب أحاديثها شائبة انكار ولا ارسال ولاانقطاع ولااعضال. ولمزايا هذه الثلاثيات اهتمّ كثير من أئمّة الحديث بتأليف الثلاثيات . ۱ ـ ثلاثيات الإمام أحمد المطبوعة أخيراً بدمشق سنة ۱۳۸۰ هـ، وشرحها فی جزأين الإمام محمّد السفارينی، وعدد ثلاثياته خمسة وستون ومائة حديث. ۲ ـ ثلاثيات البخاری وهی فی صحيحه ثنان و عشرون حديثاً. (۳۳۲) ۳ ـ ثلاثيات الدارمی وهی خمسة عشر حديثاً وقعت فی مسنده بسنده. ۴ ـ ثلاثيات الربيع بن حبيب الأزدی، وأحاديثها فی مسنده، ورجال سلسلتها الثلاثية هم أبو عبيدة التميمی، وجابر بن زيد الأزدی، والبحر عبدالله بن عباس ـ شيخ جابر ـ، وغيره من الصحابة . وقد طبع هذا المسند القديم مع شرحه للإمام عبدالله السالمی فی أربعة مجلدات طبع اثنان منها فی مصر والثالث بدمشق، ولقد سبرته ولمست أنّ الرجل كان يملك شيئاً من الانصاف، فلابأس بالاشارة إلی بعض خصوصياته. انطباعات عن الجامع الصحيح: هذا الجامع: مسند الربيع بن حبيب الأزدی البصری رتّبه أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلانی وطبع فی أربعة أجزاء تبلغ عدد صفحاته ۳۰۲ صفحة، طبع بدمشق سنة ۱۳۸۸ هـ بتقديم عبدالله بن حميد السالمی وأشرف علی طبعه محمود غيران. أكثير المؤلّف فی هذا المسند الروايات عن ضمام بن السائب البصری العثمانی عن جابر. ثمّ عن أبی عبيدة (مسلم بن أبی كريمة). ثمّ عن أبی نوح (صالح بن نوح). ثمّ عن سائر مشايخه . وأكثر الروايات فی الكتاب موقوفات تنتهی إلی الصحابة الاّ قليل منها مسند إلی النبی ـ صلّی الله عليه وآله وسلم ـ وممّا يشهد علی كون الرجل موضوعياً أنّه نقل الروايات عن علی بن أبی طالب ـ عليه السَّلام ـ وإليك رواياته عنه: (۳۳۳) «الباب (۹) ما روی عن علی بن أبی طالب»: «فی التعظيم لله عزّوجلّ ونفی التشبيه له سبحانه عن الأشباه» قال الربيع: بلغنی عن أبی مسعود، عن عثمان بن عبدالرحمن المدنی، عن أبی إسحاق والشعبی قال: كان علی بن أبی طالب يقول فی تمجيد الله عزّوجلّ: الحیُّ القائمُ الواحدُ الدائمُ فكّاك المقادِمِ ورزّاقُ البهائم، القائمُ بغير منصبة، الدائم بغير غاية، الخالق بغير كلفة، فأعرَفُ العباد به الذی بالحدود لايصفُهُ ولا بما يوجد فی الخلق يتوهّمه، لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار . «الباب (۱۰) خطبة علی»: قال الربيع: وأخبرنا أبان قال: حدثنا يحيی بن إسماعيل، عن الحارث الهمدانی قال: بلغ عليّاً أنّ قوماً من أهل عسكره شبّهوا الله وأفرطوا، قال: فخطب علی الناس فحمدالله وأثنی عليه ثمّ قال: يا أيّها الناس اتّقوا هذا العارقة(۱) فقالوا: يا أمير المؤمنين وما العارقة؟ قال: الذين يشبّهون الله بأنفسهم، فقالوا: وكيف يشبّهون الله بأنفسهم؟ قال: يضاهئون بذلك قول الذين كفروا من أهل الكتاب إذ قالوا: خلق الله آدم علی صورته، سبحانه وتعالی عمّا يقولون، سبحانه وتعالی عمّا يشركون، بل هو الله الواحد الذی ليس كمثله شیء، استخلص الوحدانية والجبروت، وأمضی المشيئة والارادة والقدرة والعلم بما هو

كائن، لامنازع له فى شىء، ولاكفؤ له يعادله، ولاضد له ينازعه، ولاسمىّ له يشبهه، ولامثل له يشاكله، ولاتبدو له الاُمور، ولاتجرى عليه الأحوال، ولا تنزل به الأحداث، وهو يجرى الأحوال وينزّل الأحداث على المخلوقين، لايبلغ الواصفون كنه حقيقته ولايخطر على القلوب مبلغ جبروته لأنّه ليس له فى ـــــــــــــــ

١. وفى نسخة الفارقة. (٣٣۴)

الخلق شبيه ولا له فى الأشياء نظير، لاتدركه العلماء بألبابها ولاأهل التفكير بتدبيرها وتفكيرها إلا بالتحقيق إيماناً بالغيب لأنّه لايوصف بشىء من صفات المخلوقين و هو الواحد الذى لاكفؤله (وَ أَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الباطِلُ وَ أَنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ). «الباب (١١) قصة اليهودى مع على بن أبى طالب»: قال: وأخبرنا إسماعيل بن يحيى قال: حدثنا سفيان(١) عن الضحّاك قال: جاء يهودى إلى على بن أبى طالب فقال: ياعلى متى كان ربّنا؟ فقال على إنّما يقال متى كان لشىء لم يكن فكان، وهو كائن بلاكينونة، كائن بلاكيفية، ولم يزل بلاكيف، ليس له قبل وهو قبل القبل، بلاغاية ولامنتهى غاية تنتهى إليها غايته انقطعت الغايات عنده وهو غاية الغايات. «الباب (١٢) قصة القصاب مع على بن أبى طالب»: أخبرنا أبو قبيصة، عن عبدالغفار الواسطىّ، عن عطاء: انّ على بن أبى طالب مرّ بقصّاب يقول: لاوالذى احتجب بسبع سموات لاأزيدُك شيئاً، قال: فضرب على بيده على كتفه فقال: يا لحّام إنّ الله لايحتجب عن خلقه ولكن(٢) حجب خلقه عنه، فقال: اُكفّر عن يمينى؟ فقال: لا، لأنّك إنّما حلفت بغيرالله(٣) . ـــــــــــــــ

١. خ سنان.

٢. خ ولكّنه .

٣. قوله: انّما حلفت بغير الله، هذا منه اعتبار بظاهر اللفظ انكاراً لما سمع وتغليظاً على القائل، وإلاّ فإنّ الحالف انّما قصد الحلف بالله عزّوجلّ وإن أخطأ فى وصفه والله أعلم . (٣٣۵) وقال على بن أبى طالب لمّا وجّه رسله إلى معاوية بن أبى سفيان: صلّوا فى رحالكم واجعلوا صلاتكم معهم سبحة فإنّ الله لايتقبّل إلا من المتّقين. قال: وحدثنى موسى بن جبير، عن عبدالمجيد والفضيل بن عياض، عن منصور بن المعتمر، عن الحكم بن عيينة، عن على بن أبى طالب قوله تعالى: (لِلَّذِينَ اَحْسَنُوا الحُسْنى وَ زِيادَةٌ) . قال: غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب(١) . ۵ ـ أبو يحيى عبدالله بن يحيى الكندى (طالب الحق): كان عبدالله بن يحيى بن عمر الكندى من حضرموت، وكان قاضياً لإبراهيم بن جبلة عامل القاسم بن عمر على حضرموت، وهو عامل مروان على اليمن(٢) . إنّ عبدالله بن يحيى الكندى أحد بنى عمرو بن معاوية كان من حضرموت، وكتب إلى ابى عبيدة مسلم بن أبى كريمة وإلى غيرهم من الاباضية بالبصرة، يشاورهم بالخروج، فكتبوا إليه: إن استطعت أن لاتقيم يوماً واحداً فافعل، وأشخص إليه ابو عبيدة، أبا حمزة المختار بن عوف الأزدى فى رجال من الاباضية فقدموا عليه حضرموت، فحثّوه على الخروج وأتوه بكتب أصحابه، فدعا أصحابه فبايعوه فقصدوا دار العمارة وعلى حضرموت، إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندى، فأخذوه فحبسوه يوماً ثم أطلقوه، فأتى صنعاء وأقام عبدالله بن يحيى بحضرموت، وكثر جمعهم، وسمّوه «طالب الحق»، ثمّ استولى على صنعاء فأخذ الضحّاك بن الزمل وإبراهيم بن ـــــــــــــــ

١. مسند ربيع بن حبيب: ص ٢١٧ ـ ٢١٩ و ص ٢٠۵ .

٢. صالح بن أحمد الصوافى: الإمام جابر بن زيد: ١٧۶، نقلا عن الحارثى: العقود الفضية: ١٨٧ . (٣٣۶)

جبلة بن مخرمة فحبسهما، وجمع الخزائن والأموال فأحرزها ثمّ أرسل إلى الضحّاك وإبراهيم فأرسلهما، وقال لهما: حبستكما خوفاً عليكما من العامة وليس عليكما مكروه فأقيما إن شئتما أو أشخصا، فخرجا. فلمّا استولى عبدالله بن يحيى على بلاد اليمن خطب الناس وقال: إنّا ندعوكم إلى كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه وإجابة من دعا إليهما. الإسلام ديننا، ومحمّد نبيّنا، والكعبة قبلتنا، والقرآن إمامنا. رضينا بالحلال حلالا ـ لانبغى به بدلا، ولانشترى به ثمناً قليلا، وحرّمنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا، ولاحول ولا قوّة إلاّ بالله وإلى الله المشتكى وعليه المعوّل، من زنا فهو كافر، ومن سرق فهو كافر، ومن شرب الخمر، فهو كافر، ومن شكّ فى أنّه كافر، فهو كافر، ندعوكم إلى فرائض بيّنات، وآيات محكمات، وآثار مقتدى بها، ونشهد أنّ الله صادق فيما وعد، عدل فيما حكم، وندعوا إلى توحيد

الرب واليقين بالوعيد والوعد، واداء الفرائض، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، والولاية لأهل ولاية الله، والعداوة لأعداء الله. كلّ ذلك كان فى سنة ثمان و عشرين ومائة (۱). ثمّ إنّه استولى على مكّة ثم المدينة وذلك فى الوقت الذى بدأت ثورة بنى العباس فى خراسان، فكانت الدولة المركزية المروانية مشغولة باخماد الثورة، فانتهز طالب الحق الفرصة وبسط سيطرته على الحجاز كلّه، ولكن فى سنة ثلاثين ومائة جهزّ مروان بن محمّد جيشاً مع عبدالملك بن محمد بن عطية السعدى فلقى الخوارج بوادى القرى فقتل بلج بن عقبة، وفرّ أبو حمزة فى بقيّتهم إلى مكة، فلحقهم عبدالملك فكانت بينهم وقعة قتل فيها أبو حمزة وأكثر من كان معه من الخوارج، وصار عبدالملك فى جيش مروان من أهل الشام يريد ———————

۱. أبو الفرج الاصبهانى: الأغانى ۲۳/۲۲۴ ـ ۲۵۶، وقد بسط الكلام فى خبر عبدالله بن يحيى وخروجه ومقتله . (۳۳۷)

اليمن. وخرج عبدالله بن يحيى الكندى الخارجى من صنعاء فالتقوا بناحية الطائف وأرض جرس فكانت بينهم حرب عظيمة قتل فيها عبدالله بن يحيى وأكثر من كان معه من الاباضية، ولحق بقيّة الخوارج ببلاد حضرموت. يقول المسعودى: فأكثرها اباضية إلى هذا الوقت وهو سنة ۳۳۲ هـ ولا فرق بينهم وبين من بعمان من الخوارج فى هذا المذهب(۱) . أئمّة الاباضية فى القرون الاُولى: قد تعرّفت على الشخصيات البارزة للاباضية فى القرن الأوّل وبداية القرن الثانى، غير أنّ أئمّتهم وشخصياتهم لاتحصر فيما ذكرنا، ونحن نأتى بقائمة أسمائهم فمن أراد التوسّع فليرجع إلى تراجمهم فى الكتب المعدّة، فقد ذكروا أنّ لهم وراء من ذكرنا ترجمتهم، أئمّة بالأسماء التالية: القرن الأوّل: ۱ ـ جعفر بن السماك العبدى . ۲ ـ أبوسفيان قنبر. ۳ ـ الصحار العبدى. القرن الثانى: ۴ ـ صمّام بن السائب . ۵ ـ أبو نوح صالح الدهان. ———————

۱. المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر ۳/۲۴۲ طبع دار الأندلس. الطبرى: التاريخ ۶/۴۱ و ۷/۳۹۴ ـ ۴۰۰. وابن الأثير: الكامل ۵/۳۵۱ دار صادر. (۳۳۸) ۶ ـ الجلندى بن مسعود العمانى . ۷ ـ أبو الخطاب عبد الأعلى المعافرى . ۸ ـ هلال بن عطية الخراسانى . ۹ ـ أبو سنيان محبوب بن الرحيل . ۱۰ ـ أبو صفره عبدالملك بن صفره. ۱۱ ـ عبدالرحمن بن رستم . ۱۲ ـ محمّد بن يائس. ۱۳ ـ أبو الحسن الأيدلاتى . القرن الثالث: ۱۴ ـ أفلح بن عبدالوهاب . ۱۵ ـ عبدالخالق القزانى. ۱۶ ـ محكم الهوارى. ۱۷ ـ المهتا بن جيفر. ۱۸ ـ موسى بن على. ۱۹ ـ أبو عيسى الخراسانى. ۲۰ ـ محمّد بن محبوب . ۲۱ ـ محمّد بن عباد. ۲۲ ـ الصلت بن مالك . ۲۳ ـ أبو اليقظان بن أفلح . ۲۴ ـ أبو منصور الياس . ۲۵ ـ عمروص بن فهد . (۳۳۹) ۲۶ ـ هود بن محكم. القرن الرابع: ۲۷ ـ أبو الخضر يعلى بن أيّوب. ۲۸ ـ أبو القاسم يزيد بن مخلد. ۲۹ ـ أبو هارون موسى بن هارون(۱). إنّ الكاتب المعاصر على يحيى معمّر، ترجم جابر بن زيد و أبا عبيدة مسلم فى الجزء الأوّل من كتابه «الاباضية فى موكب التاريخ» تحت عنوان الاباضية فى قيادة الاُمّة ۱۴۵ ـ ۱۵۵، ثمّ خصّ الجزء الثانى بترجمة أئمّتهم وذكر كثيراً منهم القاطنين فى «ليبيا» بعد البحث عن «دخول المذهب الاباضى الى ليبيا» ومن اراد الوقوف فليرجع الى هذا الجزء ۲۱ ـ ۱۹۷ . دول الاباضية: قد قام باسم الاباضية عدد من الدول فى أربعة مواضع من البلاد الإسلامية: ۱ ـ دولة فى عمان استقلّت عن الدولة العباسية فى عهد أبى العباس السفّاح سنة ۱۳۲، ولاتزال إلى اليوم. ۲ ـ دولة فى ليبيا سنة ۱۴۰ ولم تعمّر طويلا فقد انتهت بعد نحو ثلاث سنوات. ۳ ـ دولة قامت فى الجزائر سنة ۱۶۰، وقد بقيت إلى حوالى ۱۹۰، ثمّ قضت عليها الدولة العبيدية.

———————

۱. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الإسلامية: ۱ / ۲۷ ـ ۲۸ . (۳۴۰) ۴ ـ دولة قامت فى الأندلس ولا سيّما فى جزيرتى «ميورقة» و «مينورقة»، و«ليس لدينا من أخبارهم الكثير وقد انتهت يوم انتهت الأندلس وأطفأ التعصّب الغربى شعلة الإسلام فى تلك الديار»(۱) . هذه الاباضية، وهذا ماضيهم وحاضرهم، وقد قدمّنا إليك صورة موجزة من تاريخهم، ونشوئهم وحروبهم وشخصياتهم وعقائدهم، وقد جرّدنا أنفسنا عن كل نزعة نفسانية تعرقلنا عن الوصول إلى الحق، والله وراء القصد. وقد حان لنا انجاز الوعد الذى سبق منّا، وهو نشر ما كتبه «عبدالله بن اباض» إلى عبدالملك بن مروان، وإليك نصُّه: رسالة عبدالله بن أباض إلى عبدالملك بن مروان بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله بن أباض إلى عبدالملك بن مروان: سلام عليك. فإنّى أحمد إليك الله الذى الا إله إلاّ هو و اُصويك

بتقوى الله فإنّ العاقبة للتقوى والمرد إلى الله، واعلم أنّه إنّما يتقّبل الله من المتّقين . أمّا بعد، جاءنى كتابك مع سنان بن عاصم، وإنّك كتبت إليَّ أن أكتب إليك بكتاب، فكبت به إليك، فمنه ما تعرف ومنه ماتنكره، زعمت أنّما عرفت منه ما ذكرت به من كتاب الله وحضضت عليه من طاعة الله، واتّباع أمره، وسنّة نبيّه، وأمّا الذى أنكرت منه فهو عندالله غير منكر. وأمّا ما ذكرت من عثمان والذى عرضت به من شأن الأئمة وأنّ الله ليس ينكر عليه أحد شهادته فى كتابه بما أنزله على رسوله أنّه من لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الظالمون ـــــــــــــــ

١. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الاسلامية ١/٩٢ ـ ٩٣ . (٣٤١)

والكافرون والفاسقون (١). وانّى لم أكن أذكر لك شيئاً من شأن عثمان و الأئمّة إلّا والله يعلمه أنّه الحق، وسأنزع لك من ذلك البيّنة من كتاب الله الذى أنزله على رسوله، وسأكتب إليك فى الذى كتبت به، وأخبرك من خبر عثمان والذى طعنّا عليه فيه، وأبيّن شأنه والذى أتى عثمان. لقد كان كما ذكرت من قدم فى الإسلام وعمل به ولكنّ الله لم يجر العباد من الفتنة والردّة عن الإسلام، وإنّ الله بعث محمّداً بالحق ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وأنزل الكتاب فيه بيّنات كل شيء يحكم بين الناس فيما اختلفوا (هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْم يُؤْمِنُونَ)(٢). فأحلّ الله فى كتابه حلالاً ـ وحرّم حراماً وفرض فيه حكماً وفصّل فيه قضاءه وبيّن حدوده فقال: (تِلْكَ حُدودُ اللهِ فَلا تَقْرَبُوها)(٣). وقال:(وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدودَ اللهِ فأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ)(٤). وقسم ربّنا قسماً وليس لعباده فيه الخيرة، ثمّ أمر نبيّه باتّباع كتابه، فقال للنبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ: (وَ اتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبُّكَ)(٥). وقال: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)(٦). فعمل محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ بأمر ربّه ومعه عثمان ومن شاء الله من أصحابه لايرون رسول الله يتعدّى من قبله شيئاً، ولايبدّل فريضة، ولايستحلّ شيئاً حرّمه الله، ولايحرّم شيئاً أحلّه الله، ولايحكم بين الناس إلّا بما ـــــــــــــــ

١. قال الله تعالى فى سورة المائدة ٤٤ ـ ٤٥ و ٤٧. (وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بما أَنْزَلَ اللهُ فَأولئِكَ هُمُ الكافِرُونَ).(وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بما أَنْزَلَ الله فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُون). (وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ الله فَأُولئكَ هم الفاسِقُونَ). ٢. الأعراف: ٥٢، ويوسف ١١١ .

٣. البقرة: ١٨٧ .

٤. البقرة: ٢٢٩ .

٥. الأحزاب: ٢ .

٦. القيامة: ١٨ ـ ١٩ . (٣٤٢)

أنزل الله، فكان يقول: (إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْم عَظِيم)(١). فسَر ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ما شاء الله تابعاً لما أمر الله، يتبع ما جاء من الله، والمؤمنون معه يعلّمهم وينظرون إلى عمله حتى توفّاه الله عليه الصلاة والسلام وهم عنه راضون، فنسأل الله سبيله وعملا بسنّته. ثم أورث الله عباده الكتاب الذى جاء به محمّد وهداه ولايهتدى من اهتدى من الناس إلّا باتّباعه ولايضّل من ضلّ من الناس إلّا بتركه. ثمّ قام من بعده أبو بكر على الناس فأخذ بكتاب الله وسنّة نبّيه ولم يفارقه أحد من المسلمين فى حكم حكمه، ولاقسم قسّمه حتى فارق الدنيا وأهل الإسلام عنه راضون وله مجامعون. ثمّ قام من بعده عمر بن الخطاب قوّياً فى الأمر، شديداً على أهل النفاق، يهتدى بمن كان قبله من المؤمنين، يحكم بكتاب الله، وابتلاه الله بفتوح من الدنيا ما لم يبتل به صاحباه، وفارق الدنيا و الدين ظاهر وكلمة الإسلام جامعة وشهادتهم قائمة، والمؤمنون شهداء الله فى الأرض. وكذلك قال الله: (جَعَلْنا كُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً)(٢). ثمّ أشار المؤمنون فولّوا عثمان، فعمل ماشاء الله بما يعرف أهل الإسلام حتى بسطت له الدنيا وفتح له من خزائن الأرض ما شاء الله. ثمّ أحدث أُموراً لم يعمل به صاحباه قبله، وعهد الناس يومئذ قريب بنبيّهم حديث. فلمّا رأى المؤمنون ما أحدث عثمان أتوه فكلّموه وذكّروه بكتاب الله وسنّة من كان قبله من المؤمنين. وقال الله: (وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْها إِنّا مِنَ الْمجرمِيْنَ ـــــــــــــــ

١. الأنعام: ١٥، ويونس: ١٥ .

۲. البقرة: ۱۴۳ . (۳۴۳) مُنْتَقِمُونَ)(۱). فسفَّه أن ذكّروه بآيات الله وأخذهم بالجبروت، وضرب منهم من شاء الله وسجن ونفاهم فى أطراف الأرض من شاء الله منهم نفياً أن ذكّروه بكتاب الله وسنّة نبيّه ومن كان قبله من المؤمنين، وقال الله: (وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَ نَسِىَ ما قَدَّمَتْ يَداهُ)(۲). وإنّى أُبيّن لك يا عبدالملك بن مروان الذى أنكر المؤمنون على عثمان وفارقناه عليه فيما استحلّ من المعاصى عسى أن تكون جاهلا ـ عنه غافلا ـ وأنت على دينه وهواه !! لايحملنّك يا عبدالملك هوى عثمان أن تجحد بآيات الله وتكذّب بها!!! فإنّ عثمان لايغنى عنك من الله شيئاً، فالله، الله يا عبدالملك بن مروان قبل التناوش من مكان بعيد، وقبل أن يكون لزاماً، وأجل مسمّى!! وإنّه كان ممّا طعن المؤمنون عليه وفارقوه وفارقناه فيه، فإنّ الله قال: (وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَساجِدَ اللهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسمُهُ وَسَعَى فِى خَرَابِها أُولئِكَ مَا كانَ لَهُمْ أنْ يَدْخُلُوها إلاّ خائِفينَ لَهُمْ فِى الدُّنيا خِزىٌ وَ لَهُمْ فِى الآخِرَةِ عَذابٌ عَظيمٌ)(۳). فكان عثمان أوّل من منع مساجد الله أن يقضى فيها بكتاب الله. وممّا نقمناه عليه وفارقناه عليه أنّ الله قال لمحمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ (لاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَداةِ وَ العَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ما عَلَيْكَ مِنْ حِسابِهِم مِنْ شَىْء وَ ما مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِنْ شَىْء فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ)(۴). فكان أوّل (۵) هذه الأُمّة طردهم ونفاهم، فكان ممّن نفاهم من أهل المدينة

۱. السجدة: ۲۲.

۲. الكهف: ۵۷ .

۳. البقرة: ۱۱۴ .

۴. الأنعام: ۵۲ .

۵. فى نسخة «خيار» . (۳۴۴)

أبوذَرّ الغفارى، ومسلم الجهنى، ونافع بن الحطام (۱)، ونفى من أهل الكوفة كعب بن أبى الحلمة، وأبى الرحل الوجاج، و جندب بن زهير(۲)، وجندب هو الذى قتل الساحر الذى كان يلعب به الوليد بن عقبة(۳)، ونفى عمرو بن زرارة، وزيد بن صوحان (۴)، وأسود بن ذريح، ويزيد بن قيس الهمدانى، وكردوس بن الحضرمى، فى ناس كثير من أهل الكوفة. ونفى من أهل البصرة عامر بن عبدالله القشرى، ومذعور العبدى ولا أستطيع لك عددهم من المؤمنين. وممّا نقمنا عليه أنّه أمّر أخاه الوليد بن عقبة على المؤمنين، وكان يلعب بالسحرة ويصلّى بالناس سكران، فاسق فى دين الله، أمّره من أجل قرابته، على المؤمنين المهاجرين و الأنصار، وإنّما عهدهم حديث بعهدالله ورسوله والمؤمنين. وممّا نقمنا عليه إمارته قرابته على عبادالله وجعل المال دولة بين الأغنياء، وقال الله: (كَىْ لاَ يَكُونَ دُوْلَةً بَيْنَ الأَغْنِياءِ) (۵). وبدّل كلام الله وبدَّل القول واتّبع الهوى.

۱. ورد الاسم أيضاً: «نافع بن الحطامى».

۲. جندب بن زهير الأزدى: ذكر الطبرى أنّه قتل فى صفّين وهو يحارب مع علىّ بن أبى طالب.

۳. الوليد بن عقبة، أخ عثمان بن عفان لأُمّه، وروى أنّه وهو أمير على الكوفة، صلّى بالناس الصبح وهو سكران، ثمّ قال لهم: إن شئتم أن أزيدكم ركعة زدتكم، فلمّا بلغ عثمان ذلك لم يسرع إلى إقامة الحدّ عليه، بل أخّر ذلك. (انظر: ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ج ۱ ص ۳۶).

۴. زيد بن صوحان: قتل شهيداً يوم الجمل .

۵. الحشر: ۷ . (۳۴۵) وممّا نقمنا عليه أنّه انطلق إلى الأرض ليحميها لنفسه ولأهله(۱) حمى حتى منع قطر السماء والرزق الذى أنزله الله لعباده، لأنفسهم وأنعامهم. وقد قال الله: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْق فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَراماً وَ حَلالا قُلْ ءَاللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُون* وَ ما ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الكَذِبَ يَوْمَ القِيامَةِ)(۲). وممّا نقمنا عليه أنّه أوّل من تعدّى فى الصدقات وقد قال الله: (إِنَّمَا الصَدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ المَساكِينَ وَ العامِلِينَ عَلَيْهَا وَ المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِى الرِّقَابِ وَ الغَارِمينَ وَ فِى سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ

وَ اللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)(۳). وقال الله: (وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لاَمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً)(۴). وأحدث عثمان منه فرائض كان فرضها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رحمة الله عليه ـ، وانتقص أصحاب بدر ألفاً من عطائهم، وكنز الذهب والفضة ولم ينفقها فى سبيل الله، وقال الله: (وَ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ ولا يُنْفِقُونَها فِى سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذاب أَلِيم * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْها فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِهَا جِباهُهُمْ

۱. يقال حمى فلان الأرض يحميها حمى حتى لايقرب. والحمى موضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعى. وقال الإمام الشافعى فى تفسير قوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ «لا حمى إلاّ لله ولرسوله»: كان الشريف من العرب فى الجاهلية إذا نزل بلداً فى عشيرته استعوى كلباً فحمى لخاصّته مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره، فلم يرعه معه أحد، وكان شريك القوم فى سائر المراتع حوله، فنهى النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ أن يحمى على الناس حمى كما كانوا فى الجاهلية يفعلون. (انظر: دكتور حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى ج ۱ هامش صفحة ۲۷۳) .

۲. يونس: ۵۹ ـ ۶۰ .

۳. التوبة: ۶۰ .

۴. الأحزاب: ۳۶ . (۳۴۶) وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هذا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ)(۱) . وممّا نقمنا عليه أنّه كان يضمّ كلّ ضالّة إلى إبله ولايردّها ولايعرّفها، وكان يأخذ من الإبل والغنم ممّن وجد ما عنده من الناس وإن كانوا قد أسلموا عليها(۲)، وكان لهم فى حكم الله أنّ لهم ما أسلموا عليه. وقال الله: (وَ لا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ وَلاتَعْثَوْا فِى الأرضِ مُفسِدِينَ)(۳). وقال: (لاَ تَأْكُلُوا أَمْوٰلَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ إلاّ أنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراض مِنْكُمْ ولاتَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إنَّ الله كانَ بِكُمْ رَحِيماً * وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْواناً وَ ظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ ناراً وَ كانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً)(۴) . وممّا نقمنا عليه أنّه أخذ خمس الله لنفسه ويعطيها أقاربه ويجعل منهم عمّالا على أصحابه وكان ذلك تبديلا لفرائض الله، وفرض الله الخمس لله ولرسوله: (وَلِذِى القُرْبَى وَ اليَتَامَى وَ المسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ إنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ وَ مَا أَنْزَلْنا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرقَانِ يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ واللهُ عَلَى كُلِّ شَىْء قَدِيرٌ)(۵). وممّا نقمنا عليه أنّه منع أهل البحرين وأهل عُمان أن يبيعوا شيئاً من طعامهم حتى يباع طعام الإمارة، وكان ذلك تحريماً لما أحلّ الله: (وَ اَحَلَّ اللهُ البَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا)(۶). فلو أردنا أن نخبر بكثير من مظالم عثمان لم نحصها إلاّ ما شاء الله، وكل ما عددت عليكم من عمل عثمان يُكفّر الرجل أن يعمل ببعض هذا.

۱. التوبة: ۳۴ ـ ۳۵ .

۲. أسلموا عليها: تصالحوا عليها.

۳. هود: ۸۵ .

۴. النساء: ۲۹ ـ ۳۰.

۵. الأنفال: ۴۱.

۶. البقرة: ۲۷۵ . (۳۴۷) وكان من عمل عثمان أنّه يحكم بغير ما أنزل الله وخالف سنّة نبى الله والخليفتين الصالحين أبى بكر و عمر وقد قال الله: (وَ مَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَاتَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سبِيلِ المُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلّى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصيراً)(۱). وقال: (وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بما أَنْزَلَ الله فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُون).(۲)، (أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)(۳)، (وَ مَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً)(۴)، وقال: (لاَ يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ)(۵)، وقال: (وَ لاَ تَرْكَنُوا إلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِياءَ ثُمَّ لاَ تُنْصَرُون)(۶) . وقال: (وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بما أَنْزَلَ الله فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُون)، والفاسقون (۷) والكافرون(۸)وقال: (ألا لَعنةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِين). وقال: (ومَنْ يَلعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصيراً). وقال: (وَلاَ تَرْكَنُوا إلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ). وقال: (كَذلِكَ حَقَّتْ كَلمةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَهُمْ لاَيُؤْمِنُونَ)(۹). فكل هذه الآيات تشهد على عثمان، وإنّما شهدنا بما شهدت هذه الآيات: (اللهُ يَشْهَدُ بِمَا

أَنْزَلَ إِلَيْکَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَ المَلائِکَةُ يَشْهَدُونَ وَ كَفَى بِاللهِ ــــــــــــ

۱. النساء: ۱۱۵ .

۲. المائدة ۴۵.

۳. هود: ۱۸ .

۴. النساء: ۵۲ .

۵. البقرة: ۱۲۴.

۶. هود: ۱۱۳.

۷. وفی سورة المائدة: (وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بما أَنْزَلَ الله فَأُولئِکَ هُمُ الفاسِقُونَ) آية ۴۷ .

۸. وفی سورة المائدة: (وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بما أَنْزَلَ الله فَأُولئِکَ هُمُ الكافِرُونَ) آية ۴۴ .

۹. يونس ۳۳ . (۳۴۸) شَهِيداً).(۱) وقـال: (فَوَرَبِّ السَّماءِ وَ الأَرضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ)(۲) . فلمّا رأى المؤمنون الذى نزل به عثمان من معصـية الله، والمؤمنون شهداء الله ناظرون أعمال الناس، وكذلك قال الله:(اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ المُؤْمِنُونَ وَ سَتُرَدُّونَ إِلَى عالِمِ الغَيْبِ وَ الشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُون)(۳) . و ترک خصومة الخصمين فى الحق والباطل ودفع ما وعد الله من الفتن، وقال الله: (الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لايُفْتَنُونَ * وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الكاذِبِينَ)(۴). فعلم المؤمنون أنّ طاعة عثمان على ذلک طاعة إبليس، فساروا إلى عثمان من أطراف الأرض، واجتمعوا فى ملأ من المهاجرين والأنصار وعامّة أزواج النبيـ عليه الصلاة والسلام ـ فأتوه فذكّروه الله وأخبروه الذى أتى من معاصى الله، فزعم أنّه يعرف الـذى يقولـون، وأنّه يتـوب إلى الله منه و يراجـع الحـق فيقبلـوا منه الـذى اتّهـاهم به من اعـتراف الـذنب والتوبـة والرجوع إلى أمر الله، فجـامعوه وقبلوا منه، وكـان حقّـاً على أهـل الإسـلام إذا اتّقوا بالحق أن يقبلوه ويجامعوه ما اسـتقام على الحق. فلمّا تفرّق الناس على ما اتّهـاهم به من الحق نكث عن الـذى عاهـدهم عليه وعاد فيما تاب منه، فكتب فى أدبارهم أن تقطع أيـدهم و أرجلهم من خلاف. فلمّا ظهر المؤمنـون على كتـابه ونكثـه على العهـد الـذى عاهـدهم عليـه رجعـوا فقتلـوه بحكـم الله، وقـال الله: (وَ إِنْ نَكَثُـوا أَيْمـانَهُمْ

---

۱. النساء: ۱۶۶ .

۲. الذاريات: ۲۳.

۳. التوبة: ۱۰۵ .

۴. العنكبوت: ۱ ـ ۳ . (۳۴۹) مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَ طَعَنُوا فِى دِيْنِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ)(۱). فجامع أهل الاسـلام ما شاءالله، وعمل بالحق، وقـد يعمل الإنسان بالاسـلام زماناً ثم يرتـد عنه. وقال الله: (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَ أَمْلَى لَهُمْ)(۲). فلمّا اسـتحلّ معصـية الله وترک سنّة من كان قبله من المؤمنين، علم المؤمنون أنّ الجهـاد فى سبيـل الله أولى، وأنّ الطاعـة فى مجاهـدة عثمـان على أحكامه. فهـذا من خبر عثمان والـذى فارقناه فيه، ونطعن عليه اليوم، وطعن عليه المؤمنون قبلنا، وذكرت أنّه كان مع رسول الله وختنه(۳)، فقد كان علىّ بن أبى طالب أقرب إلى رسول الله وأحبّ إليه منه، وكان ختنه ومن أهل الإسلام. وأنت تشهد عليه بذلک وأنا بعد على ذلک، فكيف تكون قرابته من محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ نجاةً إذا ترک الحق وضلّ كفراً(۴) . واعلم، إنّمـا علامـة كفر هـذه الاُمّـة كفرها الحكم بغير ما أنزل الله، ذلک بأنّ الله قال: (وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَـا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِـکَ هُـمُ الكَـافِرُون)(۵) .فلاـ أصـدق مـن الله قيلاـ وقـال: (فَبِـأَىِّ حَـدِيث بَعْـدَ اللهِ وَ آيـاتِهِ يُؤْمِنُـونَ)(۶).

---

۱. التوبة: ۱۲ .

٢. محمّد: ٢٥ .

٣. الختن: زوج الابنة. الجمع أختان .

۴. قال سبحانه لنبيّه: (لَئِنْ اَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ) الزمر / ۶۵، ولكن الكلام فی وقوع الشرط. إنّ الإمام لم يشرك، ولم يضل أبداً. إنّما ترك الحق اُولئِكَ الذين ألجأوه إلی إجابة دعوة الشاميين، وحذّروه من مواصلة الحرب وقد كان الامام علی أعتاب النصر، وقد بلغوا فی اللجاج والعناد إلی حدّ لم يمهلوا القائد لقواته ـ الأشتر ـ عدوة فرس أو فواق ناقة، فلاحظ .

۵. المائدة: ۴۴ .

۶. الجاثية: ۶. (٣۵٠) فلا يغرّنّك يا عبدالملك بن مروان، عثمان عن نفسك، ولاتسند دينك إلی الرجال يتمنّون ويريدون ويستدرجون من حيث لا يعلمون ،فإنّ أملك الأعمال بخواتمها، وكتاب الله جديد ينطق بالحق أجارنا الله باتباعه أن نضل او نبغی(١) فاعتصم بحبل الله يا عبدالملك واعتصم بالله، وإنّه من يعتصم بالله يهده صراطاً مستقيماً. وهو حبل الله الذی أمر المؤمنين أن يعتصموا به ولا يتفرّقوا. وليس حبل الله الرجال من أيّهم حَسُنَ ينهبون ويطعنون، فأُذكّرك الله لما أن تدبّرت القرآن فإنّه حق. وقال الله:(أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَی قُلُوب أَقْفالُها)(٢).فكن تابعاً لما جاء من الله تهتدی، وبه تخاصم من خاصمك من الناس، وإليه تدعو وبه تحتجّ، فإنّه من يكن القرآن حجّته يوم القيامة به يخاصم من خاصمه ويفلح فی الدنيا والآخرة. فإنّ الناس فقد اختصموا(إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ)(٣) فتعمل لما بعد الموت ولايغرّنّك بالله الغرور. وأمّا قولك فی شأن معاوية بن أبی سفيان أنّ الله قام معه وعجّل نصره وأفلح حجّه وأظهره علی عدوّه بطلب دم عثمان، فإن يكن يعتبر الدين من قبل الدولة أن يظهر الناس بعضهم علی بعض فی الدنيا فإنّا لانعتبر الدين بالدولة، فقد ظهر المسلمون علی الكافرين لينظر كيف يعملون، وقد ظهر الكفّار علی المسلمين ليبتلی المسلمين بذلك ويعلی الكافرين(۴). وقال:(وَ تِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُها بَيْنَ النَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ وَ اللهُ لايُحِبُّ الظّالِمِينَ * وَ لِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الكافِرِين)(۵). ________________

١. وفی نسخة: «أن نبغی أو نضل».

٢. محمّد: ٢۴.

٣. الزمر: ٣١.

۴. وفی نسخة «ويملأ الكافرين».

۵. آل عمران ١۴٠ ـ ١۴١ . (٣۵١) فإن كان الدين إذا ظهر الناس بعضهم علی بعض فقد سمعت الذی أصاب المشركون من يوم اُحُد، وقد ظهر الذين قتلوا ابن عفان عليه وعلی شيعته يوم الدار(١) وظهر أيضاً علیّ، علی أهل البصرة وهم شيعة عثمان (٢)، وظهر المختار علی ابن زياد(٣)، وأصحابه وهم شيعتهم، وظهر معصب الخبيث علی المختار(۴) وظهر ابن السجف علی أخنس بن دلجة وأصحابه، وظهر أهل الشام علی أهل المدينة(۵)، وظهر ابن الزبير علی أهل الشام بمكة يوم استفتحوا منها ما حرّم الله عليكم وهم شيعتكم. فإن كان هؤلاء علی الدين فلايعتبر الدين من قبل الدولة، فقد يظهر الناس بعضهم علی بعض ويعطی الله رجالا ملكاً فی الدنيا، فقد أعطی فرعون ملكاً وظهر فی الأرض، وقد أعطی الذی حاجّ إبراهيم فی ربّه، وقد أعطی فرعون ما سمعت. ثمّ إنّما اشتری معاوية (۶)الإمارة من الحسن بن علی، ثمّ لم يف له بالذی ________________

١. اقتحم الثوار علی عثمان بن عفان داره، بعد أن نشب القتال بينهم وبين من تصّدی للدفاع عنه وذلك فی الثامن عشر من ذی الحجّة سنة ٣۵ هـ وقتلوه وعرف ذلك اليوم بـ «يوم الدار» .

٢. يشير إلی انتصار الإمام علی بن أبی طالب فی وقعة الجمل، التی دارت بينه و بين عائشة وطلحة والزبير وذلك فی جمادی الآخرة سنة ٣۶ هـ .

٣. أرسل المختار بن أبی عبيدة الثقفی، جيشاً بقيادة إبراهيم بن الأشتر لقتال عبيدالله بن زياد عامل الأمويين. وسار إبراهيم بن الأشتر

حین لقی ابن زیاد ومن معه من أهل الشام علی نهر الخازر(نهر بین اربیل و الموصل ویصب فی دجلة) فدارت الدائرة علی ابن زیاد وقتل هووکثیر من أهل الشام وحمل رأسه إلی المختار.

۴. هزم المختار وقتل فی الکوفة سنة۶۷ هـ فی الحرب التی دارت بینه و بین مصعب بن الزبیر .

۵. حاضر مسلم بن عقبة المری، المدینة المنورة، من ناحیة الحرة وفتحها وأباحها، وذلک فی أثناء حکم یزید بن معاویة.

۶. تعبیر خاطئ والصحیح: تصالح الإمام مع معاویة بعد ما أتمّ الحجّة علی الأُمّة. (۳۵۲)

عاهده علیه، وقال: (وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدْتُم وَ لاـ تَنقُضُوا الأَیْمَانَ بَعْدَ تَوْکِیدِها وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَیْکُمْ کَفِیلا إِنَّ اللّهَ یَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَ لاـ تَکُونُوا کَالَّتِی نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّة أَنْکَاثاً تَتَّخِذُونَ أَیْمانَکُمْ دَخَلاـ بَیْنَکُمْ أَنْ تَکُونَ أُمَّةٌ هِیَ أَرْبَی مِنْ أُمَّة إِنَّمَا یَبْلُوکُمُ اللّهُ بِهِ وَ لَیُبَیِّنَنَّ لَکُمْ یَوْمَ القِیامَةِ مـا کُنْتُم فِیهَ تَخْتَلِفُونَ)(۱). فلا تسأل عن معاویة ولا عن عمله ولا صنیعه، غیر أنّا قد أدرکنا ورأینا عمله وسیرته فی الناس ولا نعلم من الناس أحداً(۲) أترک للقسمة التی قسمها اللّه، ولا لحکم حکمه الله، ولاأسفک لدم حرام منه، فلو لم یصب من الدماء إلاّ دم ابن سمیة(۳) لکان فی ذلک ما یکفّره. ثمّ استخلف ابنه یزید فاسقاً من الناس لعیناً یشرب الخمر المکفر فیکفیه من السوء، وکان یتبع هواه بغیر هدی من الله وقال الله:(وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَیْرِ هُدًی مِنَ اللهِ إِنَّ الله لا یَهدِی القَوْمَ الظَّالِمِینَ)(۴). فلم یخف عمل معاویة ویزید علی کل ذی عقل من الناس، فاتّق الله یا عبدالملک ولاتخادع من نفسک فی معاویة!! فقد بلغنا أنّ أهل البیت یطعنون علی معاویة ویزید وعملهما وما رأی من خبر معاویة من بعدهما، فالذی طعنّا علیهما وعلیه وفارقناه علیه، فإنّ منهم فتنة کمن یکون یتولّی عثمان ومن بعده. فإنّا نشهد الله والملائکة أنّا منهم ________________

۱. النحل: ۹۱ ـ ۹۲.

۲. کتب فی المخطوطة: «شیئاً لأحد» .

۳. یشیر إلی ما عمله معاویة بن أبی سفیان فی سنة ۴۵ هـ حین ردّ اعتبار زیاد بن سمیة فی نسبه فأحبّ أن یجعله أخاه وأتی بشهود شهدوا بأنّه ابن أبی سفیان، وهذا ما یعبّر عنه بالاستلحاق. وأصبح زیاد یعرف باسم زیاد بن أبی سفیان بعد أن کان یعرف باسم زیاد بن سمیة أو زیاد بن أبیه. وقد دفع معاویة إلی ذلک الاعتبارات السیاسیة، ومنذ أن اعترف معاویة بن أبی سفیان بزیاد أخاً له وابناً غیر شرعی لأبیه، تفانی زیاد فی خدمة البیت الأموی.

۴. القصص: ۵۰ . (۳۵۳)

براء ولهم أعداء، بأیدینا وألسنتنا وقلوبنا، نعیش علی ذلک ما عشنا ونموت علیه إذا متنا، ونبعث علیه إذا بعثنا، نحاسب بذلک عندالله. وکتبت إلیّ تحذّرنی الغلو فی الدین، وإنّی أعوذ بالله من الغلو فی الدین، وسأُبیّن لک ماالغلو فی الدین إذا جهلته، فإنّه ما کان یقال علی الله غیر الحق ویعمل بغیر کتابه الذی بیّن لنا وسنّة نبیه الذی بیّن لنا، اتباعک قوماً قد ضلّوا وأضلّوا عن سواء السبیل. فذلک عثمان والأئمّة من بعدهم وأنت علی طاعتهم وتجامعهم علی معصیة الله، والله یقول: (یا أهْلَ الکِتابِ لَا تَغْلُوا فِی دِینِکُمْ وَ لا تَقُولُوا عَلَی اللهِ إلَّا الحَقَّ)(۱). فهذا سبیل أهل الغلو فی الدین فلیس من دعا إلی الله وإلی کتابه ورضی بحکمه، وغضب لله حین عصی أمره، وأخذ بحکمه حین ضیع وترکت سنّة نبیّه. وکتبت إلیّ تعرض علی الخوارج، تزعم أنّهم یغلون فی دینهم ویفارقون أهل الإسلام، وتزعم أنّهم یتّبعون غیر سبیل المؤمنین، وإنّنی أُبیّن لک سبلیهم، إنّهم أصحاب عثمان، والذی أنکروا علیه ما أحدث من تغییر السنّة، فارقوه حین أحدث وترک حکم الله، وفارقوه حین عصی ربّه، وهم أصحاب علیّ بن أبی طالب حین حکّم عمرو بن العاص (۲) وترک حکم الله، فأنکروه علیه وفارقوه فیه وأبوا أن یقرّوا لحکم البشر دون حکم کتاب الله، فهم لمن بعدهم أشدّ عداوة وأشدّ مفارقة. کانوا یتولّون فی دینهم وسنّتهم رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ وأبا بکر وعمر بن الخطاب، ویدعون إلی سبیلهم ویرضون بسنّتهم علی ذلک، کانوا یخرجون وإلیه یدعون وعلیه یفارقون. وقد علم من عرفهم من الناس ورأی عملهم أنّهم کانوا أحسن الناس

____

۱. النساء: ۱۷۱ .

۲. لم يحكّم عمروبن العاص، وإنّما حكّم القرآن كما تشهد على ذلك وثيقة التحيكم.فلاحظ. (۳۵۴)

عملا- وأشدّ قتالا فى سبيل الله. وقال الله: (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ وَ لْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ المُتَّقِينَ)(۱). فهذا خبر الخوارج، نشهد الله والملائكة انّا لمن عاداهم أعداء وانّا لمن والاهم أولياء، بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا، على ذلك نعيش ماعشنا، ونموت على ذلك إذا متنا، غير أنّا نبرأ إلى الله من ابن الأزرق وأتباعه من الناس، لقد كانوا خرجوا حين خرجوا على الإسلام فيما ظهر لنا، ولكنّهم ارتدّوا عنه وكفروا بعد إيمانهم(۲) فنبرأ إلى الله منهم. أمّا بعد فإنّك كتبت إليّ أن أكتب إليك بجواب كتابك، وأجتهد فى النصيحة، وإنّى أُبيّن لك إن كنت تعلم و أفضل ما كتبت إليك به، وذكّرتنى بالله أن أبيّن لك فإنّى قد بيّنت لك بجهد نفسى، وأخبرتك خبر الأُمّة، وكان حقّاً علىّ أن أنصح لك وأُبيّن لك ما قد علمت. إنّ الله يقول:(إنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَ الهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِى الكِتابِ أُوْلئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ بَيَّنُوا فَأُولئِكَ أتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ أنا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) (۳). فإنَّ الله لم يتَّخذنى عبداً وأن أكفر بربّى، ولاأُخادع الناس بشىء ليس فى نفسى، وأُخالف إلى ما أنهى عنه، فأمرى علانية غير سرّ، أدعو إلى كتاب الله وليحلّوا حلاله ويحرّموا حرامه ويرضوا بحكمه ويتوبوا إلى ربّهم ويراجعوا كتاب الله، ولئن أدعوكم إلى كتاب الله ليحكم بينى وبينكم فى الذى اختلفوا فيه، ونحرّم ما حرّم الله، ونحكم بما حكم الله، ونبرأ ممّن برىء الله منه ورسوله، ونتولّى من يتولّاه الله، ونطيع من أحلّ لنا طاعة فى كتابه، ونعصى

۱. التوبة: ۱۲۳ .

۲. يشيرهنا إلى تبرّئ الاباضية من نافع بن الأزرق والأزارقة وذلك لغلوّهم وتطرّفهم فى الدين.

۳. البقرة: ۱۵۹ ـ ۱۶۰ . (۳۵۵)

من أمر الله بمعصيته. أن نطيعه فهذا الذى أدركنا عليه نبيّنا ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ . وإنّ هذه الأُمّة لم تحرّم حراماً ولم تسفك دماءً إلاّ- حين تركوا كتاب ربّهم الذى أمرهم أن يعتصموا به، ويأمنوا عليه، وانّهم لايزالون مفترقين مختلفين حتى يراجعوا كتاب الله وسنّة نبيّه، وينتصحوا كتاب الله على أنفسهم، ويحكّموه إلى ما اختلفوا فيه. فإنّ الله يقول: (وَ مَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَىء فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ذلِكُمُ اللهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ)(۱). وإنّ هذا هو السبيل الواضح لايشبّه به شىء من السبل، وهو الذى هدى الله به من كان قبلنا، محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ والخليفتين الصالحين من بعده، فلايضلّ من اتّبعه ولايهتدى من تركه، وقال:(وَ أَنَّ هذا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا- تَتَّبِعُوهُ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(۲). فاحذر أن تفرّق بك السبل عن سبيله، ويزّين لك الضلالة باتّباعك هواك فيما جمعت إليه الرجال، فإنّهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً، إنّما هى الأهواء والدين. إنّما يتبع الناس فى الدنيا والآخرة إمامين، إمام هدى، وإمام ضلالة. أمّا إمام الهدى فهو يحكم بما أنزل الله ويقسم بقسمه ويتبع كتاب الله، وهم الذين قال الله: (وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وكانُوا بآياتِنا يُوقِنُونَ)(۳) وهؤلاء أولياء المؤمنين الذين أمرالله بطاعتهم، ونهى عن معصيتهم. وأمّا إمام الضلالة فهو الذى يحكم بغير ما أنزل الله ويقسم بغير ما قسم الله، ويتبع هواه بغير سنّة من الله فذلك كفر كما سمّى الله، ونهى عن طاعتهم وأمر بجهادهم، وقال: (فَلا- تُطِعِ الكافِرينَ وَ جاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبيرا)(۴).

۱. الشورى: ۱۰ .

۲. الأنعام: ۱۵۳ .

۳. السجدة: ۲۴.

۴. الفرقان: ۵۲. (۳۵۶)

فإنّه حقّ أنزله بالحق وينطق به، وليس بعد الحق إلاّ الضلال فأنّى تصرفون. ولا يضربن الذكر عنك صفحاً،ولاتشكّنّ فى كتاب الله، ولا

حول ولاـقوّة إلاّـ بـالله، فإنّه من لم ينفعه كتاب الله، لم ينفعه غيره. كتبت إليّ أن أكتب إليك بمرجوع كتابك، فإنّى قـد كتبت إليك، وأنا اُذكّرك بالله العظيم إنّ استطعت بالله لمّا قرأت كتابى ثمّ تـدبّر فيه وأنت فارغ ثم تـدبّره، فقد كتبت إليك بجواب كتابك وبيّنت لـك مـا علمت ونصـحت لك. فإنّى اُذكّرك بالله العظيم لمّا قرأت كتابى وتـدبّرته، واكتب إليّ إن اسـتطعت بجواب كتابى إذا كتبت إليك، إنّما أتنازع فيه أنا وأنت، انزع عليه بيّنـة من كتاب الله اُصدّق فيه قولك، فلاتعرض لى بالدنيا فإنّه لارغبة لى فى الدنيا، وليسـت من حاجتى، ولكن لتكن نصـحتك لى فى الدين، ولما بعد الموت، فإنّ ذلك أفضل النصيحة، فإنّ الله قادر أن يجمع بيننا وبينك على الطاعـة، فإنّه لاخير لمن لم يكن على طاعـة الله. وبالله التوفيق وفيه الرضـى، والسـلام عليه، والحمد لله، وصـلّى الله على نبيّه محمّد وآله وسلّم تسليماً(۱) . ***

۱. السير والجوابـات لعلماء وأئمّـة عمان ۲/۳۲۵ ـ ۳۴۵ تحقيق الاُستاذة الـدكتورة سيـدة إسـماعيل كـاشف، ط وزارة التراث القومى والثقافة سلطنة عمان، والجواهر المنتقاة ۱۵۶ ـ ۱۶۲، وازالة الوعثاء عن اتباع أبى الشعثاء ۸۶ ـ ۱۰۱ .

الفصل الثانى عشر فى عقائد فرق الخوارج

الفصل الثانى عشـر فى عقائد فرق الخوارج ومخطّطاتهم فى الحياة (۳۵۸) (۳۵۹) ظهرت الخوارج فى الساحة الإسـلامية بصورة تيار سياسى لايتبنّون إلاّ تطبيق الحكم الشرعى الوارد فى الكتاب والسنّة فى أمر البغاة(الشاميين) وكان الجميع يحملون شعار«لاحكم إلاّ لله» يريـدون بـذلك انّ حكم الله فى حق البغاة هو القتال، لاتحكيم الرجال، ولم يكن لهم يومـذاك منهج كلامى، ولمّا قضـى علىّ ـ عليه السَّلام ـ نحبه، ركّز الخوارج جهـدهم على مكافحـة الحكّام الظـالمين كمعاويـة وآله، ومروان بن الحكم وأولاده، وقـد حفظ التاريخ انتفاضـاتهم فى وجه خلفـاء بنى اُميّـة وعمّـالهم كمـا تعرّفت على لفيف منهـا. فلاـ عجب عندئـذ إذا رأينـا أنّ خارجياً يقتفى أصـحاب الحـديث فى العقائد، أو يتبنّى عقيدة المعتزلة فى غير مورد من الاُصول وما هذا إلاّ لأنّ القوم فى القرنين الأوّلين كانوا مقاتلين، قبل أن يكونوا أصـحاب فكر، وكـانوا ثوّاراً فى وجه الحكومـات، قبل أن يكونوا فرقـة دينيـة تتبنّى اُصولا عقائديـة، والامعان فى المبـدأ الـذى اتّخـذوه كحجر زاويـة (تخطئـة التحكيـم) أو الاُسـس الـتى تبنّوهـا فى العهـد الامـوى، أى بعـد استيلاـء معاويـة على الحكم، إلى عهد عبدالملك بن مروان (ت ۷۵) إلى آخر الدولة المروانية (۱۳۲ هـ) يعرب عن أنّ (۳۶۰)
القوم لم يكن لهم يوم ذاك فكر كلاـمى ولاـ فقهى، وأنّ الغايـة من تبنّى الاُسـس المـذكورة فى هـذا الفصـل (تكفير مرتكبى الكبيرة وحرمـة مناكحتهم ولزوم الخروج على الطغاة و...) إنّما هو تمهيد لأساليب توصـلهم إلى القضاء على الخلفاء وحكّام الجور، والاستيلاء على منصَّة الحكم. ولذلك لم يورثوا سوى الشغب والثورة والأخذ بزمام الحكم. نعم الفرقة الباقية منهم ـ كالاباضية ـ لمّا استشعروا أنّه لايصحّ بفريق سياسى أن يعيش بلا مبدأ كلامى أو فقهى، تداولوا بعض الموضوعات الكلامية والفقهية بالبحث والتمحيص. ويبدو من خلال الرجوع إلى آثـار تلك الفرقـة أنّ أكثر ما يتبنّونه فى مجال العقائـد إنّما هو نتاج متأخّر لم يفكّر به مؤسّـس الفرقـة كعبـدالله بن ابـاض ولاالتـابعى الآـخر كجـابر بن زيـد، وأكثر ماورثوا من الأوّل شـجاعته الروحيـة، وصـراحته فى بيان الحقائق، ومن الثانى أحاديث موقوفة، نقلها جابر عن عدّة من الصحابة، وأين هذا من منهج كلامى منسجم، وفقه واسع يتكفّل بيان تكاليف العباد فى الحياة فى عامّة المجالاـت. وهـذا يؤيّـد أنّ الخـوارج ـ ظهرت يـوم ظهرت ـ كفرقـة سياسـية ثم آلت إلى فرقـة دينيـة. ونحن نمّر فى هـذا الفصـل على عقائـدهم واُسسـهم التى تعرّفت على سـماتها والغايـات المتوخّـاة منها. *** (۳۶۱) ۱ ـ حكـم التحكيـم فى حرب صـفّين إنّ تخطئة التحكيم هو الحجر الأساس لقاطبة الخوارج، وقد اتّخذوه شعاراً أيّام حياة الامام على ـ عليه السَّلام ـ وبعده، والخوارج كلّهم، المتطرّف منهم و غيره، أصفقوا على أنّ قبول التحكيم فى حرب صفّين كان أمراً مخالفاً للكتاب، وما كان لعلى ـ عليه السَّلام ـ أن يُحكِّم الرجال فى موضوع ورد فيه حكم إلهى فى مصـدرين رئيسيين ـ أعنى الكتـاب والسـنّة ـ، وبمـا أنّا ألمحنـا إلى الموضوع وأوضـحنا حـاله فى الفصل الثالث تحت عنوان «تحليل لكارثـة التحكيم» فنحيل القارئ الكريم إلى ذاك الفصل وقـد ذكرنا هناك وجوهاً مختلفة يحتملها

ذلك الشعار، إلّا أنّ الإمعان فى كتب القوم يعرب عن أنّهم لايهدفون منه إلّا احد الوجهين: (۳۶۲) الف ـ تحكيم الرجال فيما نزل فيه حكم الله، كفر(۱) . ب ـ لا ـ إمرة إلّا لله تبارك وتعالى. أمّا الأوّل فيشترك فيه جميع فرقهم، وأمّا الثانى فإنّما يعود إلى بعض فرقهم كما سنذكر، وبما أنّه اعتمد على الوجه الأوّل جميع مفكّريهم ومشايخهم، وبالغ القوم فى توضيحه وتنقيحه وتثبيته، فنأتى فى المقام ببعض نصوصهم ثمّ نقوم بتحليله حتى يتبيّن الحق بأجلى مظاهره. التحكيم والتدخّل فى موضوع له حكم سماوى: إنّ للكاتب المعاصر: على يحيى معمّر، مؤلف كتاب «الاباضية فى موكب التاريخ» بياناً مفصّلا حول الموضوع وقد بذل جهده فى اثبات أنّ التحكيم كان تدخّلا فى موضوع فيه حكم الله، وهو مواصلة الحرب والقتال ومكافحة أهل البغى، وأنّ ايقاف القتال وإدلاء الأمر إلى الحكمين كان مخالفاً للتشريع السماوى، يقول: «بايع المسلمون على بن أبى طالب أميراً للمؤمنين، وكان أوّل من بايع طلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، ولكن ماكادت تتّم البيعة، حتى كان طلحة والزبير يحملان لواء الثورة مع جماعة من كبار الصحابة ،وقد استظهروا بأُمّ المؤمنين عائشة، ووقف الخليفة فى وجه الثائرين موقفاً حازماً صلباً، وقتل فى هذه الثورة الطاحنة عدد غير قليل من المسلمين ذهب فيمن ذهب فيها ______________

۱. هذا هو الوجه الأوّل من بين الوجوه المذكورة فى الفصل الثالث وَوَعدنا هناك القارىء أن نرجع إلى تفصيله وتحليله وما نذكره هنا إنجاز له. (۳۶۳)

طلحة والزبير، ورجع بقيّة الثائرين إلى حظيرة الإمامة والأُمّة. لم تكد تنتهى هذه الحرب الطاحنة، ويعود إلى البلاد الهدوء والاستقرار، ويَعْرِفَ معاوية أنّ الثورة فشلت، وأنّه معزول عن ولاية الشام لامحالة، حتّى أعلن الثورة فى الشام و هو حينئذ عامل من عمّال الخليفة، وأظهر أنّه يطالب بدم عثمان وقد استعدّ أمير المؤمنين لإطفاء هذه الثورة كما أطفأ الثورة التى سبقتها و جهّز جيشه القوى وسار به نحو الشام حيث التقى بالجند الثائر فى الموضع المعروف بـ «صفّين»، وبدأت المعركة ثم استمرّ القتال حتى ظهرت طلائع النصر وأشرف جيش الخليفة على امتلاك زمام المعركة، ولم يبق للقضاء على هذه الثورة الجامحة إلّا لحظات عبّر عنها الأشتر «بفواق الناقة»، إلتجأ الثائرون إلى الحيلة والخدعة، ولجأوا إلى المكر والمكيدة ورفعوا المصاحف وهم يصيحون يا أهل العراق بيننا وبينكم كتاب الله. طلب الثائرون هدنة، ودعوا الخليفة الشرعى وجيشه إلى تحكيم حكمين، وقد فطن أمير المؤمنين وبعض من جيشه إلى هذه الخدعة، وعرفوا القصد من هذه الهدنة، ولكّنه بدلا من أن يقف موقفه الحازم، ويوالى حربه ضد الثائرين، حتّى يتحققّ النصر، وقد تحقّقت بشائره، ويُلقى البغاةُ أسلحتَهم، ويعودوا إلى صفّ الأُمّة الذى انشقّوا عنه، وبغوا عليه ـ بدلا من أن يقف موقفه الحازم ذلك ـ استجاب لدعاة الهزيمة وأخذ بنصيحة طلّاب الخدعة وأكثرهم موعود من معاوية أو من عمروبن العاص، ورضى بالتحكيم وَ قَبِلَ الهدنة وأمر بايِقاف القتال فى الحال. وهكذا انتهت هذه الثورة إلى هذا الموقف المائع الذى جعل حقّ علىّ فى الخلافة، يتساوى مع حقّ معاوية، وجعل نصيب البغاة الثائرين من الثواب، يساوى نصيب جيش الأُمّة الذى يدافع عن خلافة شرعية تمّت بالشورى (۳۶۴)

وانعقدت بالبيعة. وتداعى الذين فطنوا إلى خدعة الهدنة من أصحاب علىّ وحذَّروه من قبولها، وأخبروه أنّ قبولها يعنى الشكّ فى خلافته، والتنازل عنها، وكانوا مصرّين انّ الخلافة الشرعية حقّ لايتطرّق إليه الشكّ، ولايجوز فيها الرجوع ولا تقبل فيها المساومة. وإذ خطر لعلى أن يستجيب لدعاة الهزيمة من جيشه، والماكرين من عدوّه، وأن يشكّ فى نفسه والحقّ الذى بيده، ويتنازل عن الشرف الذى أولاه المسلمون، ويساوى بينه و بين أحد عمّاله، فى قضية أخذ فيها عهداً من الأُمّة وأخذت منه فيها موثقاً وعهداً، ورضخ إلى تحكيم رجال فيما نزل فيه حكم الله. حين فعل علىّ ذلك، تداعى أُولئك الذين لم يرتضوا التحكيم وحذّروا علياً من قبوله، وهم يرون أنّ معاوية باغ لاحقّ له، وأنّ بيعة على قد انفسخت بموافقته على الهدنة، ورضاوه بالتحكيم جبراً، فلم تبق لأحد فى أعناقهم بيعة، وليس لأحد عليهم ميثاق، تداعوا إلى أن يعتزلوا جيش علىّ، وركنوا إلى موقع يسمّى حروراء، فانعزلوا فيه ينتظرون تجدّد الحوادث، واتّجاه الأُمّة فى قضية الخلافة، وقد جرت الأُمور بأسرع ممّا يتوقّع لها، فما بلغ الموعد الذى حدّده الطرفان لانتهاء الهدنة، حتى اجتمع الناس وأعلن أبو موسى الأشعرى مندوب على، عزلَ علىّ عن الخلافة وترك الأمر شورى بين المسلمين يختارون من يشاؤون. كان

هؤلاء المحايدون ينظرون إلى معاوية نظرتهم إلى باغ، يحاول أن يفرض نفسه بالمكر والحيلة، ولذلك فهم لايقيمون أىّ وزن لدعوى عزله، فهو لم يتولّ أمر الخلافة إلى ذلك الحين، لابالإكراه، ولابالشورى، فلامعنى لعزله من منصب ليس هو فيه، كما لايقيمون أىّ وزن لتولية عمروبن العاص له، لأنّ (۳۶۵)

عمراً لم يفوّضه المسلمون فى توليـة أميرالمؤمنين، أمّا نظرتهم إلى على فقـد كانوا يتوقّعون أن يتّفق الحكمان على إقراره فى الحكم، وحينئذ ترجع إلى على الصبغة الشرعية التى تنازل عنها لإثباتها، ويجب على المسلمين حينئذ أن يوحّدوا صفوفهم، تحت طاعته، ما قام فيهم بكتاب الله، ولكنّ المندوب الذى اختاره على ليمثّله فى هذه القضية الظالمة، أعلن أنّه عزل عليّاً عن أمر المسلمين، وأنّ الأمر أصبح للشورى والاختيار، وتأيّد موقف هؤلاء المحايدين وانضمّ إليهم عدد آخر ممّن كانوا يقفون إلى جانب علىّ حتى ذلك الحين، وبحثوا الأمر فيما بينهم على أساس أنّ المسلمين أصبحوا دون خليفة. فهذا معاوية باغ ظالم لايمكن أن يتولّى أمر المسلمين، وهذا علىّ عزله المندوب الذى اختاره للتحكيم، واذن فليختاروا، واختاروا عبدالله بن وهب الراسبى، فبايعوه أميراً للمؤمنين وخليفة للمسلمين بعد على بن أبى طالب، فهو الخليفة الشرعى الخامس فى نظرهم» (۱). غيرى جنى وأنا المعاقبُ فيكم!: لم أجد عنواناً يعرب عن مظلوميّة الإمام أمير المؤمنين فى مسألة التحكيم الذى فرضه عليه الخوارج، ثم جاءوا يطالبونه بالجريمة، أحسن من هذا المصراع، وبما أنّا فرضنا على أنفسنا فى بدء الكتاب ألاّ نقضى على قوم بماكتبه غيرهم فى حقّهم، فقد نقلنا هذا الكلام بتفصيله والإمعان فى أوّله وثناياه وآخره يدل على أنّ الكاتب أخذ موقفاً مسبقاً فى مسألة التحكيم، فأخذ من التاريخ فقرات متناثرة تلائم موقفه، وترك كل ما يخالفه.وإليك تحليل ماذكره. ۱ ـ كان من واجبه ـ قبل كلّ شىء ـ التعريف بالذين فرضوا التحكيم على ـــــــــــــــــ

۱. على يحيى معمّر: الاباضية فى موكب التاريخ، الحلقة الأُولى ۲۱ ـ ۳۴. (۳۶۶)

علىّ ـ عليه السّلام ـ وأجبروه على قبوله، فمن هم الذين أجبروه على التحكيم وعلى التنازل عن الشرف الذى أولاه المسلمون، وبالتالى ساووا بينه وبين أحد عمّاله؟ فإنّ التعرّف عليهم أساس القضاء الحق فيما رسمه الكاتب وحرّره. الذين فرضوا التحكيم على على ـ عليه السّلام ـ لم يكونوا إلاّ رؤوس المحكّمة الأُولى الذين اتّخذهم الكاتب أئمّة وأولياء، فإنّ الإمام على ـ عليه السّلام ـ، فوجىء بمجئ زهاء عشرين ألفاً، مقنّعين فى الحديد، شاكين سيوفَهم، وقد اسودّت جباههم من السجود يتقدّمهم مِسْعَر بن فدكى، وزيد بن حصين، وعصابة من القرّاء الذين صاروا خوارج من بعدُ، فنادون باسمه، لابإمرة المؤمنين، وقالوا: يا علىّ أجب القوم إلى كتاب الله إذا دُعيتَ، وإلاّ قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فوالله لنفعلنّها إن لم تجبهم، فقال الإمام لهم: ويحكم أنا أوّل من دعا إلى كتاب الله، وأوّل من أجاب إليه، وليس يحلّ لى ولايَسَعُنى فى دينى أن اُدْعى إلى كتاب الله فلا أقبله، فإنّى إنّما قاتلتهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنّهم قد عصوا إليه فيما أمرهم، ونقضوا عهده ونبذوا كتابه، ولكّنى قد أعلمتكم أنّهم قد كادوكم، وأنّهم ليس العمل بالقرآن يريدون (۱). إنّ حرقوص بن زهير السعدى الذى يُعدّ من الطبقة العليا للمحكّمة الأُولى وكان مرشَّحاً للبيعة فى بيت عبدالله بن وهب الراسبى قبله، كان من المصرّين على قبول التحكيم، لكنّه رجع عن رأيه وتاب عن كفره بزعمه، ولمّا دخل على علىّ ـ عليه السّلام ـ ومعه زرعة بن برج الطائى، فقال له: اُخرج بنا إلى عدوّنا نقاتلهم، فعاتبه الإمام وقال: قد أردتكم على ذلك فعصيتمونى وقد كُتِبَ بيننا وبينهم كتاب...(۲).

---

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين ۵۶۰ ـ ۵۶۴ وغيرها.

۲. الطبرى: التاريخ ۴/۵۳ . (۳۶۷) وقد وصل اصرار القوم إلى حدّ هدّدوا حياة الإمام بأنّهم يقضون عليها كما قضوا على حياة عثمان، فلم يجد الإمام بُدّاً من قبول التحكيم، وقد بلغ القوم فى قلّة الحياء وشكاسة الخلق إلى حدّ فرضوا التحكيم على الإمام أوّلا، ثمّ فرضوا عليه صيغة الحكم، ولم يرضوا بمن كان هوى على ـ عليه السّلام ـ معه، وقد كان الإمام يصرّ على بعث عبدالله بن عباس أو الأشتر، ولكنّهم ما رضوا إلاّ بأبى موسى الأشعرى الذى كان يَكنّ عداء علىّ فى خُلْده لمّا عزله من ولايته. أبعد هذا يصحّ للكاتب أن يقول«ولكنّه ـ الإمام ـ بدلَ أن يقف موقفه الحازم ويوالى حربه ضد الثائرين حتى يتحقّق النصر، وقد تحقّقت بشائره، ويُلْقى البغاةُ

أسلحتهم، ويعودوا إلى صفّ الاُمّة... بدلا من أن يقف موقفه الحازم ذلك، استجاب لدعاة الهزيمة وأخذ بنصحية طلّاب الخدعة...». إنّ رؤوس الخوارج هم الذين كانوا يشكّلون دعاة الهزيمة، وطلاّب الخدعة، فلوكان التحكيم جناية فهم أولى بأن يجتنوا ثماره، ويحملوا أوزاره، لا الإمام الذى أعطى لهم نصحة الخالص، ونبّههم على أنّها خديعة، ظاهره الصلاح وباطنه الفساد و... أو ليس عاراً على جماعة، فرضوا على إمامهم التحكيم، وإدلاءالأمر إلى الحكمين وكتابة ميثاق بين الطرفين، أن يجيئوا شاهرين سيوفهم، يطلبون منه نقض الميثاق ورفض العهد الذى كان عنه مسؤولا، وكأنَّ الخلافة آلة طّيعة بأيديهم يلعبون بها كيف شاءوا. هؤلاء لم يقدّروا عليّاً، ولاعرفوا مكانته وصموده فى طريق العهد والميثاق، فما دام الحكمان لم يخرجا عن الطريق المستقيم، لاينقضُ قوله وعهده، وإن بلغ ما بلغ، وإن شهرت الخوارج سيوفهم عليه وعلى الخُلَّص من جيشه. ٢ ـ إنّ عليّاً لم يستجب لدعاة الهزيمة ولم يأخذ بنصيحة طلّاب الخدعة، (٣٦٨)

إلا بعد ما تحقّق عجزه عن القيام بمواصلة الحرب، وتطبيق حكم الله على البغاة ـ أعنى معاوية وأتباعه ـ.. لاشكّ انّ حكم الله فى حق البغاة هو قتالهم إلى أن يرجعوا إلى صفّ الاُمّة الذى انشقّوا عنه، وبغوا عليه، إلّا أنّ التكليف فرع القدرة وهى فرع طاعة الجيش لرأى قائده الحازم الباسل، الذى عرفه التاريخ بالبطولة والبسالة والصمود والوقوف فى وجه الظالمين، ولكن يا للأسف انّ أغلبية الجيش انخَدَعُوا بخدعة معاوية، وأخذوا بمخالفته على حسب ما عرفت، وعندئذ لاتثريب على الإمام أن يُسلِّم الأمر إلى الحكمين ويقف عن القتال قائلاـ (لاَيُكلِّفُ اللهُ نفساً إلاّ وسْعَهَا)، (ولايُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاّ ما آتاها) ويقول: «لقد كنت أمس أميراً ،فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت أمس ناهياً، فأصبحت اليوم منهيّاً»(١) . إنّ بعض الكُتّاب الجدد من الاباضية يصرّح بأنّ عليّاً قَبِلَ التحكيم مضطرّاً ويقول: «إنّ هذه الخدعة لم تكن لتجوز على على بن أبى طالب، وقد أدركها وأدرك حقيقة ماوراءها من الوهلة الاُولى، وأعلن على الفور رفضه لها وعدم قبوله للتحكيم. إنّ على بن أبى طالب إنّما قبل التحكيم مضطرّاً ورضى به مكرهاً ازاء ضغط من ضعف أفراد جماعته، ومن نهضوا بينهم يدعون إلى قبول التحكيم، وانّ الدعوة التى دعا بها معاوية أحدثت أثرها فى خداع الجند، كما أنّها كانت نكأة لبعض من ضعفت أنفسهم للجهر بها والدعوة إلى الكفّ عن القتال، وازاء ذلك كلّه لم يكن فى وسع علىّ إلّا أن يرضى بالتحكيم وإن لم يقتنع به ولم تخف نتائجه»(٢). ______________

١. الرضى: نهج البلاغة قسم الخطب، الخطبة ٢٠٨ .

٢. صالح بن أحمد الصوافى: الإمام جابر بن زيد العمانى: ١٠٠ . (٣٦٩) وقال على يحيى معمّر: «كان التحكيم خدعة سياسية يراد بها تفريغ جيش أمير المؤمنين على ـ عليه السَّلام ـ وانّه أولّ من أوائل من تفطّنوا للمكيدة، ولم يقبل التحكيم إلّا مكرهاً، وأنّه أنكره بشدّة وأبان لجيشه – الذى عمل فيه الطابور الخامس عمله ـ عواقب تلك المكيدة وأنّه لم يقبل التحكيم إلّا مضطرّاً عندما وجد جيشه معرّضاً للتفرّق والتمزّق وربّما للتناحر، وكان على رأى الامام على ـ عليه السَّلام ـ وعلى رأى أصحابه فى اعتبار التحكيم مكيدة لاينبغى قبولها، أكثر أئمة المسلمين منهم الإمامان العظيمان الحسن البصرى ومالك بن أنس حسب ما أورده المبّرد فى كامله وابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة بل أستطيع أن أزعم أنّنا اليوم وفى هذا العصرـ وقد مضى على تلك الأحداث ثلاثة عشر قرناً ونصف ـ عندما نقرأ أخبارها نشعر بالأسف والحسرة، لأنّ تلك الخدعة الجريئة قد انطلت على أكثرّية جيش علىّ حتى اضطرّ للاستجابة لها، رغم معرفته القصد منها وتقديره لنتائجها وعلمه علم اليقين أنّ القصد من تلك العملية لم يكن مراعاة للمصلحة العامّة ولانظراً لخير الاُمّة، ولاتحكّماً للكتاب فى شىء جهل فيه حكم الكتاب» (١) . وقال أيضاً: «واختلف أصحاب على اختلافاً شديداً بين موافق على الطلب، ومعارض له، واضطرّ الإمام إلى الموافقة نزولا عند رأى الأغلبية وإن كان رأيه هو خلاف ذلك» (٢) . نحن نسأل الكاتبين عن مسألة التحكيم المفروض على علىّ من جانب جيشه، فقد اعترفا بأنّ الإمام قبله بعدما عرفه، دفعاً للتفرقة والتخرّق، بل

____

١. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الإسلامية ١/١٩٠ ـ ١٩١ .

۲. على يحيى معمّر: الاباضية بين الفرق الإسلامية ۲/۱۶۶ . (۳۷۰)

للتناحر وانّه لولا ـ قبوله لثاروا على الإمام وقضوا على حياته، وعندئذ يصبح ابن أبى سفيان مالكاً لأزمّة الاُمور ومتسنّماً على عرش الخلافة من دون منازع، ويصير الطريق لبسط سلطته وسيطرته مُعَبّداً ومذلّلا بأيدى خصمائه وأعدائه ـ أعنى الّذين قبلوا التحكيم وفرضوه على إمامهـ . وأين ذلك الفرض من فرض قبول التحكيم حتى يرجع الطرفان إلى كتاب الله فيما اختلفا فيه.... وإن كان حكم الكتاب فى ذلك واضحاً ـ والخصم وأنصاره الأغبياء كانوا يتخيّلون أنّهم جاهلون بحكمه فيجب أن يرجع إليه بحكمين من الطرفين. فإذا كان هذا موقف علىّ والمسلمين فلم يكن بُدّ من قبول التحكيم دفعاً للأفسد بالفاسد وهو ليس شيئاً خفيّاً على الكاتبين، وعند ذلك فلماذا يؤاخذان عليّاً بقبول التحكيم وعدّه ذنباً يحتاج إلى التوبة والاستغفار. إذا كان قبول التحكيم عن اكراه واضطرار، وقد قال سبحانه: (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغ وَلا عاد فَإنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)(۱) أفيصحّ للمغفّلين الّذين انتبهوا عن غفلتهم، وضيّعوا الفرص الذهبيّة للقضاء على الطغمة الأموية، أن يصرّوا على علىّ بالتوبة والاستغفار وإلاّ فبالانعزال والخروج عن تحت رايته بعد ما أخبر سبحانه أنّه غفور رحيم لكلّ مضطّر ارتكب عملا لاعادياً ولاباغياً؟ أفيصحّ لهؤلاء وفى رأسهم المحكِّمة الاُولى الذين كانوا أداة طيّعة ـ بلاوعى ـ بيد رأس الطابور الخامس الأشعث بن قيس، أن يحتفلوا فى الكوفة ويختاروا لأنفسهم أميراً وخليفة، ويتّهموا عليّاً بأنّه عزل نفسه عن الخلافة، ثمّ يخرجوا عن الكوفة وينزلوا ضفة النهر مُرْهبين ومرعبين ونار الفتنة بعد لم تطفأ والعدّو الغاشم ـ معاوية بن أبى سفيان ـ على اُهْبَة الهجوم وبسط السيطرة ________________

۱. الأنعام: ۱۴۵ . (۳۷۱)

والقضاء على الخلافة الشرعية. إنّ النصوص التاريخية تضافرت على أنّ عليّاً أتمّ عليهم الحجّة قبل نشوب نار الحرب، وقد كان رؤساء المحكّمة أعنى عبدالله بن وهب الراسبى وحرقوص بن زهير السعدى ومن فى رتبتهما من المحكّمة، يسمعون كلام علىّ وهو يخاطبهم بأنّهم هم الذين فرضوا على علىّ التحكيم، فلمّا ندموا طلبوا منه نقض العهد والميثاق المحرّم بنص الذكر الحكيم، وقد ذكرنا نص على عند عرض التاريخ. يقول صالح بن أحمد الصوافى: إنّ على بن أبى طالب قد مضى بنفسه إلى اُولئك الخارجين عنه وقال لهم: من زعيمكم؟! قالوا: ابن الكواء. قال على: فما أخرجكم عنّا؟ قال: حكومتكم يوم صفّين. قال: أنشدكم بالله أتعلمون أنّهم حين رفعوا المصاحف، فقلتم: نجيبهم إلى كتاب الله، قلت لكم: إنّى أعلم بالقوم منكم، إنّهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن إنّى صحبتهم وعرفتهم أطفالا ورجالا، فكانوا شرّ أطفال وشرّ رجال. اُمْضُوا على حقّكم وصدقكم، فإنّما رفع القوم هذه المصاحف خديعة ودهناً ومكيدة، فرددّتم عَلَىّ، وقلتم: لا ـ بل نقبل منهم، فقلت لكم: اذكروا قولى لكم ومعصيتكم إيّاى، فلمّا أبيتم إلاّ الكتاب اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن، وأن يميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بحكم القرآن، فليس لنا أن نخالف حكماً يحكم به بما فى القرآن. وإن أبيا فنحن من حكمهما براء، قالوا له: فخبرنا، أتراه عدلا تحكيم الرجل فى الدماء؟.... فقال: إنّا لم نُحكِّم الرجال، إنّما حكّمنا القرآن، وهذا القرآن هو خط مسطور بين دفّتين لا ـ ينطق، إنّما يتكلّم به الرجل...قالوا: فخبرنا عن الأجل لِمَ جعلته فيما بينك وبينهم؟ قال: ليعلم الجاهل، ويثبت العالم، ولعلّ الله ـ عزّوجلّ ـ يصلح فى هذه الهدنة هذه الاُمّة...ادخلوا مصركم، رحمكم الله... (۳۷۲) قالوا: صدقت، قد كنّا كما ذكرت... وفعلنا ما وصفت، ولكن ذلك كان منّا خلاف القرآن، فقد تبنا إلى الله عزّوجلّ منه، فتب كما تبنا، نبايعك، وإلاّ ـ فنحن مخالفين. فقال على: ادخلوا فلنمكث ستة أشهر حتى يجىء المال، ويسمن الكراع، ثمّ نخرج إلى عدوّنا ولسنا نأخذ بقولهم وقد كذبوا...(۱). فهذا الكلام سواء اُلقى فى الحروراء أو فى ضفة النهر يعرب عن أنّ الأكثرية السّاحقة من الخارجين عن طاعة على ـ لولا كلّهم ـ كانوا هم الذين فرضوا التحكيم على علىّ ـ عليه السّلام ـ وألجأوه إلى الرضوخ لمكيدتهم، فماذا يطلبون من علىّ بعد ذلك؟ ۳ ـ إنّ ابن أبى سفيان قام لأجل أخذ الثأر من قتلة عثمان ولم يبايع عليّاً بحجّة أنّه كان يحمى الخارجين على عثمان، والثائرين عليه، وكان الإمام يصّر عليه أن يدخل أوّلا فيما دخل فيه المسلمون، ثم يعرض المسألة عليه(۲) وبما أنّ معاوية اتّخذ جانباً سلبيّاً فى هذا الموضع، قام الإمام بتأديب الباغى، وارجاعه إلى صفوف المسلمين وانتهى الأمر إلى نشوب الحرب بين الطرفين، ولجوء

معاويـة إلى الخدعـة والمكر، وتحكيم الرجلين فى الموضوع الـذى اختلف فيه الفريقان، فلم تكن الغايـة من اتفاقيـة الصـلح إلاّ تحكيم الكتاب فى الموضوع الذى تنازع فيه الطرفان، وأمّا عزل الإمام عن الخلافة ونصب معاوية مكانه فلم يكن فى صـلاحية الحكمين وإنّما دخلا فى موضوع لم يُفَوَّض إليهما أمره. فرأيهما فيها بالعزل والنصب رأى ساقط. ۴ ـ إنّ الإمام لمّا رأى لجاج العدو وعناده فى صياغة اتفاقية الصلح حيث لم يرض به إلاّ بمحو لقب إمرة المؤمنين عن جنب اسمه، رضى بذلك اقتداءً ـــــــــــــــــ

۱. صالح بن أحمد الصوافى: الإمام جابر بن زيد العمانى: ۱۱۰ ـ ۱۱۱ .

۲. الرضى: نهج البلاغة، قسم الرسائل برقم ۶۴ . (۳۷۳)

بالنبىّ الأكرم فى صلح الحديبية حيث رضى أن يكتب اسمه ويمحى لفظ رسول الله، ولم يسمع لقول الأحنف حيث قال: «لا تمح اسم إمرة المؤمنين عنـك فـإنّى أتخوّف إن محوتهـا ألاّ ترجع إليـك أبـداً لاتمحهـا وإن قتـل الناس بعضـهم بعضاً، فأبى ملياً من النهار أن يمحوها» (۱) ولكنّه ـ عليه السَّلام ـ لم يَرَ بـدّاً من القبول ورضـى بالمحو تحت ضـغط الأشـعث والمنخـدعين من جيشه، والمقنّعين فى الحديد. وبذلك تقف على قيمة قوله: «وإذ خطر لعلى أن يسـتجيب لدعاة الهزيمة فى جيشه، والماكرين من عدوّه أن يشكّ فى نفسه، والحق الذى بيده، ويتنازل عن الشرف الذى أولاه المسلمون، ليساوى بينه وبين أحد عمّاله فى قضيّة أخذ فيها عهداً من الاُمّة، وأخذت منه فيهـا موثقاً وعهـداً ورضـخ إلى تحكيم رجال فيما نزل فيه حكم الله» . إن فرض التحكيم على على وقبوله ومحو لقبه، تحت ضـغط قسم كبير من جيشه، لايعنى شـكّه فى نفسه والحق الـذى بيـده، والتنازل الاختيارى عن الشـرف الذى أولاه المسـلمون، بل يعنى فسـح المجال للتفكّر والتـدبر فيما كان يدّعيه معاوية على الإمام من تقدّم أخذ الثأر على البيعة، حتى يقضـيا الحكمان فيه برأى بات، ولو دلّ محو اللقب على الشك فى الإمرة، فهل يظنّ الكاتب أنّ رسول الله شكّ فى رسالته عندما رضى بمحو لقبه عن جنب اسمه؟ نعم توّهم ذلـك بعض أصـحابه وتصوّر أنّ ذلك يساوى اعطاء الدنيـة فى أمر الـدين(۲) ولكن رسول الله اسـتقبل الحـادث بصـدر رحب، وقبل الصلح على النحو الذى كان المشركون يطلوبونه، وقد أثبت مرور الزمان صواب رأيه فى الصلح، وأنّه كان ـــــــــــــــــ

۱. نصر بن مزاحم: وقعة صفّين: ۵۸۲ .

۲. لاحظ السيرة النبوية لابن هشام ۳/۳۳۱ . (۳۷۴)

لصالح المسـلمين كما هو المحقّق فى السيرة النبوية. والحاصل: لم يكن قبول التحكيم والموافقة على الهدنة لغاية عزل الإمام نفسه عن الخلافـة وإدلاء الأمر إلى الحكمين حتى يُخْتار للاُمّة الإسـلامية خليفة بل كانت الغاية من قبوله هو فسح المجال للحكمين حتّى يقضوا فى ضوء الكتاب والسنّة فى حقّ الباغى الوارد فى الكتاب العزيز(۱)وفيما يدّعيه ابن أبى سـفيان فى حقّ على، حيث كان يقول لايبايع الاّ بعـد أخذ الثأر من قتلة عثمان كما صـرّح به فى بعض رسائله إلى الإمام، يقول الإمام: «وقد أكثرت فى قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه النـاس، ثمّ حـاكم القوم إلىّ أحملـك وإيّاهم على كتاب الله، وأمّا تلك التى تريـد فإنّها خدعـة الصبى عن اللبن فى أوّل الفصال». وقـد جاء فى رسالـة معاويـة إلى الإمام قوله: «وادفع إلىّ قتلـة عثمان، فإنّهم خاصّـتك وخلصاؤك والمحدقون بك» (۲). فإنّ ابن أبى سفيـان كـان يطلب فى الظـاهر قتلـة عثمـان، ولكنّه فى البـاطن كـان يمهـدّ الطريق إلى الخلافـة، وربّمـا كـان قانعاً لأن يقرّه الإمام على الشام(۳). وبـذلك ظهر بطلان قوله: «إنّ بيعـة الإمام قد انفسـخت بموافقته على الهدنة، ورضاوه بالتحكيم جبراً، فلم يبق لأحد فى عنقه بيعته» فـإنّه تفسير لموقف الإمـام بمـا يتجـاوب هوى الكـاتب، فـإنّ الإمـام لم يخلع نفسه عن الخلافـة أبـداً ولاـ تردّد فى كونه الخليفة الشـرعى والقـانونى للاُمّـة، ولو صـحّ مـا ذكره الكاتب وأنّ الإمام خلع نفسه عن الخلافـة بمرأى ومسـمع من جيشه وجيش عـدوّه، لما

---

۱. الحجرات: ۹.

۲. ابن أبى الحديد، شرح النهج ۱۷ / ۲۵۳.

۳. المصدر نفسه، ومرّ تفصيله. (۳۷۵)

قام أبو موسى بخلعه عن الخلافة، إذ لامعنى لخلع المخلوع لاسيمّا من خلع نفسه واعترف به. ولو كان قبول التحكيم ملازماً للخلع عن الإمامة فلماذا كتب الإمام ـ عندما وصل إليه نبأ الحكمين وخيانتهما فی مورد الوكالة ـ إلی زعماء الخوارج: زيد بن حصين وعبد الله بن وهب الراسبی ومن معهما من الناس وقال: أمّا بعد فإنّ هذين الرجلين الذين ارتضينا حكمهما، قد خالفا كتاب الله واتّبعا هواهما بغير هدى من الله، فلم يعملا بالسنّة ولم يُنفّذا للقرآن حكماً، فبرأ الله ورسوله منهما والمؤمنون، فإذا بلغكم كتابی هذا فاقبلوا فإنّا صائرون إلی عدوّنا و عدوّكم، ونحن علی الأمر الّذی كنّا عليه(۱). الحقّ إنّ من قرأ تاريخ مأساة التحكيم يقف علی مدى الضغط الوارد عليه من جانب أصدقائه الحمقاء، ثم يرجع ويترحّم علی الإمام ويبكی عليه ببكاء عال ويقول: «رحم الله الإمام عاش بين عدوّ غادر، وصديق انوك». ۵ ـ والعجب العجاب أن يصبح عبدالله بن وهب الراسبی الخليفة الشرعی والقانونی للمسلمين فيجب علی الاُمّة فی جميع الأقطار و الأصقاع، إطاعة أمره، بحجة أن نفراً من الخوارج اجتمعوا فی منزله فبايعوه، ولعلّ عدد المبايعين لا يتجاوز عن عدد الأصابع أو يزيد بقليل(۲). إنّ البيعة الشرعيّة وانعقاد الإمامة لواحد من المسلمين رهن شروط وصلاحيات، ذكرها المعنّيون من علماء علم الكلام فی كتبهم، ولم يذكر أحد أنّه إذا بايع عدّة من المسلمين شخصاً فی صقع من الأصقاع يجب علی عامّتهم الاعتراف بإمامته وخلافته. ________

۱. الطبری: التاريخ ۴ / ۵۷.

۲. نفس المصدر. (۳۷۶) إنّ معنى ذلك انّه يجوز لآحاد من المسلمين فی البدو والقرى، أن يختاروا رجلاً فيبايعوه علی الخلافة وإن كان المبايعون بُعَداء عن العاصمة الإسلامية الّتی فيها أهل الحل و العقد. لو صحّ أنّ الإمام خلع نفسه ـ ولن يصحّ حتى ولو صحّت الأحلام ـ فالواجب علی المسلمين طرح الخلافة فی شورى إسلامية عالميّة تضمّ إليها أكابر العلماء والفقهاء، وأهل الحل و العقد من المهاجرين والأنصار، و من اتّبعهما بإحسان، حتى يختاروا لأنفسهم إماماً، لاطرحها فی بيت مسدود ليس فيه إلاّ اُناس خرجوا علی إمامهم الّذی تمّت البيعة له فی مثل تلك الشورى، لأنّ تصحيح ذلك بمعنى تصحيح الفوضى فی صفوف المسلمين، وشقّ عصاهم، وفصم عراهم، وغير ذلك ممّا لايخفى علی القارئ الكريم بطلانه. ۶ ـ والعجب انّ الكاتب نقض ما كتبه هنا بما ذكره فی الحلقة الثالثة من ذلك الكتاب، فإذا وصف الإمام فی المقام، بأنّه استجاب لدعاة الهزيمة وأخذ بنصيحة طلّاب الخدعة، فقد صرّح فی المقام الآخر بأنّ الإمام «عرف أنّها احدى المكائد الّتی تفطّن إليها ذهن عمرو بن العاص، وأصرَّ هو و أصحابه علی الجهاد، وكان الإمام والمخلصون من أصحابه يكافحون لإقناع بقيّة الجيش بصواب موقفهم (مواصلة الحرب) ونبذ الاستماع إلی هذه الخدعة الحربية» وإن كنت فی شكٍّ ممّا نقلناه عنه فاقرأ نصّه: خالف معاوية بن أبی سفيان اجماع الاُمّة و أشعل نار الفتنة وجهّز جيشاً لمحاربة الخليفة الشرعی الّذی اختاره المسلمون، و قابله أمير المؤمنين علی بن أبی طالب بما يقابل به خليفة شرعی فئة باغية، فجهّز جيشاً من أبطال الإسلام وقاده بنفسه، و التقى الجيشان فی صفّين، وابتدأ القتال وعرف معاوية أنّه إذا لم يكن يلجأ إلی الحيلة فإنّه سوف يخسر القضية فی (۳۷۷)

أقرب ممّا يتوقّع، ومهّد لذلك بتكوين طابور خامس فی جيش علی ثم دعا إلی التحكيم. وعرف علی وعرف أصحابه مقصد معاوية من التحكيم، وأنّها احدى المكائد الّتی تفتق عنها ذهن عمرو بن العاص، ولذلك قال علی: إنّما قاتلناهم بكتاب الله، وأصرّ هو و أصحابه علی الجهاد، ولكن الطابور الخامس الّذی كان يقوده أكبر صنايع معاوية: الأشعث بن قيس، كان قد عمل فی الجيش، ومالت الأغلبية إلی قبول التحكيم، وحينما كان علی والمخلصون من أصحابه يكافحون لإقناع بقيّة الجيش بصواب موقفهم (مواصلة الحرب) ونبذ الاستماع إلی هذه الخدعة الحربية الّتی لجأ إليها الفريق الباغی، لخّص أحد أصحابه موقفهم هذا فی هذه الكلمة المشهورة «لاحكم إلاّ لله» وكانوا يصيحون بها فی جوانب الجيش و يرددها أنصار علی فی كل موقف وكان علی يستمع إليها راضياً بها وهو يناقش الناس ويدعوهم إلی التمسّك بمضمون هذه الكلمة وعدم الانخداع بحيل معاوية لأنّ قضيتهم واضحة وقد حكم فيها الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سماوات... وشاءت إرادة المولى سبحانه وتعالى ـ لحكمة يعلمها ـ أن لاتستجيب الإغلبية لعلی وأن تميل

أكثريّة الجيش إلى دعاة الهزيمة، وأن يتغلّب الأشعث ابن قيس صنيعة معاوية على المناضلين من أجل الحق، فيجد الإمام نفسه مضطرّاً إلى التخلّى، وترك الصفوة من أصحابه ليحافظ على الأغلبية ويسير معها، فرضى بالتحكيم مرغماً، وإذا هذه اللحظة الّتى رضى على فيها بالتحكيم، وموافقة الأغلبية، كانت كلمة «لاحكم إلاّلله» تعبيراً عن موقفه و شعاراً لمبدئه بل انها تعبير وشعار لكلّ مؤمن يحكّم كتاب الله فيما شجر بينه خلاف وبين (۳۷۸)

الناس(۱) . ۷ ـ إنّ التعبير عن الخروج على الإمام المفترض طاعته بـ«الخلافة»، كما أنّ التعبير عن التمرّد والشغب بـ«تشكيل الدولة» مصادرة على المطلوب والمشى على الدعوى المسبقة بلا برهان، فيطيب لى أن أذكر نصّ الكاتب الّذى يصوّر أنَّه كان للخوارج دولة بعد رفض التحكيم. قال: «أصبحت الاُمّة الإسلامية منقسمة إلى ثلاث دول: دولة أسّسها معاوية وإن لم يبايعه عليها أحد إلى ذلك الحين، ودولة يرأسها على بن أبى طالب بعد أن فشلت فى نظره حكومة الحكمين، عاد فاستمسك بالبيعة الاُولى (۲) دون أن يعترف بعزل أبى موسى الأشعرى له مندوبه فى قضيّة التحكيم، و دولة يرأسها عبد الله بن وهب الراسبى بعد أن بايعه جمع كبير من الذين انفصلوا عن على، عند قبول التحكيم، ثم عند اعلان الحكم بعزل على عن الخلافة، ومع كلّ فرقة من هذه الفرق جمع غير قليل من كبار الصحابة وفيهم بعض المشهود لهم بالجنّة . على أنّ هناك فريقاً رابعاً اعتزلوا هذا النقاش الّذى وقع بين المسلمين وبعدوا عن قضية الخلافة فلم يطلبوها لأنفسهم، ولم يؤيّدوا واحداً من طالبيها، و من هذا الفريق السادة سعد بن أبى وقاص و عبد الله بن عمر، و محمّد بن مسلمة الأنصارى وأُسامة بن زيد»(۳). إنّ الكاتب ادّعى لابن وهب مقاماً ليس له أثر فى التاريخ ولا فى كلمات الخوارج حتى فى نفس المجلس الّذى بايعوه، فإنّ البيعة لم تكن إلاّ لأن يكون ـــــــــــــــــــــ

۱. على يحيى معمّر: الاباضية فى موكب التاريخ، الحلقة الثالثة: ۲۸۳ ـ ۲۸۳.

۲. فأى معنى للاستمساك بالبيعة الاُولى إذا خلع نفسه بمرأى ومنظر من الناس ياترى، أو ليس هذا دليلاً على أنّ الإمام لم يخلع نفسه فى وجدان الكاتب؟

۳. على يحيى معمّر: الاباضية فى موكب التاريخ، الحلقة الأولى: ۲۴. (۳۷۹)

الرجل أميراً للجهاد وقائداً عسكرياً فى القتال لاخليفة شرعية يملأ الفراغ الحاصل من العزل المزعوم، والشاهد على ذلك انّ حمزة بن سنان الأسدى أوّل من اقترح هذه الفكرة وقال: «فولّوا أمركم رجلاً منكم فإنّه لابدّ لكم من عماد وسناد وراية تحفّون بها وترجعون إليها...». ولمّا قبلها عبد الله بن وهب، قال: أما والله لا آخذها رغبة فى الدنيا ولا أدعها فرقاً من الموت(۱). ۸ ـ لم يكن محاربة الإمام للخوارج وعلى رأسهم عبد الله بن وهب الراسبى إلاّ لأجل أعمالهم الإرهابيّة الّتى بلغت الإمام، فقال بعض المخلصين له: على ما ندع هؤلاء يخلّفوننا فى أموالنا و عيالنا؟ سر بنا إلى القوم، فإذا فرغنا ممّا بيننا وبينهم صرنا إلى عدوّنا من أهل الشام، فقبل على، فنادى بالرحيل. كان من المظنون جداً أن يقوم عبد الله بن وهب الراسبى بسبى النساء وقتل الذرارى، إذا رأوا أنّ العاصمة الإسلامية (الكوفة) خالية من زعيمها وجيشها خصوصاً انّ علياً و مواليه كانوا عندهم مشركين كافرين تحلّ أموالهم وتجوز إراقة دمائهم وسبى نسائهم، فلأجل ذلك قلع الإمام عين الفتنة قبل أن يبادر بمحاربة عدوّ الله فى الشام. كلّ ذلك يدلّ على بطلان قول الكاتب «بعد أن جمع الإمام على جيشه ومن بقى تحت طاعته من الجند، فكّر فى اعادة الكّرة على معاوية واخماد ثورته ومحاولة اخضاعه من جديد، ولكن بعض أصحابه أشاروا عليه بمحاربة عبدالله ابن وهب الراسبى هذا الخليفة الجديد الّذى وصل إلى منصب الخلافة عن طريق البيعة، وهو الطريق الشرعى للخلافة. واقتنع على بصواب هذا الرأى و عدل عن محاربة معاوية إلى محاربة عبد الله بن وهب، وكان أتباع عبدالله ـــــــــــــــــــــ

۱. الطبرى: التاريخ ۴ / ۵۵. (۳۸۰)

يعتقدون أنّ إمامهم هو الإمام الحق وانّ كّلاً ـ من على ـ بعد التحكيم والعزل ـ ومعاوية، ثائران يجب عليهما الرجوع إلى حظيرة الإمامة»(۱). ۹ ـ روايات شاذة فى أمر التحكيم: الف ـ اعتمد الدكتور صالح الصوافى فى تحليله مسألة التحكيم على رواية شاذّة ذكرها

ابن قتيبـهٔ فی تاريخ الخلفاء وقال: «لمّا لم يبق إلاّ الكتاب، قال الأحنف بن قيس لعلی: يا أمير المؤمنين انّ أبا موسـی رجل يمانی وقومه مع معاويـهٔ فابعثنی معه فو الله لا يُحِلّ لک عقـدهٔ إلاّعقـدت لک أشدّ منها، فإن قلت انّی لست من أصـحاب رسول الله ـ صـلّی الله عليه وآله وسـلّم ـ فابعث ابن عباس وابعثنی معه، فقال علی: إنّ الأنصار أتونی بأبی موسـی فقالوا: ابعث هذا فقد رضـيناه ولا نريد سواه والله بالغ أمره»(۲). إنّ هذه الروايهٔ شاذّهٔ غير معروفهٔ وقد اتّفق المؤرّخون علی أنّ عليّاً کان يصرّ علی بعث ابن عباس أو الاشتر و لم يکن له أیّ هوی مع أبی موسـی الأشـعری، لما کان يسـتشف منه أنّ هواه مع غيره وکيف لا وهو الّذی خـذل الناس عن مساعدهٔ الإمام القائم يوم کـان واليا علی الکوفـهٔ، وتقاعـد عن نصـرته، ولم ينفّر الناس إلی ساحـهٔ قتال الناکثين بل دعاهم إلی البقاء فی منازلهم بحجّـهٔ أنّها فتنهٔ، القاعد فيها خير من القائم(۳). کيف يعتمـد علی تلک الروايهٔ الشاذّهٔ مع أنّ ابن قتيبهٔ، نقل خلافها فی موضع آخر عند البحث عن ظهور المحکّمهٔ، ونقلها الدکتور أيضاً فی کتابه، ـــــــــــــــــــــــ

۱. علی يحيی معمّر: الاباضيهٔ فی موکب التاريخ، الحلقهٔ الاُولی: ۲۴ ـ ۲۵.

۲. صالح بن أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زيد العمانی: ۹۹ نقلاً عن الإمامهٔ والسياسهٔ: ۱۱۴.

۳. الطبری: التاريخ ۳ / ۴۹۷. (۳۸۱)

قال: اتّضحت معالم المسألهٔ واضحهٔ، و بدا لکل ذی عينين أنّ التحکيم لم يکن سوی خديعهٔ لم يبغ من طلبها سوی العدول عن الطريق السوی، وصـحّ کل ما توقّعه علی بن أبی طالب حتی حقّ له أن يقول وقـد وقع ما وقع: «أما أنّی قـد أخبرتکم أنّ هذا يکون بالأمس، و جهدت أن تبعثوا غير أبی موسی فأبيتم عَلَیّ»(۱). أفيصحّ بعد هذا، قوله إنّ الأنصار أتونی بأبی موسی فقالوا: ابعث هذا فقد رضيناه ولا نريد سواه؟! مع أنّه لم يرده أبداً وإنّما فرض عليه من فرض. ب ـ إنّ الکّتاب الجدد لمّا واجهوا أنّ التحکيم سيّئهٔ من سيّئات المحکّمهٔ وأنّهم هم المسؤولون عن عواقبه الوبيلـهٔ، عمدوا إلی الروايات الشاذّهٔ ومخالقات أعداء الإمام. قالوا: إنّ عليّاً ظلّ يکاتب معاويهٔ سـرّاً من دون المسـلمين، فکتب إلی معاويـهٔ: من علیّ أمير المـؤمنين إلی معاويـهٔ، فکتب إليه معاويـهٔ: لو أعلم أنّـک أمير المؤمنين لم اُقاتلـک، فامـح اسم أمير المؤمنين، ففعـل علی ذلـک فبلغ ذلـک المسـلمين، فقـالوا له: يـا علی مـا حملک أن تخلع نفسک من اسم سـمّاک به المسـلمون؟ ألست أمير المؤمنين ومعاويـهٔ أمير المخـالفين؟ فتب عمّـا صـنعت...، ثمّ إنّهم يـذکرون أنّه بعـد أن تاب عـدل عن توبته و أمضی الحکومهٔ أی التحکيم(۲). إنّ ما ذکره من المکاتبـهٔ السرّيهٔ ليس له مسـحهٔ من الحقّ ولا لمسـهٔ من الصدق ولا يوجد فی کتب القصاصـين فضـلاً عن التواريخ والسـير، وما ذکره ليس إلاّ قصهٔ التحکيم الّذی شهد عليه الطرفان علی وجه التفصيل، والإمام امتنع عن

---

۱. صالح بن أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زيد: ۱۰۲ نقلاً عن الإمامهٔ و السياسهٔ لابن قتيبهٔ ۱۱۹.

۲. صالح بن أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زيد: ۱۱۲ نقلاً عن القلهاتی: الکشف والبيان: ۲ / ۲۳۷. (۳۸۲)

محو إمرهٔ المؤمنين عن نفسه، وقـد أمضـی مليّاً من النهار، وهو يـدفع ذلک الاقتراح غير أنّ المحکّمـهٔ والطابور الخامس الـذين فرضوا علی علیّ نفس التحکيم، فرضوا عليه صـيغته أيضاً، ولم يکن شـيئاً خفيّاً من الناس بل کان علی مشـهد منهم، وقـد ذکر الإمام ما جری علی النبی الاکرم فی صـلح الحديبيـهٔ وأنّه سـيبتلی بما اُبتلی به رسول الله، وأمّا قصـهٔ التوبهٔ فقد مضـی الکلام فيها. ج ـ رووا عن علی ـ عليه السـلام ـ أنّه بعـد مـا قتـل الخوارج جعل يمرّ عليهم وهو يسـتغفر لهم و يقول: بئس ما صـنعنا قتلنا خيارنا وفقهاءنا... فقال له بعض أصـحابه: يا أمير المؤمنين قتلنا المشـرکين. قال: من الشـرک فرّوا. قال: أمن المنافقين؟ قال إنّ المنافقين لايذکرون الله إلاّ قليلاً و هؤلاء يـذکرون الله کثيراً(۱). إنّ مـا ذکره انّمـا هو من مخـاريق الخوارج، حـاولوا أن يبرّروا أعمـال أسـلافهم فـالقوم کـانوا بغـاهٔ علی الإمـام المفترض طاعته، ومَنْ حبّه إيمان وبغضه کفر(۲) والقوم لم يکونوا مشـرکين ولا منافقين، ولکن کانوا بغاهٔ، ولم يکونوا خيار القوم ولا فقهاءهم بل کانوا من أهل الباديهٔ الذين تسيطر عليهم السذاجهٔ ويغترّون بالظواهر من دون التعمّق فی البواطن. وأسوأ من ذلک ما نقله فی ذيـل کلامـه ونحن نطهر قلمنـا عن ذکره والردّ عليه، فلم يکن الإمـام نادمـاً من عمله لأنّـه حقّق ما تنبأ به النبی الأکرم فی حقّه وأنّه

سيقاتل الناكثين والقاسطين و المارقين (۳) وآية ذلك انّه كانت للخوارج انتفاضات بعد وقعة النهروان، فلم يزل على ـ عليه السلام ـ يبعث السرايا لإطفاء فتنتهم، و اخماد ثائرتهم إلى أن اُغتيل ______________

۱. الدكتور صالح بن أحمد الصوافى: الإمام جابر بن زيد: ۱۲۵، نقلاً عن القلهاتى فى الكشف والبيان: ۲ / ۲۵۲ ـ ۲۵۴.

۲. مرّ مصدره.

۳. مرّ مصدره. (۳۸۳)

بيد أشقاهم شقيق عاقر ناقة ثمود (۱). ۱۰ ـ لا إمرة إلاّ لله: هذا هو الوجه الثانى لتفسير شعارهم «لاحكم إلاّ لله» ولكن الخوارج رفضوه عملاً واختاروا عبد الله بن وهب خليفة لهم إلاّ أنّه كانت توجد بين المتطرّفين منهم تلك النظرية. يقول الكاتب المعاصر على يحيى معمر: «انعزل معارضوا التحكيم إلى جانب، واستمسكوا بموفقهم الّذى كانت تعبرّ عنه هذه الكلمة أصدق تعبير، ونشأ عن هذا الموقف موقف آخر متطرّف كل التطرّف، فإنّ الكلمة حينما اطلقت وقصد منها أنّه لا يجوز للناس أن يحكِّموا فيما نزل فيه حكم الله، وذلك ما فهمه الإمام على ورضى به، وفهمه المعارضون وعملوا به». ولكن اُناساً من المتطرّفين فيما بعد زعموا أنّه لا حاجة إلى الإمارة وأنّه لا داعى لأن يكون للمسلمين حكومة وحملوا كلمة «لاحكم إلاّ لله» هذا المقصد الهدّام، وهذا التطرّف هو ما سخطته الاُمّة وردّته عنهم، وتولى الإمام على شرحه باسهاب وايضاح لايبقى بعده اشكال. قال الإمام على وهو يردّ على اُولئك المتطرّفين الذين خرجوا بكلمة «لاحكم إلاّ لله» عن معناها الّذى وضعت له: «كلمة حق يراد بها الباطل، نعم لاحكم إلاّ لله، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلاّ لله، و انّه لابد للناس من أمير برّ أو فاجر، يعمل فى امرته المؤمن، و يستمتع فيها الكافر، يبلّغ الله فيها الأجل، ويجمع بها الفىء، ويقاتل العدو، وتؤمن به السبل، و يؤخذ به للضعيف من ______________

۱. مرّ مصدره. (۳۸۴)

القوىّ حتى يستريح برّ و يستراح من فاجر»(۱). الخوارج أنصار علىّ وشيعته؟! إنّ الخوارج يعدّون أنفسهم شيعة الإمام على ـ عليه السلام ـ وأنصاره وانّهم كانوا سواعده القويّة فى قتال الناكثين والقاسطين، و انّهم هم الذين أعاروا جَماجمَهم لعلىّ فى القتالين ثم يشكون عليّاً بأنّه ما أنصف فى حقّ أنصاره وأعوانه، حيث قتلهم وهم براء من الذنب. وممّن صبّ الشكوى فى قالب الشعر، هو أبو مسلم ناصر بن سالم بن عديم الرواحى يقول فى قصيدة له: ارقتَ دماء المؤمنين بريئة * لهن بزيزاء(۲) الحراء(۳)خرير(۴) عليّاً أمير المؤمنين بقيّة! * كأنّ دماء المؤمنين خمور سمعناك تنفى شركهم و نفاقهم * فأنت على أىّ الذنوب نكير؟! وما الناس إلاّ مؤمن أو منافق * ومنهم جحود بالإله كفور وقد قلت ما فيهم نفاق ولا ـ بهم * جحود و هذا الحكم منك شهير فهل أوجب الإيمان سفك دمائهم ؟ * وأنت بأحكام الدماء بصير! تركتَهم جزر السباع، عليهم * لفايف من إيمانهم و ستور مصاحفهم مصبوغة بدمائهم * عليهن من كتب السهام سطور وكنتَ حفياً يا بن عمّ محمّد * بحفظ دماء مالهن خطير ______________

۱. على يحيى معمّر: الاباضية فى موكب التاريخ، الحلقة الثالثة: ۲۸۴.

۲. الزيزاء: الاكمة الصغيرة.

۳. الحراء: الحرّة: أرض ذات حجارة سود كأنها اُحرقت بالنار.

۴. صوت الماء. (۳۸۵) وكنتَ حفياً أن يكونوا بقيّة * لنصرك حيث الدائرات تدور أما و الّذى لاحكم من فوق حكمه * على خلقه ورد به و صدور تنادى: أعيرونى الجماجم كرّة * فقد قدموها و الوطيس سعير لَقِدْماً أعاروك الجماجم خشّعاً * عليهنّ من قرع الصفاح فتور فقصعتها إذ حَكَّمت حكم ربّها * فما بقَّيتَ عارية و معير(۱) والحقّ إنّ هذه الأبيات تثير العواطف العمياء ضدّ الإمام، ويتخيّل صاحبها أنّ الإمام قد جحد حقّهم و تساهل، و لكنّه إذا رجع إلى غضون التاريخ، سرعان ما يرجع عن قضائه و يلوم نفسه على التسرّع، وإن كنت فى شكّ من ذلك فارجع إلى ما ذكرناه من تاريخهم و أعمالهم الإجرامية حين التحكيم وبعده، وهنا نشير إلى نكات: ۱ ـ إنّ قوله: سمعناك تنفى شركهم ونفاقهم يشير إلى ما رواه عن على أنّه قال له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين قتلنا

المشركين. قال: من الشرك فرّوا. قال: أمن المنافقين؟ قال إنّ المنافقين لايذكرون الله إلّا قليلًا وهؤلاء يذكرون الله كثيراً(۲). يلاحظ عليه أوّلًا: انّ المروى عن على ـ عليه السلام ـ فى حقّ هؤلاء هو ما ذكره الطبرى بقوله: بؤساً لكم لقد ضرّكم من غرّكم، فقالوا: يا أمير المؤمنين من غرّهم؟ قال: الشيطان، وأنفس بالسوء أمّارة، غرّتهم بالأمانى، وزيّنت لهم المعاصى ونبّأتهم أنّهم ظاهرون(۳).

۱. صالح بن أحمد الصوافى: الإمام جابر بن زيد العمانى: ۱۲۷ ـ ۱۲۸.

۲. الدكتور صالح بن أحمد الصوافى: الإمام جابر بن زيد العمانى: ۱۲۵، نقلًا عن القلهاتى فى الكشف والبيان: ۲ / ۲۵۱ ـ ۲۵۴.

۳. الطبرى ۴ / ۶۶. (۳۸۶) ثانياً: نفترض صحّة الحديث ولكن القوم كانوا عصاة وبغاة، خارجين على الإمام المفترض عليهم طاعته، والعصاة عندكم كفّار، وعندنا فسّاق ولا حرمة للكافر، والفاسق يقتل فى ظروف خاصّة، خصوصاً إذا بغى على الإمام الّذى أصفقت الأُمّة على إمامته وخلافته، قال سبحانه: (وَ إن طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإنْ بَغَتْ إحْدَاهُما عَلَى الأُخْرى فَقَاتِلُوا الَّتِى تَبْغِى حَتَّى تَفِيءَ إلَى أَمْرِ الله فَإنْ فَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَ أَقْسِطُوا إنَّ الله يُحِبُّ المُقْسِطِينَ)(۱). فقد برّر سفك دمائهم بغيهم و خروجهم على الإمام المفترض طاعته، و على ضوء ذلك فلا معنى لقوله: «فهل أوجب الإيمان سفك دمائهم؟...». ۲ ـ إنّ الشاعر فى قوله: تركتهم جزر السباع...» يشير إلى أنّ الإمام قتلهم ثمّ تركهم مثل من تفتكه السباع وتتركه، ولكن التاريخ يشهد على خلافه. يقول الطبرى: «طلب عدىّ بن حاتم ابنه طرفة فوجده فدفنه، ثمّ قال: الحمد لله الّذى ابتلانى بيومك على حاجتى إليك، و دفن رجال من الناس قتلاهم...» بل الإمام قام بعطف إنسانى قدير. يقول الطبرى: «و طلب من به رمق منهم فوجدوهم أربعمائة رجل، فأمر بهم علىّ فدفعوا إلى عشائرهم، وقالوا: احملوهم معكم، فداووهم، فإذا برأوا فوافوا بهم الكوفة، وخذوا ما فى عسكرهم من شىء، قال: وأمّا السلاح والدواب وما شهدوا عليه الحرب فقسّمه بين المسلمين، وأمّا المتاع و العبيد و الإماء فإنّه حين قدم ردّه على أهله»(۲).

۱. الحجرات: ۹.

۲. الطبرى: التاريخ ۴ / ۶۶. (۳۸۷) ۳ ـ يشير الشاعر بقوله: «تنادى اعيرونى الجماجم كرّة ـ فقد قدّموها والوطيس سعير» إلى ما خدموا عليّاً ـ عليه السلام ـ فى الجمل وفى صفّين قبل رفع المصاحف وهو صادق فى هذا العزو و النسبة، ولكنّهم يا للأسف بخلوا بها فى الموقف الحاسم الّذى كان بينه وبين النصر خطوة، وذلك عندما رفع أهل الشام المصاحف. قال الإمام: «عباد الله، إنّى أحق من اجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية و عمرو بن العاص و ابن أبى معيط و حبيب بن مسلمة، وابن أبى سرح، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنّى أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالاً و صحبتهم رجالاً، فكانوا شرّ أطفال و شرّ رجال. إنّها كلمة حق يرادبها باطل. انّهم و الله ما رفعوها انّهم يعرفونها و يعملون بها، و لكنّها الخديعة والوهن و المكيدة. أعيرونى سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحق مقطعة، ولم يبق إلآ أن يقطع دابر الذين ظلموا» فجاء زهاء عشرين ألفاً مقنّعين فى الحديد شاكى السلاح، سيوفهم على عواتقهم، وقد اسودّت جباههم من السجود، يتقدمهم مسعر بن فدكى، وزيد بن حصين، وعصابة من القرّاء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه لابإمرة المؤمنين: يا على، أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه، و إلّا قتلناك كما قتلنا ابن عفّان، فوالله لنفعلنها إن لم تجبهم فقال لهم: ويحكم، أنا أوّل من دعا إلى كتاب الله و أوّل من أجاب إليه، وليس يحلّ لى ولا يسعنى فى دينى أن اُدعى إلى كتاب الله فلا أقبله، إنّى انّما اُقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنّهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه، ولكنّى قد أعلمتكم أنّهم قد كادوكم، وأنّهم ليسوا العمل بالقرآن يريدون. قالوا: فابعث إلى الأشترليأتيك وقد كان الأشتر صبيحة ليل الهرير قد أشرف على عسكر معاوية ليدخله... وقد بلغ بخلهم وضنتهم باعارة جماجمهم إلى حد طلب منهم الأشتر أن (۳۸۸)
يمهلوه فواقَ ناقة أو عدوة الفرس فما أمهلوه. قال لهم: امهلونى فواقاً فإنّى قد أحسست بالفتح. قالوا: لا. قال: فامهلونى عدوة الفرس، فإنّى قد طمعت فى النصر، قالوا: اذن ندخل معك فى خطيئتك. قال: وحدثونى عنكم ـ وقد قتل أماثلكم وبقى أرذالكم(۱). فالحقّ إنّ

الخوارج كانوا أنصار علىّ فى البداية وإلى أثناء حرب صفّين ثمّ انقلبوا. وممّا يندى الجبين انّ زيد بن حصين الطائى قد قدم إلى علىّ و معه عصابة من القرّاء فناده كما عرفت(۲) لا بإمرة المؤمنين بل باسمه وفرضوا عليه قبول التحكيم، وهو بعد أيّام قلائل كان المرشّح الأوّل فى أخذ البيعة لواحد من المحكّمة فى الحروراء، يقول الطبرى: قال حمزة بن سنان الأسدى: إنّ الرأى ما رأيتم، فولّوا أمركم رجلًا منكم فإنّه لابدّ لكم من عماد وسنان، ورايـة تحفّون بها وترجعون إليها، فعرضوها على زيد بن حصين الطائى فأبى، و عرضوها على حرقوص بن الزهير فأبى، وعلى حمزة بن سنان وشريح بن أوفى العبسى فأبيا، وعرضوها على عبد الله بن وهب، فقال: هاتوها...(۳) فالرجل ذو طبيعة متسرّعة فى القضاء، فيوماً يفرض التحكيم على على ويوماً آخر يستنكر التحكيم و يُرشّح لقيادة الثورة على على لأجل قبول التحكيم!! ۴ ـ قد جادت قريحة العلاّمة الفقيه الشيخ محمود البغدادى ـ دامت معاليه ـ بقصيدة ضافية فنّد فيها ما جاء فى الأبيات السابقة نقتطف منها مايلى: ______________

۱ . ابن مزاحم: وقعة صفّين ۴۹۹.

۲. ابن مزاحم: وقعة صفّين ۴۹۹.

۳. تاريخ الطبرى: ۴ / ۵۵ . (۳۸۹) تراءت (۱)فقلتُ الشمسُ حيثُ تنيرُ * ففى القلب منها لوعةٌ و سعيرُ ولستَ ترى فى الخلق مثلَ عقيدة * جمالاً يرد الطرفَ و هو حسيرُ ادافع عنها من أراد مساءةً * واقمع من قد صدَّ و هو جَسورُ وليس محبّاً من يُخلّى عداتَه * تشنُّ على أحبابه وتُغير أَمثْل ُ علىّ فى عدالـةِ حكمه * يُردُّ... و عشّاقُ الجمالِ حضور علىٌّ علىٌّ بابُ علم محمّد * و ذاك حديث كالبدور شهير أ إنْ زار بالجيش العرمرم ثُلَّهُ * يُعَبْ زائر أوْ يُمدَحنَّ مَزورُ وقد فارقوه بعد نصر مؤزّر * ولم يُلفَ منهم بعد ذاك ظهير وقِدماً أعاروه الجماجم خُشّعاً * و ماكلٌّ من وافى الحروب يعير وهل ينفع النصر القديم إذا امّحى * بحقد، و فارت بالعداء قدور همُ قد أثاروا الحرب حين تنكّبوا * سلاحاً كثيفاً والسلاحُ يثير و هم مرقوا كالسهم من دين أحمد * و ذلك أمرٌ ما عليه ستورُ لَعَمرى لَنعمَ الصحْبُ كانوا لصاحب * ولكنّما الدنيا الفتون غرور إذا هُمُ بعد الحبّ لُجّاً تألّبوا * و دارت رحاهم و الزمانُ يدور أ إنْ رفع القرآنُ خدعةَ خادع * أُجيب صغيرٌ واسْتُضِلَّ كبيرُ فقال على لا تجيبوه للتى * أراد فدعوى من دعاكمُ زور أ إن قد حملتم حملة حيدريّة * و رفرف لى نصر و قام بشير؟! يُردْكُمُ للإذلال بعد تعزّز * وهل عزّة كالنصر حين يمور أعيرونى لله الجماجم ساعة * فإنّ عدوّى حين ذاك فَرور ألا تمهلونى ـ يا رفاقَ مسيرة ـ * فُواقَ انتصار و الفواقُ يسير؟ إذا كنتُ بالأحكام أبصرَ باصر * دعونى و ما قد أرتاى و أُشير

---

۱. ضمير التأنيث يرجع إلى العقيدة المعلومة من سياق القصيدة. (۳۹۰) ولا خيرَ فى نسك بغير بصيرة * وأجدر من خاض الحروب بصير فقالوا أجبهم للّتى قد دعوا لها * فَثَمَّ كتابٌ حاكم و أمير وإلّا تجبهم يا علىُّ فإنّنا * عداةٌ اشداءٌ عليك نسور و ساروا إلى أرض الحروراء وَاَغْتَدوا * لحرب علىّ والزمان غَدور فقال لهم هيّا أنيبوا إلى الهدى * وهيّا معى نحو العداة فسيروا أطيعونى ما كنت التبع لأحمد * فإن أنا لم اتبع خُطاه فثوروا فقالوا له أنت الكَفورُ فتُبْ وتُبْ * فما قادنا نحو الجهاد كفور وحجّونى بالقرآن إنْ كنُتُم على * مقاطع حقّ فالحقيقةُ نور ولمّا تنادوا للقتال تقدّموا * كآساد خفان لهنّ زئير فأَرداهُم صُِنْو النبى محمّد * بلا ندم والعزمُ منه مريم فياعجبا كيف ابن وهب (۱) يثيرها * ولم تختصر و الرأى منه أسير وكان قؤولاً: خمّروا الرأى تُفلحوا * فأكرم آراء الرجال خمير(۲) فإن له فى عتبة بن ربيعة * مشابه حال تلتقى و تجور(۳) الّا أنّها الأَقدارُ إنْ حانَ حينها * يُغلَّب فِكِّيرٌ (۴)بها و خطيرُ ويا ربَّ علم مثل جهل مركب * قليلٌ به الإنسان و هو كثير ويا ربَّ علم يُحمَدُ الجهلُ عندَهُ * و تُعزى له تمجِيدَةٌ وشُكورُ *** ______________

۱. المراد: عبد الله بن وهب الراسبى رأس المحكّمة.

۲. اشارة إلى ما اثر عنه: دعوا الرأى حتى يختمر فلا خير فى الرأى الفطير.

۳. تميل.

۴. فكّير: كثر التفكير. خطير: عظيم الشأن. (۳۹۱) ۲ ـ حكم مرتكب الكبيرة من الجهات الثلاث إنّ أوّل مسألة ـ بعد الإمامة ـ أثارت

ضجّة كبرى بين المسلمين وفرّقتهم إلى فرقتين بل إلى فرق: مسألة حكم مرتكب الكبيرة، فقد وقع البحث فيها فی جهات ثلاث: الجهة الاُولى: هل مرتكب الكبيرة مؤمن أو مشرك؟ الجهة الثانية: هل مرتكب الكبيرة مؤمن أو كافر؟ الجهة الثالثة: هل مرتكب الكبيرة محكوم بالخلود فی النار أو لا؟ و أساس المسألة هو أنّ العمل هل هو جزء من الإيمان أو لا؟: فعلى الأوّل فإذا أخلَّ بحكم من أحكام الإسلام كما إذا ارتكب الحرام أو ترك الواجب لا جاحداً لحرمته أو وجوبه، بل لغلبة هواه على عقله، يخرج عن دائرة الإيمان، و على الثانی يبقى مؤمناً و يوصف بالفسق و الخروج عن الطاعة، ولأجل ايضاح المقام نشير إلى الآراء المختلفة فی هذا الباب: ذهبت الأزارقة إلى أنّ مرتكب المعاصی مشرك فضلاً عن كونه كافراً من (۳۹۲)

غير فرق بين الكبيرة والصغيرة، وذهبت النجدية إلى أنّ مرتكب الكبيرة مشرك، وأمّا الصغائر فلا، فهاتان الطائفتان من متطرّفة الخوارج، تتّفقان فی كون ارتكاب الكبائر موجباً للشرك و الكفر، ويختلفان فی الصغائر، فتراها الأزارقة مثل الكبائر دون النجدية. و ذهبت الاباضية إلى كون الارتكاب كفراً لاشركاً، و الكفر عندهم أعم، من كفر الجحود و كفر النعم، فمرتكبها من المؤمنين كافر كفر النعمة لاكفر الجحود. و ذهبت المعتزلة إلى أنّ مرتكب الكبيرة فی منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر فضلاً عن كونه مشركاً. نعم اتّفقت المعتزلة و الخوارج على كونه مخلَّداً فی النار إذا مات غير تائب، وذهبت الإمامية والأشاعرة و أهل الحديث إلى كون مرتكب الكبيرة مؤمناً فاسقاً غير مخلّد فی النار. هذه هی الأقوال و الآراء البارزة فی المقام، ولنركّز البحث فی الجهات الثلاثة ونجعل الجميع مسألة واحدة، فإنّ كلّ واحدة، وجه لعملة واحدة، وإن كان للعملة الرائجة وجهان: الجهة الاُولى ـ هل مرتكب المعاصی مشرك ؟ قد عرفت أنّ الأزارقة ذهبت إلى أنّ المعاصی كلّها شرك و مرتكبها مشرك(۱) ولأجل تحليل هذا القول نذكر ما هو حدّ الشرك و محقّقه، فنقول: لو افترضنا أنّ مرتكب الكبيرة كافر، لا يصحّ لنا توصيفه بالشرك، فإنّ للشرك معنىً محدّداً لا ينطبق على مرتكب الكبيرة إلّا فی ظروف خاصّة و هی خارجة عن موضوع البحث، وتوضيح ذلك بوجهين: ______________

۱. صالح أحمد الصوافی: الإمام جابر بن زيد العمانی: ۲۵۲. (۳۹۳) ۱ ـ إنّه سبحانه قسّم الكافر إلى مشرك و غيره و قال: (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتابِ وَ المُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ البَيِّنَةُ)(۱) وقال سبحانه: (لَتَجِدَنَّ اَشَدَّ النّاسِ عَداوَةً لِلَّذِينَ آمَنُو اليَهُودَ وَالَّذِينَ اَشْرَكُوا)(۲) كلّ ذلك يدلّ على أنّ للمشرك معنىً محدداً لاينطبق على الكافرين من أهل الكتاب فضلاً على المسلم المعتقد بكل ما جاء به الرسول، إذا ارتكب كبيرة لا لاستهانة بالدين بل لغلبة الهوى على العقل، فكيف يمكن أن نعدّ كلّ كافر مشركاً، فضلاً أن نعدّ المسلم المرتكب للكبيرة مشركاً؟ ثمّ لو افترضنا صحّة كون أهل الكتاب مشركين فی الحقيقة و فی الواقع، كما هو غير بعيد لقوله سبحانه: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالّوا إنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ وَ ما مِنْ إله إلّا إلهٌ واحِدٌ)(۳) ولكنّه اصطلاح ثانوی لايكون منافياً لما جرى عليه القرآن من عدّ أهل الكتاب فی مقابل المشركين. و يظهر ذلك من الروايات الواردة حول الرياء فإنّ المرائی، قد وصف بالشرك، ولكنّه شرك خفی لاصلة له بالشرك المصطلح فی القرآن الكريم. روى علی بن إبراهيم فی تفسيره عن أبی جعفر الباقر قال: سئل رسول الله عن تفسير قوله الله عزّوجل: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ اَحَداً)(۴) فقال من صلّى مراءاة الناس فهو مشرك ـ إلى أن قال ـ ومن عمل عملاً ممّا أمر الله به مراءاة الناس، فهو مشرك، ولا يقبل الله عمل مراء(۵).

____

۱. البينة: ۱.

۲. المائدة: ۸۲ .

۳. المائدة: ۷۳.

۴. الكهف: ۱۱۰.

۵. الحر العاملی: وسائل الشيعة ۱، الباب الحادی عشر من أبواب مقدمات العبادات ۱۳ ـ ۵۰. (۳۹۴) ولكن ذلك مصطلح آخر، أو استعارة له للمورد لتأكيد الأمر لما عرفت من أنّ المشرك فی القرآن الكريم يطلق على غير المعتنقين لاحدى الشرائع السماوية، من

غير فرق بين اليهود والنصارى و غيرهم. ۲ ـ إنّ الشرك عبارة عن تصوّر ندٍّ وثان لله سبحانه فى ذاته أو صفاته أو أفعاله، قال سبحانه: (فَلا تَجْعَلُوا لله اَنْدَاداً وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)(۱) وقال سبحانه: (وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ الله أَنْداداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله)(۲) وقال تعالى: (وَ جَعَلُوا لله أَنْدَاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ)(۳) إلى غير ذلك من الآيات الّتى تشرح لنا حقيقة الشرك و خصوصياته(۴). ولأجل تصوّر الندِّ و المثل لله سبحانه فى الذات أو الصفات أو الأفعال، كانوا يعبدون الأصنام بحكم انّها أنداد لله تبارك و تعالى، فكانوا يساوونها بالله تعالى فى العقيدة و العبادة، قال تعالى: (تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِى ضَلالٍ مُبِين * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العَالَمِينَ)(۵). فعلى ضوء ذلك فلا يصحّ لنا توصيف إنسان بالشرك و عدّه من المشركين إلاّ إذا اعتقد بندٍّ لله تبارك و تعالى و لو فى مرحلة من المراحل، ولأجل هذه العقيدة كان المشركون يفرّون من كلمة (لا إله إلاّ الله) لكونها على جانب النقيض من عقيدتهم، قال سبحانه: (إِنَّهُمْ كَانوا اذا قيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله يَسْتَكْبِرُونَ * وَ يَقُولُونَ أَئِنَا لَتارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُون)(۶). ـــــــــــــــــــــــ

۱. البقرة: ۲۲.

۲. البقرة: ۱۶۵.

۳. إبراهيم: ۳۰.

۴. لاحظ: سورة سبأ / ۳۳، الزمر / ۸ ، فصلّت / ۹.

۵. الشعراء: ۹۷ ـ ۹۸.

۶. الصافّات ۳۵ ـ ۳۶. (۳۹۵) وقال تعالى: (وَ اذَا ذُكِر الله وَحْدَهْ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بالآخِرَةِ وَ اذَا ذُكِرَ الَّذينَ مِنَ دُونِهِ اذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)(۱) وقال تعالى: (ذلِكُمْ بِأَنَّهُ اذَا دُعِىَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤمِنوا فَالحُكْمُ لِلهِ العَلِيِّ الكَبِير)(۲). فهذه الآيات تحدّد حقيقة الشرك و تُعرِّف المشرك بمضامينها، فهل يمكن توصيف المسلم المؤمن الموحّد، بالشرك مع أنّه لم يتّخذ أى ندٍّ و مثل فى مجال الذات و الصفات و الأفعال، ولم يعبد غيره، وإنّما وحّده فى الذات، والصفات، والأفعال، و فى مقام القيام بوظائف العبوديّة لم يعبد إلاّ الله سبحانه. نعم غلبت عليه ـ أحياناً ـ شقوته، وسيطرت عليه نفسه الأمّارة فركب الحرام مع وجل و خوف. وبذلك ظهر أنّ الكفر أعم من الشرك، فمن لم يتّخذ ندّاً و مثلاً لله سبحانه، و لكنّه كفر برسله و كتبه و ما نزّل الله سبحانه، فهو كافر لامشرك، و أوضح منه من آمن بالله ولم يكفر بشيء ممّا أنزله و أرسله غير أنّه صار مقهوراً فارتكب شيئاً حرّمه الله أو ترك فريضة أوجبها الله سبحانه. فاتضح بذلك بطلان قول الأزارقة من أنّ المعاصى كلّها شرك كبطلان قول النجدية بأنّ الكبائر كلّها شرك وأمّا الصغائر فلا، إذ لاينطبق معيار الشرك على مجرّد ارتكاب المعصية، صغيرة كانت أو كبيرة. أدلّة الأزارقة على أنّ المعاصى شرك: استدلّت الأزارقة على أنّ المعاصى كلّها شرك بآيات و المهم فيها آيتان وإليك البيان: ـــــــــــــــــــــــ

۱. الزمر: ۴۵.

۲. غافر: ۱۲. (۳۹۶) ۱ ـ (وَ مَنْ يُشْرِكْ بِالله فَقَدْ ظَلّ ضَلالاًبَعِيداً)(۱). يلاحظ عليه: أنّ ظاهر الآية انّ المشرك ممّن «ضلّ ضلالاً بعيداً»، فلو فرضنا أنّ مرتكب الكبيرة من مصاديق تلك الضابطة فلا تدلّ الآية على أنّه مشرك لأنّ ظاهر الآية أنّ المشرك من مصاديق «فَقَدْ ضل ضَلالاً بعيداً» لا أنّ «كلّ من ضلّ ضلالاً بعيداً فهو مشرك» إذ من المحتمل أن تكون الضابطة أعم من الشرك، فمثل الآية مثل قولنا: «كل جوز مدوّر لا أنَّ كل مدوّر جوز». أضف إلى ذلك: انّ مرتكب الكبيرة إذا كان موحّداً مؤمناً بما أنزل الله تعالى، ليس من جزئيات قوله: «ضلّ ضلالاً بعيداً» لأنّ القرآن إنّما يستعمله فى المشرك والكافر الجاحد، لا المؤمن المعتقد الّذى غلبه هواه، و يعلم ذلك بالتتبع فى موارد وروده فى الذكر الحكيم. قال سبحانه (وَ وَيْلٌ لِلْكافِرِينَ مِنْ عَذَاب شَدِيد * الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الحَيَاةَ الدُّنْيا عَلَى الآخِرَةِ وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَ يَبْغُونَهَا عِوَجَاً اُولئكَ فِى ضَلال بَعِيد)(۲). وقال سبحانه: (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ كَرَمَاد اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِى يَوْم عَاصِف لاَيَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَىْء ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ البَعِيدُ)(۳). وقال تعالى: (يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللهِ مَالاَ يَضُرُّهُ وَ مَالاَ يَنْفَعُهُ ذلِكَ هُوَ الضَّلالُ البَعِيدُ)(۴) وقال تعالى: (بَلِ الَّذينَ لاَيُؤْمِنُونَ بالآخِرةِ فِى العَذَابِ و الضَّلال البَعِيدِ)(۵).

---

۱. النساء: ۱۱۶.

۲. إبراهيم: ۲ ـ ۳.

۳. إبراهيم: ۱۸.

۴. الحج: ۱۲.

۵. سبأ: ۸ . (۳۹۷) و قال تعالى: (إنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ فِى السَّاعَةِ لَفِى ضَلال بَعِيد)(۱). و قال (الَّذِى جَعَلَ مَعَ اللهِ إلهاً آخر... وَلكِن كَانَ فِى ضَلال بَعِيد)(۲). فظهر من ذلك أنّ الضلال البعيد مفهوم ينطبق على الجاحد مشركاً كان أم كافراً غير مشرك، ولا ينطبق على المؤمن بكل ما أنزل الله غير أنّه غلب عليه هواه فركب الكبيرة. ۲ ـ قال سبحانه: (وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَ إنَّهُ لَفِسْقٌ وَ إنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إلَى أوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ وَ إنْ أطَعْتُمُوهُمْ إنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)(۳). قالوا: إنّ معنى الآية انّكم إن أطعتموهم بأكل الميتة فأنتم أيضاً مشركون. يلاحظ عليه: أنّ المراد هو الإطاعة فى استحلال الميتة لا فى أكلها، ولا شك انّ المستحلّ لما حرّم الله مشرك و ذلك لما قرّرنا فى محلّه انّ التقنين والتشريع من فعله سبحانه و ليس فى عالم التشريع مشرّع سواه، فالمستحلُّ للميتة يصوّر نِدّاً لله سبحانه، لا فى الذات و الصفات بل فى الأفعال و يشرك الغير معه فى اعطاء فعله لغيره. ويوضحه قوله سبحانه: (اتَّخَذُوا أحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أرْباباً مِن دُون اللهِ وَ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ)(۴) فقد ورد فى تفسيره انّهم ما صلّوا ولا صاموا للأحبار والرهبان، بل أطاعوهم فى تحليلهم الحرام وتحريمهم الحلال(۵). * * * ---

۱. الشورى: ۱۸.

۲. ق: ۲۶ ـ ۲۷.

۳. الأنعام: ۱۲۱.

۴. التوبة: ۳۱.

۵. الطبرسى: مجمع البيان ۳ / ۲۳. (۳۹۸) الجهة الثانية ـ هل مرتكب المعاصى مؤمن أو كافر؟: قد عرفت أنّ الأزارقة و النجدية قالوا إنّ المعاصى شرك، و خالفهم الاباضية، فوصفوها بالكفر، و مرتكبها بالكافر، و يقع الكلام فى الجهة الثانية فى هذا الجانب، و قبل الخوض فى تحليل دلائلهم نذكر ما هو حقيقة الإيمان و الكفر، فنقول: إنّ حقيقة الإيمان هو التصديق القلبى، والقلب هو مرتكز لوائه، و أمّا العمل فهو من مظاهره لامن مقوّماته و يظهر ذلك من غير واحد من الآيات. قال سبحانه: (أُولئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الإيمانَ)(۱)، و قال سبحانه: (وَلمّا يَدْخُلِ الإيمانُ فِى قُلُوبِكُمْ)(۲)، و قال تعالى: (وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإيمانِ)(۳). وتؤكّد آيات الطبع و الختم على أنّ محلّ الإيمان هو القلب، قال سبحانه: (اُولئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ سَمْعِهِمْ وَ أبْصَارِهِمْ وَ أُلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ)(۴)، وقال سبحانه (وَ خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ أفَلَا تَذَكَّرُونَ)(۵) والختم على السمع و البصر لكونهما من أدوات المعرفة الّتى يستخدمها القلب. نعم كون القلب مركزاً للإيمان و خروج العمل عن كونه عنصراً مقوّماً للإيمان، لايعنى أنّ التصديق القلبى يكفى فى نجاة الإنسان فى الحياة الأُخروية بل يعنى أنّه يكفى فى خروج الإنسان عن زمرة الكافرين ـ الذين لهم خصائص ---

۱. المجادلة: ۲۲.

۲. الحجرات: ۱۴.

۳. النحل: ۱۰۶.

۴. النحل: ۱۰۸.

۵. الجاثية: ۲۳. (۳۹۹)

وأحكام ـ التصديق القلبى، فيحرم دمه وماله و تحلّ ذبيحته و تصحّ مناكحته إلى غير ذلك من الأحكام الّتى تترتّب على التصديق القلبى إذا أظهره بلسانه أو وقف عليه الغير بطريق من الطرق، و أمّا كون ذلك موجباً للنجاة يوم الحساب فلا، فإنّ للنجاة فى الحياة الأُخروية شرائط أُخرى تكفّل ببيانها الذكر الحكيم و السنّة الكريمة. وبذلك يفترق عن قول المرجئة الذين اكتفوا بالتصديق القلبى أو اللسانى واستغنوا عن العمل، وبعبارة أُخرى قدّموا الإيمان و أخّروا العمل، فهذه الطائفة من أكثر الطوائف خطراً على الإسلام و أهله، لأنّهم بإذاعة هذا التفكير بين الشباب، يدعونهم إلى الإباحية و التجرّد عن الأخلاق و المثل الاسلامية، ويعتقدون أنّ الوعيد خاص بالكفّار دون المؤمنين، فالجحيم و نارها و لهيبها لهم دون المسلمين، ومعنى هذا أنّه يكفى فى النجاة الإيمان المجرّد عن العمل، وأىّ خطر أعظم من ذلك؟ و على ضوء ذلك يظهر المراد ممّا رواه البخارى عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ: بُنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله، و اقامة الصلاة و ايتاء الزكاة والحج و صوم رمضان(۱) فإنّ المراد من الإسلام، ليس هو الإسلام المقابل للإيمان فى قوله سبحانه: (قَالَتِ الأعرابُ آمَنَّا قُل لَمْ تَؤْمِنوا وَ لكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُل الإيمانّ فِى قُلُوبِكُمْ)(۲) ولا الإسلام و الإيمان بأقل درجاتهما الّذى له أحكام خاصّة، بل الإيمان المنجى لصاحبه من العذاب الأليم. وهذا لايضر بما قلنا من أنّ مقوّم الإيمان، هو العقيدة القلبية. وإليه ينظر ما روى عن الإمام الصادق من ________

۱. البخارى: الصحيح ۱ / ۱۴ كتاب الإيمان.

۲. الحجرات: ۱۴. (۴۰۰)

أنّ الإسلام يحقن به الدم و تؤدّى به الأمانة، و يستحلّ به الفرج، والثواب على الإيمان(۱). و بالجملة انّ كون التصديق القلبى مقياساً للإيمان غير القول بأنَ التصديق القولى أو القلبى المجرّدين عن العمل كاف للنجاة، ولأجل ذلك تركّز الآيات على العمل بعد الإيمان و تقول: (إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اُولئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ)(۲) وقال تعالى: (وَ مَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَ هُوَ مُؤمِنٌ)(۳) و قال تعالى: (يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)(۴) فلو كان العمل عنصراً مقوّماً لحقيقة الإيمان فما معنى الامر بالتقوى بعد فرض الإيمان لأنّه يكون أشبه بطلب الأمر الموجود و تحصيل الحاصل. أدلّة الخوارج على أنّ ارتكاب المعاصى كفر: هناك آيات تتمسّك بها الخوارج على أنّ العمل عنصر مقوّم لحقيقة الإيمان حّتى المرتبة الضعيفة، نشير إلى بعضها: ۱ ـ (وَ لِلّهِ عَلَى النَّاسِ حجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إلَيْهِ سَبِيلاً ـ وَ مَنْ كَفَرَ فإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ)(۵) فسمّى سبحانه تارك الحج كافراً. يلاحظ عليه: أنّ المراد كفر النعمة، حيث إنّ ترك فريضة الحج مع الاستطاعة كفران لنعمته سبحانه وقد استعمل الكفر فى مقابل شكر النعم إذ قال

---

۱. البرقى: المحاسن ۱ / ۲۸۵.

۲. البيّنة: ۷.

۳. طه: ۱۱۲.

۴. التوبة: ۱۱۹.

۵. آل عمران: ۹۷. (۴۰۱)

سبحانه: (وَ إذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَازِيدَنَّكَمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ)(۱). على أنّه يحتمل أن يكون المراد من توصيف تارك الحج بالكفر، هو كونه كافراً لجحد وجوبه، فيرجع الأمر إلى جحد الرسالة و يؤيّده صدر الآية (وَ لِلّهِ عَلّى النَّاسِ حجُّ البَيْتِ) فأنبأ عن اللزوم ثمّ قال: (وَ مَنْ كَفَرَ) بلزوم ذلك و من المعلوم أنّ من أنكر لزومه فهو كافر. ۲ ـ (فَلا وَ رَبِّكَ لايُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لايَجِدُوا فِى أنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)(۲) قيل: إنّه سبحانه أقسم بنفسه انّهم لايؤمنون إلّا بتحكيم النبى و التسليم بحكمه، و عدم وجدان الحرج فى قضائه، والتحكيم غير التصديق بل هو عمل خارجى (۳). يلاحظ عليه: أنّ الآية وردت فى شأن المنافقين، فإنّهم كانوا يتركون النبى و يرجعون فى دعاويهم إلى الأحبار، و هم مع ذلك يدّعون الإيمان بالنبى و

الإذعان والتسليم له ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ فنزلت الآية بأنّه لايقبل منهم ذلك الإدّعاء حتى يُرى أثر الإيمان فى حياتهم، و هو تحكيم النبى، فى المرافعات و المنازعات و التسليم المحض أمام قضائه، و عدم احساسهم بالحرج، و هذا هو الظاهر من الآية، لا أن التحكيم بما أنّه عمل، جزء من الإيمان و هذا نظير ما إذا ادّعى إنسان حبّاً لرجل فيقال له: إن كنت صادقاً فيجب أن يرى أثر الحبُ فى حياتك، فاعمل له كذا وكذا. ۳ ـ (إنَّهُ لاييأسُ مِن رَوْحِ اللهِ إلاّ القَوْمُ الكافِرُونَ)(۴) بادّعاء أن الفاسق بفسقه ـــــــــــــــــــ

۱. إبراهيم: ۷.

۲. النساء: ۶۵.

۳. ابن حزم الظاهرى: الفصل ۳ / ۱۹۵.

۴. يوسف: ۸۷. (۴۰۲)

واصراره عليه، آيس من روح الله فكان كافراً. والجواب: انّ المدعى ممنوع: فإنّ فسّاق المؤمنين ليسوا بآيسين بل يرجون رحمة ربّهم بالتوبة أو الشفاعة، أضف إليه: المراد من «الروح» هذا، الفرج بعد الشدّة، ومثل هذا اليأس من الكبائر الموبقة، ولكنّه لا يوجب كفراً، وذلك لأنّ النهى فى الآية نهى تشريعى و معناه أنّ اليأس من روح الله شأن الكافر دون المؤمن، نظير قوله سبحانه: (وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِن أن يَقْتُلَ مَؤْمِناً إلاّ خَطَأً)(۱) أى ليس شأن المؤمن أن يقتل مؤمناً إلاّـ عن خطأ خارجاً عن اختياره لا أنّ المؤمن لايقتل المؤمن عمداً أبداً، و على ضوء ذلك فلو حصل اليأس من مؤمن فهو ركب الكبيرة الموبقة، و مع ذلك فليس بكافر. ۴ ـ (وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أنْزَلَ الله فَأُولئِكَ هُمُ الكافرون)(۲). يلاحظ عليه: أنّه سبحانه وصف من لم يحكم بما أنزل الله بأوصاف ثلاثة: أ ـ (وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الكافرون)(۳). ب ـ (وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمونَ)(۴). ج ـ (وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ(۵). والآيتان الأوّليتان نزلتا فى حق اليهود، كما هو لائح من صدريهما. والآية الثالثة فى مورد النصارى و مع ذلك لايكون المورد مخصّصاً للآيات بهما و المقصود هو أنّ من لم يحكم بما أنزل الله سواء أكان من أهل الكتاب أو غيرهم، فهو ظالم و فاسق و كافر، أمّا كونه ظالماً، فلأنّه تعدّى عن ـــــــــــــــــــ

۱. النساء: ۹۲.

۲. المائدة: ۴۴.

۳. المائدة: ۴۴.

۴. المائدة: ۴۵.

۵. المائدة: ۴۷. (۴۰۳)

الحقّ، فترك حكم الله، و حكم بحكم الجاهلية، فإنّ الحكم حكمان امّا إلهّى وامّا جاهلى، فإذا ترك الأوّل يكون من قبيل الثانى، قال سبحانه: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْم يُوقِنُونَ)(۱). و أما كونه فاسقاً، فإنّ الفسق هو الخروج عن طاعة الله، يقال: فسقت التمرة: إذا خرجت قشرتها، فالحاكم بغير ما أنزل الله خرج عن طاعة الله. وأمّا كونه كافراً، فلأنّ الآية حسب شأن نزولها وردت فى قوم ينكرون الرجم فى توراتهم، و لأجله يحكمون بغير ما أنزل الله، فيكون هذا قرينة على أنّ الكفر لأجل انكار ما أنزل الله فى الكتب السماوية، وإلى ذلك ينظر ما نقله الرازى عن بعضهم: انّ قوله (وَ مَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أنْزَلَ الله) إنّما يتناول من أنكر بقلبه وجحد بلسانه، أمّا مَن عرف بقلبه كونه حكم الله، وأقرّ به بلسانه، إلاّ أنّه أتى بما يضاده، فهو حاكم بما أنزل الله تعالى و لكنّه تارك له، فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية(۲). وعلى ضوء ذلك فالآية تختصّ بالجاحد لحكم الله الوارد فى كتابه، المستلزم لانكار رسوله الّذى أتى به فى الكتاب. ۵ ـ(فَأَنذَرْتُكُم نَاراً تَلَظَّى * لاَ يَصْلَـهَا إلاَّ الاْشْقَى * الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى)(۳). وجه الاستدلال، انّ الآية تحصر الداخل فى النار فى الكافر، حيث يقول: (إلاّ الأشْقَى * الَّذِى كَذَّبَ تَوَلَّى) فبما أنّ المسلمين اتّفقوا على دخول الفاسق فى النار، يلزم أن يكون الفاسق كافراً. يلاحظ عليه: أنّ الآية تحصر الخلود فى النار و المقيم فيها فى المكذّب ـــــــــــــــــــ

۱. المائدة: ۵۰.

۲. الرازى: مفاتيح الغيب ۳ / ۴۲۱.

۳. اللّيل: ۱۴ ـ ۱۶. (۴۰۴)

المتولّى لامجرّد الداخل فيها و تقول: (لا يصلاها إلاّ الأشقى * الَّذِى كذّب وتولّى)وذلك لأن قوله (لاَيَصْلاها)، من قوله صلى الرجل النار، يصلاها أى لزمها(۱) وهى عبارة أُخرى عن الخلود فى النار فالآية لاتدل إلاّ ـ على أنّ الخلود فى النار من خصائص الكافر المكذّب المتولّى وأمّا المؤمن الفاسق فخارج عن حدود و دلالة الآية. هذا و ربّما يستدلّ بالآية على قول المرجئة القائلة بالنار للكافرين دون المؤمنين، وذلك لأنّه سبحانه يقول: لا ـ يدخل النار إلاّ ـ الكافر، والمؤمن الفاسق ليس كافراً، وأجاب عنه القاضى المعتزلى على ما نقل عنه: بأنّ (ناراً) نكرة فى سياق الاثبات، و إنّما تعمّ النكرة فى سياق النفى نحو قولك: ما فى الدار رجل، و غير ممتنع أن تكون فى الآخرة نار مخصوصة لايصلاها إلاّ الذين كذبوا و تولّوا ويكون للفسّاق نار أُخرى غيرها(۲). وأوضحه الطبرسى فى مجمعه و قال: إنّه سبحانه نكّر النار المذكورة ولم يُعرّفْها، فالمراد بذلك انّ ناراً من جملة النيران لايصلاها إلاّ من هذه حاله، والنيران درجات على ما بيّنه سبحانه فى سورة النساء (۳)، فمن أين عرف أنّ غير هذه النار لايصلاها قوم آخرون(۴). و لكن الاستدلال و الجواب مبنيان على أنّ «الصلى» بمعنى الدخول و لكنه غير صحيح لما عرفت من أنّه الدخول الملازم للبقاء. أضف إلى ذلك: انّه لودلّ على أنّ النار مختصّة بالكافرين يلزم منه الاغراء بالمعاصى لأنّه بمنزلة أن يقول الله تعالى لمن صدّق بالله و رسوله ولم يكذّب

---

۱. يقال صلى فلاناً النار: أدخله إيّاها و أثواه فيها.

۲. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۸ / ۱۱۵.

۳. النساء: ۱۴۵: (إِنَّ الْمُنَـفِقِينَ فِى الدَّرْكِ الاْسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً).

۴. الطبرسى: مجمع البيان ۵ / ۵۰۲. (۴۰۵)

ولم يتولّ: أى معصية اقدمتَ عليها فلن يضرّك. و هذا هو الاغراء الّذى لايصدر من الحكيم. على أنّه سبحانه يقول بعدها(وَ سَيُجَنَّبُها الأَتْقَى * الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى)(۱) و يحصر المجنّب عن النار فى الأتقى، و معلوم أنّ الفاسق ليس بأتقى لأنّ «أتقى» مبالغة فى التقوى و من يرتكب عظائم الكبائر لايوصف بأنّه أتقى . ۶ ـ (إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَـفِرِينَ)(۲). قالوا: و الفاسق تحيط به جهنّم فوجب أن يكون كافراً. يلاحظ عليه: أنّه من غرائب الاستدلالات، فإنّه لم يقل سبحانه: و انّ جهنّم لاتحيط إلاّ بالكافرين، حتّى يلزم أن يكون الفاسق من أقسام الكافر، باعتبار كونها محيطة به أيضاً ولا يلزم من كونها محيطة بقوم، ألاّ تحيط بقوم سواهم. ۷ ـ (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَـنِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ)(۳). وجه الاستدلال: انّ الفاسق لايجوز أن يكون ممّن ابيضّت وجوههم، فوجب أن يكون ممّن اسودّت و إذا دخل فيه يكون كافراً لقوله: (بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ). يلاحظ عليه: أنّ الآية تخبر عن وجود صنفين: صنف تبيضّ وجوههم، وصنف تسودّ وجوههم، فالاوّل من سمات المؤمن الّذى لم يخالط إيمانه بإثم، والثانى من سمات الكافر الّذى لم يؤمن بالله أو صفاته أو أفعاله، فى النبوّة

---

۱. الليل: ۱۷ ـ ۱۸.

۲. التوبة: ۴۹.

۳. آل عمران: ۱۰۶. (۴۰۶)

والخاتميّة. و أمّا انّه ليس هنا صنف ثالث و يحشرون بغير هاتين السمتين، فلا تدلّ الآية عليه، والمؤمن الّذى ركب الكبيرة هو من هذا القسم الثالث الّذى لم تتكفّل الآية ببيان حكمه. والحاصل انّ الآية تبحث عن المؤمن الخاص، و الكافر المطلق، وتذكر سماتهما وحالاتهما، و أمّا القسم الثالث فهو خارج عن تقسيم الآية و لعلّ له سمة و علامة أُخرى غير بياض الوجه و سواده لم تذكرها الآية. قال

الطبرسى: استدلّت الخوارج بذلك على أنّ من ليس بمؤمن فلابد أن يكون كافراً فإنّ الله سبحانه قسّم الوجوه إلى هذين القسمين. ولا تعلّق لهم به، لأنّه سبحانه ذكر هنا قسمين من الوجوه متقابلين، وجوه المؤمنين (غير العاصين) و وجوه الكفّار، ولم يذكر وجوه الفسّاق من أهل الصلاة، فيجوز أن يكون لها صفة اُخرى بأن يكون عليها غبرة لاتغشاها قترة أو يكون عليها صفرة أو لون آخر(۱). ۸ ـ (فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَـهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُل خَمْط وَأَثْل وَشَيْء مِّن سِدْر قَلِيل * ذَلِكَ جَزَيْنَـهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجَزِى إِلاَّ الْكَفُورَ)(۲). والفاسق لابد أن يجازى، فوجب أن يكون كفوراً. يلاحظ عليه: أنّ المراد من قوله (وَ هَلْ نُجزى) ليس مطلق المجازاة، بل مجازاة الاستئصال، والآية وردت فى قصة أهل سبأ و هم استؤصلوا بالعقوبة، فالمجازاة المقترنة بالاستئصال من خصائص الكفّار، لاكل مجازاة. ________________

۱. الطبرسى: مجمع البيان ۵ / ۴۴۱.

۲. سبأ: ۱۶ ـ ۱۷. (۴۰۷) ۹ ـ (إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـنٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ)(۱). وفسّر الغاوون فى آية اُخرى بالمشركين قال سبحانه (إِنَّمَا سُلْطَـنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ)(۲). وعلى ضوء هذا فمرتكب الكبائر من الغاوين لأجل سلطة الشيطان عليه و هو حسب تعبير الآية الثانية من المشركين فينتج أنّ مرتكب الكبيرة مشرك يلاحظ عليه: أنّ الآية فسّرت الغاوين بصنفين: صنف يتولّونه، و صنف به مشركون، ومرتكب الكبيرة داخل فى الصنف الأوّل لافى الصنف الثانى. ۱۰ ـ (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَيهُمُ النَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُواْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ النَّارِ الَّذِى كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ)(۳). وجه الدّلالة انّه سبحانه جعل الفاسق مكذّباً. يلاحظ عليه: أنّ الاستدلال مبنى على تفسير الفاسق بالمعنى الرائج فى أعصارنا أى المؤمن بالله و صفاته و رسالاته المرتكب لكبيرة، و هو غير صحيح إذ ليس كل فاسق بهذا المعنى مكذّباً، فتعيّن أن يكون المراد من الفاسق فى الآية من خرج عن الطاعة بتكذيبه، ومن المعلوم أنّ مثله كافر، قال سبحانه (أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ)(۴) وبالجملة: المقصود من الفاسق فى الآية من عصى عن طريق التكذيب الّذى يساوق الكفر، لا ـ من فسق ـ و هو مؤمن بقلبه ولسانه ـ بالخروج عن الطاعة لارتكابه المعاصى. ________________

۱. الحجر: ۴۲.

۲. النحل: ۱۰۰.

۳. السجدة: ۲۰.

۴. السجدة: ۱۸. (۴۰۸) ۱۱ ـ (هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ)(۱). وجه الدلالة انّ من لم يكن مؤمنا فهو كافر، والفاسق ليس بمؤمن فوجب أن يكون كافراً. يلاحظ عليه: أنّ الفاسق، أى المسلم المعتقد بالله سبحانه ورسله وكتبه، المرتكب لبعض المحّرمات، مؤمن ليس بكافر، فقوله: الفاسق ليس بمؤمن، ممنوع، فإنّ الفاسق على قسمين، قسم يخرج عن طاعة الله سبحانه بالتكذيب والانكار، وقسم يؤمن به، ولكن لا يقوم فى مقام العمل ببعض الوظائف، فالأوّل كافر دون الثانى. وأمّا الشارح ابن أبى الحديد فبما أنّه من المعتزلة، و مرتكب الكبيرة عندهم لامؤمن ولا ـ كافر بل فى منزلة بين المنزلتين، أجاب بأنّ (من) هاهنا للتبعيض وليس فى ذكر التبعيض نفى الثالث (ولعلّ هنا من ليس بمؤمن ولاكافر)(۲) وهو كماترى ،لأنّ الآية فى مقام الحصر. ۱۲ ـ (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُون فَإِنَّهُمْ لاَيُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّـلِمِينَ بَـايَـتِ اللهِ يَجْحَدُونَ)(۳). وجه الدلالة انّ مرتكب الكبائر ظالم، والظالم بحكم الآية جاحد والجاحد كافر، وإلى ذلك يرجع استدلالهم حيث يقولون: ________________

۱. التغابن: ۲.

۲. ابن أبى الحديد: شرح النهج ۸ / ۱۱۸.

۳. الأنعام: ۳۳. (۴۰۹) ۱۳ ـ الفاسق ظالم لغيره، أو لنفسه، وكلّ ظالم كافر، قال تعالى: (أَن لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّـلِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُوَنَها عِوَجاً وَهُم بِالاْخِرَةِ كَـفِرُونَ) (الأعراف / ۴۴ ـ ۴۵) (۱). يلاحظ عليه: أنّ الكبرى ممنوعة و هى انّ كل ظالم جاحد

بآيات الله كما استظهره المستدل من الآيـة الأُولى أو أن كلّ ظالم كافر كما استظهره من الآية الثانية، وذلك لأنّ المراد من الظالمين فى كلتا الآيتين ليس هو مطلق الظالم ولو بمجرّد ارتكاب الكبيرة فقط، بل المراد هو المكـذّب بلقاء الآخرة. أمّا الآيـة الأُولى: فيشـهد على ذلك سياق الآية: قبلها وبعدها حيث جاء فى الآية المتقدّمة قوله (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ اللهِ...) وجاء فى الآية المتأخّرة عنها: (وَ لَقَدْ كُذِّبت رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ). وأمّا الآيـة الثانية: فذيلها شاهد على أنّ المراد هو الجاحد بالآخرة. أضف إلى ذلك: انّه كيف يمكن أن يعدّ كل ظالم و لو ظلم نفسه كافراً؟ هذا هو نبيّنا آدم يقول: (قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أنفُسَنَا)(۲) وقال تعالى حكاية عن موسى: (إِنّى ظَلَمْتُ نَفْسِى)(۳) وقال حكاية عن يونس:(إِنِّى كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)(۴). ۱۴ ـ (وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَـلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـبِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ)(۵)... إلى قوله (إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ)(۶) والفاسق لا يؤتى كتابه بيمينه بل يؤتى بشماله، إذ لا ثالث فيدخل تحت قوله (إِنَّهُ كَانَ ـــــــــــــــــــــــ

۱. صالح أحمد الصوافى: الإمام جابر بن زيد العمانى: ۲۵۳.

۲. الأعراف: ۲۳.

۳. القصص: ۱۶.

۴. الأنبياء: ۸۷ .

۵. الحاقة: ۲۵ ـ ۲۶.

۶. الحاقة: ۳۳. (۴۱۰) لاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ) الّذى هو وصف عامّ لكل من اُوتى كتابه بشماله، ولو أردنا صوغ الاستدلال فى قالب علمى نقول: مرتكب الكبيرة يؤتى كتابه بشماله، و كلّ من كان كذلك فهو ممّن لا يؤمن بالله العظيم، فينتج: انّ مرتكب الكبيرة ممّن لا يؤمن بالله العظيم. يلاحظ عليه: أنّ الاستدلال مبنى على أنّ المراد من الموصول فى قوله: (و أمّا من...) كل من يؤتى كتابه بشماله سواء كان جاحداً أو غير جاحد ليشمل المسلم المؤمن المرتكب للكبيرة، ولكن المراد منه القسم الخاص من هذه الطائفة أعنى الجاحد بالله العظيم، أى من لم يوحّد الله سبحانه فى دار التكليف، والدليل على ذلك هو التعليل الوارد فى الآية الأُخرى أعنى قوله: (إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيم) فذيل الآية قرينة على اختصاص الموصول مع صلته، بالجاحد، لا المؤمن المذعن بكل الشرائع، لوضوح انّه ليس كل مرتكب الكبيرة غير مؤمن بالله العظيم وليس ارتكاب الكبيرة دليلاً على عدم الإيمان به لقضاء الضرورة على بطلانه. ويؤيّد ذلك انّه علّل دفع الكتاب إلى الظهر فى بعض الآيات الّذى هو بمنزلة دفعه إلى شماله بأنّه كان غير مؤمن بالآخرة قال سبحانه: (وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـبَهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُوراً...إِنَّهُ ظَنَّ أن لَّن يَحُورَ)(۱) ومعنى قوله «لن يحور» إنّه لا يرجع إلى الحياة فى الآخرة. ۱۵ ـ (فَمَن ثَقُلَتْ مَوَزِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَزِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـلِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـلِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـتِى تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ)(۲). ـــــــــــــــــــــــ

۱. الانشقاق: ۱۰ ـ ۱۱ و ۱۴.

۲. المؤمنون: ۱۰۲ ـ ۱۰۵. (۴۱۱) وجه الاستدلال انّ الفاسق ممّن خفّت موازينه، و من خفّت موازينه فهو مكذّب حسب ظاهر الآية، و المكذّب كافر بالاتّفاق. يلاحظ عليه: أنّ المراد من الموصول فى قوله «ومن خفّت موازينه» ليس كل من خفّت موازينه سواء كان مكذّباً بآيات الله أم مصدّقاً بها حتى يعمّ المؤمن الفاسق، بل المراد هو القسم الخاص أعنى الذين خفّت موازينهم لأجل التكذيب، لالأجل أمر آخر، أعنى ارتكاب الكبيرة مع التصديق، و يوضّح هذا الجواب،ما ذكرناه فى الآية المتقدّمة، فلاحظ(۱). ۱۶ ـ (وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَسِقُونَ)(۲). يلاحظ عليه: أنّ الآية، دليل على أنّ كل كافر فاسق، ولا تدلّ على العكس كما هو واضح. ثم إنّ الإمام على ـ عليه السّلام ـ ردّ على قول الخوارج بأنّ المسلم بارتكاب المعصية يصير كافراً بكلام منه موضع الحاجة: قال مخاطباً الخوارج: «فإن أبيتم إلاّ أن تزعموا أنّى أخطأتُ وضللتُ، فلم تُضَلِّون عامّة امّة محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ، بِضَلالى، وتأخذونهم بخطئى، وتكفّرونهم بذنوبى! سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم، وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب،

وقد علمتم أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ رجم الزانى المحصن، ثمّ صلّى عليه، ثم ورّثه أهله، وقتل القاتل وورّث ميراثه أهله، وقطع السارق، وجلد الزانى غير المحصن، ثم قسم عليهما من الفيء، ونكحا المسلمات، فأخذهم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ بذنوبهم، وأقام حقّ الله فيهم، ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام ولم يخرج أسماءهم من ـــــــــــــــــ

۱. راجع الآية ۹ ـ ۱۱ من سورة القارعة.

۲. النور: ۵۵. (۴۱۲)

بين أهله»(۱). و حاصل كلام الإمام: انّه لو كان صاحب الكبيرة كافراً لما صلّى عليه رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ولا ورّثه من المسلم، ولا ـ مكّنه من نكاح المسلمات، ولا ـ قسّم عليه من الفيء ولأ ـ خرجه عن لفظ الإسلام(۲). إلى هنا تمّ البحث عن كون مرتكب الكبيرة مؤمناً أو كافراً، فحان الآن البحث عن الجهة الثالثة و هى: انّ مرتكب الكبيرة هل هو مخلّد فى النار ـ إن لم يتب ـ أو أنّه يخرج منها بعد دخوله فيها وإنّما التأبيد للكافرين؟ * * الجهة الثالثة ـ صاحب الكبيرة و خلوده فى النار: ذهب جمهور المسلمين إلى أن الخلود يختصّ بالكافر دون المسلم وإن أثم وركب الكبيرة، وذهبت الخوارج و المعتزلة د إلى خلوده فى النار إذامات بلا توبة. وبما أنّ المقام مختصّ بدراسة أدلّة الخوارج فى ا لمسألة، نكتفى ببيان أدلّتهم وأمّا ما استدلّ به جمهور المسلمين على عدم الخلود فيطلب من محلّه. فنقول: استدلّوا بآيات: ۱ ـ قوله سبحانه: (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ)(۳) ولا ـ شكّ انّ الفاسق ممّن عصى الله و رسوله بترك الفرائض وإرتكاب المعاصى. يلاحظ عليه: أنّ الموضوع ليس مطلق العصيان، بل العصيان المنضم إليه ـــــــــــــــــ

۱. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۷.

۲. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۸ / ۱۱۳ ـ ۱۱۴.

۳. النساء: ۱۴. (۴۱۳)

التعدّى عن حدود الله، و من المحتمل جدّاً أن يكون المراد من التعدّى، رفض أحكامه سبحانه و عدم قبولها. بل يمكن أن يقال: إنّ قوله (وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ)ظاهر فى تعدّى جميع حدود الله و هذه صفة الكفّار، فالآية خاصّة بهم لا بمرتكب الكبيرة. وأمّا المؤمن الفاسق فإنّما يتعدّى بعض الحدود. ۲ ـ (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً)(۱) فعدّ قاتل المؤمن من المخلّدين فى النار من غير فرق بين أن يكون القاتل مسلماً أو كافراً. يلاحظ عليه: أنّ الآية ناظرة إلى القاتل المستحل قتل المؤمن أو قتله لأجل ايمانه و مثله كافر و يدلّ عليه ما قبلها، قال سبحانه: (سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّواْ إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا فَإِنْ لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمْ السَّلَمَ وَيَكُفُّواْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَـٰكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَناً مُّبِيناً)(۲). ثمّ يقول: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤمِناً إلاّ ـ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ...)(۳). ثمّ يقول: (وَمَن يَقْتُلْ مُؤمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤهُ جَهَنَّمُ...) فالآية حسب السياق تختصّ بالمستحلّ الكافر، خصوصاً بالنظر إلى قوله (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤمِناً) والنفى وإن كان نفياً تشريعياً (ليس شأن المؤمن أن يقتل مؤمناً إلاّ خطأ) لاتكوينيّاً(لايصدر من المؤمن قتل المؤمن) ولكّنه يصحّ أن يقع قرينة ـــــــــــــــــ

۱. النساء: ۹۳.

۲. النساء: ۹۱.

۳. النساء: ۹۲. (۴۱۴)

على اختصاص الآية الثالثة بالكافر. ۳ ـ (بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ)(۱). يلاحظ عليه: أنّ الموضوع للحكم بالخلود ليس مطلق من كسب السيّئة، بل من اكتسب السيّئة و أحاطت به خطيئته، والمسلم المؤمن مهما كان عاصياً لاتحيط به خطيئته، فإنّ فى قلبه نقاطاً بيضاء يشع منها إيمانه و اعتقاده بالله سبحانه و أنبيائه وكتبه. ۴ ـ (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ

جَهَنَّمَ خَـلِـدُونَ * لاَـ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَـا ظَلَمْنَـهُمْ وَلَـكِن كَانُواْ هُمُ الظَّـلِمِينَ)(۲). بحجّـة أنّ المجرم أعم من الكـافر و المؤمن الفاسق، وقـد حكم عليه على وجه الاطلاق، بالخلود فی النار. يلاحظ عليه: أنّ الآيـة واردة فی حقّ الكفّار بشـهادة سياقها، قال سبحانه قبل هذه الآية: (الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَايَـتِنَا وَكَانُواْ مُسْـلِمِينَ * ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَجُكُمْ تُحْبَرُونَ) ثم يقول (إِنَّ الْمُـجْرِمِينَ فِی عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـلِـدُون) فبحكم المقابلـة مع قوله (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) فالمقصود من المجرمين هو الكفّار. هـذه هی الآيات اسـتدلّت بها الخوارج ثمّ المعتزلـة على تأبيـد صـاحب الكـبيرة فی النـار . فلنكتـف بهـذا المقـدار، ومن أراد التفصـيل فليرجـع إلی محاضـراتنا الكلاميّـة(۳).

---

۱. البقرة: ۸۱.

۲. الزخرف: ۷۴ ـ ۷۶.

۳. محاضـرات الاسـتاذ العلاّمـة جعفر السـبحانی بقلم الشيخ حسن محمـد مكی: الالهيـات ۲ / ۹۱۰ ـ ۹۱۲. (۴۱۵) المخـالفون عند الخوارج: إنّ الخوارج يعـدّون جميع المسـلمين كفـاراً، لارتكـابهم الكبائر و لا أقل لتصويبهم مبـدأ التحكيم، و أكثرهم على أنّ الكفر كفر الملّة، أی الخروج عن الدين إلاّ القليل منهم، كالاباضـية فإنّهم يعدّونه كفراً لنعمه مثلما مرّ فی قوله سبحانه فی مورد الحجّ: (وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِیٌّ عَنِ الْعَالمِين)(۱). فإذا كانت سائر الفرق محكومة بالكفر، فتكون دارهم دار الكفر، لا دار الإسلام وقد أوجبت بعض الفرق منهم (كالأزارقـة) لزوم الهجرة عنها، للمعتنقين لمبادئ الخوارج. و على كلّ تقديره فهذه المسألة من شـعب المسألة الثانية و هی أنّ مرتكب الكبيرة مؤمن فـاسق، أو كـافر، ولمّـا ذهبت الخوارج إلی كونه كـافراً فيكون جميع المسـلمين المخـالفين لهم فی المبادئ، كفّاراً. و بمـا أنّك عرفت أنّ مقوّم الإيمان عنصـر قلبی، فلا يضـرّ ارتكاب الكبيرة بالايمان، لا بمعنی أنّ الإيمان القلبی و إن لم يقترن بالعمـل موجب للنجاة فی الآـخرة، بل بمعنی أنّه يكفی فی خروج الانسان من عـداد الكافرين والـدخول فی عـداد المسـلمين: الإيمان القلبی بوحدانيـة الله سـبحانه، وكتبه، ورسـله، ولهـذا الإيمان آثار فی الـدنيا و الآخرة، وكان النبی الأكرم ـ صـلّی الله عليه وآله وسـلم ـ يكتفی بالحكم فی ايمان الرجل باظهار الشـهادتين و هناك روايات متواترة بل متضافرة تدل على ذلك. قال رسول الله ـ صلّی الله عليه وآله وسـلم ـ لعلی ـ عليه السَّلامـ ـ: «قاتـل أهل خيبر حتی يشـهدوا أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّـداً رسول الله فإذا فعلوا ذلك، فقـد منعوا منك دماءهم و أموالهم، إلاّ بحقّها و حسابهم على الله»(۲). ـــــــــــــــ

۱. آل عمران: ۹۷.

۲. مسـلم: الصحيح ۷ / ۱۲۱، ابن عسـاكر: ترجمـة الإمام علی ۱ / ۱۵۹ ح ۲۲۲، النسـائی: خصائص أمير المؤمنين: ۵۷. (۴۱۶) روی الشـافعی فی كتـاب الأمـ عن ابی هريرة: أن رسول الله قـال: «لا أزال اُقاتل الناس حتی يقولوا: لا إله إلاّ الله، فإذا قالوا: لا إله إلاّ الله فقد عصـموا منّی دمـاءهم و أموالهم إلاّـ بحقّها و حسابهم على الله». ثم قال: فأعلم رسول الله انّ فرض الله أن يقاتلهم حتی يظهروا أن لا إله إلاّ الله، فاذا فعلوا منعوا دماءهم وأموالهم إلاّ بحقّها يعنی بما يحكم الله عليهم فيها، و حسابهم على الله بصـدقهم و كـذبهم و سـرائرهم، الله العالم بسـرائرهم، المتولّی الحكم عليهم، دون أنبيائه و حكّام خلقه، وبـذلك مضت أحكام رسول الله فيما بين العباد من الحـدود و جميع الحقوق، و أعلمهم أنّ جميع أحكـامه على ما يظهرون، وأنّ الله يـدين بالسـرائر(۱). نعم ورد فی بعض الروايات، اقامة الصـلاة و ايتاء الزكاة والحجّ و صوم رمضان: روی البخاری عن عبد الله بن عمر: قال رسول الله ـ صـلّی الله عليه وآله وسـلم ـ: «بنی الإسلام على خمس، شـهادة أن لاـ إله إلاّـ الله، و أنّ محمّـداً رسول الله واقام الصـلاة، و ايتاء الزكاة، والحـجّ، و صوم رمضان»(۲) ولكنّها من مظاهر العلم بالإيمـان لاـمن مقوّمـاته لأـنّ إيمان الانسان يتوقّف على مظهر له فی حياته، و الواجبات الواردة فيها مظاهر لهـذا الإيمان. الإيمان يزيد و ينقص: ثم إنّه مع القول بأنّ العنصـر المقوّم للايمان هو الاعتقاد القلبی ـ نقول: الإيمان يزيد و ينقص فی كلا الجانبين: العقيدة، و العمل، أمّا من جانب العقيدة: فأين إيمان الأولياء و الأنبياء بالله و رسله من إيمان سائر الناس، وأمّا ـــــــــــــــ

۱. الشافعی: الأم: ۶ / ۴ انظر موسوعة الإمام الشافعی : ۷ / ۲۴۱.

۲. البخاری: الصحيح ۱، كتاب الإيمان: ۹. (۴۱۷)

من جانب العمل، فأين إيمان من لايعصی الله سبحانه طرفة عين بل لايخطر بباله العصيان، من المؤمن التارک للفرائض والمرتكب للكبائر. نعم لاننكر انّه ربّما يؤدّی ترک الفرائض، و ركوب المعاصی، مدّة طويلة إلی الالحاد و الانكار و التكذيب و الجحد قال سبحانه: (ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ الَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ السُّوأَى أَن كَذَّبُواْ بِئَايَـٰتِ اللهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ)(۱). إنّ وزان «العقيدة و العمل الصالح» وزان الجذور و السيقان فی الشجرة فكما أنّ تقوية الجذور مؤثّرة فی قوّة السيقان، و كمال الشجرة وجود ثمرتها، فكذلک تهذيب السيقان و رعايتها بقطع الزوائد عنها و تشذيبها، و تعرّضها لنور الشمس، مؤثّرة فی قوّة الجذور، إنّها علاقة تبادليّة بين العمل و العقيدة كالعلاقة التبادليّة بين الجذور و السيقان. أجل ذلک هو الحال بالنسبة إلی تأثير الإيمان فی العمل، و هكذا الحال بالنسبة إلی تأثير العمل فی الاعتقاد، فإنّ الّذی ينطلق فی ميدان الشهوة بلاقيد، ويمضی فی اشباع غرائزه إلی أبعد الحدود، يستحيل عليه أن يبقی محافظاً علی أفكاره و اعتقاداته الدينية و قيمه الروحية. إنّه كلّما ازداد توغّلاً فی المفاسد ازداد بعداً عن قيم الدين لأنّها تمنعه عن المضی فی سبيله و التمادی فی عصيانه، و هكذا يتحرّر عن تلک المعتقدات شيئاً فشيئاً و ينسلخ منها و ينبذها وراءه ظهرياً. و قد أشارت الآية الكريمة إلی هذه الحقيقة أيضاً. و بهذا يعتبر الفصل بين العمل، والكفر، بين العقيدة و السلوک، نظرية خاطئة ناشئة من الغفلة عن التأثير المتقابل بين هذين البعدين. ________

۱. الروم: ۱۰. (۴۱۸) ولهذا يسعی المستعمرون دائماً إلی افساد الأجواء الاجتماعية بهدف افساد الأخلاق والسلوک تمهيداً لتغيير الأفكار والقضاء علی المعتقدات(۱). * * * ________

۱. محاضرات الاستاذ جعفر السبحانی بقلم جعفر الهادی: الله خالق الكون ۶۳۶ ـ ۶۳۷.

(۴۱۹) ۳ ـ فی الخروج علی الحاكم الجائر اتّفقت الخروج علی لزوم الخوارج علی الحاكم الجائر، و جعلوه فرعاً من الأمر بالمعروف والنهیّ عن المنكر، بشرط القدرة و المنعة عليه، و يظهر ذلک من خطبهم و رسائلهم أوان قيامهم، و هذا عبد الله بن وهب الراسبی عندما غادر مع جماعته الحروريّة، متواجهاً إلی النهروان، خطب قومه و قال «أمّا بعد فوالله ما ينبغی لقوم يؤمنون بالرحمن، و ينيبون إلی حكم القرآن، أن تكون هذه الدنيا ـ الّتی الرضا بها و الركون إليها و الإيثار إيّاها عناء وتبار ـ آثر عندهم من الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر، والقول بالحقّ، إلی أن قال: فاخرجوا بنا اخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلی بعض كور الجبال أو إلی بعض هذه المدائن منكِرين لهذه البدع». و قال حرقوص بن زهير: «إنّ المتاع بهذه الدنيا قليل، و إنّ الفراق لها وشيک، فلا تدعونّكم زينتها و بهجتها إلی المقام بها، و لا تُلفتنكم عن طلب (۴۲۰)

الحق وإنكار الظلم، فإنّ الله مع الّذين اتّقَوْا و الّذين هم محسنون»(۱). و هذا نافع بن الأزرق يقول لأصحابه عند خروجه: «إنّ الله قد أكرمكم بمخرجكم، بصّيركم عمّا عمی عنه غيركم، ألستم تعلمون أنّما خرجتم تطلبون شريعته و أمره، فأمره لكم قائد، والكتاب لكم إمام، و إنّما تتبعون سننه و أثره...»(۲). إلی غير ذلک من كتب القوم و رسائلهم و خطبهم الّتی يرون فيها الخروج علی الإمام غير العادل واجباً. أقول: الكلام فی الإمام الجائر يقع فی مقامين: الأوّل: فی لزوم إطاعته و عدمه. الثانی: فی وجوب الخروج عليه وعدمه. أمّا الأول: لاشکّ أنّ إطاعة الإمام العادل من صميم الدين فلا يشکّ فی وجوب إطاعته اثنان، إنّما الكلام فی إطاعة الحاكم الجائر، فقد ذهب أهل السنّة إلی وجوب طاعته مطلقاً سواء أمر بالمعروف أو أمر بالمنكر، أو فی خصوص ما لم يأمر بالمعصية، ولكلٍّ من القولين قائل ونذكر بعض كلماتهم فی المقام: ۱ ـ قال أحمد بن حنبل فی رسالة ألّفها لبيان عقائد أهل السنة: «السمع والطاعة للأئمّة وأمير المؤمنين البرّ والفاجر، ومَنْ ولی الخلافة، فأجمع الناس و رضوا به، و من غلبهم بالسيف، ويُسمّی أمير المؤمنين» (۳). ۲ ـ و قال الشيخ أبو جعفر الطحاوی الحنفی (م ـ ۳۲۱) فی رسالته المسمّاة بيان السنّة و الجماعة، المشهورة بالعقيدة الطحاوية: «و نری الصلاة

____

۱. الطبری: التاريخ ۴ / ۵۴ ـ ۵۵.

۲. الطبرى: التاريخ ۴ / ۴۳۹.

۳. أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية ۲ / ۳۲۲ نقلاً عن إحدى رسائل إمام الحنابلة، و كلامه مطلق يعم ما إذا أمر بالطاعة أو بالمعصية. (۴۲۱)

خلف كل برّ و فاجر من أهل القبلة.. إلى أن قال: ولا ننزع يداً من طاعتهم، و نرى طاعتهم من طاعات الله عزّوجلّ فريضة علينا مالم يأمروا بمعصية»(۱). ۳ـ و قال أبو اليُسر محمّد بن عبد الكريم البزدوى: «الإمام إذا جار أو فسق لاينعزل عند أصحاب أبى حنيفة و أجمعهم، و هو المذهب المروى»(۲). إلى غير ذلك من الكلمات الّتى وقفت على بعضها فى الجزء الأوّل ـ من هذه الموسوعة ـ عند البحث عن طاعة السلطان الجائر و هى بين مطلق و مقيّد فيما إذا لم يأمر بمعصية. وهذه النظرية حيكت على طبق الروايات الواردة فى الصحاح والمسانيد، و إليك بعضها: أ ـ روى مسلم فى صحيحه: بسنده عن حذيفة بن اليمان قال: قلت: «يا رسول الله، إنّا كنّا بشرٍّ فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شرّ؟ قال: نعم قلت: هل وراء ذلك الشرّ خير؟ قال: نعم قلت: فهل وراء ذلك الخير شرّ؟ قال: نعم قلت: كيف؟ قال: يكون بعدى أئمّة لايهتدون بهداى ولا يستنّون بسنّتى و سيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان إنس. قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع و تطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك و أخذ مالك فاسمع و أطع»(۳). ب ـ روى أيضاً عن سلمة بن يزيد الجعفى، أنّه سأل رسول الله، فقال: «يا نبىّ الله، أرأيت إن قامت علينا اُمراء يسألونا حقّهم و يمنعونا حقّنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثمّ سأله فى الثانية أو فى الثالثة فجذبه ـــــــــــــــــ

۱. أبو جعفر الطحاوى: شرح العقيدة الطحاوية ۱۱۰ طبع دمشق.

۲. الإمام البزدوى (إمام الفرقة الماتريدية): اُصول الدين ۱۹۰ طبع القاهرة.

۳. مسلم: الصحيح ۳ / ۱۴۷۶، كتاب الإمارة، الباب ۱۳، الحديث ۱۸۴۷. (۴۲۲)

الأشعث بن قيس و قال: «اسمعوا و أطيعوا، فإنّما عليهم ما حمّلوا و عليكم ما حمّلتم»(۱). و فى رواية اُخرى فيه: «فجذبه الأشعث بن قيس فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «اسمعوا و أطيعوا، فإنّما عليهم ما حمّلوا و عليكم ما حمّلتم»(۲). ج ـ و روى عن عبادة بن الصامت «قال: دعانا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فبايعناه، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع و الطاعة فى منشطنا و مكرهنا و عسرنا و يسرنا و اثره علينا و أن لاننازع الأمر أهله. قال: «إلّا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»(۳). تحليل هذه النظرية: إنّ هذه النظرية لايصدّقها الكتاب العزيز و لا السنّة النبويّة ولا سيرة أئمّة المسلمين، كيف يجوز إطاعة أمر الجائر مطلقاً، أو فيما إذا لم يأمر بمعصيته، و قال سبحانه: (وَلاَ تُطِيعُواْ أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الاْرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ)(۴) وقد نقل سبحانه اعتذار بعض أهل النار بقوله: (وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ)(۵) وقد تضافر عن رسول الله أنّه قال: «لا طاعة ـــــــــــــــــ

۱. مسلم الصحيح ۳ / ۱۴۷۴، كتاب الامارة، الباب ۱۲، الحديث ۱۸۴۶.

۲. مسلم: الصحيح ۳ / ۱۴۷۵، كتاب الامارة، الباب ۱۲، ذيل حديث ۱۸۴۶.

۳. مسلم الصحيح ۳ / ۱۴۷۰، كتاب الامارة، الباب ۸ ذيل حديث ۱۸۴۰ (الرقم ۴۲). ولاحظ فى الوقوف على سائر الروايات فى هذا المجال كتاب دراسات فى فقه الدورة الإسلامية ۱ / ۵۸۰ ـ ۵۸۷ فإنّه بلغ النهاية فى جمع الروايات و الكلمات الصادرة عن الفقهاء فى المقام.

۴. الشعراء: ۱۵۱ ـ ۱۵۲.

۵. الأحزاب: ۶۷. (۴۲۳)

لمخلوق فى معصية الخالق»(۱). و روى الإمام الرضا عن آبائه قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «من أرضى سلطاناً بما أسخط الله خرج عن دين الله»(۲). و روى مسلم فى صحيحه عن ابن عمر أنّه قال: «على المرء المسلم السمع و الطاعة فيما أحبّ و كره

إلّا أن يؤمر بمعصية فلا سمع و لا طاعة»(۳). إلى غير ذلک من الروايات الناهية عن إطاعة الإمام الجائر مطلقاً أو فيما يأمر بمعصية. و الإمعان فيها و فى غيرها يعرب عن حرمة الاطاعة مطلقاً، كيف و روى المتّقى الهندى فى كنز العمّال عن أَنس قال: «لا طاعة لمن لم يطع الله»(۴) نعم كل ما ذكرنا من حرمة الطاعة، مشروط بالقدرة و المنعة، وإلّا ففيه كلام آخر ليس المقام محل تفصيله. و أمّا السيرة فتظهر حالها عند الكلام فى المقام الثانى: الثانى: فى لزوم الخروج على الحاكم الجائر: ۱ ـ ذهب أكثر أهل السنّة إلى حرمة الخروج، وهذا هو إمام الحنابلة يقول فى رسالته السابقة: «و الغزو ماض مع الاُمراء إلى يوم القيامة، البرّ و الفاجر، وإقامة الحدود إلى الأئمة، وليس لأحد أن يطعن عليهم و ينازعهم»(۵) . ۲ ـ و قال الشيخ أبو جعفر الطحاوى: «ولا نرى الخروج على أئمّتنا ولا

۱. الحر العاملى: الوسائل ۱۱، الباب الحادى عشر من أبواب الأمر بالمعروف ۷، و نقله الرضى فى نهج البلاغة قسم الحكمة برقم ۱۶۵.

۲. المصدر نفسه برقم ۹.

۳. مسلم: الصحيح ۳، كتاب الامارة، الباب الثامن، الحديث ۱۸۳۹.

۴. المتقى الهندى: كنز العمال ۶ / ۶۷، الباب ۱ من كتاب الامارة، الحديث ۱۴۸۷۲.

۵. تقدم مصدره. (۴۲۴)

ولاة أمرنا و إن جاروا»(۱). ۳ ـ و قال الإمام الأشعرى عند بيان عقيدة أهل السنّة: «و يرون الدعاء لأئمّة المسلمين بالصلاح و أن لايخرجوا عليهم بالسيف»(۲). ۴ ـ وقال الإمام البزدوى: «إذا فسق الإمام يجب الدعاء له بالتوبة، ولا يجوز الخروج عليه لأنّ فى الخروج إثارة الفتن و الفساد فى العالم »(۳). ۵ ـ و قال الباقلانى بعدما ذكر فسق الإمام و ظلمه بغصب الأموال، و ضرب الأبشار، و تناول النفوس المحرّمة، و تضييع الحقوق، و تعطيل الحدود: «لاينخلع بهذه الامور ولا يجب الخروج عليه، بل يجب و عظه و تخويفه، و ترك طاعته فى شىء ممّا يدعو إليه من معاصى الله»(۴). إلى غير ذلک من الكلمات الّتى فيما ذكرنا غنىً عنها. نعم هناک شخصيات لامعة أصحروا بالحقيقة و جاءوا بكلام حاسم، وإليک بعض من ذهب إلى وجوب الخروج على الحاكم الجائر: ۱ ـ قال أبو بكر الجصّاص فى أحكام القرآن: «كان مذهب أبى حنيفة مشهوراً فى قتال الظلمة وأئمّة الجور، ولذلک قال الأوزاعى: احتملنا أبا حنيفة على كل شىء حتى جاءنا بالسيف ـ يعنى قتال الظلمة ـ فلم نحتمله، وكان من قوله: وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض بالقول، فإن لم يؤتمرله فبالسيف على ما روى عن النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ . وسأله إبراهيم الصائغ و كان من فقهاء أهل خراسان ورواة الأخبار

۱. أشرنا إلى مصدره.

۲. أبو الحسن الأشعرى: مقالات الإسلاميين ۳۲۳.

۳. الامام البزدوى: اُصول الدين ۱۹۰.

۴. الباقلانى: التمهيد ۱۸۶ طبع القاهرة. (۴۲۵)

ونسّاكهم عن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فقال: هو فرض، وحدّثه بحديث عن عكرمة عن ابن عباس أنّ النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ قال: «أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب و رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف و نهاه عن المنكر فقتل»(۱). ۲ ـ و قال ابن حزم: «والواجب إن وقع شىء من الجور و إن قلّ، أن يكلّم الإمام فى ذلک ويمنع منه، فإن امتنع و راجع الحقّ وأذعن للقود من البشرة أو من الاعضاء، و لإقامة حدّ الزنا و القذف والخمر عليه فلا سبيل إلى خلعه، و هو إمام كما كان، لا يحلّ خلعه. فإن امتنع من انفاذ شىء من هذه الواجبات عليه ولم يراجع، وجب خلعه و اقامة غيره ممّن يقوم بالحقّ، لقوله تعالى: (تَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوْاْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدوَ نِ) ولا يجوز تضييع شىء من واجبات الشرائع» (۲). ۳ ـ و قال ابن أبى الحديد المعتزلى فى شرح قول أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ : «لا تقاتلوا الخوارج بعدى» قال: «و عند أصحابنا انّ الخروج على أئمّة الجور واجب، و عند أصحابنا

أيضاً انّ الفاسق المتغلّب بغير شبهة يعتمد عليها، لايجوز أن يُنْصَر على من يخرج عليه ممّن ينتمى إلى الدين، و يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، بل يجب أن ينصر الخارجون عليه، وإن كانوا ضالّين فى عقيدة اعتقدوها بشبهة دينية دخلت عليهم، لأنّهم أعدل منه و أقرب إلى الحقّ، و لاريب فى تلّزم الخوارج بالدين، كما لاريب فى أنّ معاوية لم يظهر عنه مثل ذلك»(٣). ___________

١. الجصّاص: أحكام القرآن ١ / ٨١ .

٢. ابن حزم الأندلسى: الفصل فى الملل و الاهواء و النحل ۴ / ١٧۵.

٣. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۵ / ٧٨. (۴۲۶) ۴ ـ و قال إمام الحرمين: «إنّ الامام إذا جار، وظهر ظلمه و غيّه ولم يرعو لزاجر عن سوء صنيعة فلأهل الحل و العقد، التواطؤ على ردعه و لو بشهر السلاح ونصب الحروب»(١). إذا و قفت على هذه النقول، فالحقّ هو وجوب الخروج على الحاكم الجائر إذا كان فى ركوبه منصّة الحكم خطراً على الإسلام و المسلمين. و يكفى فى ذلك ما ورد حول الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، فإنّ الخروج على السلطان الجائر من مراتب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يقوم به إلّا أصحاب القدرة و المنعة، الذين لديهم امكانية الكفاح المسلّح . وأمّا الروايات فيكفى فى ذلك ما نذكر: ١ ـ روى الطبرى فى تاريخه عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، قال، إنّى سمعت علياً ـ عليه السَّلام ـ يقول ـ يوم لقينا أهل الشام ـ: «أيّها المؤمنون، إنّه من رأى عدواناً يُعمل به و منكراً يُدعى إليه، فأنكره بقلبه فقد سلم و برئ، و من أنكره بلسانه فقد اُجر، و هو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الّذى أصاب سبيل الهدى و قام على الطريق و نوّر فى قلبه اليقين» (٢). ٢ ـ و فى مسند أحمد عن رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «إنّ الله عزّوجلّ لا يعذّب العامّة بعمل الخاصّة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم، وهم قادرون على أن ينكرونه، فإذا فعلوا ذلك عذّب الله الخاصّة و العامّة»(٣). ___________

١. التفتازانى: شرح المقاصد ٢ / ٢٧٢ نقلاً عن امام الحرمين.

٢. الحر العاملى: الوسائل ١١ / ۴٠۵، الباب ٣ من أبواب الأمر و النهى و...، الحديث ٨، و رواه أيضاً فى نهج البلاغة: فيض ١٢۶٢، عبدة ٣ / ٢۴٣، صالح ۵۴١، الحكمة ٣٧٣.

٣. أحمد المسند ۴ / ١٩٢. (۴٢٧) والقدرة، فمنطق القوة يستعان به إذا لم تثمر المراتب السابقة، وفى بعض الروايات إلماعات إليه، و هى بين كونها نقيّة السند و ضعيفته، و لكن المجموع يفيد اليقين بالمقصود. ٣ ـ قال أبو جعفر الباقر ـ عليه السَّلام ـ: «فانكروا بقلوبكم و الفظوا بألسنتكم و صكّوا بها جباههم، ولا تخافوا فى الله لومة لائم»(١). ۴ ـ إنّ الحسين خطب أصحابه و أصحاب الحرّ، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: «أيّها الناس إنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحّلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يعمل فى عباد الله بالاثم و العدوان، فلم يُغَيِّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله. ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان و تركوا طاعة الرحمن، و أظهرو الفساد و عطّلوا الحدود، و استأثروا بالفىء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غيّر»(٢). ۵ ـ روى الصدوق باسناده عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمّد ـ عليه السَّلام ـ قال: قال أمير المؤمنين ـ عليه السَّلام ـ: «إنّ الله لا يعذّب العامّة بذنب الخاصّة إذا عملت الخاصّة بالمنكر سرّاً من غير أن تعلم العامّة، فإذا عملت الخاصّة بالمنكر جهاراً فلم تغيّر ذلك العامة، استوجب الفريقان العقوبة من الله ـ عزّ وجلّ ـ» قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ: «إنّ المعصية إذا عمل بها العبد سرّاً لم يُضّرَّ إلّا عاملها، فإذا عمل بها علانية ولم يغيّر عليه أضرّت بالعامة». و قال جعفر بن محمّد ـ عليه السَّلام ـ: «و ذلك انّه يذلّ ___________

١. الحرّ العاملى: الوسائل ١١ / ۴٠٣، الباب الثالث من أبواب الأمر بالمعروف ١.

٢. الطبرى: التاريخ ۴ / ٣٠۴. (۴٢٨)

بعمله دين الله و يقتدى به اهل عداوة الله»(١). و فيما ذكرنا من الروايات كفاية. أمّا السيرة فحدّث عنها ولا حرج، ففى ثورة الإمام الطاهر الحسين سيّد الشهداء، و ثورة أهل المدينة على زيد الطاغية، و ثورة أهل البيت فى فترات خاصة، كفاية لطالب الحق و كلّها

تؤيّد نظريـة لزوم الخروج على الحاكم الجائر بشروط خاصـة مبيّنـة فى الفقه. و نكتفى فى المقام بما ذكره صاحب المنار قال: «و من المسائل المجمع عليها قولاً و اعتقاداً: «إنّه لا طاعـة لمخلوق فى معصيـة الخالق، وإنّما الطاعة فى المعروف»، و إنّ الخروج على الحاكم المسلـم إذا ارتدّ عن الإسلام واجب، وإنّ اباحة المجمع على تحريمه كالزنا و السكر واستباحة ابطال الحدود و شرع مالم يأذن به الله، كفر وردّة، وانّه إذا وجد فى الدنيا حكومة عادلة تقيم الشرع، وحكومة جائرة تعطله، وجب على كلّ مسلم نصر الاُولى ما استطاع، و انّه إذا بغت طائفة من المسلمين على اُخرى، وجرّدت عليها السيف، و تعذّر الصلح بينهما، فالواجب على المسلمين قتال الباغية المعتدية حتى تفيء إلى أمر الله. و ما ورد فى الصبر على أئمّة الجور إلاّ إذا كفروا، معارض بنصوص اُخرى، والمراد به اتّقاء الفتنة و تفريق الكلمة المجتمعة، وأقواها حديث: «و أن لاتنازع الأمر أهله إلاّ أن تروا كفراً بواحا». قال النووى: المراد بالكفر هنا المعصية. و مثله كثير. و ظاهر الحديث انّ منازعة الامام الحق فى إمامته نتزعها منه لا يجب إلاّ إذا كفر كفراً ظاهرا و كذا عمّاله و ولاته. و أمّا الظلم و المعاصى فيجب إرجاعه عنها مع بقاء امامته و طاعته فى ـــــــــــــــــــــ

۱. الحرّ العاملى: الوسائل ۱۱ / ۴۰۷، الباب ۴ من أبواب الأمر و النهى و...، الحديث ۱. (۴۲۹)

المعروف دون المنكر، وإلاّ خلع و نصب غيره. و من هذا الباب خروج الحسين سبط رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ على امام الجور و البغى، الّذى ولىَّ أمر المسلمين بالقوّة والمكر: يزيد بن معاوية خذله الله، وخذل من انتصر له من الكرامية و النواصب الذين لايزالون يستحبون عبادة الملوك و الظالمين، على مجاهدتهم لإقامة العدل و الدين. وقد صار رأى الاُمم الغالب فى هذا العصر وجوب الخروج على الملوك المستبدّين المفسدين. وقد خرجت الاُمة العثمانية على سلطانها عبد الحميد خان فسلبت السلطة منه و خلعته بفتوى من شيخ الإسلام» (۱). * * * ـــــــــــــــــــــ

۱. السيد محمّد رشيد رضا: تفسير المنار ۶ / ۳۶۷، وياليت صاحب المنار (ت ۱۳۵۴) يمشى على هذا الخطّ إلى آخر عمره والقصة ذو شجون، و من أراد التفصيل فليرجع إلى المناظرات الّتى دارت بينه و بين السيد محسن الأمين (ت ۱۳۷۱) فقد أماط الستر عن حياته و تلوّنه فيها، ولاحظ أيضاً كشف الارتياب ۶۴ ـ ۷۷. (۴۳۰) (۴۳۱) ۴ ـ التقية قولاً و عملاً ذهبت الأزارقة إلى حرمة التقيّة فى القول و العمل، بينما ذهبت النجدية إلى جوازها(۱) وربّما تنسب حرمة التقيّة إلى جميع الخوارج وإن اُكره المؤمن و خاف القتل(۲). يلاحظ عليه: أنّ التقيّة تنقسم حسب انقسام الأحكام إلى خمسة، فمنها واجب، و منها حرام، فإنّها تجب لحفظ النفوس، و الأعراض، و الأموال الطائلة، كما إنّها تحرم إذا ترتّبت عليها مفسدة أعظم كهدم الدين و خفاء الحقيقة على الأجيال الآتية. قال الشيخ المفيد: التقيّة جائزة فى الدين عند الخوف على النفس، وقد يجوز فى حال دون حال للخوف على المال، و لضروب من الاستصلاح. ـــــــــــــــــــــ

۱. لاحظ فصل عقائد الخوارج و آرائهم.

۲. الامام عبده: المنار ۳ / ۲۸۰، بقلم تلميذه السيد محمّد رشيد رضا، و ما ذكره إنّما هو مذهب الأزارقة لا النجدية و ستعرف أنّ التقيّة من تعاليم الاباضية وكانت هى السبب فى بقائهم. (۴۳۲) و أقول: إنّها قد تجب أحياناً و يكون فرضاً، و تجوز أحياناً من غير وجوب، و تكون فى وقت أفضل من تركها، و يكون تركها أفضل وإن كان فاعلها معذوراً و معفوّاً عنه، متفضّلاً عليه بترك اللوم عليها. و أقول: إنّها جائزة فى الأقوال كلّها عند الضرورة، و ربّما وجبت فيها لضرب من اللطف والاستصلاح و ليس يجوز من الأفعال فى قتل المؤمنين ولا فيما يُعْلَم أو يُغْلَب انّه استفساد فى الدين، و هذا مذهب يخرج عن اُصول أهل العدل و أهل الامامة خاصّة دون المعتزلة و الزيدية و الخوارج و العامة المتسمّية بأصحاب الحديث(۱). و يكفى فى جواز ذلك: ۱ ـ قوله سبحانه: (لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَـفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَ لِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَنْ تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَـةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)(۲). فقوله: (إِلَّآ أَنْ تَتَّقُواْ) استثناء من أهم الأحوال، أى أنّ ترك موالاة الكافرين حتم على المؤمنين فى كلّ حال، إلاّ فى حال الخوف من شىء يتّقونه منهم، فللمؤمنين حينئذ أن يوالوهم بقدر ما يتّقى به ذلك الشىء لأنّ درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح. والاستثناء منقطع، فإنّ التقرّب من الغير خوفاً، بإظهار آثار التولّى، ظاهراً من غير عقد القلب على الحبّ والولاية، ليس من التولّى فى شىء، لأنّ الخوف

---

۱. الشيخ المفيد: أوئل المقالات ۹۶ ـ ۹۷. قوله «و العامة المتسمّية بأصحاب الحديث» يعرب عن أنّ غير المعتزلة من أهل السنّة كانوا معروفين فى عصر الشيخ (۳۲۶ ـ ۴۱۳) بأصحاب الحديث، وأمّا تسمية طائفة منهم بالأشاعرة فإنّما حدث بعد ذلك العصر.

۲. آل عمران: ۲۸. (۴۳۳)

والحب أمران قلبيّان و متنافيان أثراً فى القلب، فكيف يمكن اجتماعهما، فاستثناء الاّتقاء استثناء منقطع. ۲ ـ قوله سبحانه: (مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إِيمَـنِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَـنِ * وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)(۱) فترى انّه سبحانه يجوّز إظهار الكفر كرهاً و مجاراة الكافرين خوفاً منهم، بشرط أن يكون القلب مطمئنّاً بالايمان. فلو كانت مداراة الكافرين فى بعض الظروف حراماً، فلماذا رخّصه الإسلام و أباحه، وقد اتّفق المفسّرون على أنّ الآية نزلت فى جماعة اُكرهوا على الكفر، و هم عمّار و أبوه «ياسر» واُمّه «سميّة»، و قتل أبو عمّار و اُمّه، و أعطاهم عمّار بلسانه، ما أرادوا منه. ثم أخبر سبحانه بذلك رسول الله، فقال قوم: كفر عمّار، فقال ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «كّلا، إنّ عمّاراً مُلِئ ايماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه». وجاء عمّار إلى رسول الله و هو يبكى، فقال: «ماوراءك»؟ فقال: «شرّ يا رسول الله، ما تركت حتى نلت منك، و ذكرت آلهتم بخير». فجعل رسول الله يمسح عينيه و يقول: «إن عادوا فعدلهم بما قلت» فنزلت الآية(۲). وبذلك يظهر، أنّ تحريم التقيّة على وجه الاطلاق اجتهاد فى مقابل النصّ، فإنّ الآية تصرّح بأنّ من نطق بكلمة الكفر مُكْرَهاً و قاية لنفسه من الهلاك، لاشارحاً بالكفر صدراً، ولا مستحسناً للحياة الدنيا على الآخرة، لا يكون كافراً، بل يعذر. ۳ ـ (وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـنَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أن يَقُولَ رَبِّىَ اللهُ وَقَدْ جَآءَكُمْ بِالْبَيِّنَـتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَـذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً ـــــــــــــــــــ

۱. النحل: ۱۰۶.

۲. الطبرسى: مجمع البيان ۳ / ۳۸۸ و نقله غير واحد من المفسرين. (۴۳۴) يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ)(۱) ويقول أيضاً: (وَجَآءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَـمُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّـصِحِينَ)(۲). نعم لوجوب التقيّة أو جوازها شروط و أحكام ذكرها العلماء فى كتبهم الفقهية و لأجل ذلك حرّموا التقيّة فى موارد، كقتل المؤمن تقيّة، أو ارتكاب محرّم يوجب الفساد الكثير، ولأجل ذلك نرى أنّ كثيراً من عظماء الشيعة و أكابرهم رفضوا التقيّة فى بعض الأحايين و تهيّأ وللشنق على حبال الجور، والصلب على أخشاب الظلم. وكلّ من استعمل التقيّة أو رفضها، له الحسنى، وكلّ عمل بوظيفته الّتى عيّنتها ظروفه. إنّ التاريخ يحكى لنا عن الكثير من رجالات الشيعة الذين تركوا التقيّة و قدَّموا نفوسهم المقدَّسة قرابين للحقّ، و منهم شهداء «مرج العذراء» و قائدهم الصحابّى العظيم الّذى أنهكته العبادة و الورع، حجر بن عدى الكندى، الّذى كان من قادة الجيوش الاسلامية الفاتحة للشام. و منهم ميثم التمّار، و رشيد الهجرى، و عبد الله بن يقطر الذين شَنَقهم ابن زياد فى كناسة الكوفة، هؤلاء والمئات من أمثالهم هانت عليهم نفوسهم العزيزة فى سبيل الحقّ، ونطحوا صخرة الباطل، بل وجدوا العمل بالتقيّة حراماً، ولو سكتوا وعملوا بها وأصبح دين الإسلام دينَ معاوية و يزيد و زياد و ابن زياد، دينَ المكر، ودينَ الغدر، ودينَ النفاق، ودينَ الخداع، دين كل رذيلة، و أين هو من دين الإسلام الحقّ، الّذى هو دين كل فضيلة، اُولئك هم أضاحى الإسلام و قرابين الحق.

---

۱. غافر: ۲۸.

۲. القصص: ۲۰. (۴۳۵) و فوق اُولئك، امام الشيعة، أبو الشهداء الحسين و أصحابه الذين هم سادة الشهداء و قادة أهل الإباء. وبذلك ظهر أنّ ايجاب التقيّة على الاطلاق و تحريمها كذلك، بين الافراط والتفريط. والقول الفصل هو تقسيم التقيّة إلى الواجب والحرام، أو إلى الجائز ـ بالمعنى الأعم ـ والحرام. و بما أنّ الشيعة اشتهرت بالتقيّة بين سائر الفرق، و ربّما تُزرى بها و تُتّهم بالنفاق فقد أشبعنا الكلام فيها، و بيّنا، الفرق بين التقيّة و النفاق فى أبحاثنا الكلامية(۱). و هناك كلمة للعلاّمة المحقّق السيد الشهرستانى نأتى بها

هنا: قال: المراد من التقيّة إخفاء امر دينى لخوف الضرر من إظهاره، و التقيّة بهذا المعنى، شعار كلّ ضعيف مسلوب الحرية، إلاّ أنّ الشيعة قد اشتهرت بالتقيّة أكثر من غيرها، لأنّها منيت باستمرار الضغط عليها أكثر من أىّ اُمّة اُخرى، فكانت مسلوبة الحرية فى عهد الدولة الأمويّة كلِّه، و فى عهد العباسيين على طوله و فى أكثر أيام الدولة العثمانية ولأجله استشعروا شعار التقيّة أكثر من أىّ قوم، ولمّا كانت الشيعة تختلف عن الطوائف المخالفة لها فى قسم مهم من الاعتقادات فى اُصول الدين، و فى كثير من المسائل الفقهية، و تستجلب المخالفة (بالطبع) رقابة و حزازة فى النفوس، و قد يجرّ إلى اضطهاد أقوى الحزبين لأضعفه، أو اخراج الأعزّ منهما الأذلّ كما يتلوه علينا التاريخ و تصدّقه التجارب، لذلك أضحت شيعة الأئمّة من آل البيت تضطرّ فى أكثر الأحيان إلى الكتمان لصيانة النفس و النفيس، والمحافظة على الوداد و الاُخوّة مع سائر اخوانهم المسلمين، ______________

۱. لاحظ الإلهيّات ۲ / ۹۲۵ ـ ۹۳۳ بقلم حسن محمد مكى العاملى . (۴۳۶)

لئلّا تنشق عصا الطاعة، و لكيلا يحسّ الكفّار بوجود اختلاف ما فى الجامعة الاسلامية فيوسّعوا الخلاف بين الاُمّة المحمّدية(۱). * * *

---

۱. محمّد على الشهرستانى (ت ۱۳۸۶): تعاليق أوائل المقالات ۹۶ نقلًا عن مجلّة المرشد ۲۵۲ ـ ۲۵۶. (۴۳۷) ۵ ـ ما تجب معرفته بالتفصيل إنّ هذه المسألة تفترق عن المسألة الثانية أعنى تحديد حقيقة الإيمان و انّ العمل هل هو مقوّم لأقلّ مراتب الإيمان أو لا (وجه الفرق)؟ انّ روح البحث فى المقام عن تحديد ما تجب معرفته فى مجالى العقيدة و الشريعة، بخلاف المسألة السابقة فإنّ موضوعه تحديد مفهوم الإيمان و انّه هل هو متقوّم بالعقيدة فقط، أو مركّب منها و من العمل؟ فالمسألتان مختلفتان جوهراً فنقول: الإسلام عقيدة و شريعة، و المطلوب من الاُولى، المعرفة ثم الالتزام القلبى، كما انّ المطلوب من الثانية المعرفة ثم الالتزام العملى، و هذا ممّا لم يختلف فيه اثنان، إلاّ أنّه وقع الاختلاف فى تحديد المقدار الّذى تجب معرفته تفصيلًا مقدمة للالتزام القلبى ،كما وقع الخلاف فى المقدار الأدنى الّذى تجب معرفته تفصيلًا مقدمة للالتزام العملى، و نحن نبحث عن كلا الأمرين. (۴۳۸) الأمر الأول: ما تجب معرفته فى مجال العقيدة: الّذى يظهر من الطائفة البيهسيّة من الخوارج، لزوم معرفة جميع العقائد الاسلامية تفصيلًا و انّه لولا هذه المعرفة لما دخل الانسان فى عداد المسلمين، قالوا: لاُيسلِم أحد حتى يُقر بمعرفة الله، و بمعرفة رسوله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ و بمعرفة ما جاء به محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ جملة، و الولاية لأولياء الله سبحانه، والبراءة من أعداء الله ـ جلّ وعلا ـ و ما حرّم الله سبحانه ممّا جاء فيه الوعيد فلا يسع الانسان إلاّ علمه و معرفته بعينه وتفصيله(۱). ويظهر هذا القول من بعض علمائنا الامامية. قال العلاّمة الحلّى: أجمع العلماء على وجوب معرفة الله و صفاته الثبوتية و ما يصحّ عليه و ما يمتنع عنه و النبوّة و الامامة و المعاد بالدليل لا بالتقليد(۲). وفى الوقت نفسه هناك من قال منهم بكفاية الاقرار (الا المعرفة) بما جاء من عند الله جملة(۳). و يظهر هذا القول من الاباضية، قال محمّد بن سعد الكدمى ـ وهو من علماء الاباضية فى القرن الرابع ـ: «اعلموا أنّ الجملة الّتى دعا إليها محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ وكذلك من دعا إلى دين الله بعد موت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ، ممّا لايسع الناس جهله، و هو الاقرار بالله، انّه واحد، و انّه ليس كمثله شىء، وانّ محمّداً عبده و رسوله، وانّ جميع ماجاء ______________

۱. يراجع الفصل التاسع: الفرقة الثالثة: البيهسية.

۲. العلاّمة الحلى: الباب الحادى عشر ۲.

۳. لاحظ عقائد الفرقة البيهسية المنسوبة لأبى بيهس فى هذا الفصل و يحتمل أن يكون المراد من «جملة» هو الاعتقاد الاجمالى بما جاء به الرسول فلا يدل على لزوم المعرفة التفصيلية و لكن يخالفه ذيله الصريح فى لزومها. (۴۳۹)

به محمّد عن الله فهو الحق، فهذا الّذى لايسع جهله فى حال من الاحوال(۱). و أضاف البعض الآخر من الاباضية تبعاً لأهل الحديث ثم الأشاعرة، الإيمان بالقدر خيره وشرّه (فيجب معرفتهما) قال ابن سلام: الإيمان أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و البعث و اليوم الآخر و الموت و القدر خيره و شرّه من الله عزّوجلّ(۲). ولأجل وجود التطرّف فى القول الأوّل قال شيخنا المرتضى الأنصارى عند

البحث عن حجّية الظن فى اُصول الدين: «لقد ذكر العلامة (قدس سره) فى الباب الحادى عشر فى ما يجب معرفته على كلّ مكلّف من تفاصيل التوحيد و النبوّة و الامامة و المعاد اُموراً لا دليل على وجوبها مطلقاً، مدعياً انّ الجاهل بها عن نظر و استدلال خارج عن ربقة الإسلام مستحقّ للعقاب الدائم و هو فى غاية الاشكال»(۳). و لأجل تحقيق الحال نبحث عن الموضوع على وجه الايجاز فنقول: إنّ المسائل الاُصولية الّتى لا يطلب فيها أوّلاً و بالذات إلاّ الاعتقاد، على قسمين: الأوّل: ما وجب على المكلّف الاعتقاد و التدّين به غير مشروط بحصول العلم، فيكون تحصيل العلم من مقدّمات ذلک الواجب المطلق فيجب تحصيل مقدّمته (المعرفة). الثانى: ما يجب الاعتقاد و الالتزام إذا اتّفق حصول العلم به، و هذا كبعض تفاصيل المعارف الاسلامية الراجعة إلى المبدأ والمعاد. أمّا القسم الأوّل: أعنى ما يجب الاعتقاد به مطلقاً ولأجل كون وجوبه غير ـــــــــــــــــــــــ

۱. أبو سعيد الكدمى: المعتبر ۱ / ۱۴۵ من منشورات وزارة التراث القومى و الثقافة لسلطنة عمان.

۲. ابن سلام (ت ۲۷۳): بدء الإسلام و شرائع الدين ۶۰.

۳. مرتضى الأنصارى: الرسائل ۱۷۰. (۴۴۰)

مشروط بشيء يجب تحصيل مقدّمته. فهذا لا يتجاوز عن الاعتقاد بالشهادتين: بشهادة أن لا إله إلاّ الله و شهادة أنّ محمّداً رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ و هذه الشهادة تتضمّن الاعتقاد الاجمالى بصحّة كلّ ما جاء به النبى فى مجال العقيدة. والدليل على كفاية ذلک مايلى: إنّ النبى الأكرم ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ كان يقبل إسلام من أقرّ بالشهادتين لفظاً حاكياً عن الاعتقاد به، و هذا يدلّ على أنّه يكفى فى دخول الانسان فى عداد المسلمين، الاقرار بهما و لا تجب معرفة تفاصيل المعارف و العقائد. قال أبو جعفر الباقر ـ عليه السَّلام ـ : إنّ الله عزّوجل بعث محمّداً ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ و هو بمكة عشر سنين(۱) ولم يمت بمكة فى تلک العشر سنين أحد يشهد أن لا اله إلاّ الله و أنّ محمّداً رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ إلاّ أدخله الله الجنة باقراره و هو إيمان التصديق(۲). فهذا الاستدلال يعطى أنّ حقيقة الإيمان الّتى يخرج الانسان بها عن حدّ الكفر، الموجب للخلود فى النار، لم تتغّير بعد إنتشار الشريعة، و بعد هجرة النبىّ إلى المدينة المنوّرة. نعم ظهرت فى الشريعة اُمور صارت ضرورية الثبوت من النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فيعتبر فى تحقّق الإسلام عدم انكارها (لا لزوم التصديق بها تفصيلاً) و لكن هذا لا يوجب التغيّر فى ما يقوم الإيمان به، فإنّ المقصود انّه لا يعتبر فى الإيمان أزيد من التوحيد و التصديق ـــــــــــــــــــــــ

۱. يريد الدعوة العلنية فإنّها كانت عشر سنين و كانت فى السنين الثلاثة الاُولى سرّية.

۲. الكلينى: الكافى ۲ / ۲۹ برقم ۱۵۱۰. (۴۴۱)

بالنبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ و انّه كان رسولاً صادقاً فيها يبلّغ، ولا تلزم معرفة تفاصيل ذلک و إلاّ لزم أحد الأمرين: ۱ ـ أن لا يكون من آمن بمكة من أهل الجنّة لعدم إيمانهم. ۲ ـ أن تكون حقيقة الإيمان بعد انتشار الشريعة تختلف عن صدر الإسلام و كلا الأمرين كما ترى. نعم لمّا كان الاعتقاد بالمعاد و الحياة الآخرة بمثل البُنْية التحتية للدعوة الاسلامية بل لجميع الشرائع السماوية على وجه لا ـ تتّصف الدعوة بالالهية بدون الاعتقاد بها. لابدّ من الاعتقاد بها فى إطار الشهادتين فإنّه ينطوى فى طيّاتهما يوم بعث النبىّ الأكرم بالهداية. و يؤيّد ما ذكرنا ما رواه البخارى فى ذلک المجال وإليک نصّه: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يوم خيبر: لاُعطينّ غداً هذه الراية رجلاً يحبّ الله و رسوله يفتح الله على يديه. قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الامارة إلاّ يومئذ، قال: فتساورت لها رجاء أن اُدعى لها، قال: فدعا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ على بن أبى طالب فأعطاه إيّاها و قال: امش و لا تلتفت حتى يفتح الله عليک. فسار على شيئاً ثم وقف و لم يلتفت و صرخ: يا رسول الله على ماذا اُقاتل الناس؟ قال ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله و أنّ محمّداً رسول الله فإذا فعلوا ذلک فقد منعوا منک دماءهم و أموالهم إلاّ بحقّها، و حسابهم على الله(۱). فإذا كان الاقرار بالشهادتين كافياً فى توصيف المقر مسلماً و مؤمناً، فيدل ـــــــــــــــــــــــ

۱. مسلم: الصحيح ۷ / ۱۲۱، ابن عساكر: ترجمة الإمام على ۱ / ۱۵۹ ح ۲۲۲، النسائى: خصائص أمير المؤمنين ۵۷. (۴۴۲)

بالملازمة على عدم لزوم معرفة ما سواهما. و یوضّح ذلک أیضاً ما رواه الامام الرضا ـ علیه السَّلام ـ عن آبائه عن علی ـ علیه السَّلام ـ: قال النبی ـ صلّى الله علیه وآله وسلم ـ: اُمرت أن أقاتل الناس حتى یقولوا لا ـ إله إلاّ ـ الله ن فإذا قالوها فقد حرم علیّ دماءهم و أموالهم(۱). و روى أبو هریرة: قال رسول الله ـ صلّى الله علیه وآله وسلم ـ: اُمرت أن اُقاتل الناس حتى یقولوا لا إله إلاّ الله فإذا قالوا لا الاّ ـ الله عصموامنّی دماءهم و أموالهم إلاّ ـ بحقّها و حسابهم على الله (۲). و الاستدلال بالروایتین حسب مامرّ فی غیرهما من الدلالة الالتزامیة على عدم لزوم معرفة غیرهما. وأمّا معرفة ما عدا ذلک من المعارف فلم یدلّ دلیل على وجوب معرفتها بل الأصل المحکم عدم الوجوب إلاّ مادلّ الدلیل الثانوی على وجوبه(۳). هذا کلّه فی المعارف الّتی تجب معرفتها بلا قید، ولأجل ذلک یجب تحصیل معرفتها. أمّا القسم الثانی: أعنی ما یجب الاعتقاد به لو وصل العلم به، فهذا کمعرفة صفات الربّ و أوصافه و المعرفة التفصیلیة للمعاد و الحیاة الاُخرویة، کلّ ذلک یجب الاعتقاد به إذا حصل العلم و المعرفة و لکن لا ـ یکون ذلک دلیلاً على اعتباره فی الإسلام أو الإیمان بأدنى مراتبه. ______

۱. المجلسی: البحار ۶۸ / ۲۴۲.

۲. المجلسی: البحار ۶۸ / ۲۴۲ نقله عن مشکاة المصابیح فی التعلیقة.

۳. کمعرفة الامام الّتی دلّت الأدلّة على وجوب معرفته. نعم إنّ ما رواه البخاری: الصحیح: ۱ / ۱۴ کتاب الإیمان عن النبی الأکرم من بناء الإسلام على خمس و أضاف بعد الشهادتین: اقامة الصلاة وایتاء الزکاة والحج، و صوم شهر رمضان، فهو خارج عن موضوع البحث و داخل فی البحث الآتی: «ما یجب تعلّمه فی مجال الشریعة». (۴۴۳) ما یجب تعلّمه فی مجال الشریعة: هذا کلّه فی مجال العقیدة و أمّا مجال الشریعة فتجب معرفة ما یبتلی به المکلّف فی حیاته من الأحکام الفرعیة. فالحق، التفصیل بین ما تعم البلوى بها و غیره، أمّا الأوّل فتجب معرفة أحکامه فلا یجوز للمکلّف الدخول فی العمل مع الظن بالابتلاء بما لایعلم حکمه کأحکام الخلل، الشائع وقوعه فی الصلاة. و أمّا الثانی أعنی ما لا یتّفق الابتلاء به إلاّ نادراً فلا یجب تعلّم حکمه قبل الابتلاء للوثوق بعدم الابتلاء به غالباً و على ذلک جرت السیرة بین المسلمین مضافاً إلى أنّ إیجاب معرفة جمیع الأحکام تفصیلاً ممّا یوجب العسر و الحرج و یوجد الفوضى فی الحیاة. و هذا هو الظاهر أیضاً من بعض علماء الاباضیة: قال: إذا لزمه شیء من ذلک ممّا یفوت مثل الصلاة، و الصوم، أو ممّا یفوت وقته من جمیع الفرائض اللازمة له، ممّا یفوت وقته ویبطل و حضر وقته و وجب العمل به، فمعنى انّه قیل إنّ علیه طلب العلم، من جمیع ما جهل من ذلک(۱). فما ورد فی الشریعة الاسلامیة من الحق الأکید على تحصیل العلم کآیة أهل الذکر (النحل: ۴۶). و الأخبار الدالّة على وجوب طلب العلم و التفقّه کلّها منصرفه إلى الموارد المبتلى بها، فمن أراد التفصیل فلیرجع إلى محلّه(۲). * * *

______

۱. أبو سعید الکدمی: المعتبر ۱ / ۷۰.

۲. لاحظ الرسائل للشیخ مرتضى الأنصاری ۴۰۰ آخر مبحث الاشتغال. (۴۴۴) (۴۴۵) ۶ ـ حکم الدار وصف الدار بکونها دار اسلام أو إیمان، أو دارکفر، هو من جهة لحوق بعض الأحکام الشرعیة بالمقیمین فیها، مثل جواز المناکحة و التوارث إذ لم یعرف حاله، و الصلاة خلفه أو علیه إذا مات، و الدفن فی مقابر المسلمین، و موالاته و معاداته، إلى غیر ذلک من الأحکام، و قد اختلفت الآراء فی الأمر الّذی یصیر سبباً لوصف الدار بکونها دار إسلام أو کفر. منهم من اعتبر الکثرة، فإذا کان الأکثر من أهل الدار على دین الإسلام فهی دار إسلام و إلاّ فدار کفر. و منهم من اعتبر مع الکثرة، الغلبة أیضاً، بأن یکون غالبین قاهرین على الاُمور. و منهم من اعتبر زوال التقیة، فمتى لم یکن أهل الدار فی تقیّة من السلطان فی اظهار شعائر الدین فهی دار إسلام. و منهم (کثیر من الزیدیة و المعتزلة) ذهب إلى أنّ المناط فی ذلک، بما (۴۴۶)

یظهر فی الدار و یوجد المقیم بها من الحال، فإذا کانت الدار بحیث یظهر فیها الشهادتان ظهوراً، لایمکن المقام فیها إلاّ بإظهارهما أو الکون فی ذمّة و جوار من مظهرهما، ولا یتمکّن المقیم من اظهار خصلة من خصال الکفر فهی دار إسلام، و إن لم تکن الدار بهذا

الوصف الّذى ذكرناه فهى دار كفر. ولا اعتبار عندهم مع ذلك بما يكون عليه أهلها من المذاهب المختلفة بعد تحقّق ما ذكرناه(۱). و قال شيخنا المفيد: إنّ الحكم فى الدار على الأغلب فيها، و كلّ موضع غلب فيه الكفر فهو دار كفر، وكلّ موضع غلب فيه الإيمان فهو دار إيمان، وكلّ موضع غلب فيه الإسلام فهو دار إسلام، قال الله تعالى فى وصف الجنّة: (وَ لَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِين)(۲) وإن كان فيها أطفال و مجانين(۳). وقال فى وصف النار: (سَأُرِيكُمْ دَارَ الفَاسِقِين)(۴) و إن كان فيها ملائكة الله مطيعون. فحكم على كلتا الدارين حكم الأغلب فيها(۵). هذه هى الأقوال الدارجة فى حكم الدار، و المعروف عن الخوارج رأيان: ۱ ـ كلّ بلد ظهر فيه الحكم بغير ما أنزل الله فهو دار كفر. ۲ ـ إذا كفر الإمام فقد كفرت الرعيّة، الغائب منهم و الشاهد(۶). و فى الرأى الثانى تطرّف واضح، إذ كيف يكون كفر الإمام سبباً لكفر الرعيّة، أما سمعوا قول الله سبحانه: (ألاّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ اُخْرَى)(۷). وكان يقول ________________

۱. العلاّمة الزنجانى: التعليقة على أوائل المقالات ۷۰.

۲. النحل: ۳۰.

۳. فيه و ما بعده تأمّل واضح.

۴. الأعراف: ۱۴۵.

۵. المفيد: أوائل المقالات ۷۰ ـ ۷۱.

۶. لاحظ ماذكرناه فى حقّ البيهسيّة.

۷. النجم: ۳۸. (۴۴۷)

على ـ عليه السَّلام ـ فى هذا الشأن مخاطباً الخوارج: فإن أبيتم إلاّ أن تزعموا أنّى أخطأت، وضللت، فلم تُضلّلون عامّة اُمّة محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ بضلالى و تأخذونهم بخطئى، و تكفّرونهم بذنوبى (۱). * * * ________________

۱. الرضى: نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۷. (۴۴۹) ۷ ـ فى حكم الزانى المحصن قد عرفت أنّ الأزارقة لاتقول برجم الزانى إذا كان محصناً بحجّة أنّه ليس فى ظاهر القرآن، و لا ـ فى السنّة المتواترة، و لكن المسألة من المسائل الفقهية، و اتّفق الفقهاء، على رجم الزانى المحصن بلا فرق بين الرجل و المرأة، و إنّما اختلفوا من جهة اُخرى. ۱ ـ قال داود و أهل الظاهر عليهما الجلد والرجم من غير فرق بين الشابِّ والشيخ، والشابّة و الشيخة، و هو احدى الروايتين عن أحمد بن حنبل، كما فى «المغنى» لابن قدامة. ۲ ـ قالت الإمامية ـ بالتفصيل و هو أنّه ـ إذا كان المحصن شيخاً أو شيخة فعليهما الجلد و الرجم، وإن كانا شابّين فعليهما الرجم بلا جلد. ۳ ـ قال فقهاء أهل السنّة: ليس عليهما إلاّ الرجم دون الجلد، و به قال بعض الامامية(۱). ________________

۱. الشيخ الطوسى: الخلاف ج ۳، كتاب الحدود، المسألة ۱ و ۲، ابن قدامة: المغنى ۹ / ۵ كتاب الحدود. (۴۵۰) ولسنا بصدد تحقيق المسألة من حيث السعة و الضيق و إنّما نبحث عن ثبوت الرجم فى الإسلام على وجه الاجمال، و ذلك لثبوته بفعل النبى و الخلفاء و الصحابة، أمّا النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فقد زنى ماعز فرجمه رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ، و رجم العامرية، كما رجم يهوديين زنيا (۱)، و روى عن عمر، أنّه قال: «إنّ الله بعث محمّداً ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم، فقرأتها و عقلتها و وعيتها، و رجم رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ و رجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم فى كتاب الله، فيضلّوا بترك فريضة أنزلها الله تعالى، فالرجم حقّ على من زنى إذا أحصن من الرجال و النساء إذا قامت البيّنة، أو كان الحبل أو الاعتراف و قد قرأ بها «الشيخ و الشيخة إذا زنيا فأرجموهما البتة نكالاً من الله و الله عزيز حكيم»(۲). نحن لا نوافق الخليفة على كون آية الرجم من كتاب الله العزيز، فكيف يمكن لنا أن نعدّ كلاماً تعلو عليه الصناعة البشرية ـ و قد سرق جزءاً من الذكر الحكيم الوارد فى حد السرقة و ركّبه مع كلامه فعاد كلاماً مغسولاً عن الفصاحة ـ من كلام الله العزيز، لكنّا نوافق الخليفة على ثبوت الرجم فى الإسلام، هذا هو الامام على بن أبى طالب جلد سراجة يوم الخميس و رجمها يوم الجمعة و قال: جلدتها بكتاب الله، و رجمتها بسنّة رسول الله. وأمّا قوله سبحانه: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَحِد مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَة)(۳).

۱. لاحظ تفسير قوله سبحانه: (وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَيـةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ) ـ المائدة: ۴۳ ـ.

۲. ابن قدامة: المغنى ۹ / ۴.

۳. النور: ۲. (۴۵۱)

فلا ينافى ثبوت الرجم مع الجلد فى بعض الموارد، فإنّه لاينفى غير الجلد من سائر العقوبات، هـذا إذا قلنا بثبوت الجلد و الرجم مطلقاً على المحصن، و أمّا إذا خصصنا الجمع بالشيخ و الشيخة، و أخرجنا الشاب والشابة، فتكون السنّة مخصصّاً لآية الجلد، فإنّ عموم القرآن يخصّص بالدليل القطعى، و ليس هـذا نسخاً بل تخصيصاً، وكم من فرق بين التخصيص و النسخ يقف عليه المعنّيون بعلم الاُصول. وأمّا الخوارج فقالوا بالجلد دون الرجم و احتجّوا بالوجهين التاليين: ۱ ـ قوله سبحانه: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَحِد مِّنْهُمَا مِأْئَةَ جَلْدَة) قالوا: لايجوز ترك كتاب الله الثابت بطريق القطع و اليقين لأخبار آحاد يجوز الكذب فيها. ۲ ـ إنّ هذا يفضى إلى نسخ الكتاب و السنّة و هو غير جائز(۱). يلاحظ على كلا الوجهين: أمّا الأوّل: فلأنّ القول بالرجم مضافاً إلى الجلد لايستلزم ترك كتاب الله، لأنّ اثبات الشىء أى الجلد لايكون دليلًا على نفى غيره، فأىّ مانع من أن تكون العقوبة فى مطلق الزنا هى الجلد، و فى خصوص المحصن، الجلد مع الرجم؟ هذا إذا قلنا بجلد المحصن مطلقاً، و أمّا إذا خصصنا الجمع بالشيخ والشيخة، و قلنا بكفاية الرجم فى غير الشاب و الشابّة، فأقصى ما يلزم تخصيص الكتاب بالسنّة القطعية و هو ليس بأمر شاذ، كيف لايكون كذلك و قد اشتهر «و ما من عام إلّا و قد خصّ». أمّا الثانى: فلأنّه خلط بين نسخ حكم الكتاب و تخصيصه، و الفرق بينهما واضح لايخفى. ________

۱. ابن قدامة: المغنى ۹ / ۴. (۴۵۲) هـذا وقد نقل ابن قدامة: انّ رسل الخوارج جاءوا عمر بن عبد العزيز فكان من جملة ما عابوا عليه الرجم و قالوا: ليس فى كتاب الله إلّا الجلد، و قالوا: الحائض أوجبتم عليها قضاء الصوم دون الصلاة، و الصلاة أوكد. فقال لهم عمر: وأنتم لا تأخذون إلاّ بما فى كتاب الله؟ قالوا: نعم، قال: فأخبرونى عن عدد الصلوات المفروضات و عدد أركانها، و ركعاتها، و مواقيتها، أين تجدونه فى كتاب الله تعالى؟ و أخبرونى عمّا تجب الزكاة فيه و مقاديرها و نُصُبها؟ فقالوا: انظرنا، فرجعوا يومهم ذلك فلم يجدوا شيئاً ممّا سألهم عنه فى القرآن، فقالوا: لم نجده فى القرآن. قال: فكيف ذهبتم إليه؟ قالوا: لأنّ النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فعله، و فعله المسلمون بعده، فقال لهم: فكذلك الرجم و قضاء الصوم فإنّ النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ رجم و رجم خلفاؤه بعده والمسلمون، وأمر النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ بقضاء الصوم دون الصلاة، و فعل ذلك نساؤه ونساء أصحابه(۱). * * * ________

۱. ابن قدامة: المغنى ۹ / ۵. (۴۵۳) خاتمة المطاف إلى هنا قد تعرّفت على عقائد الخوارج معتدليهم و متطرّفيهم، غير أنّ هناك مسائل فقهيّة ثلاث نطرحها فى المقام: ۱ ـ حكم أولاد المشركين. ۲ ـ حكم تزويج المشركات. ۳ ـ حكم تزويج الكافرة غير المشركة. و لعل القارئ الكريم يتعجّب من طرح هـذه المسائل فى الموسوعة التاريخية للعقائد قائلًا بأنّ البحث عن مثل هـذه الموضوعات من واجبات الفقيه لا مؤرّخ العقائد، ولكنّه يزول تعجّبه إذا وقف على أنّ الخوارج المتطرّفين، يزعمون أنّ مخالفيهم من المسلمين مشركون أو كافرون، لا رتكاب الكبيرة من المعاصى، وبما أنّ للمشرك و الكافر الواقعيين أحكاماً خاصّة فى الفقه الإسلامى من حيث صيانة الدماء وإراقتها و جواز تزويجهم و حرمته، فهؤلاء كانوا يرتّبون على المسلمين و أولادهم، أحكام المشركين و الكافرين و أولادهم، فيبيحون (۴۵۴)

قتل أولاد المخالفين، و يحرّمون مناكحتهم بحجّة أنّهم مشركون، فناسب البحث عن هـذه الأحكام الكليّة مع غضّ النظر عن عدم الموضوع فى المقام لأنّ أهل القبلة والقرآن كلّهم موحدون لامشركون، مؤمنون لاكافرون، إلاّ من قام الدليل على شركه و كفره كالغلاة والنواصب. و بما أنّ الأزارقة و أمثالهم أخطأوا فى حكم المسألة حتى فى مواردها الواقعيّة فجوزوا قتل أولاد المشركين و حرّموا انكاح الكافر غير المشرك، فلأجل ايقاف القارئ على مظان خطأهم فى هـذه المسائل نوالى البحث فيها واحدة بعد اُخرى و

نقول: ۱ ـ أولاد المشركين: إنّ الأصل الرصين فى الدماء هو الحرمة، و لزوم صيانتها من الاراقة، فالانسان ـ على وجه الاطلاق ـ هو خليفة الله فى أرضه يحرم دمه و عرضه و ماله للغير، فلا يجوز التعدّى على شىء منها إلاّ بدليل، ولأجل ذلك يقول سبحانه حاكياً عن نبيّه موسى: (أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْس لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُّكْراً)(۱) وقال سبحانه: (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَسِرِينَ)(۲) وقال تعالى: (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلَدَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْم)(۳) و قال سبحانه: (وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلَدَكُم مِنْ إِمْلَق نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ)(۴) و قال تعالى: (وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ)(۵) و: (مَن قَتَلَ نَفْسَا بِغَيْرِ نَفْس أَوْ فَسَاد فِى الاَْرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ــــــــــــــ

۱. الكهف: ۷۴.

۲. المائدة: ۳۰.

۳. الأنعام: ۱۴۰.

۴. الأنعام ۱۵۱.

۵. الأنعام: ۱۵۱. (۴۵۵) النَّاسَ جَمِيعاً)(۱)، إلى غير ذلك من الآيات الناصّة على أنّ الأصل القويم والمرجع، فى الدماء هو الحرمة، فلا يجوز قتل الانسان على الاطلاق إلاّ بمسوّغ شرعى ورد النص بجواز قتله فى الذكر الحكيم والسنّة النبوية. و على ضوء ذلك فالاسلام حرّم دم المسلم، و دم الذمّى، و الكافر المهادن، و من يمتُّ إليهم بصلة، فإنّ أولادهم و إن كانوا غير محكومين بشىء من التكاليف إلاّ أنّ الولد يتبع الوالدين فى الأحكام، و هذا ممّا لايختلف فيه اثنان من الفقهاء. وأمّا الكافر الحربى فهو مهدور الدم لا دم أطفاله و ذراريه، إلاّ فى مواضع خاصّة. قال ابن قدامة: إنّ من اُسر من أهل الحرب على ثلاثة أضرب: النساء و الصبيان، فلا يجوز قتلهم و يصيرون رقيقاً للمسلمين بنفس السبى، لأنّ النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ نهى عن قتل النساء، والولدان، (متّفق عليه) و كان ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يسترقّهم إذا سباهم(۲). هذا فقيه أهل السنّة، و أمّا الشيعة، فقال الشيخ الطوسى: الآدميون على ثلاثة أضرب: نساء و ذريّة و مشكل و بالغ غير مشكل، فأمّا النساء و الذرية فإنّهم يصيرون مماليك بنفس السبى(۳). و قال المحقّق الحلى: الطرف الرابع فى الاُسارى و هم ذكور و اناث، فالاناث يملكن بالسبى و لو كانت الحرب قائمة، وكذا الذرارى(۴). ــــــــــــــ

۱. المائدة: ۳۲.

۲. ابن قدامة الحنبلى: المغنى ۱۰ / ۴۰۰.

۳. الطوسى: المبسوط ۲ / ۱۹.

۴. المحقق: شرائع الإسلام ۱ / ۳۱۷. (۴۵۶) إلى غير ذلك من الفتاوى المستفيضة من فقهاء الإسلام، وهم يتبعون فى ذلك، النصوص الواردة عن النبى و خلفائه. روى الكلينى عن معاوية بن عمار عن أبى عبد الله قال: كان رسول الله إذا أراد أن يبعث سريّة، دعاهم فأجلسهم بين يديه ثم يقول: سيروا بسم الله و بالله وفى سبيل الله و على ملّة رسول الله، لاتغلوا، و لا تُمثِّلوا و لا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبيّاً، ولا امرأة، و لا تقطعوا شجراً إلاّ أن تضطرّوا إليها(۱). وقد تضافرت الروايات عن أئمة الشيعة فى ذلك. روى البيهقى بسنده عن ابن عمر: أجلى رسول الله بنى النضير، وأقرّ قريظة ومنَّ عليهم حتّى حاربت قريظة بعد ذلك فقتل رجالهم، و قسم نساءهم، و أولادهم، و أموالهم بين المسلمين، إلاّ بعضهم لحقوا برسول الله فآمنهم وأسلموا(۲). و روى أيضاً النافع أنّ عبد الله بن عمر أخبره أنّ أمرأة وجدت فى بعض مغازى رسول الله مقتولة، فانكر رسول الله قتل النساء والصبيان(۳). هذا هو حكم الإسلام فى صبيان الكفّار و المشركين و نسائهم، فهلم معى ندرس فتوى الأزارقة فى نساء الكفّار و أولادهم فقد استحلّ زعيمهم قتل الأطفال... قائلًا: إنّ نوحاً نبيّ الله كان أعلم بأحكام الله قال: (رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الاَْرْضِ مِنَ الْكَفِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُواْ إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً)(۴) فسمّاهم بالكفّار و هم أطفال، و قبل أن يولدوا، فكيف ذلك فى قوم ــــــــــــــ

۱. الحر العاملى: الوسائل ۱۱، الباب ۱۵ من أبواب جهاد العدو، الحديث ۲.

۲. البيهقى: السنن ۶ / ۳۲۳، كتاب قسم الفى والغنيمة.

۳. المصدر نفسه: ۹ / ۷۷ كتاب السير.

۴. نوح: ۲۶ ـ ۲۷ . (۴۵۷)

ولا فى قومنا؟ والله تعالى يقول: (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَـٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى الزُّبُرِ)(۱)وهؤلاء كمشركى العرب، لا يقبل منهم جزية و ليس بيننا و بينهم إلاّ السيف أو الإسلام(۲). عزب عن المسكين، أوّلاً: إنّ تسميتهم بالكفّار ليس باعتبار أنّهم فى حال كونهم معدومين كفّاراً فإنّ ذلك باطل بالاتّفاق، إذ كيف يوصف الشىء المعدوم بوصف من الأوصاف الوجودية، بل المراد انّ الأبناء بعد خروجهم إلى عالم الوجود سيصيرون كفّاراً لنشوئهم فى أحضان آبائهم الكافرين و أمّهاتهم الكافرات، فللوراثة و البيئة تأثيرهما فى الأولاد، فلا يلدون فى المستقبل إلاّ اُناساً يصيرون كفّاراً نظير توصيف الأشجار بالمثمرة فى فصل الشتاء، والمراد: المثمرة فى فصل الثمر. و ثانياً: إنّ الذرارى و النساء و إن كانت محكومات بالكفر و لكن علمت أنّ النبىّ الأكرم ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ حرّم دماءهم وانّما سوّغ سبيهم و استرقاقهم، فليس كلّ كافر يجوز قتله. فما ذكره من الاستدلال أوهن من بيت العنكبوت. و ثالثاً: إنّ كلّ ذلك فى حق المشركين و الكفّار الحقيقيين، فما معنى تسرية هذه الأحكام إلى أهل القبلة و المسلمين الذين يشهدون بتوحيده و رسالة نبيّه و يقيمون الصّلاة و يعطون الزكاة و يصومون شهر رمضان و يحجّون البيت. أفيصحّ لنا تسمية هؤلاء كفّاراً، بحجّة ارتكابهم معصية كبيرة؟! ________

۱. القمر: ۴۳.

۲. لاحظ رسالة ابن الأزرق فى جواب رسالة نجدة بن عامر، وقد مرّت فى الفصل التاسع. (۴۵۸) ۲ ـ فى نكاح المشركات: قد تعرّفت على أنّ الخوارج يعدّون مخالفيهم مشركين و كافرين، فعلى قول الأزارقة جماهير المسلمين رجالاً و نساءً مشركون و مشركات، و على قول غيرهم فهم كافرون و كافرات، فحكم تزويج حرائرهم حكم تزويج الوثنيات و الكتابيات، ولأجل ذلك نذكر بعض كلماتهم ثم نعرض المسألة على الكتاب والسنّة. كتب ابن الأزرق إلى عبد الله بن صفار و عبد الله بن اباص كتاباً جاء فيه: و قال تعالى (لاَ تَنْكِحُواْ الْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ) فقد حرّم الله ولايتهم و المقام بين أظهرهم واجازة شهادتهم و أكل ذبائحهم و قبول علم الدين عنهم و مناكحتهم و مواريثهم(۱). و قد تقدّم فى بيان عقائد الصفريه أنّه نقل عن الضحاك الّذى هو منهم أنّه جوّز تزويج المسلمات من كفّار قومهم فى دار التقيّة دون دار العلانية. و يريد من المسلمات: الحرائر من الخوارج. ومن «كفّار قومهم»: رجال سائر الفرق الاسلامية. و يظهر من الخلاف الّذى حدث بين الابراهيمية و الميمونية أنّه يجوز بيع الجارية المؤمنة (الخارجية) من الكفرة أى المسلمون من سائر الفرق. هذا ما وقفنا عليه من كلماتهم و نبحث عن المسألة بكلتى صورتيها: الاُولى ـ نكاح المشركة: اتّفق علماء الإسلام على تحريم تزويج المشركات. قال ابن رشد: «و اتّفقوا على أنّه لايجوز للمسلم أن ينكح الوثنية لقوله تعالى: (وَلاَ تُمْسِكُواْ

---

۱. الطبرى: التاريخ ۴ / ۴۳۸ ـ ۴۴۰. (۴۵۹) بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ)(۱) واختلفوا فى نكاحها بالملك»(۲). و قال الشيخ الطوسى فى المبسوط: «الضرب الثانى، الذين لاكتاب لهم ولا شبهة كتاب، و هم عبدة أوثان فلا يحلّ نكاحهم و لا أكل ذبائحهم و لا يقرّون على أديانهم ببذل الجزية و لا يعاملون بغير السيف أو الإسلام بلا خلاف»(۳). هذا كلّه حول المشركات، فلو صحّ كون جماهير المسلمات من الفرق الاسلامية مشركات عند الأزارقة، لصحّ ما قال و لكنّه لم يصح ـ وإن صحّت الأحلام ـ لما عرفت أنّ للشرك حدّاً منطقياً فى القرآن الكريم، و ابن الأزرق و أتباعه و إن كانوا قرّاء و لكنّه لم يتجاوز القرآن ـ حسب تنصيص النبى الأكرم ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ عن تراقيهم ولم يصل إلى دماغهم و مراكز أفكارهم، فكيف يصحّ تسمية من ارتكب الكبيرة مشركاً و لو صحّ لما و جد فى أديم الأرض مسلماً إلاّ إذا كان معصوماً. ۳ ـ نكاح الكافرة غير المشركة: اختلف كلمة فقهاء الإسلام فى نكاح الكافرة غير المشركة و يراد منها الكتابية لأنّها كافرة غير مشركة، قال ابن رشد: اتّفقوا على أنّه يجوز أن ينكح الكتابية الحرّة(۴). هذا مالدى السنّة و أمّا ما

لدى الشيعة فالمشهور عدم الجواز دواماً. قال الشيخ الطوسى: عند المحصّلين من أصحابنا لايحلّ أكل ذبائح أهل الكتاب

---

۱. الممتحنة: ۱۰، و الأولى أن يستدل بآية صريحة أعنى قوله سبحانه:(وَلاَ تَنْكِحُواْ الْمُشْرِكَـتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ...)ـ البقرة: ۲۲۱ ـ.

۲. ابن رشد: بداية المجتهد ۲ / ۴۳.

۳. الطوسى: المبسوط ۴ / ۲۱۰.

۴. ابن رشد: بداية المجتهد ۲ / ۴۳. (۴۶۰)

كاليهود و النصارى، و لا تزوّج حرائرهم، بل يقرّون على أديانهم إذا بذلوا الجزية، وفيه خلاف بين أصحابنا، و قال جميع الفقهاء (أهل السنّة): يجوز أكل ذبائحهم و نكاح حرائرهم(۱). و قال فى الخلاف: المحصّلون من أصحابنا يقولون لا ـ يحلّ نكاح من خالف الإسلام، لا اليهود، و لا النصارى، و قال قوم من أصحاب الحديث من أصحابنا: يجوز ذلك، و أجاز جميع الفقهاء التزويج بالكتابيات و هو المروى عن عمر و عثمان و طلحة و حذيفة، و جابر، و روى أنّ عمّاراً نكح نصرانية، و نكح حذيفة يهودية، و روى عن ابن عمر كراهة ذلك و إليه ذهب الشافعى(۲). قال ابن قدامة: ليس بين أهل العلم ـ بحمد الله ـ اختلاف فى حلّ حرائر نساء أهل الكتاب، و ممّن روى عنه ذلك، عمر و عثمان و طلحة و حذيفة و سلمان و جابر و غيرهم(۳). و على ضوء ذلك انّ فقهاء أهل السنّة ذهبوا إلى الجواز، وأمّا الشيعة فهم بين مانع و مجوّز، و نحن نعرض المسألة على الكتاب. استدلّ المانع بآيات: ۱ ـ قال تعالى : (وَلاَ تَنْكِحُواْ الْمُشْرِكَـتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلاَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَة وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنْكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِك وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ إِلى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُوا إِلى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَـتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)(۴).

---

۱. الطوسى: المبسوط ۴ / ۲۱۰.

۲. الطوسى: الخلاف ۲ / ۲۸۲، المسألة ۸۴ من كتاب النكاح، و قد نسب إلى فقهاء الشيعة أقوال اُخرى ذكرناها فى محاضراتنا الفقهية فى النكاح، لاحظ: الحلّى، مختلف الشيعة: ۸۲.

۳. ابن قدامة: المغنى ۵ / ۵۲.

۴. البقرة: ۲۲۱. (۴۶۱) ۲ ـ قال تعالى : (وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُم طَوْلاً ـ أنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَـتِ الْمُؤْمِنَـتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيمَـنُكُم مِّنْ فَتَيَـتِكُمُ الْمُؤْمِنَـتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـنِكُمْ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْض فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)(۱). استدّل بالآية على المنع بوجهين: أ ـ إنّ الآية تأمر من لم يجد ما يتزوّج به الحرائر المؤمنات من المهر و النفقة، أن ينكح الإماء المؤمنات فإنّ مهور الإماء أقلّ و معونتهنّ أخف عادة، فلو جاز نكاح الكافرة فى هذه الحالة لزم جواز نكاح الأمة المؤمنة مع الحرّة الكافرة، و لم يقل به أحد، لأنّه من قبيل الجمع بين الحرّة و الأمة. ب ـ إنّ التوصيف بالمؤمنات فى قوله: (مِّنْ فَتَيَـتِكُمُ الْمُؤْمِنَـتِ) يقتضى أن لا يجوز نكاح الفتيات الكافرات مع انتفاء الطول، و ليس إلاّ ـ لامتناع نكاحهنّ مطلقاً، للاجماع على انتفاء الخصوصية بهذا الوجه(۲). يلاحظ على الوجه الأوّل: أنّ أقصى ما يستفاد من الآية على القول بمفهوم الوصف أنّه لا يجوز عند عدم الطول، نكاح الأمة الكافرة مع وجود الأمة المسلمة، و أمّا عدم جواز تزويج الحرّة الكافرة مع الطول أو عدمه، فلا تدلّ عليه الآية، لأنّ المفهوم ينفى الحكم عن الموضوع الفاقد للوصف لا عن موضوع آخر، والموضوع للجواز هو ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات، فمقتضى المفهوم عدم جواز نكاح الأمة الكافرة فى هذه الحال، و أمّا الحرّة الكافرة، فهو خارج عن موضوع البحث نفياً و اثباتاً. و يلاحظ على الوجه الثانى: أنّ التوصيف بالمؤمنات يقتضى أن لايجوز نكاح الكافرة من الاماء مع انتفاء الطول و لكن لم يعلم انّ وجه حرمتها هو امتناع

---

۱. النساء: ۲۵.

۲. الشيخ محمّد حسن النجفى: جواهر الكلام ۳ / ۲۸. (۴۶۲)

نكاحها مطلقاً، سواء كانت أمة أم حرّة، و من أين يدعى الاجماع على انتفاء خصوصية فى الأمة؟ إذ من الممكن أن لا يجوز نكاح

الأمة الكافرة مع وجود الأمة المسلمة دون الكافرة الحرّة فيجوز نكاحها حتى مع التمكّن من الأمة المسلمة. ۳ـ قال تعالى: (لَّا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الاْخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَ نَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَـئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمَـنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ)(۱). يلاحظ عليه: أنّ الآية واردة فى حقّ الضعفاء من المسلمين، و لا صلة لها بالكفرة، فهؤلاء كانوا يوالون اليهود و يفشون إليهم أسرار المؤمنين، و يجتمعون معهم على ذكر مساءة النبى وأصحابه، ففى هذه الظروف نزل قوله سبحانه: (لَّا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الاْخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللهَ وَرَسُولَهُ)أى لا ـ تجتمع موالاة الكفّار مع الإيمان، اى موالاتهم بما هم كفّار، وأمّا حبّهم لأجل اُمور اُخرى فلاصلة له بالآية، و لا يتزوّج المسلم من الكافرة لأجل موالاة الكافرة، بل لأجل دفع الشهوة أو تعبئة وسائل الحياة. و أضعف منه الاـ ستدلال بقوله سبحانه: ۴ـ قال تعالى : (لاَـ يَسْتَوِى أَصْحَـبُ النَّارِ وَأَصْحَـبُ الْجَنَّةِ أَصْحَـبُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَآئِزُونَ)(۲)إذ لاصلة بين الآية و موضوع البحث فإنّها تنفى كون المؤمن و الكافر عند الله سيّان، وأمّا عدم جواز المعاملة و المناكحة فلا تدلّ عليه . ۵ـ استدلّ أيضاً: انّ أهل الكتاب مشركون لقوله سبحانه: (وَقَالَتِ ـــــــــــــــــــــــ

۱. المجادلة: ۲۲.

۲. الحشر: ۲۰. (۴۶۳) الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَـرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ)(۱) حيث جعلوا الإبن المزعوم شريكاً للأب فى الالوهية، و قال سبحانه: (لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَـثَةٍ)(۲). و قال: (اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـنَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَ حِداً لَّا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَـنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)(۳) فهذه الآيات تثبت الصغرى، أى كونهم مشركين، وأمّا ما يدلّ على الكبرى أى عدم جواز نكاح المشركات، فقد مرّ فى كلام المانع. يلاحظ عليه أنّ هنا أمرين: أ ـ كون النصارى و اليهود مشركين فى عقيدتهم، و هذا لاكلام فيه. ب ـ كون المشرك الوارد فى قوله (وَلا تَنْكحُوا المُشْرِكات) عامّاً يعمّ الوثّنيين و غيرهم، و لكنّ هذا غير ثابت فإنّ عنوان المشرك فى القرآن يختصّ بغير أهل الكتاب بشهادة المقابلة فى كثير من الآيات بينهم وبين أهل الكتاب، وإليك بعضها: (مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَـبِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ)(۴)، وقد عرفت تحقيق ذلك عند البحث عن حدّ الشرك و الإيمان، فلانعيد(۵). فهذه الآية و غيرها تثبت أنّ الشرك المتّخذ موضوعاً لكثير من الأحكام

---

۱. التوبة: ۳۰.

۲. المائدة: ۷۳.

۳. التوبة: ۳۱.

۴. البقرة: ۱۰۵.

۵. لاحظ الآيات: آل عمران ۱۸۶. المائدة ۸۲ و غيرهما أيضاً. (۴۶۴)

لايشمل أهل الكتاب فى مصطلح القرآن و إن كانوا مشركين حسب الواقع، فالكلام فى سعة موضوع الحكم (تحريم نكاح المشركات) وضيقه حسب اصطلاح القرآن. ۶ـ قال تعالى : (يَـأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا جَآءَكُمُ الْمُؤْمِنَـتُ مُهَـجِرَ ت فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـت فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلاَ تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْـئَلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَ لِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)(۱). وجه الاستدلال انّ الكوافر جمع كافرة، و العصمة المنع، وسمّى النكاح عصمة لأنّ المنكوحة تكون فى حبال الزوج و عصمته، و يكون اطلاقها دليلًا على حرمة عقد الكافرة مشركة أو ذمية. يلاحظ عليه: أنّ الآية ظاهرة فى الوثنية بشهادة سياق الآيات، و سبب نزولها فإنّها نزلت بعد التصالح فى الحديبية حيث تصالح رسول الله أن يردّ كل من أتى من قريش إلى جانب المسلمين من دون عكس، و بعد ما ختم الكتاب جاءت سبيعة بنت الحرث الأسلمية و قد أسلمت، فأقبل زوجها فى طلبها و كان كافراً، فنزلت الآية، فكان رسول الله يردّ من جاءه من قريش من الرجال، ولا يردّ من جاءته من النساء قائلًا بأنّ التصالح لايشمل إلّا الرجال. على أنّ ظاهر

الآيـة هو المنع من الاقامـة مع الزوجة الكافرة و هذا لايتمّ فى الذمّية لصـحّة نكاحهنّ اسـتدامة إذا أسـلم أحد الزوجين، اجماعاً و إن لم نقل بالصـحّة ابتداء، و هذا قرينة على انصـراف الآية عن الذمّية إلى الوثنية، و بذلك يظهر ضـعف ما أفاده الطبرسـى حيث ادّعى دلالة الآية على عدم جواز العقد ــــــــــــــــــــــ

۱. الممتحنة: ۱۰. (۴۶۵)

على الكافرة مطلقاً، بحجّة أنّ الآية عامّ و ليس لأحد أن يخصّ الآية بعابدة الوثن لنزولها بسببهن، لأنّ المعتبر عموم اللفظ، لاالسبب(۱). إلى هنا تمّ ما يمكن الاستدلال به من الآيات على تحريم نكاح الكافرات، وإليك ما استدلّ به القائل بالجواز من الذكر الحكيم أعنى قوله سبحانه: (الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَـتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَـبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَـتُ مِنَ الْمُؤْمِنَـتِ وَالْمُحْصَنَـتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَـبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـفِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِى أَخْدَان)(۲). الآية صـريحة فى جواز نكـاح المحصنـات من أهل الكتاب، والمتيقّن منها هو الذمّيـة أو من هو فى حكمها كالمهادنـة، لا الحربيـة. و حمل الآيـة على النكاح الموقّت بقرينـة ورود لفـظ «الأُجور» فى الآيـة مكـان «المهور» ليس بتـام لأنّهـا وردت فى غير موضع من القرآن، و اُريـد منه المهر فى النكاح الدائم. قال سبحانه فى تزويج الاماء عند عدم الطول: (فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)(۳) و قال تعالى و هو يخاطب النبى: (إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَ جَكَ الَّتِى ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ)(۴) ومن المعلوم أنّ المراد هو التزويج الدائم إذ لم يكن بين أزواج النبى من تزوّج بها متعة. نعم المراد من قوله سبحانه: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَـَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً)(۵) هو النكاح الموقّت، بقرينة قوله: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ) مضافاً إلى الروايـات المتضافرة فى المقام. و ربّما يحتمل كون الآيـة منسوخـة لما ورد من النهى فى آيتى البقرة

۱. الطبرسى: مجمع البيان ۵ / ۲۷۴.

۲. المائدة: ۵.

۳. النساء: ۲۵.

۴. الأحزاب: ۵۰.

۵. النساء: ۲۴. (۴۶۶)

و الممتحنة، و لكن قد عرفت عدم دلالة الآيتين على مورد البحث فضـلاً عن كونهما ناسـختين. على أنّ سورة المائدة آخر ما نزل على رسول الله، فهى تنسـخ ما قبلها، و لا تُنسـخ، روى العياشـى عن على قال: كان القرآن ينسـخ بعضه بعضاً و إنّما يؤخذ من أمر رسول الله بآخره، و كان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة نسـخت ما قبلها و لم ينسـخها شـىء(۱). إلى هنا تمّ ما يرجع إلى المسألـة من القرآن الكريم، و أمّا البحث عنها من جانب السـنّة فهو موكول إلى محلّه، و قد أوضحنا الكلام فيها فى مسفوراتنا الفقهية. هذا آخر الكلام فى عقائد الخوارج و اُصولهم. بقى الكلام فى التعرّف على شخصيّاتهم فى العصور الأولى و هذا ما يوافيك فى البحث الآتى الّذى عقدناه بعنوان «خاتمة المطاف». * * * ــــــــــــــــــــــ

۱. الحـويزى: نور الثقلين ۱ / ۴۸۳. (۴۶۷) خاتمـة المطاف: رجال الخوارج فى العصور الاُولى قد تعرّفت فيما سـبق على الشخصـيات البارزة للاباضـيّة، ولا بـد من التطرّق إلى رجال الخوارج من غيرهم، و نذكر فى المقام المعروفين منهم، و إن كان الحكم بكونهم من الخوارج يحتاج الى تتبع وافر، فإنّ الشـهرة فى المقام لاتفيـد إلاّ الظن. و ربّما يكون رميهم بأنّهم منهم صدر من غير أهله تعنّتاً و حقداً، و على كـل تقـدير فقـد ذكر ابن ابى الحديـد لفيفاً ممّن كان يرى رأى الخوارج، و نـذكر بعض ما ذكر(۱): ۱ ـ عكرمـة البربرى (ت / ۱۰۵): و صفه الذهبى بقوله «أحد أوعية العلم، تُكلّم فيه لرأيه لالحفظه، فاتّهم ــــــــــــــــــــــ

۱. ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة ۵ / ۷۶. (۴۶۸)

برأى الخوارج، وقد وثّقه جماعة و اعتمده البخارى، و أمّا مسلم فتجنّبه و روى له قليلاً مقروناً بغيره، و أعرض عنه مالك، و تحايده إلاّ

فی حديث أو حديثين. و عن عمرو بن دينار، قال: رُفع إلی جابر بن زيد مسائل أسأل عنها عكرمة، فجعل جابر بن زيد يقول: هذا مولی ابن عباس، هذا البحر فَسَلوه. و قد وصفه شهر بن حوشب و جابر بن زيد بأنّه حبر هذه الأُمة و أعلم الناس، و مع ذلک فقد ضعّفه يحيی بن سعيد الأنصاری و أيّوب و ذكرا عكرمة، فقال يحيی: كذّاب، و قال أيّوب، لم يكن بكذّاب. و عن زيد بن أبی زياد، عن عبد الله بن الحارث قال: دخلت علی علی بن عبد الله فإذا عكرمة فی وثاق عند باب الحش، فقلت له: ألا تتّق الله، فقال: إنّ هذا الخبيث يَكذِب علی أبی. و قال محمّد بن سيرين عن عكرمة، فقال: ما يسوءنی أن يكون من أهل الجنّة و لكنّه كذّاب. و قال ابن أبی ذئب: رأيت عكرمة، و كان غير ثقة. و قال محمّد بن سعد: كان عكرمة كثير العلم و الحديث، بحراً من البحور، و ليس يُحتَجّ بحديثه، و يتكلّم الناس فيه. هذه أقوال الناس فی حقّه، وإليك قول نفسه فی حقّه: قال: كان ابن عباس يضع فی رجلی الكَبْلَ علی تعليم القرآن و الفقه، و قال: طلبت العلم أربعين سنة، وكنت اُفتی بالباب و ابن عباس فی الدار. و هذا قوله فی حقّ نفسه، و لا يحتجّ بقول الإنسان فی حقّه إذا كان مدحاً، و يؤيّد كون الرجل خارجيّاً ما رواه خالد ابن أبی عمران قال: كنّا بالمغرب و عندنا عكرمة فی وقت الموسم فقال: وددت أنّ بيدی حربة فأعترض بها من شهد الموسم يميناً وشمالاً، و عن يعقوب الحضرمی عن جدّه قال: وقف عكرمة علی باب المسجد فقال: ما فيه إلّا كافر، قال: وكان يری رأی الاباضيّة. و عن يحيی بن بكير قال: قدم عكرمة مصر و هو يريد المغرب، قال: فالخوارج (۴۶۹)

الذين هم بالمغرب عنه أخذوا. قال ابن المدينی: كان يری رأی نجدة الحروری. و قال مصعب الزبيری: كان عكرمة يری رأی الخوارج. قال: وادّعی علی بن عباس أنّه كان يری رأی الخوارج. و عن خالد بن نزار: حدثنا عمر بن قيس، عن عطاء بن أبی رباح: انّ عكرمة كان اباضياً، و عن أبی طالب: سمعت أحمد بن حنبل يقول: كان عكرمة من أعلم الناس، ولكنّه كان يری رأی الصفريّة، ولم يدع موضعاً إلاـ خرج إليه: خراسان و الشام و اليمن و مصر و إفريقيا، كان يأتی الأُمراء فيطلب جوائزهم، وأتی الجَنَدَ إلی طاوس، فأعطاه ناقةً. و قال مصعب الزبيری: كان عكرمة يری رأی الخوارج فطلبه متولّی المدينة فتغيّب عند داود بن الحصين حتی مات عنده. و روی سليمان بن معبد السّنجی قال: مات عكرمة وكُثير عَزَّة فی يوم، فشهد الناس جنازة كُثير، و تركوا جنازة عكرمة. و قال عبد العزيز الدراوردی: مات عكرمة و كثير عَزَّة فی يوم، فما شهدهما إلّا سُودان المدينة. و عن إسماعيل بن أبی اُويس، عن مالک، عن أبيه، قال: اُتی بجنازة عكرمة مولی ابن عباس و كثير عزّة بعد العصر، فما علمت أنّ أحداً من أهل المسجد حلّ حبوته إليهما. و قال جماعة: مات سنة خمس و مائة، و قال الهيثم و غيره: سنة ست، و قال جماعة: سنة سبع و مائة. و عن ابن المسيب أنّه قال لمولاه بُرْد: لا تكذب علیَّ كما كذب عكرمة علی ابن عباس. و يروی ذلک عن ابن عمر قاله لنافع(۱). وقد روی شیء كثير منه فی التفاسير و هی مليئة بأقواله، و يظهر ممّا نقل عنه أنّه يری الحلف بالطلاق باطلاً، روی الذهبی عن عاصم الأحول، عن عكرمة ________________

۱. الذهبی: ميزان الاعتدال ۳ / ۹۳ ـ ۹۷ برقم ۵۷۱۴. (۴۷۰)

فی رجل قال لغلامه: إن لم اجلدک مائة سوط فامرأتی طالق. قال: لايجلد غلامه و لاتطّلق امرأته، هذه من خطوات الشيطان(۱). و ترجمه أبو حاتم الرازی فی الجرح و التعديل بذكر نقول مختلفة عنه(۲). و قد ترجمه ابن حجر العسقلانی فی تهذيب التهذيب مفصّلاً، و ذكر أيضاً الأقوال المتضاربة فی حقّه (۳). و ممّا قال فيه، قال علی بن المدينی: كان عكرمة يری رأی نجدة، و قال يحيی بن معين: إنّما لم يذكر مالک بن أنس عكرمة لأنّ عكرمة كان ينتحل رأی الصفريّة، و قال عطاء: كان اباضياً، و قال الجوزجانی: قلت لأحمد: عكرمة كان اباضياً؟ فقال: يقال إنّه كان صفريّاً. و قال خلاد بن سليمان، عن خالد بن أبی عمران: دخل علينا عكرمة أفريقيا وقت الموسم فقال: وددت أنّی اليوم بالموسم بيدی حربة أضرب بها يميناً و شمالاً. قال: فمن يومئذ رفضه أهل أفريقيا، و قال مصعب الزبيری: كان عكرمة يری رأی الخوارج وزعم أنّ مولاه كان كذلک، و قال أبو خلف الخزاز عن يحيی البكّاء: سمعت ابن عمر يقول لنافع: اتّق الله ويحک يا نافع، و لا تكذب علیّ كما كذب عكرمة علی ابن عباس(۴). ۲ ـ قطری بن الفجاءة (ت / ۷۸): أبو نعامة: قطری بن الفجاءة، واسمه جعونة، المازنی الخارجی، خرج ________________

۱. الذهبی: میزان الاعتدال ۳ / ۹۷ برقم ۵۷۱۴، اشارة إلی قوله تعالی (وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الْشَّيْطَانِ) ـ البقرة: ۲۰۸ ـ.

۲. أبو حاتم الرازی: الجرح و التعدیل ۷ / ۶ ـ ۱۱.

۳. ابن حجر العسقلانی: تهذیب التهذیب ۷ / ۲۳۴ ـ ۲۴۲ برقم ۴۷۶، و لکنّه لم یترجمه فی لسان المیزان مع وروده فی المیزان للذهبی کما عرفت.

۴. المصدر نفسه: ۷ / ۲۳۷. (۴۷۱)

فی زمن مصعب بن الزبیر لمّا ولی العراق نیابة عن أخیه: عبد الله بن الزبیر، و کانت ولایة مصعب فی سنة ست و ستین للهجرة، قیل: بقی قطری عشرین سنة یقاتِل و یسلم علیه بالخلافة و هو یستظهر علیهم. و لم یزل إلی أن توجّه إلیه سفیان بن الأبرد الکلبی فظهر علیه و قتله فی سنة ثمان و سبعین للهجرة. و هو معدود فی جملة الخطباء العرب المشهورین بالبلاغة و الفصاحة(۱). نقل الجاحظ خطبة واحدة منه، و التأمّل فیها یعرب أنّه کان منطیقاً ذلق اللسان، قال فیها: أمّا بعد فإنّی اُحذّرکم الدنیا، فإنّها حلوة خضرة، حُفَّت بالشهوات، و راقت بالقلیل، و تحبّبت بالعاجلة، و حُلِیتْ بالآمال، و تزیّنت بالغرور، لاتدوم حبرتها، ولا تؤمن فجعتها، غرّارة ضرّارة، خوَّانة غدّارة(۲). روی أنّ الحجاج قال لأخیه: لأقتلنّك، فقال: لم ذلك؟ قال: لخروج أخیك، قال فإنّ معی کتاب أمیر المؤمنین (یرید عبد الملك) أن لا تأخذنی بذنب أخی، قال: هاته، قال: فمعی ما هو أوکد منه، قال: ما هو؟ قال: کتاب الله عزّوجل یقول: (وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَی)(۳) فعجب منه و خلّی سبیله(۴). و ترجمه خیر الدین الزرکلی فی الأعلام(۵) و یظهر فیما نقله من تاریخ الطبری أنّه توفّی سنة ۷۷ هـ و الله العالم. ۳ ـ عمران بن حطّان السدوسی البصری (ت / ۸۴): عمران بن حطّان السدوسی البصری الخارجی، روی عن عائشة، و عنه

۱. ابن خلکان: و فیات الأعیان ۴ / ۹۴ ـ ۹۵.

۲. الجاحظ: البیان والتبیین ۲ / ۱۱۲.

۳. الأنعام: ۱۶۴.

۴. ابن خلکان: وفیات الأعیان ۴ / ۹۴ ـ ۹۵.

۵. الاعلام: ۵ / ۲۰۰. (۴۷۲)

صالح بن سَرِج، لایتابع علی حدیثه، قاله العقیلی، قال: و کان خارجیاً. روی موسی بن إسماعیل عن عمرو بن العلاء ولقبه جرز، حدثنا صالح بن سرج، عن عمران بن حطّان، عن عائشة فی حساب القاضی العادل. قلت کان الأولی أن یلحق الضعف فی هذا الحدیث بصالح أو بمن بعده، فإنّ عمران صدوق فی نفسه، قد روی عنه یحیی بن ابی کثیر، و قتادة، و محارب بن دثار. و قال العجلی: تابعی ثقة. و قال أبو داود: لیس فی أهل الأهواء، أصحّ حدیثاً من الخوارج، فذکر عمران بن حطان و أبا حسان الأعرج. و قال قتادة کان لاّیتهم فی الحدیث. و روی یعقوب بن شیبة أنّه بلغه أنّ عمران بن حطّان کانت له بنت عم کانت تری رأی الخوارج فتزوّجها لیردّها عن ذلك فصرفته الی مذهبها. وکان عمران من نظراء جریر و الفرزدق فی الشعر، و هو القائل: حتی متی تُسقی النفوس بکأسها * ریب المنون وأنت لاه ترتع الأبیات. مات سنة أربع و ثمانین (۱). و ترجمه ابن حجر فی تهذیب التهذیب و قال: ذکر أبو زکریا الموصلی فی تاریخ الموصل عن محمّد بن بشر العبدی الموصلی قال: لم یمت عمران بن حطّان حتی رجع عن رأی الخوارج انتهی، هذا أحسن ما یعتذر به عن تخریج البخاری له، و أمّا قول من قال: إنّه خرج ما حمل عنه قبل أن یری ما رأی ففیه نظر، لأنّه اخرج له من روایة یحیی بن أبی کثیر عنه، و یحیی إنّما سمع منه فی حال هربه من الحجاج و کان الحجاج یطلبه لیقتله من أجل المذهب، و قصته فی هربه مشهورة. و قال العقیلی: عمران بن حطّان لایتابع و کان یری رأی الخوارج یحدّث عن عائشة و لم یتبین سماعه منها.

۱. الذهبی: میزان الاعتدال ۳ / ۲۳۵ ـ ۲۳۶ برقم ۶۲۷۷. (۴۷۳) و قال ابن حبّان فی الثقات: کان یمیل إلی مذهب الشراة. و قال ابن

البرقی: کان حروریاً. و قال الدارقطنی: متروک لسوء اعتقاده و خبث مذهبه. و قال المبرد فی الکامل: کان رأس القعد من الصفرية و فقيههم و خطيبهم و شاعرهم، و القعدة: الخوارج، کانوا لايرون بالحرب بل ينكرون امراء الجور حسب الطاقة و يدعون إلی رأيهم و يزيّنون مع ذلک الخروج و يحسّنونه. لکن ذکر أبو الفرج الاصبهانی انّه إنّما صار قعدياً لما عجز عن الحرب والله أعلم، قلت: وكان من المعروفين فی مذهب الخوارج، و کان قبل ذلک مشهوراً بطلب العلم و الحديث ثم ابتلی، و أنشد له من شعره: لا يعجز الموت شیء دون خالقه * و الموت يفنی إذا ما ناله الأجل و کل کرب أمام الموت منقشع * و الكرب و الموت ممّا بعده جلل(۱) و فی الأغانی إنّما صار ابن حطّان من القعدية لأنّ عمره طال وكبر و عجز عن الحرب و حضورها، فاقتصر علی الدعوة و التحريض بلسانه، و کان أوّلاً مشمّراً بطلب العلم والحديث ثمّ بلی بذلک المذهب، وقد أدرک صدراً من الصحابة و روی عنهم و روی عنه أصحاب الحديث. وله شعر فی مدح عبد الرحمن بن ملجم المرادی ـ لعنه الله ـ قاتل أمير المؤمنين و قائد الغر المحجّلين زوج البتول و صهر الرسول ـ صلّی الله عليه وآله وسلم ـ : لله در المرادی الّذی سفکت * کفّاه مهجة شر الخلق إنسانا أمسی عشية غشاه بضربته * معطی مناه من الآثام عريانا يا ضربة من تقی ما أراد بها * إلّا ليبلغ من ذی العرش رضوانا إنّی لأذکره حيناً فأحسبه * أوفی البريّة عند الله ميزانا ــــــــــــــ

۱. ابن حجر العسقلانی: تهذيب التهذيب ۸ / ۱۱۳ ـ ۱۱۴ برقم ۲۲۳. راجع الاصابة ۳ / ۱۷۸. (۴۷۴) و قد أجابه عنها السيد الحميری الشيعی و هی: قل لابن ملجم والأقدار غالبة * هدّمت و يلک للإسلام أرکانا قتلت أفضل من يمشی علی قدم * و أوّل الناس إسلاماً وإيمانا و أعلم الناس بالإيمان ثمّ بما * سنّ الرسول لنا شرعاً و تبيانا صهر الرسول و مولاه و ناصره * أضحت مناقبه نوراً و برهانا الابيات(۱). و قد ناضله أصحاب الولاء لآل الرسول باشعار کثيرة مضت بعضها فلاحظ . و فی الختام: من أراد التبسّط فی ترجمة الرجال فليرجع إلی «الخوارج فی العصر الأموی» للدکتور نايف معروف فقد ذکر قسماً کثيراً من أشعاره و حياته قبل أن يلحق بالخوارج فلاحظ. ۴ ـ الطرماح بن حکيم (ت ۱۲۵): الطرماح بن حکيم الطائیّ الخارجی. و صفه الجاحظ فی البيان و التبيين أنّه کان خارجيّاً من الصفرية، ولد ونشأ فی الشام، و انتقل إلی الکوفة، فکان معلّماً فيها. و اتصل بخالد بن عبد الله القصری فکان يکرمه و يستجيد شعره، و کان هجّاءً، معاصراً للکميت صديقاً له لايکادان يفترقان، و ذکر شيخنا فی الذريعة أنّ المرزبانی عمل کتاباً باسم «أخبار الطرمّاح» کما عمل کتاباً آخر باسم «أخبار ابی تمام»(۲). ــــــــــــــ

۱. البغدادی: خزانة الأدب ۲ / ۴۳۶ ـ ۴۳۷.

۲. الزرکلی: الأعلام ۳ / ۲۲۵، و آغا بزرک الطهرانی: الذريعة ۱ / ۲۳۸ برقم ۱۷۶۴. (۴۷۵) ۵ ـ الضحّاک بن قيس: الضحاک بن قيس مذکور فی التاريخ بما أنّه قائد عسکری قد دوّخ الدولة الأموية فی عصره، ولم يوصف بشیء من العلم والشعر والأدب سوی القيادة، و قد نقل ابن الأثير حروبه مع الأمويين و إليک خلاصة ما ذکره فی تاريخه علی نحو يوقفه علی ترجمة الرجل علی نحو الاجمال: أرسل مروان بن محمد ـ آخر الخلفاء الأمويين ـ جيشاً لحرب الضحاک سنة سبع و عشرين و مائة، فالتقوا بالنخيلة فاقتتلوا قتالاً شديداً و انتصر الضحاک عليهم، و دخل ضحاک الکوفة مستولياً عليها(۱). ثم سار الضحاک من الکوفة إلی واسط يريد حرب فلول المنهزمين، و کانوا قد استعدّوا لحربه، فتحاربوا شعبان و شهر رمضان و شوال و القتال بينهم متواصل. ثمّ اصطلحوا و ذهب الضحاک إلی الکوفة(۲)، و کاتب أهل الموصل ليقدم عليهم ليمکّنوه منها فسار بجماعة من جنوده بعد عشرين شهراً حتی انتهی إليها ففتح أهل البلد، فدخلها الضحاک و قتل الوالی عليها من قبل مروان و عدّة يسيرة کانوا معه و ذلک بعد أن حاربوه. و بلغ مروان خبره و هو محاصر حمص، مشتغل بقتال أهلها، فکتب إلی ابنه عبد الله و هو خليفته فی الجزيرة، يأمره أن يسير إلی نصيبين فی من معه يمنع الضحاک من توسّط الجزيرة، فسار إليها فی سبعة آلاف أو ثمانية آلاف، و سار الضحّاک و معه ما يزيد علی مائة ألف. و وجّه قائدين من قواده إلی السرقة فی أربعة آلاف أو خمسة آلاف، فقاتله بها، فوجّه إليهم مروان من أبعدهم عن ــــــــــــــ

۱. ابن الاثير: الکامل ۵ / ۳۳۲ ـ ۳۳۶.

۲. ابن الاثير: الكامل ۵ / ۳۴۹. (۴۷۶)

السرقة. و سار مروان إلى الضحاك فالتقوا بنواحى كفر قوتا من اعمال ماردين فقاتله يومه أجمع، فلمّا كان عند المساء ترجّل الضحاك و معه من ذوى الثبات والبصائر نحو من ستّة آلاف، ولم يعلم أكثر أهل عسكره بما كان، فأحدقت بهم خيول مروان و ألحوا عليهم فى القتال حتى قتلوهم عند العتمة. و انصرف من بقى من أصحاب الضحاك عند العتمة إلى معسكرهم و لم يعلموا بقتل الضحاك و لم يعلم به مروان يضاً، و جاء بعض من عاينه من أصحابه فبكوا وناحوا عليه، و جاء قائد من قواده إلى مروان فأخبره بقتله فأرسل معه النيران و الشمع، فطافوا عليه فوجدوه قتيلاً و فى وجهه و رأسه أكثر من عشرين ضربة فكّبروا فعرف عسكر الضحاك انّهم قد علموا بقتله. و بعث مروان رأسه إلى مدائن الجزيرة فطيف به فيها(۱). ۶ ـ معمر بن المثنى (۱۱۰ ـ ۲۱۳): أبو عبيدة، التيمى(۲) البصرى، يصفه الخطيب فى تاريخه بالنحوىّ العلّامة، يقال: إنّه ولد سنة ۱۱۰ فى الليلة الّتى ولد فيها الحسن البصرى، و نقل عن الجاحظ أنّه قال: لم يكن فى الأرض خارجي و لاجماعىّ أعلم بجميع العلوم منه(۳). قال ابن قتيبة: كان الغريب(۴) أغلب عليه و اخبار العرب و أيّامها، وكان ـــــــــــــــــــــــــــــ

۱. ابن الاثير: الكامل ۵ / ۳۴۹.

۲. كان تيميّاً بالولاء.

۳. الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد ۱۳ / ۲۵۲ برقم ۷۲۱۰.

۴. المراد غريب اللغة أو غريب القرآن و الحديث. (۴۷۷)

مع معرفته ربّما لايقم البيت إذا أنشده، حتى يكسره، و كان يخطأ إذا قرأ القرآن الكريم نظراً، و كان يبغض العرب، و ألّف فى مثالبها كتباً، و كان يرى رأى الخوارج(۱). و نقل ابن خلكان عن بعضهم: أنّ هارون الرشيد أقدمه من البصرة إلى بغداد سنة ۱۸۸، و قرأ عليه بها أشياءً من كتبه، و أسند الحديث إلى هشام بن عروة و غيره و روى عنه على بن المغيرة الأثرم، و أبو عبيد القاسم بن سلام، و أبو عثمان المازنى، و أبو حاتم السجستانى و عمر بن شبة و غيرهم. و لأجل إلمام القارئ على نموذج من تفسيره نأتى بما يلى: سأله رجل عن قوله سبحانه: (أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّوم * إِنَّا جَعَلْنَـهَا فِتْنَةً لِّلظَّـلِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيم * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَـطِينِ * فَإِنَّهُمْ لاَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ)(۲). سأله عن قوله: (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَـطِينِ) و قال: إنّما يقع الوعد و الايعاد بما عرف مثله، وهذا لم يعرف فأجاب: إنّما كلّم الله العرب على قدر كلامهم. أما سمعت قول أمرئ القيس: أيقتلنى و المشرفّى مُضاجعى * و مسنونة زرقٌ كأنياب أغوال و هم لم يروا الغول قطّ، و لكنّه لمّا كان أمر الغول يهولهم، أو عدوا به. ثم يقول: و أزمعت منذ ذلك اليوم أن أضع كتاباً فى القرآن لمثل هذا و أشباهه و لما يحتاج إليه من علمه، ولمّا رجعت إلى البصرة عملت كتابى الّذى سمّيته المجاز(۳). ـــــــــــــــــــــــــــــ

۱. ابن قتيبة: المعارف ۲۴۳.

۲. الصافات: ۶۲ ـ ۶۶.

۳. ابن خلكان: و فيات الاعيان ۵ / ۲۳۶ تحقيق الدكتور احسان عباس. ولا حظ: مجاز القرآن لأبى عبيدة ج۲. (۴۷۸) و قد ذكر ابن خلّكان أنّه لم يزل يصنّف حتّى مات، و تصانيفه تقارب مائتى تصنيف،، فمنها كتاب «مجاز القرآن الكريم» و كتاب «غريب القرآن» و كتاب «معانى القرآن» و كتاب «غريب الحديث»...(۱) و يبدو من فهرس تصانيفه أن أكثرها يدور بين اللغة و الشعر و التاريخ و ما يشابهها، و الّذى أثار عواطف الأُمّة العربية ضدّه أنه ألّف كتاب «لصوص العرب» و كتاب «فضائل الفرس»، و من المعلوم أنّ العصبية العمياء لاـتحبّ كلاـ التأليفين. يقول ابن خلكان: لمّا جمع كتاب المثالب، و لعلّ مراده هو «لصوص العرب»، قال له رجلٌ مطعون النسب: بلغنى أنّك عبت العرب جميعها، فقال: «و ما يضّرك، أنت من ذلك برىء»! يعنى أنّه ليس منهم، و يذكر ابن خلكان أيضاً: أنّه لايقبل أحد من الحكّام شهادته لأنه كان يتّهم بالميل إلى الغلمان. قال الأصمعى: دخلت أنا و أبو عبيدة يوماً المسجد فإذا على

الاسطوانة الّتى يجلس إليها أبو عبيدة مكتوب على نحو من سبعة أذرع. صلّى الإله على لوط و شيعته * أبا عبيدة قل بالله آمينا فقال لى: يا أصمعى! امحُ هذا، فركبت على ظهره ومحوته بعد أن أثقلته إلى أن قال: أثقلتنى و قطعت ظهرى، فقلت له: قد بقى الطاء. فقال: هى شرّ حروف هذا البيت!(٢). أقول: إنّ الأصمعى كان ممّن ينصب العداء على علىّ، و أبا عبيدة كان من الخوارج، و الجنس إلى الجنس يميل «والمرء على دين خليله و قرينه» و قال سبحانه حاكياً عن المجرمين (يَوَيْلَتَى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً)(٣) و قال

---

١. ابن خلكان: و فيات الاعيان ۵ / ٢٣٨ تحقيق الدكتور احسان عباس.

٢. المصدر نفسه: ٢۴٢.

٣. الفرقان: ٢٨. (۴٧٩)

سبحانه: (الاَخِلَّاءُ يَوْمَئِذِ بَعْضُهُمْ لِبَعْض عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)(١)، و مع ذلك كلّه فيحتمل أن تكون القصّة مختلقة من جانب الأعداء لأنّهم كانوا يرون أمثال أبى عبيدة من المبتدعة الذين تجوز مباهتتهم إبعاداً للناس عن ضلالهم. مجاز القرآن لأبى عبيدة: لم يصل إلينا من كتب أبى عبيدة مع كثرتها غير كتاب مجاز القرآن، و قد عرفت أنّ ابن خلّكان ذكر له أسماء كتب ثلاثة حول القرآن و زاد ابن النديم كتاب «اعراب القرآن» و هل ألّف أبو عبيدة كتباً بهذه الأسماء أو هى أسماء متعدّدة و المسمّى واحدٌ؟ فقد رجّح محقّق كتاب مجاز القرآن الثانى و قال: «و الّذى نظنّه أن ليس هناك لأبى عبيدة غير كتاب المجاز»، و أنّ هذه الأسماء اُخذت من الموضوعات الّتى تناولها «المجاز» فهو يتكلّم فى معانى القرآن، و يفسّر غريبه، و فى أثناء هذا يعرض لاعرابه، و يشرح أوجه تعبيره، و ذلك ما عبّر عنه أبو عبيدة بمجاز القرآن، فكلّ سمّى الكتاب بحسب أوضح الجوانب الّتى تولّى الكتاب تناولها، و لفتت نظره أكثر من غيرها، ولعلّ ابن النديم لم ير الكتاب، و سمع هذه الأسماء من أشخاص متعدّدين فذكر لأبى عبيدة فى موضوع القرآن هذه الكتب المختلفة الأسماء. ثمّ إنّ التأليف فى غريب القرآن كثير، و ربّما يعبّر عن بعضه بمعانى القرآن، كما هو الحال فى كتاب الفرّاء، و ربما يعبّر عنه بمجازات القرآن كما هو الحال فى تأليف الشريف الرضى، و أمّا الفرق بين كتاب أبى عبيدة و كتاب الرضىّ و قد اشتهر الأوّل بمجاز القرآن، و الثانى بمجازات القرآن، هو أنّ الأوّل يستعمل لفظ المجاز بمعنى مفهوم الكلمة و الآية، بخلاف الثانى فإنّه يستعمله فى الجامع بين ———

١. الزخرف: ۶٧. (۴٨٠)

المجاز اللغوىّ و الكناية و الاستعارة، و لكل مزية، و على كلّ تقدير فأثر أبى عبيدة أثر متقن مفيد جدّاً، و قد قام بتحقيقه الدكتور محمّد فؤاد سزگين فى جزئين، و قد طبع للمرّة الثانية فى سنة ١۴٠١ هـ. و قد اختلفت الأقوال فى تاريخ و فاته، فنقل الخطيب عن بعضهم أنّه مات سنة ٢٠٩ هـ، و عن آخر سنة ٢١١ هـ، و عن ثالث ٢١٠ هـ و قيل سنة ٢١٣، و الله العالم. و لنكتف بما ذكر من رجال الخوارج فى العصور الأولى و قد تعرّفت على عدّة من رجالهم فى ثنايا الكتاب لاسيّما القادة العسكريين. بقيت هنا كلمة و هى أن نعطف نظر القارئ إلى ما روى عن النبى الأكرم فى حقّ المحكّمة الاُولى و أثر فى حقّهم عن الصحابة و التابعين لهم باحسان، و قد جميعها إمام الحنابلة أحمد بن حنبل و رواه عنه ابنه عبد الله فى كتاب «السنّة»(١) واليك متونها مع أسانيدها: بما أنّ الاباضية لايرون أنفسهم خوارج و نحن أيضاً نربئ بهم عن كونهم منهم على الشروط الّتى قدّمناها فى الكتاب، فلا أراهم متضايقين من هذه الآثار الّتى لو تدّبر فيها القارئ يراها من قسم المتواتر المعنوى و لا يحقّ لأحد أن يشكّ فى ما يهدف إليه جمعها: المأثور حول الخوارج: ١ ـ حدثنى أبى، حدثنا وكيع جرير بن حازم و أبو عمرو بن العلاء، عن ابن سيرين سمعاه عن عبيدة، عن على قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ: «يخرج قوم فيهم رجل مودن اليد أو مثدون اليد أو مخدج اليد، و لولا أن تبطروا لأنبأتكم بما وعد الله الذين يقاتلونهم على لسان نبيّه» قال عبيدة: قلت لعلى: ———

١. عبد الله بن أحمد بن حنبل: السنّة ٢۶٧ ـ ٢٨۶. (۴٨١)

أنت سمعته من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ؟ قال: أى وربّ الكعبة، أى وربّ الكعبة، أى وربّ الكعبة. ٢ ـ حدثنى أبو محمّد بن عبد الرحيم البزار، قال: و أنا شبابة أخبرنى أبو عمرو بن العلاء، حدثنا ابن سيرين، عن عبيدة، عن على، قال: و الله لولا أن تبطروا لحدّثتكم على لسان نبيّكم، الذين يقتلونهم علامتهم رجل مخدج اليد أو مودن اليد أو مثدون اليد، قال: فقلت: أنت سمعته من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ؟ قال: نعم سمعته من النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ غير مرّة و لا مرّتين و لا ثلاث و لا أربع. ٣ ـ حدثنى عبيدالله بن عمر القواريرى، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا أيوب، عن محمّد بن سيرين، عن عبيدة، قال ذكر على أهل النهروان فقال: فيهم رجل مودن اليد أو مثدون اليد، أو مخدج اليد، لولا أن تبطروا لنبّأتكم بما وعد الله الذين يقاتلونهم على لسان محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ قال قلت: أنت سمعته منه؟ قال: أى وربّ الكعبة. ۴ ـ حدثنى إسحاق بن إسماعيل الطالقانى، حدثنا وكيع، حدثنا جرير بن حازم، عن أبن سيرين، عن عبيدة، عن على قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ: (إنّه سيخرج قوم فيهم رجل مودن اليد أو مثدون اليد أو مخدج اليد، و لولا أن تبطروا لأنبأتكم بما وعد الذين يقتلونهم على لسان نبيّه، قال عبيدة: قمت إلى على فقلت: أنت سمعته من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ؟ قال: أى وربّ الكعبة، أى وربّ الكعبة. قال وكيع: مودن اليد: ناقص اليد، و المخدج: ضامره، و مثدون اليد: فيها شعرات زائدة. ۵ ـ حدثنى أبى و أبو خيثمة قالا: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، (۴۸۲)

حدثنا أيّوب، عن محمّد، عن عبيدة، عن على قال: ذكر الخوارج فقال: فيهم رجل مخدج اليد أو مودن اليد أو مثدون اليد، لولا أن تبطروا لحدّثتكم بما وعد الله الذين يقاتلونهم على لسان محمّد، قلت: أنت سمعته من محمّد ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ؟ قال: أى وربّ الكعبة، أى وربّ الكعبة. ۶ ـ حدثنى أبى، حدثنى وكيع، حدثنا جرير بن حازم وأبو عمرو بن العلاء سمعاه من ابن سيرين، فذكر الحديث إلّا أنّه قال: مثدون. ٧ ـ حدثنى سويد بن سعيد، حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى، عن أيوب، عن محمّد، عن عبيدة، عن على قال: لولا أن تبطروا لأخبرتكم بما أعدّالله لمن قتلهم، فيهم رجل مودن اليد أو مثدون اليد أو مخدج اليد، قال عبيدة: أنت سمعتها من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ؟ قال: أى وربّ الكعبة، أى وربّ الكعبة ثلاثاً. ٨ ـ حدثنى محمّد بن أبى بكر بن على المقدمى، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب و هشام، عن محمّد، عن عبيدة: انّ عليّاً ذكر أهل النهروان فقال: فيهم رجل مودن اليد أو مثدون اليد أو مخدج اليد، لولا أن تبطروا لنبّأتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمّد، فقلت لعلى: أنت سمعته؟ قال: أى وربّ الكعبة. ٩ ـ حدثنى أبى، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا إسرائيل، عن أبى إسحاق، عن سويد بن غفلة، عن على قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ: «يكون فى آخر الزمان قوم يقرأون القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة، قتالهم حقّ على كل مسلم». ١٠ ـ حدثنى أبى، حدثنا محمّد بن أبى عدى أبو عمرو دكين من الرجال ما أشبهه بالشيوخ، عن ابن عون، عن محمّد قال: قال عبيدة: لا اُحدّثك إلّاما (۴۸۳)

سمعته منه، قال محمّد: فحلف لى عبيدة ثلاث مرار و حلف له على قال: لولا أن تبطروا لنبّأتكم بما وعد الله الذين يقاتلونهم على لسان محمّد. قلت أنت سمعته منه؟ قال: أى وربّ الكعبة، أى وربّ الكعبة، أى ورب الكعبة، فيهم رجل مخدج اليد أو مثدون اليد، قال: قال محمّد: فطلب ذاك الرجل فوجدوه فى القتلى رجل عند أحد منكبيه كهيئة الثدى عليه شعرات. ١١ ـ حدثنى محمّد بن أبى بكر المقدمى: قال حماد بن يحيى ـ يعنى الأبح ـ قال: حدثنا ابن عون، عن محمّد، عن عبيدة، قال: لمّا قتل على أهل النهروان، قال: التمسوا فى القتلى رجلاًـ مخدج اليد، فالتمسوه فوجدوه فى حفرة تحت القتلى فاستخرجوه، فأقبل على على أصحابه، فقال: لولا أن تبطروا لأخبرتكم بما وعد الله من يقتل هؤلاء على لسان محمّد، قلت: أنت سمعته من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ؟ قال: أى وربّ الكعبة، أى وربّ الكعبة ثلاث مرات. ١٢ ـ حدثنى أبى، حدثنا محمّد بن أبى عدى، عن سليمان، عن التيمى، عن أبى نضرة، عن أبى سعيد: انّ النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ذكر قوماً يكونون فى اُمّته يخرجون فى فرقة من الناس سيماهم التحالق و هم شرّ الخلق أو من شرّ الخلق يقتلهم أذى الطائفتين من الحق، قال: فضرب لهم النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ مثلاً أو قال قولاً: الرجل يرمى الرميّة

أو الغرض فینظر فی الفصل فلا یری بصیرة، و ینظر فی النضی فلا یری بصیرة، و ینظر فی الفوق فلا یری بصیرة قال: قال أبو سعید: و أنتم قتلتموهم یا أهل العراق. ۱۳ ـ حدثنی أبو معمّر الهذلی إسماعیل بن إبراهیم بن معمّر الهروی، حدثنا عبد الله بن إدریس، انا عاصم بن کلیب، عن أبیه، قال کنت جالساً عن علی إذ جاء رجل علیه ثیاب السفر فاستأذن علی علی و هو یکلّم الناس فشغل (۴۸۴) عنه، فأقبلنا فسألناه من أین قدمت؟ ما خبرک؟ قال: خرجت معتمراً فلقیت عائشة، فقالت ما هؤلاء الذین خرجوا من بلادکم یسمّون حروراً؟ قال: قلت: خرجوا من أرضنا إلی مکان یسمّی حروراء به یدعون، قالت طوبی لمن قتلهم، أما و الله لوشاء ابن أبی طالب لخبرهم خبرهم، قال: فأهلّ علی و کّبر ثمّ أهلّ وکّبر ثم أهل وکّبر، فقال لی: إنی دخلت علی رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ وعنده عائشة فقال لی «کیف أنت و قوم کذا وکذا» قال عبد الله بن ادریس: وصف صفتهم، قلت: الله و رسوله أعلم، قال: «قوم یخرجون من قبل المشرق یقرأون القرآن لایجاوز تراقیهم، یمرقون من الدین کما یمرق السهم من الرمیّة، فیهم رجل مخدج الید کأنّ یده ثدی حبشیّة، أنشدکم الله هل أخبرتکم أنّه فیهم فاتیتمونی فأخبرتمونی أنّه لیس فیهم، فحلفت بالله لکم إنّه فیهم، فأتیتمونی تسحبونه کما نعت لکم؟ قالوا: اللّهمّ نعم، قال: فأهلّ علی و کّبر. ۱۴ ـ حدثنی أبو بکر بن أبی شیبة، حدثنا محمّد بن فضیل، عن عاصم بن کلیب، عن أبیه، قال: کنت جالساً عن علی و هو فی بعض أمر الناس إذ جاء رجل علیه ثیاب السفر، ثمّ قال علی: کنت عند رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ ولیس عنده إلا عائشة فقال: «یاعلی» کیف، مرتین أو ثلاثة، فذکر الحدیث بطوله. ۱۵ ـ حدثنی زهیر بن حرب أبو خیثمة، حدثنا القاسم بن مالک المزنی، عن عاصم بن کلیب، عن أبیه، قال:کنت جالساً عند علی فقال: إنّی دخلت علی رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ ولیس عنده أحد إلاّ عائشة، فقال: «یا ابن أبی طالب کیف أنت و قوم کذا وکذا» قال: قلت: الله و رسوله أعلم، قال: «قوم یخرجون من المشرق یقرأون القرآن لایجاوز تراقیهم یمرقون من الدین کما یمرق السهم من الرمیّة، فیهم رجل مخدج الید کأنّ یده ثدی حبشیة». (۴۸۵) ۱۶ ـ حدثنی علی بن حکیم الأودی، حدثنا شریک، عن الأعمش، عن خیثمة، عن سوید بن غفلة، قال: خطبنا علی، فقال: قال رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ : «یخرج فی آخر الزمان شباب أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، یقولون من قول خیر البرّیة، یمرقون من الدین کما یمرق السهم من الرمیّة، فمن لقیهم فلیقتلهم فإنّ قتلهم أجر لمن قتلهم عند الله یوم القیامة». ۱۷ ـ حدثنی أبی و أبو خیثمة قالا: حدثنا أبو معاویة، حدثنا الأعمش، عن خیثمة، عن سوید بن غفلة قال: قال علی: ما حدّثتکم عن رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ حدیثاً فلأن أخرّ من السماء أحب إلیّ من أن أکذب علیه و إذا حدّثتک عن غیره فإنّما أنا محارب و الحرب خدعة سمعت رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ یقول: «یخرج فی آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، یقولون من خیر قول البریّة، لا یجاوز إیمانهم حناجرهم، فأینما لقیتموهم فاقتلوهم، فإنّ قتلهم أجر لمن قتلهم یوم القیامة». ۱۸ ـ حدّثنی محمّد بن عبد الله بن نمیر الهمدانی، حدثنا یعلی و وکیع، عن الأعمش، عن خیثمة، عن سوید بن غفلة، عن علی، قال: إذا حدّثتکم عن رسول الله حدیثاً، سمعت رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ یقول: «سیخرج قوم فی آخر الزمان قوم أحداث الاسنان»، فذکر الحدیث. ۱۹ ـ حدّثنی أبو کامل الجحدری فضیل بن الحسین بن کامل، حدثنا إبراهیم بن حمید الکوفی الرواسی بالبصرة جاء إلی عبادان، عن الأعمش، عن خیثمة، عن سوید بن غفلة قال: علی: إذا حدّثتکم فیما بینی و بینکم فإنّ الحرب خدعة، و إذا حدّثتکم عن رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ فإنّی و الله لأن أخرّ من السماء فتخطفنی الطیر أو تهوی بی الریح فی مکان سحیق أحبّ إلیّ من أن أکذب علیه، وإنّی سمعته یقول: «سیخرج فی آخر الزمان قوم أحداث (۴۸۶)

الأسنان سفهاء الأحلام یقولون من خیر قول البریّة ثم یمرقون من الدین کما یمرق السهم من الرمیّة، فمن لقیهم فلیقتلهم فإنّ قتلهم أجر لمن قتلهم یوم القیامة. ۲۰ ـ حدثنی أبو کریب محمّد بن العلاء الهمدانی، حدثنا إبراهیم بن یوسف بن أبی إسحاق، عن أبیه، عن أبی إسحاق عن أبی قیس الأودی، عن سوید بن غفلة، عن علی عن النبی ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ أنّه قال: «یخرج فی آخر الزمان قوم یقرأون القرآن لا یجاوز تراقیهم، یمرقون من الدین مروق السهم من الرمیّة قتالهم حقّ علی کلّ مسلم». ۲۱ ـ حدثنی أبی، حدثنا یحیی بن آدم، حدثنا إسرائیل، عن أبی إسحاق، عن سوید بن غفلة، عن علی قال: قال رسول الله ـ صلّی الله علیه وآله وسلم ـ : «یکون

فى آخر الزمان قوم يقرأون القرآن لايجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة، قتالهم حقّ على كلّ مسلم». ۲۲ ـ حدّثنى أبى، حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش: قال أبى و عبد الرحمن، عن سفيان، عن الأعمش، عن خيثمة، عن سويد بن غفلة قال: قال على: إذا حدّثتكم عن رسول الله حديثاً فلأن أخرّ من السماء أحبّ إلىّ من أن أكذب عليه و إذا حدّثتكم فيما بينى و بينكم فإنّ الحرب خدعة، سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «يخرج قوم فى آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء»، و قال عبد الرحمن فى آخر حديثه: أسفاه الأحلام، فذكر الحديث بطوله إلى آخره. ۲۳ ـ حدثنا أحمد بن جميل أبو يوسف، حدثنا يحيى بن عبد الملك بن حميد بن أبى غنية، عن عبد الملك بن أبى سليمان، عن سلمة بن كهيل، عن زيد بن وهب قال: لمّا خرجت الخوارج بالنهروان قام على فى أصحابه فقال: إنّ هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام، و أغاروا فى سرح الناس، و هم أقرب العدو (۴۸۷)

إليكم و إن تسيروا إلى عدوّكم فأنا أخاف أن يخلفكم هؤلاء فى أعقابكم أنّى سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: يخرج خارجة من اُمّتى ليس صلاتكم إلى صلاتهم بشىء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشىء، و لا قرآنكم إلى قرآنهم بشىء، يقرأون القرآن يحسبون أنّه لهم و هو عليهم، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمّية، و آية ذلك إنّ فيهم رجلًا له عضد و ليس له ذراع عليها مثل حلمة الثدى عليها شعرات بيض، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم مالهم على لسان نبيّهم، لاتّكلوا عن العمل فسيروا على اسم الله و الله إنّى لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، قال: فما زال أبو سليمان يسيّرنا منازل على منزلًا منزلًا حتى قال: أخذنا على قنطرة الديزجان، قال فلمّا التقينا قام فيهم أميرهم عبد الله بن وهب الراسبى قال: إنّى اُذكّركم بالله الّا القيتم رماحكم و أشرعتم السيوف و حملتم حملة رجل واحد لا ـ تناشدوا كما تناشدتم يوم حروراء فترجعوا، قال: فحملوا علينا حلمة رجل واحد فشجرهم الناس برماحهم فقتلوا بعضهم قريباً من بعض و لم يقتل من الناس يومئذ إلّا رجلان، فقال على: التمسوا هذا الرجل، قال فالتمسوه فلم يجدوه، قال: فقام على وأنّا لنرى على وجهه كآبة حتى أتى كبكبة منهم قد ركب بعضهم بعضاً، فأمر بهم ففرجوا يميناً و شمالاً فوجدوه ممّا يلى الأرض فقال: الله أكبر، صدق الله و بلّغ رسوله، فقام إليه عبيدة السلمان فاستحلفه ثلاثة ايمان: أنت سمعت هذا الحديث من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ؟ و كل ذلك يحلف له على. ۲۴ ـ حدثنى محمّد بن عبيد بن محمّد المحاربى بالكوفة، حدثنا أبو مالك الختلى عمرو بن هاشم، عن إسماعيل بن أبى خالد، حدثنى عمرو بن قيس، عن المنهال بن عمرو، عن زر بن حبيش أنّه سمع علياً يقول: أنا فقأت عين الفتنة، و لولا أنا ما قوتل أهل النهر و لا أهل الجمل، و لولا أنّى أخشى أن (۴۸۸)

تتركوا العمل لأخبرتكم بالذى قضى الله على لسان نبيّكم لمن قاتلهم مبصراً لضلالتهم عارفاً للهدى الّذى نحن فيه. ۲۵ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا أسود بن عامر، حدّثنا حماد بن سلمة، عن معاوية بن قرة، قال: هلكت الخوارج و الأهواء. ۲۶ ـ حدّثنى أبى، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن زيد بن وهب قال: لمّا كان يوم النهر لعن على الخوارج، فلم يبرحوا حتى شجروا بالرماح، فقتلوا جميعاً، فقال على: ما كذّبت و لا كذّبت اُطلبوا ذا الثدية، قال: فطلبوه فلم يجدوه، فقال على: ما كذبت و لا كذّبت اطلبوه، فوجدوه فى وهدة من الأرض عليه ناس من القتلى، فإذا رجل على ثديه مثل سبلة السنور، قال: فكبّر على و أعجبه ذلك و الناس. و قال أبو معاوية مرة: وكّبر على و كّبر الناس. ۲۷ ـ حدّثنى عباد بن زياد بن موسى الأسدى، حدثنا شريك، عن محمّد بن قيس، عن أبى موسى شيخ لهم شهد مع على قال: قال على يوم النهر: اطلبوا ذا الثدية، فطلبوه فلم يجدوه، فجعل يعرق جبينه و يقول: و الله ما كذبت و لا كّذبت، قال: فوجد فاستخرج من ساقية من تحت قتلى فسجد سجدة الشكر. ۲۸ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا القاسم بن الوليد الهمدانى، حدّثنا إسرائيل، حدّثنا إبراهيم ـ يعنى ابن عبد الأعلى ـ عن طارق بن زياد قال: خرجنا مع على إلى الخوارج فقتلهم، ثم قال: انظروا فإنّ نبى الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ قال: سيخرج قوم يتكلّمون بالحق ولا يجوز حلقهم، يخرجون من الحق كما يخرج السهم من الرميّة، سيماهم انّ منهم رجلًا أسود مخدج اليد، فى يده شعرات سود، إن كان هو فقد قتلتم شرّ الناس، و إن لم يكن هو فقد قتلتم خير الناس، فبكينا، ثمّ قال: اطلبوا، فوجدنا المخدج فخررنا سجوداً و خرّ على معنا (۴۸۹)

ساجداً غير أنّه قال: يتكلّمون بكلمة الحقّ. ۲۹ ـ حدّثنى عبد الله بن عمر القواريرى، حدثنا عبد الرحمن بن العريان الحارثى، حدثنا

الأزرق بن قيس، عن رجل من عبد القيس قال: شهدت علياً يوم قتل أهل النهروان قال: قال على حين قتلوا: عليَّ بذى الثدية أو المخدوج، ذكر شيئاً من ذلك لا أحفظه قال: فطلبوه فإذا هم بحبشى مثل البعير فى منكبه مثل ثدى المرأة عليه. قال عبد الرحمن: أراه شعراً و لو تخرج روح انسان من الفرح لخرج روح على يومئذ، قال: صدق الله و رسوله من حدّثنى من الناس أنّه رآه قبل مصرعه هذا فإنّه كذّاب. ۳۰ ـ حدّثنى على بن حكيم الأودى، حدّثنا شريك، عن عثمان بن أبى زرعة، عن زيد بن وهب، قال قدم على على قوم من أهل البصرة من الخوارج فيهم رجل يقاله له الجعد بن بعجة، فقال له: أتّق الله يا على فإنّك ميّت، فقال على: بل مقتول قتلاً ضربة على هذا يخضّب هذه ـ يعنى لحيته من رأسه ـ عهد معهود و قضاء مقضى و قد خاب من افترى، و عاتبه فى لباسه، فقال: مالكم و للباسى هو أبعد من الكبر و أجدر أن يقتدى بى المسلم. ۳۱ ـ حدّثنى أبى حدثنا يزيد بن هارون، أنا هشام عن محمّد، عن عبيدة، قال: قال على لأهل النهر: فيهم رجل مثدون اليد، أو مخدج اليد، و لولا أن تبطروا لأنبأتكم بما قضى الله على لسان نبيّه لمن قتلهم، قال عبيدة: فقلت لعلى: أنت سمعته؟ قال: نعم وربّ الكعبة، يحلف عليها ثلاثاً. ۳۲ ـ حدّثنى أبى، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة، عن عاصم الأحول، عن عون بن عبد الله، قال: بعثنى عمر بن عبد العزيز إلى الخوارج اُكلّمهم فقلت لهم: هل تدرون ما علامتكم فى وليّكم الّتى إذا لقيكم بها أمن بها عندكم و كان بها ولّيكم، و ما علامتكم فى عدوّكم الّتى إذا لقيكم بها خاف عندكم و كان بها (۴۹۰)

عدوّكم؟ قالوا: ما ندرى ما تقول؟ قلت: فإنّ علامتكم عند وليّكم الّتى إذا لقيكم بها أمن بها عندكم و كان بها وليكم أن يقول: أنا نصرانى أو يهودى أو مجوسى، و علامتكم عند عدوّكم الّتى إذا لقيكم بها خاف بها عندكم و كان بها عدوّكم أن يقول: أنا مسلم. ۳۳ ـ حدثنى وهب بن بقية الواسطى، حدثنا خالد بن عبد الله، عن عطاء بن السائب، عن ميسرة، قال: قال أبو جحيفة: إنّ علیّاً حين فرغ من الحرورية قال: إنّ فيهم رجلاً ـ مخدج اليد ليس على عضده عظم، فى عضده حلمة كحلمة الثدى عليها شعرات طوال عقف، فالتمس فلم يوجد، ثمّ التمس فلم يوجد، قال: و أنا فيمن يلتمس فما رأيت علیّاً جزع قط أشدّ من جزعه يومئذ، قالوا: ما نجده يا أمير المؤمنين. قال: ما اسم هذا المكان؟ قالوا: النهروان. قال كذبتم انّه فيهم فالتمسوه، قال: فثورنا القتلى فلم نجده، فعدنا إليه فقلنا: يا أمير المؤمنين ما نجده، فسأل عن المكان، فاُخبر، فقال: صدق الله و رسوله و كذبتم انّه لفيهم فالتمسوه، فالتمسناه فوجدناه فى ساقية فجئنا به فنظرت إلى عضده ليس فيها عظم عليها حلمة كحلمة ثدى المرأة عليها شعرات طوال عقف. ۳۴ ـ حدّثنى أبى، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبى، عن ابن إسحاق، حدثنى أبو عبيدة بن محمّد بن عمار بن ياسر، عن مقسم أبى القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال خرجت أنا و تليد بن كلاب الليثى حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص و هو يطوف بالبيت معلّقاً نعله بيده فسألته: هل حضرت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ حين كلّمه التميمى يوم حنين؟ قال: نعم، أقبل رجل من بنى تميم يقال له ذى الخويصرة فوقف على رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ و هو يعظ الناس، فقال: يا محمّد قد رأيت ما (۴۹۱)

صنعت فى هذا اليوم. فقال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «و كيف رأيت؟» قال: لم أرك عدلت. قال: فغضب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ثمّ قال: «ويحك إذا لم يكن العدل عندى فعند من يكون؟» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ألا نقتله؟ قال: «لا، دعوه فإنّه سيكون له شيعة يتعمّقون فى الدين حتّى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرميّة، فينظر فى النصل فلا يوجد شىء، ثمّ فى القدح فلا يوجد شىء، ثمّ فى الفوق فلا يوجد شىء سبق الفرث الدم». ۳۵ ـ حدّثنى أبى، حدثنى يعقوب، حدثنا ابى، عن ابن إسحاق، قال: و حدثنى محمّد بن على بن الحسين ابو جعفر مثل حديث أبى عبيدة و سمّاه ذا الخويصرة. ۳۶ ـ حدّثنى أبى، حدثنا وكيع، حدثنا إسرائيل، عن ابن أبى إسحاق، عن رجل: انّ عائشة لمّا بلغها قتل المخدج، قالت: لقد قتل شيطان جان الردهة. قال و قال سعد ابن أبى وقاص: لقد قتل جان الردهة. ۳۷ ـ حدثنى أبو الربيع الزهرانى سليمان بن داود، حدثنا داود العطار المكّى، حدثنا موسى بن عقبة، عن نافع، قال: خرج ابن عمر من المدينة يريد الحج، فقيل له: إنّ الحرورية قد خرجت، فقال: أشهدكم أنّى قد جعلتها عمرة، فلمّا انتهى إلى البيداء، قال: أشهدكم أنّى قد كنت جعلتها عمرة و أنّى قد أضفت إليها حجّة. ۳۸ ـ حدّثنى ابى، حدثنا هاشم بن

القاسم، حدثنا حرام بن إسماعيل العامرى، عن أبى إسحاق الشيبانى، عن يسير بن عمرو، قال: دخلت على سهل بن حنيف بالمدينة فقلت: حدثنى بما سمعت من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فى الحرورية، فقال: أُحدّثك ما سمعت من رسول الله فى الحرورية لا أزيدك عليه: سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ (۴۹۲)

يذكر قوماً يخرجون من هاهنا: و أشار بيده نحو العراق ـ يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، قال: قلت: هل ذكر لهم علامة؟ قال: هذا ما سمعته لا أزيدك . ۳۹ ـ حدّثنى أبى، حدثنا أبو كامل، حدثنا حماد ـ يعنى ابن سلمة ـ حدّثنى سعيد ابن جمهان، قال: كانت الخوارج تدعونى حتى كدت أن أدخل معهم، فرأت أُخت بلال فى النوم أنّ أبا بلال كلب أسود عيناه تذرفان، فقالت: بابى أنت يا أبا بلال ما شأنك أراك هكذا؟ قال: جعلنا بعدكم كلاب النار، و كان أبو بلال من رؤوس الخوارج. ۴۰ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا يحيى بن أبى زائدة، عن عكرمة بن عمار، حدّثنى عاصم بن شميخ الغيلانى، قال: رأيت أبا سعيد الخدرى يصلّى عند الزوال و هو معتمد على جريدة إذا قام اعتمد عليها و إذا ركع أسندها إلى الحائط و إذا سجد اعتمد عليها. ۴۱ ـ حدّثنا هدبة بن خالد الأزدى، حدّثنا ديلم أبو غالب، عن ميمون الكردى، عن أبى عثمان النهدى، عن أبى سعيد الخدرى أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ قال: تمرق مارقة من فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق. ۴۲ ـ حدّثنى أبى حدّثنا وكيع، حدّثنا عكرمة بن عمّار، عن عاصم بن شميخ، عن أبى سعيد الخدرى، قال: كان رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ إذا حلف باليمين قال: «و الّذى نفس أبى القاسم بيده ليخرجنّ قوم تحقّرون أعمالكم عند أعمالهم، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة» قالوا: فهل من علامة يعرفون بها؟ قال: «فيهم رجل ذو ثدية محلقى رؤوسهم» قال أبو سعيد: فحدّثنى عشرون أو بضع و عشرون من (۴۹۳)

أصحاب النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : أنّ علياً ولى قتلهم، قال فرأيت أبا سعيد بعد ما كّبر و يداه ترتعشان يقول: إنّ قتالهم أجلّ عندى من قتال عدّتهم من الترك. ۴۳ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا إسحاق بن يوسف ـ يعنى الأزرق ـ عن الأعمش، عن ابن أبى أوفى، قال: سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «الخوارج هم كلاب النار». ۴۴ ـ حدّثنى أبى، حدثنا عبد الرزاق، انا معمر، عن على بن زيد بن جدعان، عن أبى نضرة، عن أبى سعيد ـ أو قال: سمعت انا سعيد الخدرى يحدّث ـ أنّه سمع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان دعواهما فى الدين واحدة، تمرق بينهما مارقة، يقتلهما أولاهما بالحق». ۴۵ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا وكيع، حدّثنى سويد بن عبيد العجلى، عن أبى مؤمن الواثلى، قال: شهدت علياً حين فرغ من قتالهم، قال: انظروا فإنّ فيهم رجلاً مخدج اليد، فطلبوه فلم يجدوه، فقال على: ما كذبت ولا كذّبت، قال: فقام على فأخرجه من تحت ساقية، فخّر على ساجداً. ۴۶ ـ حدّثنى أبى حدّثنا وكيع، حدّثنا بسام، عن أبى الطفيل، قال: سأل ابن الكواء علياً(رضى الله عنه) عن الأخسرين أعمالاً، قال: منهم أهل حروراء. ۴۷ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا وكيع حدّثنا حسن ـ يعنى ابن صالح ـ عن أبى نعامة الأسدى، عن خال له، قال: سمعت ابن عمر يقول: إنّ نجدة و أصحابه عرضوا لعيرلنا و لوكنت فيهم لجاهدتهم. ۴۸ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا عبد الرزاق، انا معمر، عن أيوب، عن نافع: أخبرنى ابن عمر أنّ نجدة لاقاه فحلّ شرج سيفه فأشرجته، ثَم مرّ به فحلّه أيضاً (۴۹۴)

فأشرجته، ثم مرّ به الثالثة، فقال: من أشرج هذا كأنّه ليس فى أنفسكم ما فى أنفسنا؟ ۴۹ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا وكيع، حدّثنا عثمان الشحام أبو سلمة، حدّثنى مسلم ابن أبى بكرة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «سيخرج قوم أحدّاء أشدّاء، ذلقة ألسنتهم بالقرآن، يقرأونه لايجاوز تراقيهم، إذ ليقتموهم فاقتلوهم، فإنّه يؤجر قاتلهم». ۵۰ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا بهز و عفّان قالا: حدّثنا حماد ـ يعنى ابن سلمة ـ حدّثنى سعيد بن جمهان، قال: كنّا مع عبد الله بن أبى أوفى نقاتل الخوارج و قد لحق غلام لابن أبى أوفى بالخوارج فناديناه يا فيروز هذا ابن أبى أوفى فقال: نعم الرجل لو هاجر، قال: ما يقول عدوّ الله؟ قال: يقول: نعم الرجل لو هاجر، فقال: أهجرة بعد هجرتى مع رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ؟ قال بهز فى حديثه، يردّدها ثلاثاً: سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ (يقول): «طوبى لمن قتلهم»، و قال عفان و يونس: «لمن قتلهم و قتلوه» ثلاثاً. ۵۱ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا روح بن عبادة،

حدّثنى عثمان الشحّام، حدّثنا مسلم بن أبى بكرة: و سألته هل سمعت فى الخوارج شيئاً، فقال: سمعت والدى أبا بكرة يقول عن نبى الله: «ألا انّه سيخرج من اُمّتى أقوام أشدّاء أحدّاء، ذليقة ألسنتهم بالقرآن لا يجاوز تراقيهم، ألا فإذا رأيتموهم ثمّ إذا رأيتموهم فأنيموهم فالمأجور قاتلهم. ۵۲ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا وكيع، حدّثنا إسرائيل، عن إبراهيم بن عبد الأعلى، عن زياد بن طارق، قال: رأيت عليّاً حين أخرج المخدج ـ على يده ثلاث شعرات ـ خرّساجداً، قال عبد الله بن طارق بن زياد: و لكن كذا قال وكيع. (۴۹۵) ۵۳ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا وكيع، حدّثنا سفيان، عن محمّد بن قيس الهمدانى، عن شيخ لهم يكّنى أبا موسى قال: رايت علياً سجد حين اُتى بالمخدج. ۵۴ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا يزيد بن هارون، انا حماد بن سلمة، عن أبى عمران الجونى، عن عبد الله بن رباح، عن كعب، قال: الّذى يقتله الخوارج له عشرة أنور، فضّل ثمانية أنور على غيره من الشهداء. ۵۵ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا وكيع، حدثنا ابن أبى خالد، عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: ذكر عنده الخوارج قال: هم قد زاغوا فأزاغ الله قلوبهم. ۵۶ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا حماد بن مسعدة، عن يزيد ـ يعنى ابن أبى عبيد ـ قال: لمّا ظهر نجدة الحرورى أخذ صدقات، قيل لسلمة: ألا تباعد منهم؟ قال: فقال: و الله لا اُبايعه و لا أتبعه أبداً، قال: و دفع صدقته إليهم. ۵۷ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا عفان، حدّثنا جويرية بن أسماء، قال: زعم نافع أنّ ابن عمر كان يرى قتال الحرورية حقّاً واجباً على المسلمين. ۵۸ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا محمّد بن بشر، حدّثنا عبيدالله، عن نافع: انّ ابن عمر أراد أن نقاتل نجدة حين أتى المدينة يغير على ذراريهم، فقيل له: إنّ الناس لا يبايعونك على هذا، قال: فتركه. ۵۹ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا محبوب بن الحسن، حدّثنا خالد ـ يعنى الحذّاء ـ عن أبى اياس معاوية بن قرّة، قال: خرج حرورى محكّم، فخرج إليه ناس من أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ من مزينة بأسيافهم منهم عائذ بن عمرو. ۶۰ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا عفان، حدّثنا يزيد بن زريع، حدّثنا خالد الحذاء، عن معاوية بن قرّة: خرج محكّم فى زمان أصحاب (۴۹۶)

رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ فخرجوا عليه بالسيف رهط من أصحاب رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ منهم عائذ بن عمرو. ۶۱ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا عفان، حدّثنا سلام أبو المنذر، عن عاصم بن بهدلة قال: خرج خارجى بالكوفة، فقيل: يا أبا وائل هذا خارجى خرج فقتل، فقال: و الله ما أعزّ هذا الله من دين و لا دفع عن مظلوم، هذا و أبيك الخير. ۶۲ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا أبو كامل مظفر بن مدرك، حدّثنا حماد بن سملة، عن الأزرق بن قيس، قال: كنّا بالأهواز نقاتل الخوارج و فينا أبو برزة الأسلمى فجاء إلى نهر فتوضّأ ثمّ قام يصلّى. ۶۳ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا يزيد بن هارون، انا ابن إسحاق، عن أبى الزبير، عن أبى العباس مولى بنى الديل، عن عبد الله بن عمرو، قال: ذكر عند رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ قوم يجتهدون فى العبادة اجتهاداً شديداً، فقال: «تلك ضراوة فى الإسلام و شرّه و لكلّ شرّه فترة، فمن كانت فترته إلى الاقتصاد فلاوم(۱) ما هو و من كانت فترته إلى غير ذلك فاُولئك هم الهالكون». ۶۴ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا هشيم، انا حصين، عن مصعب بن سعد، عن سعد فى قوله:(يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً)(۲) قال: قلت له: أهم الخوارج؟ قال: لا، و لكنّهم أصحاب الصوامع، و الخوارج الذين زاغوا فأزاغ الله قلوبهم. ۶۵ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا هشيم، انا العوام، حدّثنا أبو غالب، عن أبى أمامة: زاغوا فأزاغ الله قلوبهم. قال: هم الخوارج. ۶۶ ـ حدّثنى أبى، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبى إسحاق، عن حصين ـ و كان صاحب شرطة على ـ قال: قال على: قاتلهم الله أى حديث ـــــــــــــــ

۱. كذا فى الأصل، و فى أصل آخر: فلا ذم، و لعلّه: لازم.

۲. الكهف: ۱۰۴. (۴۹۷)

شانوا، يعنى الخوارج. ۶۷ ـ حدّثنى أبى، حدثنا ابن نمير، انا عبيدالله، عن نافع، قال: لمّا سمع ابن عمر بنجدة قد أقبل و أنّه يريد المدينة و أنّه يسبى السباء و يقتل الولدان، قال: إذاً لا ندعه و ذاك، وهمّ بقتاله و حرّض الناس، فقيل له: إنّ الناس لا يقاتلون معك و تخاف أن تترك فتقتل، فتركه. ۶۸ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا أبو بكر بن عياش، قال: سمعت أبا إسحاق، عن أبى الأحوص، قال: خرج خوارج فخرج إليهم، فقتلوه. ۶۹ ـ حدّثنى أبى، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبى زائدة، أخبرنى عبد الملك، عن عطاء، عن ابن عباس: انّ عليّاً أخرجه إلى الخوارج فكلّمهم، ففرّق بينهم، فقالت الخوارج: بل هم قوم خصمون. ۷۰ ـ حدّثنى أبى، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبى

زائدة، أخبرنى عاصم الأحول، عن عون بن عبدالله: انّ عمر بن عبد العزيز أخرجه إلى الخوارج فكلّمهم. ۷۱ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا يزيد ـ يعنى ابن هارون ـ انا هشام بن حسان، حدّثنى أبو الوضى القيسى، قال كنت فى أصحاب على لمّا فرغ من أهل النهر، قال: اطلبوا فيهم ذا الثدية، فطلبوه فلم يجدوه، فأتوه فقالوا: لم نجده. قال: اطلبوه فإنّه فيهم. قال فطلبوه فوجدوه فأُتى به فإنّى لأنظر إليه وله فى أحد منكبيه مثل ثدى المرأة ليس له يد غيرها عليها شعرات. ۷۲ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا وكيع، عن حماد بن سلمة، عن أبى غالب، عن أبى أُمامة: أنّه رأى رؤوساً منصوبة على درج مسجد دمشق، فقال أبو أُمامة: كلاب النار ـ ثلاثاً ـ شر قتيل تحت أديم السماء، خير قتل من قتلوه، ثمّ (۴۹۸)

قرأ: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ)(۱) قلت لأبى اُمامة: أنت سمعته من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ؟ قال: لو لم أسمعه إلاّ مرّتين أو ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً أو ستّاً أو سبعاً ما حدّثتكم به. ۷۳ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا عبد الرزاق، حدّثنا معمر، قال: سمعت أبا غالب يقول: لمّا اُتى برؤوس الأزارقة فنصبت على درج دمشق، جاء أبو اُمامة فلمّا رآهم دمعت عينه، قال: كلاب النار، كلاب النار، كلاب النار ـ ثلاث مرّات ـ هؤلاء شرّ قتلى قتلوا تحت أديم السماء، و خير قتلى تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء، قلت: فما شأنك دمعت عينك؟ قال: رحمة لهم لأنّهم كانوا من أهل الإسلام قلت: أبرأيك قلت هم كلاب النار أو شيئاً سمعته من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ؟ قال: إنّى إذاً لجرى بل سمعته من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ غير مرّة ولا مرّتين ولا ثلاثة، قال: فعدّ مراراً قال ثمّ تلا هذه الآية (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) حتى بلغ (هُمْ فِيها خَالِدُونَ) ثم ذكر الحديث إلى آخره. ۷۴ ـ حدّثنى أبو خيثمة، حدّثنا سفيان بن عيينة، عن أبى غالب سمع أبا اُمامة قال: خرجت معه فرأى رؤوساً من هؤلاء الخوارج على درج دمشق، فقال كلاب النار، كلاب النار، شرّ قتلى، و خير قتلى من قتلوه، فقلت: يا أبا اُمامة سمعت هذا من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ؟ قال: نعم غير مرّة. ۷۵ ـ حدّثنى أبو خيثمة زهير بن حرب، حدّثنا عمّار بن يونس الحنفى، حدّثنا عكرمة بن عمّار، حدثنا شداد بن عبد الله، قال: وقف أبو اُمامة و أنا معه على رؤوس الحرورية بالشام عند باب مسجد حمص أو دمشق، فقال لهم: كلاب النار ـ مرّتين أو ثلاثاً ـ شرّ قتلى تظل السماء، و خير قتلى من قتلوهم ـــــــــــــــــــ

۱. آل عمران: ۱۰۶. (۴۹۹)

ـ و دمعت عينا أبى اُمامة ـ قال رجل: أرأيت قولك لهؤلاء القوم شرّ قتلى تظلّ السماء، و خير قتلى قتلوهم، أشىء من قبل رأيك أو شىء سمعته من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ ؟ قال: من قبل رأيى إنّى إذاً لجرى لولم أسمعه من رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ إلاّـ مرّة أو مرّتين ـ حتى عدّ سبع مرار ـ ما حدّثتكم، فقال له رجل: رأيتك دمعت عيناك؟ فقال: رحمة رحمتهم كانوا مؤمنين فكفروا بعد إيمانهم، ثمّ قرأ هذه الآية: (وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيِّنَـتُ وَأُوْلَـكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ)(۱)الآية. ۷۶ ـ حدّثنا أبى، حدّثنا أنس بن عياض و هو أبو ضمرة المدينى، قال: سمعت صفوان بن سليم يقول: دخل أبو اُمامة الباهلى دمشق فرأى رؤوس حروراء قد نصبت فقال: كلاب النار ـ ثلاثاً ـ شرّ قتلى تحت ظلّ السماء من خير قتلى من قتلوه، ثمّ بكى، فقام إليه رجل فقال: يا أبا اُمامة هذا الّذى تقول من رأيك أو سمعته؟ فقال: إنّى إذا لجرى كيف أقول هذا عن رأيى و لكن قد سمعته غير مرّة و لا مرّتين. قال: فما يبكيك؟ قال أبكى لخروجهم من الإسلام هؤلاء الذين تفرّقوا و اتّخذوا دينهم شيعاً. ۷۷ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا إسماعيل ـ يعنى ابن علية ـ انا سليمان التيمى، حدّثنا أنس بن مالك، قال: ذكر لى أنّ نبى الله قال: إنّ فيكم قوماً يعبدون و يدينون حتّى يعجبوا الناس وتعجبهم أنفسهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة. ۷۸ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا إبراهيم بن خالد، حدّثنا رباح، عن معمّر، عن قتادة عن أنس بن مالك: أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ قال: «يكون ـــــــــــــــــــ

۱. آل عمران: ۱۰۵ ـ ۱۰۶. (۵۰۰)

فى اُمتى اختلاف و فرقة يخرجون فيهم قوم يقرأون القرآن لاـ يجاوز تراقيهم، سيماهم الحلق و التسبيت، فإذا رأيتموهم فأنيموهم» ـ

قوله التسبيت يعنى استئصال الشعر ـ . ۷۹ ـ حدّثنى أبو بشر بكر بن خلف ختن أبى عبد الرحمن المقرئ و سأله محمّد بن غيلان، عن هذا الحديث بمكّة قال: حدّثنا عبد الرزاق، أنا معمّر، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «يكون فى آخر اُمّتى قوم يقرأون القرآن لايجاز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرميّة، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم ». ۸۰ ـ حدّثنى أبى حدّثنا عبد الرزاق، حدّثنا معمر، عن الزهرى، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن أبى سعيد الخدرى، قال: بينا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يقسم قسماً إذ جاءه ابن ذى الخويصرة التميمى فقال: اعدل يا رسول الله. فقال: «و يلك و من يعدل إذا لم أعدل؟» فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله أتأذن لى أن أضرب عنقه، فقال النبى ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «دعه فإنّ له أصحاباً يحتقر أحدكم صلاته مع صلاته، و صيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، فينظر فى قذذه فلا يوجد فيه شيء ثمّ ينظر فى نصيبه فلا يوجد فيه شيء، ثمّ ينظر فى نصله فلا يوجد فيه شيء، و قد سبق الفرث و الدم، آيتهم رجل أسود فى إحدى يديه أو قال احدى ثدييه كثدى المرأة، و مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فترة من الناس، فنزلت فيهم: (وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَـٰتِ)الآية (۱) قال أبو سعيد: فأشهد أنّى سمعت هذامن رسول الله، و أشهد أنّ عليّاً حين قتلهم و أنا معه جيئ بالرجل على النعت الّذى نعت رسول الله. ــــــــــــــ

۱. التوبة: ۵۸. (۵۰۱) ۸۱ ـ حدّثنى أفطر بن حماد بن واقد، حدّثنا مهدى بن ميمون، عن محمّد بن سيرين، عن معبد بن سيرين عن أبى سعيد الخدرى: أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ قال: «ليخرج قوم بالمشرق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، ثمّ لا ـ يعودون فيه حتى يعود السهم على فوقه» قال: قيل: ما سيماهم؟ قال: «سيماهم الحلق أو التسبيت». ۸۲ ـ حدّثنى نصر بن على، حدّثنا غسار بن مضر حدّثنا أبو مسلمة سعيد بن يزيد، عن أبى نضرة، عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : «تمرق مارقة من هذه الاُمّة مروق السهم من الرميّة، انّ الرجل ليرمى رميّته فينفذها سهمه فتنطلق الرميّة حائطة، قال: فيتحرك هنيهة ثم يقع فيه فيتبع سهمه فينظر فى النصل فلا يجد بيّنة قال: فيحدّث نفسه لئن كنت أصبت لأجدنّ بيّنة فى القذذ و الفوقتين، قال: فينظر فى القذذ و الفوقتين فلا يجد بيّنة، قال: فلا يعلقون من الإسلام إلّا كما يعلق ذلك السهم من رميّته، قال: و لا يعودون فيه، ثم يقرأون كتاب الله لا يعدو تراقيهم، قال: يحتقر أو يزدرى عمله عند عملهم، سيماهم التحليق، هم شرّ الخلق و الخليقة ـ مرّتين ـ يتولّى قتلهم أقرب الطائفتين إلى الحق ـ يعنى أصحاب النهروان ـ فقال أبو سعيد: الحمد لله الّذى ولّى قتلهم أهل العراق. ۸۳ ـ حدّثنى أبى، حدّثنا هشام بن القاسم، حدّثنا حشرج بن نباتة العبسى، حدّثنى سعيد ين جمهان، قال: لقيت عبد الله بن أبى أوفى و هو محجوب البصر فسلّمت عليه، فقال لى: من أنت؟ قال: قلت: أنا سعيد بن جمهان. قال: فما فعل والدك؟ قال: قلت: قتلته الأزارقة. قال لعن الله الأزارقة، لعن الله الأزارقة. (۵۰۲) ۸۴ ـ حدّثنا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ : أنّهم كلاب النار، قال: قلت: الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلّها؟ قال: لا، بل الخوارج كلّها. و آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين * * *

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).
قالَ الإمامُ علیّ ُبنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشـيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).
مؤسّس مُجتمَع " القائميّة "الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهید آیة الله" الشمس آباذی – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰

الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةٌ و طريقةٌ لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَبَّع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائمیّة "للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفيق.


مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹